

موسوعة علمية تراثية

مباهج الفكر ومناهج العبر

تأليف: محمد بن ابراهيم الوطواط

632 - 718 هـ



دراسة وتحقيق

د. عبد الرزاق أحمد الحربي

الدار العربية للموسوعات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مباهج الفكر
ومناهج العبر

الطبعة الأولى

2000 م – 1420 هـ

كافة المراسلات تعنون باسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب: 511 – الحازمية – هاتف: 952594 / 05 – تلفاكس: 459981 / 05 - 459982 / 05

هاتف نقال: 3883636 / 03 - 03/525066

بيروت - لبنان



موسوعة علمية تراثية

مباهج الفكر ومناهج العبر

تأليف: محمد بن ابراهيم الوطواط

632 - 718 هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور عبد الرزاق أحمد الحربي

الدار العربية للموسوعات

الاهداء

الى والديَّ العزيزين...

طاعةً ووَفاءً وتقديراً وَحُبّاً

المؤلّف



المقدمـــة

إن البحث في مجال تاريخ العلم لا يزال ضعيفاً ولا سيما الدراسات العربيـــة ، فعلم الحيوان عند العرب لم يدرس بصورة متكاملة ، بل أن اغلب الدراسات اقتصرت على ذكر العلماء وتراجمهم ، ولم تتطرق هذه الدراسات الى ما قاله وما أضافهُ العرب من آراء ونظريات كان لها أثر في تقدم العلوم في العصر الحالي ، ومن هنا كانت أهمية البحث في هذا المجال الخصب الذي يرفد تاريخ العلوم بروافد جديدة.

وتعترض الباحث في هذا الموضوع بعض الصعوبات منها:

١- إن التراث العلمي لم يتكامل نشره فهناك الكثير من الكتب المهمة التي لا تزال ترقد في زوايا المكتبات.

٢- سعة هذا الموضوع وتشعبه الى درجة كبيرة.

٣- اختلاط أكثر مسائل هذا العلم بمسائل العلوم الأخرى.

٤- فقدان بعض المصادر المهمة.

٥- تفرق المخطوطات العلمية بين مكتبات العالم وهذا يكلف الباحث الكثير من الوقت والعناء في سبيل الاطلاع على بعض المصادر .

ولقد انقسم هذا البحث الى بابين:

الباب الأول : الدراسة

واحتوى هذا الباب على ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : وقد خصص لدراسة اهتمام العرب بالحيوان.

واحتوى على أربعة مباحث :

المبحث الأول : تناولت به أهمية الحيوان في حياة العرب.

أما المبحث الثاني : فإنه تناول اهتمام القرآن الكريم والحديث الشريف بالحيوان وبيان حلاله وحرامه.

المبحث الثالث : عالج اهتمام اللغويين بالحيوان وصفاته وأصواته.

المبحث الرابع : وخصص لدراسة اهتمام الادباء والشعراء بالحيوان ونعتهم له ووصفهم اياه.

الفصل الثاني : وقد خصص لبيان كيفية دراسة الحيوان عند العرب.

وقد قسم هذا الفصل الى :-

المبحث الأول : وشمل الدراسات القديمة واهتمام العرب بهذه الدراسات.

أما المبحث الثاني : وشمل جوانب دراسة العرب للحيوان وهي تصنيف الحيوان والبيطرة والبيزرة ، ودراسة السلوك النفسي والجنسي عند الحيوان ، ودراسة الخواص الطبية للحيوان.

الفصل الثالث : وقد خصص لدراسة المؤلف والكتاب.

حيث قسم الى مبحثين :-

المبحث الأول : المؤلف وحياته.

المبحث الثاني : وقد عالج هذا المبحث تسمية الكتاب ، ومنهجه ومادته ومصادره العلمية والأدبية وأهمية الكتاب ، ونسخه .

أما الباب الثاني :-

فهو تحقيق المتن وقد اتبعت في التحقيق المنهج الآتي:

١- لقد كتبت النص على وفق القواعد الاملائية الحالية حيث ان الناسخ في كثير من الأحيان يسقط بعض الألفات أو النقاط فأثبتهما .

٢- شكل ما يحتاج الى شكل من الجمل أو الابيات الشعرية.

٣- اضافة السقط من النسخ الاخرى بين قوسين والاشارة اليها في الهامش .

٤- تخريج الشواهد ويشمل :-

أ - الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ب - الاشعار حيث ضبطت الاشعار معتمداً على نسخ الكتاب المخطوطة والدواوين أو الكتب الأدبية في حالة عدم وجود الديوان ، وبيان الاختلاف في ترتيب الأبيات أو الأشطر بالنسبة للرجز.

جـ - الأمثال وأقوال العرب :-

فقد رجعت في تخريجها الى كتب الأمثال أو كتب الأدب التي ذكرتها .

٥- الاعلام :-

اقتصرت في ترجمة الاعلام على ذكر الاسم ، وبأي شيء اشتهر ، وسنة الوفاة.

٦- الحيوانات :-

ضبطت ما يحتاج الى ضبط ، وفسرت بعض الحيوانات ، وذلك بذكر اسمها وفصيلتها ورتبتها واسمها العلمي وقد اعتمدت على المعجم الزولوجي ، ومعجم الحيوان.

٧- صححت الكلمات التي وردت مصحفة أو محرفة اعتماداً على نسخة ب ، جـ أو على الديوان ، وأشرت الى ذلك في الهامش.

٨ - حاولت ارجاع أكثر الأقوال الى مصادرها .

٩- توخيت الاختصار في الهوامش . ولا سيما في ذكر المصادر حيث اكتفيت في هوامش المتن بذكر اسم الكتاب مع ذكر الجزء والصفحة ووضعت بينهما خطاً مائلاً.

١٠- الكلمات التي لم أتمكن من قراءتها مطلقاً إما لمحوها أو اختلاط حروفها فأني أشرت اليها بقوسين داخلهما نقاط.



الباب الأول

الفصل الأول

الإهتمام بالحيوان

المبحث الأول : أهمية الحيوان في حياة العرب

للحيوان دور مهم في حياة الانسان، فقد أفاد الانسان منه في نواحٍ متعددة من الحياة ، فاعتمد عليه كمصدر من مصادر غذائه ، وافاد منه في النقل والتجارة والزراعة ، وفي عدد من المجالات الأخرى . وهذه الفوائد جعلت للحيوان أهمية في حياة الانسان العربي ، واعتمد عليه كثيراً .

فأفاد العربي من الحيوان في مجالات متعددة منها :-

أ - النقل : استعمل الحيوان في النقل ، فالخيل كانت من وسائل النقل السريعة ولا سيما نقل الأشخاص ، والإبل استعملت في نقل البضائع التجارية ، والأشخاص حيث كانت من أهم وسائل النقل عبر الصحراء ، والبغال والحمير استعملت للركوب ولحمل المتاع ، ولا سيما في الأماكن الوعرة ، ولقد ازدادت أهمية هذه الحيوانات بعد أن اتسعت رقعة الدولة العربية ، حيث أصبحت الحاجة كبيرة الى حيوانات النقل سواء في نقل البضائع أم نقل الأشخاص كما ازدادت الحاجة اليها أيضاً لنقل البريد بين الأقاليم .

ب - الاستعمال في الحرب : كان للخيل والإبل أثر مهم في الحروب العربية فالخيل تستعمل لعمليات الهجوم السريعة أو الالتفاف ، وللفارس تأثير مهم في عمليات الكر والفر ، ولهذا كانت الفروسية مقصورة على خيرة أبناء الأمة ، وكانت للفارس مكانةٌ محترمة أكدها الاسلام بعد مجيئه ، كما كانت تقدم للفرسان محفزات مادية ليشترك أكبر عدد منهم في الحرب وحينما تقسم الغنائم يعطى الراجل سهماً والفارس ثلاثة

أسهم(1).

أما الإبل فكانت مهمة في الحروب لنقل الأمتعة والمؤن الى أرض المعركة كما انها كانت تدرب لكي تستخدم في القتال ويحتمى بها من السلاح(2).

جـ - الافادة من منتوجات الحيوانات :

أما منتوجات الحيوانات ، فكانت مهمة في حياة الفرد حيث افاد منها في مأكله وملبسه ومعاشه :-

١- الإفادة من الجلود :

للجلود أهمية كبيرة فقد كانت تمثل جزءاً مهماً من تجارة قريش (3) كما أن بعض الاعراب استعملها ثمناً لبعض السلع (4) ، وقامت في بعض الحواضر العربية صناعة لدباغة الجلود ، حيث كانت هناك عوامل مشجعة على نشوء مثل هذه الصناعة ، فتوفر جلود الحيوان في السوق المحلية بسبب ما يذبح في المناسبات الدينية والنذور وقِرى الأضياف ، وكذلك توفر النباتات المستعملة في الدباغة كنبات القرظ ، والفلقة والغرف وغيرها من النباتات (5) ، كما ساعد الجو أيضاً في نشوء الدباغة فاشتهرت أماكن كاليمن والطائف بهذه الصناعة . وصنعت

١- راجع كتاب السير الكبير ، السرخسي ، تحقيق المنجد ، مصر ١٩٦٠م ٨٩١/٣ ، ٨٩٨ وكذلك الهداية شرح بداية المبتدئ ، أبو الحسن المرغيناني ، البابي الحلبي ١٤٦/٢.

٢- الفن الحربي في صدر الاسلام، عبدالرؤوف عون ، دار المعارف ، مصر ١٩٦١م ، ص١٢٢.

٣- تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. جواد علي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧م، ١٥١/٨.

٤- مجلة العرب ج٧ ، س ١٠، ص ٥٣٨.

٥- راجع المخصص لأبن سيده ، بولاق ١٣١٨ هـ ١٠٧/٤.

منها بعض الأجهزة الحربية مثل الجحفة التي هي نوع من التروس ، واليلّب التي هي الدروع اليمانية ، وكانت تصنع من جلود الابل (١) ، والتروس التي كانت تصنع من جلود البقر ، والقراب .... وغيرها من أجهزة الحرب كما صنعت من الجلود أيضاً الدلاء والقرب والنعال والخفاف (٢). وأفادوا من الجلود أيضاً في عمل البيوت الخفيفة والملائمة للسكن اثناء نزول المطر وقد ذكر القرآن الكريم هذا النوع من البيوت : (وجعل لكم من جلودِ الأنعامِ بيُوتا تَسْتَخِفُونها يومَ ضَعَنْكُم ويوم إقامَتِكم) (٣).

والجلود كانت مادة مهمة من مواد الكتابة (٤) حيث انها تصقل وترقق وتطيب ثم تستعمل للكتابة ، والجلود المستعملة في الكتابة أنواع فمنها الثمين ومنها الرخيص ، وكانت الجلود هي المادة المفضلة للكتابة في الدواوين وذلك لخفتها وسهولة محوها وحكها .

٢- الافادة من اللحوم :

كان العرب يأكلون لحوم كثير من الحيوانات ولا سيما الابل والاغنام ، والبقر بالاضافة الى حيوانات الصيد المختلفة ، كالغزلان والأرانب والطيور وغيرها ، وكان للعادات أثر في ترك أكل بعض الحيوانات ، فالجراد مثلاً مستهجن لدى هذيل ، والعرب استقذرت حيوانات مثل الورل والضب ولحم الغراب ، ولكن مع ذلك نرى من كان يستطيب لحم الضب (٥) ، كما أن منهم من كان يعتقد أن أكل لحوم السباع

١- اللسان مادة يلب.
٢- المخصص ٤/١٠٠-١١٥.
٣- النحل ٨٠.
٤- مصادر الشعر الجاهلي ، ناصر الدين الأسد طبعة ١٩٦٢م بيروت ص ٧٧، وكذلك الورق والكاغد ، كوركيس عواد، فرزة من مجلة المجمع العلمي العربي ص ٤١٦ .
٥- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، محمود شكري الآلوسي ، ط ٣ دار الكتاب مصر ٣٨٠/١.

يزيد في الشجاعة والقوة (١) .

ولم يرد أي نص يفيد بأن العرب قد أكلوا لحم الكلاب، كما أنه لم يرد أيضاً أي نص في القرآن يشير الى حلّه أو تحريمه (٢) ، وهو في نظر الشرع الاسلامي من أنجس الحيوانات ، وكذلك في الشريعة اليهودية (٣) ، وقد وردت الأحاديث النبوية التي تؤكد على غلظ نجاسته ، فلو ولغ الكلب في الاناء ، فانه يجب غسله سبع مرات إحداهن بالتراب ، كما أوصى النبي (ص) بقتل الكلاب السائبة (٤).

أما الخنزير ، (وهو من الحيوانات المستقذرة عند الساميين) (٥) ، ولم يكن أكله شائعاً عند العرب ، لهذا لم يجد الاسلام عناء حينما حرمه بقوله تعالى: (حُرِمتْ عليكمُ المَيتة والدمُ ولحمُ الخِنْزِيرِ) (٦).

والعرب كانت تأكل لحوم الحمر الاهلية والخيل ، فلما كان يوم خيبر حرم الرسول (ص) أكلها(٧) ، كما كانوا يأكلون الميتة ، والمنخنقة التي تخنق أو تختنق(٨) ، والموقوذة التي ماتت بالضرب (٩) ، والمتردية التي سقطت من علو ، والنطيحة التي ماتت من النطاح .

وهناك أيضاً الحيوانات التي كانت تذبح لقرى الاضياف ، أو قد تذبح على

١- بلوغ الارب ٢/٣٢٣.

٢- تاريخ العرب ٥/٢٩٧.

٣- المصدر نفسه ٥/٢٩٨.

٤- البخاري ، المطبعة المنيرية القاهرة ٤/٢٦٣.

٥- Lectures on the Religion of the Semites , Robertson Smith , London , 1927 , P. 218.

٦- المائدة:٣.

٧- راجع البخاري ٦/١٧٣ ، ٧/١٦٤ .

٨- تفسير الطبري ، ط ٢ ، مصر ، ٦/٦٨ .

٩- المصدر نفسه ٦/٦٩ .

النصب تقرباً الى الآلهة ، أو الاستهلاك المحلي ، كالإبل والاغنام والابقار ، كما كانوا يأكلون حيوانات الصيد كالغزلان ، والأرانب ، والبقر الوحشي ، والحمار الوحشي والطير على اختلاف أنواعها ، ما عدا بعض الطيور التي كانوا لا يستسيغونها ، أما صيد البحر فقد مارسه العرب الذين سكنوا السواحل ، فامتهن بعضهم صيد الحيتان والأسماك الكبيرة لوفرة لحمها والاستفادة من عظامها وجلودها [١] ، وكان قسم منها يحفظ في ماء مملح ، أو في الخل ، وقسم يجفف ويطحن ويؤكل طحينه، وحينما جاء الاسلام أقر حل صيد البحر (أُحِلَّ لكم صَيدُ البَحْرِ وطَعامُه مَتاعاً لكم) [٢] ووصف الرسول (ص) البحر بأنه (الطَهُور مَاءُوهُ الحِلّ مَيْتَتهُ) [٣] ، أما صيد البر فإنه حلال الا ما كان له ناب او مخلب فإنه محرم[٤].

أما الدم : فقد استحل العرب أكله ، وكانوا يريقونه على الانصاب تقرباً الى الآلهة ، ولعل اراقة الدم على الانصاب ، كان بسبب اعتقادهم أن الآلهة لا ينالها من الاضحية الا دمها [٥] ، وقد عرّض القرآن الكريم بهذا الاعتقاد بقوله (لن يَنالَ اللّهَ لُحومُها ولا دِماؤُها ولكِن ينالهُ التَقْوى منكم) [٦] ، وكان العرب قبل الاسلام يأكلون الفَصِيدَ ، ويقولون : لم يحرم من فُزِدَ له [٧] .

٣- وأفاد العرب من الحيوانات أيضاً فوائد أخرى حيث كانت تنسج من أصوافها واشعارها وأوبارها ملابسهم وخيامهم ، وفرشهم ، وأفادوا من البانها، وبيضها، للأكل أو المتاجرة به.

١- تاريخ العرب ١١١/٨-١١٢ .

٢- المائدة : ٩٦ .

٣- راجع معجم الفاظ الحديث ، فنسك ، ليدن ، ١٩٦٧ ، مادة (موت).

٤- لقد فصل الفقهاء احكام الصيد ، راجع المغني ، لعبد الله بن قدامة ، تحقيق محمود عبد الوهاب ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ٣٦٦/٩-٤٣٢ .

٥- Smith, P. 235

٦- الحج آية ٣٧ .

٧- الفصيد هو ان يشق احد الاوردة طولاً ثم يؤتى بالمعي فيملأ ثم يشوى على النار ، راجع الكشاف، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ٦٠٣/١ .

المبحث الثاني

اهتمام القرآن الكريم والحديث بالحيوان

أولاً : ذكر الحيوان في القرآن الكريم :

إهتم القرآن الكريم بذكر الحيوان وأوصافه وأحواله وقد تعدد غرض القرآن في ذكر الحيوان الى :-

١- الاشارة الى المنافع التي تجنى من الحيوانات ، كقوله (والخيلَ والبِغَالَ والحَميرَ لتركبوها وزينةً) (١) ، أو (إنَّ لكم في الأنعامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُم مما في بُطونِها مِنْ بين فَرْثٍ ودم لبناً خَالصاً سائِغاً للشَاربين) (٢).

٢- ذكر المحلل والمحرم من الحيوان، وبيان أحكامه، وما يتعلق به من الأمور الدينية مثل تحريمه للخنزير، والدم ، والميتة ، وتحليله اكل لحوم الصيد، وما امسكت الجوارح المعلمة، (وما عَلّمتم من الجَوارِحِ مُكلبين تُعلِمونَهُن مما عَلمكم الله فكُلوا مما أَمْسَكنَ عليكم) (٣).

٣- سرد القصة التي هي في اغلب الأحيان خلاصة تاريخية لحادثة معينة ، حيث يذكر الحيوان كجانب من جوانب القصة، مثل ذكر الفيل في قصة غزو الأحباش لمكة ، (أَلَم تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُكَ باصحَابِ الفيل) (٤) ، وذكر الغراب في

١- النحل : ٨

٢- النحل : ٦٦

٣- المائدة : ٤

٤- الفيل : ١

قصة هابيل وقابيل (فَبعثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ في الأرضِ ليُريهُ كيف يُواري سَوْأَةَ أخِيه) (١) وكذلك ذكره للنملة والنحلة.... الخ.

٤- إن القرآن الكريم تعرض ايضاً الى تصنيف الحيوانات فمثلاً قسمها الى ثلاثة اقسام ما يمشي على رجلين ، وما يمشي على أربع ، وما يزحف على بطنه ، (واللّهُ خَلَقَ كُلَ دَابةٍ من ماءٍ فَمنِهُم مَنْ يمشي على بَطْنِه ، ومنهم مَنْ يَمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع) (٢) ثم صنفها تصنيفاً ثنائياً وهو الحيوان البري والطيور، (وما مِنْ دَابةٍ في الأرضِ ، وَلا طائرٍ يَطيرُ بجناحيهِ الا أُممٌ أَمْثالُكُم) (٣).

٥- استعمل القرآن أسماء بعض الحيوانات استعمالاً بلاغياً ، وذلك مثل قوله تعالى : (مَثلُ الذين حُمّلوا التَوْراةَ ثُم لم يَحْمِلوها كَمثل الحمارِ الذي يَحْمِلُ أسفَاراً) (٤) فنرى هذا التشبيه من أبلغ التشبيهات (٥) .

وفي ما يلي جدول يوضح ذكر الحيوان في القرآن الكريم مع بيان عدد مرات تكراره وأسماء السور التي ورد فيها ، ورقم الآية وموضع الشاهد في الآية.

١- المائدة :٣١

٢- النور :٤٥

٣- الأنعام :٣٨

٤- الجمعة : ٥

٥- راجع مثلاً أسرار البلاغة ، الجرجاني ، تحقيق ريتر ص ٩٠-٩٢.

اسم الحيوان	تكراره	اسم السورة	رقم الآية	موضع الشاهد في الآية
ابل	٢	الانعام	١٤٤	وَمن الابلِ اثنينِ ومِن البقرِ اثنين.
		الغاشية	١٧	أفلا ينْظرونَ الى الابلِ كيفَ خُلقتْ.
الانعام	٢٧	آل عمران	١٤	والخيلِ المسومةِ والانعامِ والحَرث ذلكَ مَتاع.
		الانعام	١٣٦	وجعلوا للهِ مما ذَرَأ مِن الحَرثِ والانعامِ نَصيباً.
		الانعام	١٣٨	وقالوا هذهِ انعامٌ وحرثٌ حجرٌ لا يَطْعَمُها الا مَنْ نَشاء.
		الانعام	١٣٨	وأنعام حُرمتْ ظُهورُها
		الانعام	١٣٨	وانعام لا يَذْكُرون اسمَ اللهِ عليها افتِراءً عليه.
		الانعام	١٣٩	وقالوا ما في بُطونِ هذه الانعامِ خَالصة لذكورنا.
		الانعام	١٤٢	ومِن الانعامِ حَمُولة وفَرشاً كُلوا مما رزقكم اللهُ.
		يونس	٢٤	فاخْتلطَ به نباتُ الأرضِ مما يأكلُ الناسُ والانعامُ.
		النحل	٥	والأنعام خَلَقَها لكُم.
		النحل	٦٦	إنَّ لكم في الانعامِ لَعِبرةً نَسقيكم مما في بُطونِها.
		النمل	٨٠	وجَعَل لكم مِنْ جلُودِ الانعامِ بيُوتا.
		طه	٥٤	كُلوا وارْعوا أنعامَكم.
		الحج	٣٠	وأحِلتْ لكُم الانعامُ الاّ ما يُتلى عَليكُم.
		الحج	٣٤	لِيذكروا اسمَ اللهِ على مَا رزقَهُم مِن بَهيمةِ الأنعامِ.

		المؤمنون	٢١	وإنَّ لكم في الانعامِ لَعبرةً.
		الفرقان	٤٤	إنْ هُم الاّ كالأنعام بَل هُم اضل سبيلا.
		الفرقان	٤٩	ونُسقيهِ مما خَلَقْنا أنعاماً واناسي كثيراً.
		الشعراء	١٣٣	أمَدكُم بانعامٍ وبَنين.
		السجدة	٢٧	فَنُخرجُ منه زرعاً تأكلُ منه أنعَامهُم.
		فاطر	٢٨	ومِنَ الناسِ والدَواب والانعامِ مختلفٌ الوانهُ.
		يس	٧١	إنا خَلقنا لهم مما عَمِلتْ أيدِينا انعاماً فَهُم لها مَالِكون.
		الزمر	٦	وأنزل لكم من الانعامِ ثَمانيَة ازواجٍ.
		غافر	٧٩	جَعلَ لكم الأنعامَ لِتركبوا مِنها ومنها تأكلون.
		الشورى	١١	جَعلَ لكم من أنفُسِكم أزواجاً ومن الانعامِ ازواجاً.
		محمد	١٢	ويأكلونَ كما تأكلُ الانعامُ والنارُ مثوىً لَهُم.
		النازعات	٣٢	مَتاعاً لكم ولأنعامِكُم.
		عبس	٣٢	مَتاعاً لكم ولأنعامِكُم.
البدن	١	الحج	٣٦	والبدنَ جعلناها لكم.
بقرة/ بقر	٨	البقرة	٦٧	إنَّ اللهَ يأمركُم أنْ تَذبَحُوا بقرةً.
		البقرة	٦٨	قالَ إنَّه يقول إنها بقرةٌ لا فَارضٌ ولا بِكرٌ.
		البقرة	٦٩	يقول : إنها بقرةٌ صفراءُ .
		البقرة	٧٠	ان البَقَرَ تَشابهَ علينا .
		البقرة	٧١	يقول : إنّها بَقرةٌ لا ذَلُولٌ.
		الأنعام	١٤٦	حَرمنا كل ذي ظُفرٍ ومِن البقر والغنم حرمنا شُحُومَهُما .

		يوسف	٤٣	إني أرى سَبْعَ بقراتٍ سِمانٍ.
		يوسف	٤٦	أفْتِنا في سبع بقرات سمانٍ.
بعوضة	١	البقرة	٢٦	إنَّ اللّهَ لا يَسْتَحي أنْ يَضربَ مثلاً ما بَعُوضةً فما فَوقها.
بعير	٢	يوسف	٦٥	ونَزدادُ كَيلَ بعيرٍ.
		يوسف	٧٢	ولِمَنْ جاء به حِمْلُ بَعيرٍ.
ثعبان	١	الاعراف	١٠٧	فالقى عَصاهُ فاذا هي ثُعبانٌ مُبين.
الجراد	٢	الاعراف	١٣٣	فأرسلنا عليهم الطُوفانَ وَالجَرادَ والقُمّل.
		القمر	٧	يَخْرُجونَ من الأجْدَاثِ كأنَهم جَرادٌ مُنْتشر.
جمل	٢	الاعراف	٤٠	حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سمِ الخِياطِ.
		المرسلات	٣٢	كأنَّها جمالةٌ صفرٌ.
الجوارح	١	المائدة	٤	وما عَلمتُم من الجَوارحِ مُكَلبينَ.
الجياد	١	ص	٣١	إذْ عُرِضَ عليه بالعَشِي الصَافِناتُ الجِيادُ.
حمار/حمير	٥	البقرة	٢٥٩	وانظُرْ الى حمارِكَ.
		النحل	٨	والخَيلَ والبغالَ والحَميرَ لِتَركَبُوها.
		الجمعة	٥	مَثلُ الذين حُمّلوا التوراةَ ثم لم يَحْمِلوها كَمثلِ الحمارِ.
		المدثر	٥٠	كأنَّهم حُمرٌ مُستنفرةٌ.

		لقمان	١٩	إنَّ انكرَ الاصواتِ لَصوتُ الحَمِير.
الحوت	٥	الكهف	٦١	فَلما بَلَغا مَجْمَعَ بينهما نَسيا حوتَهما .
		الكهف	٦٤	فاني نَسيتُ الحُوتَ.
		الصافات	١٤٢	فالتَقَمَهُ الحوتُ وهو مليم.
		الاعراف	١٦٣	إذ تأتيهم حيتانهم يومَ سَبتِهم.
		القلم	٤٨	ولا تكن كَصاحِبِ الحوتِ إذ نادى.
الحية	١	طه	٢٠	فألقاها فاذا هي حَية تسعى.
الخنزير	٣	المائدة	٣	حُرمتْ عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزيرِ.
		المائدة	٦٠	وجَعَلَ منهم القِردةَ والخَنازيرَ.
		النحل	١١٥	إنما حرَّم عليكم الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزيرِ.
الخيل	٥	آل عمران	١٤	والخيل المُسوَّمة والانعام والحَرث.
		الانفال	٦٠	واعدوا لَهُم ما استطعتم من قوةٍ ومِن رباطِ الخيلِ.
		النحل	٨	والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها .
		الاسراء	٦٤	واجلبْ عليهم بخَيلِك ورَجلِكَ.
		الحشر	٦	فما أوجَفْتُم عليه مِن خَيلٍ ولا رِكابٍ.
الدابة/دواب	١٦	البقرة	١٦٤	وبَثَّ فيها من كُل دابةٍ وتصريفِ الرياحِ.
		الانعام	٣٨	وَما مِنْ دابةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ.
		الانفال	٢٢	إنَّ شَرَ الدوابِ عند اللهِ الصُم البُكم.
		الانفال	٥٥	إنَّ شَرَ الدوابِ عند اللهِ الذين كَفروا .
		هود	٦	وَما مِنْ دابةٍ في الأرضِ الا على اللهِ رِزقُها .

		النحل	٤٩	ولله يسجد ما في السموات وما في الأرضِ من دابةٍ والملائكة.
		النحل	٦١	ما ترَكَ عليها من دَابةٍ.
		الحج	١٨	والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُ.
		النور	٤٥	واللهُ خلقَ كل دابةٍ من ماءٍ.
		لقمان	١٠	وبثّ فيهما مِن كلِ دابةٍ.
		سبأ	١٤	الا دَابة الأرضِ تأكلُ منسأته.
		فاطر	٢٨	ومِنَ الناسِ والدوابِ والانعامِ.
		فاطر	٤٥	ما ترَكَ على ظَهرها من دابَةٍ ولكن يُؤخِرهم.
		الشورى	٢٩	وما بَثَ فيهما مِن دابةٍ .
		الجاثية	٤	وفي خَلقِكم وما يَبثُ من دابةٍ آيات.
		النمل	٨٢	أخرَجنا لهم دَابةً من الأرضِ تُكلمهم.
الذئب	٣	يوسف	١٣	واخافُ أنْ يأكُلَهُ الذئبُ.
		يوسف	١٤	قالوا لأنْ أكلهُ الذئبُ ونَحنُ عُصبة.
		يوسف	١٧	وتركنا يوسفَ عند مَتاعِنا فأكلهُ الذئبُ .
الذباب	٢	الحج	٧٣	لن يَخلقوا ذُباباً ولو اجتَمعُوا .
		الحج	٧٣	وإنْ يَسلُبهُم الذُبابُ شَيئا لا يَستَنقِذُوه.
الضأن	١	الانعام	١٣٨	ثمانية ازواجٍ من الضأنِ اثنينِ ومِن المعز اثنين.
الضفادع	١	الاعراف	١٣٣	فأرسلنا عَليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمّلَ والضَفادِعَ.

الطير	١٨	البقرة	٢٦٠	قال فخُذْ أربعةً من الطَير فَصرِهُن اليك.
		آل عمران	٤٩	أخلقُ لكم من الطينِ كَهيئة الطَيرِ.
		المائدة	١١٠	وإذْ تَخلقُ مِن الطين كهيئة الطير بإذني.
		الانعام	٣٨	وَما مِنْ دابةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ يَطيرُ.
		يوسف	٣٦	تأكلُ الطيرُ منه.
		يوسف	٤١	فيصلب فَتأكلُ الطَيرُ مِن رأسه.
		النحل	٧٩	الم يَروا الى الطيرِ مسخراتٍ في جَو السماءِ.
		الأنبياء	٧٩	وسَخرنا مع داود الجبالَ يُسبِحْنَ والطيرَ.
		الحج	٣١	فكأنما خَرَّ مِن السماءِ فَتخطَفُه الطيرُ.
		النور	٤١	والطير صافات
		النمل	١٦	وقال يا ايها الناسُ عُلمنا وقال يا ايها
		النمل	١٧	وحُشِرَ لسليمان جُنودُه مِن الجِنِ والانسِ والطيرِ.
		النمل	٢٠	وتَفَقدَ الطيرَ.
		سبأ	١٠	يا جبالُ أوّبي معه والطير.
		ص	١٩	والطير محشورة كلٌ له اواب.
		الواقعة	٢١	ولحم طير مما يشتهون .
		الملك	١٩	أوَلَم يَروا الى الطَيرِ فَوقَهُم صافاتٍ.
		الفيل	٣	وأرسَلَ عليهم طَيراً أبابيلَ.
العجل	١١	البقرة	٥١	ثُم اتَخذتُم العِجلَ مِن بَعْده.
		البقرة	٥٤	باتخاذكم العجلَ.
		البقرة	٩٢	ثُم اتَخذتُم العِجلَ مِن بَعْده.
		البقرة	٩٣	وأشربوا في قُلوبِهم العِجلَ.
		النساء	١٥٣	ثم اتخذوا العِجلَ .
		الاعراف	١٤٨	واتخذَ قومُ موسى مِن بعدهِ مِن حُليهم

				عِجْلا جسداً.
		الاعراف	١٥٢	إِنَّ الذين اتخذوا العِجلَ سَينالُهم غَضَبٌ.
		هود	١٦٩	فما لَبثَ أنْ جَاء بعجلٍ حَنيذ.
		الاعراف	١٤٨	مِن حلّيهم عجلاً جسداً .
		طه	٨٨	فأخْرج لهم عِجْلاً جَسدا له خُوار.
		الذاريات	١٦	فَراغَ الى أهله فَجاء بعِجْلٍ سَمينٍ.
العنكبوت	٢	العنكبوت	٤١	كَمثلِ العنكَبُوتِ اتخذتْ بيتا.
		العنكبوت	٤١	وإنَّ أوهن البيوت لبيتُ العنكبوتِ.
العير	١	يوسف	٨٢	والعيرِ التي أقبلنا فيها .
غراب/ غرابيب	٣	المائدة	٣١	فبعث الله غُراباً يبحثُ في الأرضِ.
		المائدة	٣١	أنْ اكونَ مثلَ هذا الغرابِ فأواري سوءةَ اخي.
		فاطر	٢٧	وغَرابيبُ سود.
غنم	٢	الانعام	١٤٦	حَرّمنا كلَّ ذي ظُفرٍ ومن البقرِ والغنمِ.
		الأنبياء	٧٨	وداودَ وسليمان اذ يَحكُمان في الحَرثِ إذ نَفَشتْ فيه غنمُ القومِ.
الفراش	١	القارعة	٤	يَومَ يكونُ الناسِ كالفَراشِ المبثوثِ.
الفيل	١	الفيل	١	ألَم تَرَ كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ باصحَابِ الفيلِ.
القردة	٣	البقرة	٦٥	وَلقد عَلمتُم الذين اعتَدوا منكم في السبتِ فقُلنا لَهُم كُونوا قِردةً خاسئين.
		المائدة	٦٠	وجَعلَ مِنهم القِردةَ والخنازيرَ.

الكلمة	العدد	السورة	رقم الآية	الآية
		الاعراف	١٦٦	فلما عَتوا عن ما نهوا عنه قُلنا لهم كُونوا قِردةً خاسِئِينَ.
قسورة	١	المدثر		كأنهم حمرٌ مستنفرة فرت من قسورة .
القمل	١	الاعراف	١٣٢	فأرسلنا عليهِم الطوفانَ والجرادَ والقُمّلَ والضَفادِعَ.
الكلب	٥	الاعراف	١٧٦	فَمثلُه كَمثل الكَلبِ إنْ تَحمِلْ عليه يَلْهثْ او تَتْركه يَلْهَث.
		الكهف	١٨	وكَلبُهم باسِطٌ ذِراعَيه بالوَصِيدِ.
		الكهف	٢٢	سيقولون ثلاثةٌ رابعُهم كَلبُهم.
		الكهف	٢٢	ويقولون خمسةٌ سادسهم كَلبُهم.
		الكهف	٢٢	ويقولون سبعةٌ وثامنهم كَلبُهم.
المعز	١	الانعام	١٣٨	ومن الضأنِ اثنينِ ومن المَعزِ اثنينِ.
المن	٣	البقرة	٥٧	وظَلّلنا عَليكم الغَمامَ وأنزلنا عليكم المَنَّ والسَلوى.
		الاعراف	١٦٠	وأنزلنا عَليهم المَنَّ والسَلوى كُلوا مِن طَيبات.
		طه	٨٠	ونَزّلنا عليكم المَنَّ والسَلوى.
المتردية	١	المائدة	٣	والمُنْخَنِقةُ والموقوذَةُ والمُترَديةُ
المنخنقة	١	المائدة	٣	والمُنْخَنِقةُ والموقُوذَةُ والمُترَديةُ
الموقوذة	١	المائدة	٣	والمُنْخَنِقةُ والموقُوذَةُ والمُترَديةُ

ناقة	٧	الاعراف	٧٣	هذه نَاقَةُ اللهِ لكم فَذَرُوها تأكلُ.
		الاعراف	٧٧	فَعَقَروا الناقة وعتوا.
		هود	٦٤	ويا قَوم هذه ناقةُ الله.
		الاسراء	٥٩٠	واتينا ثَمودَ الناقةَ مُبصرةً.
		الشعراء	١٥٥	قال هذه ناقةٌ لها شربٌ.
		القمر	٣٧	إنا مُرسِلو الناقة لَهُم فِتنةً.
		الشمس	١٣	فقالَ لَهُم رَسولُ اللهِ نَاقةَ اللّهِ وَسُقْيَاها.
النحل	١	النحل	٦٨	وأوحى ربُّكَ الى النحلِ أنْ اتَّخِذي من الجِبالِ بُيوتاً.
النمل	٣	النمل	١٨	حتى إذا أتوا على وادِ النملِ.
		النمل	١٨	قالت نملةٌ.
		النمل	١٨	يا ايها النملُ ادخُلوا مَساكِنكم.
النطيحة	١	المائدة	٣	والمُتَرَدِيةُ والنَطِيحةُ وما أكلَ السبعُ.
نعجة	٤	ص	٢٣	إنَّ هذا اخي له تِسعٌ وتُسعُونَ نعجةً.
		ص	٢٣	ولي نَعْجَةٌ واحدةً.
		ص	٢٤	قال : لقد ظلمك بسؤال نَعْجَتك.
		ص	٢٤	الى نِعَاجِه.
الوحوش	١	التكوير	٥	واذا الوُحوشُ حُشِرتْ.
الهدهد	١	النمل	٢٠	فقالَ : مَالي لا أرى الهُدهُدَ أم كانَ من الغَائبينَ.

وقد رتبت أسماء الحيوانات في الجدول السابق على حروف المعجم وذكرت كل كلمة حسب أولها كما ذكرت بعض أوصاف الحيوان مثل النطيحة ، المنخنقة ورتبت كسابقتها .

ومن خلال هذا الجدول نرى أنه :-

أ - ذكر الحيوانات المختلفة التي منها ما هو نافع ومنها ما هو ضار.

ب - لم يتطرق الى ذكر أنواع الطيور بل أجمل القول فيها .

جـ - لم يتوسع بذكر أنواع حيوانات البحر.

د - كما نرى من خلال الجدول السابق أنه أكثر من استعمال الكلمات المطلقة التي تشمل سائر الحيوانات أو جانباً منها مثل كثرة استعماله لكلمة الانعام التي تكررت (٢٧) مرة وكلمة الدابة التي تكررت (١٦) مرة وكلمة الطير التي تكررت (١٨)مرة.

ثانياً :- ذكر الحيوان في الحديث الشريف :

ورد في الحديث النبوي ذكر الحيوان وبيان أحكامه وسمى عدة حيوانات كالابل والحمر والكلاب ، والقطط، ويمكننا أن نصنف ورود ذكر الحيوان في الحديث الى :-

١- الأحاديث التي ورد فيها بيان المحلل والمحرم من الحيوان مثل تحريم الحمر الأهلية في يوم خيبر (١) ، وكذلك تحريم ثمن الكلب ، واتخاذه للحراسة

١- راجع البخاري ١٧٣/٦ .

والصيد وذكر نجاسته (١) ، وبين بعض الأمور التي تحتاج الى تفصيل لغرض فهم النصوص القرآنية فمثلاً تحريم الميتة في القرآن ورد مطلقاً، أي تحريم الانتفاع ، فجاء حديث الرسول ليخصص ، فقد مر الرسول (ص) بشاة ميتة (فقال : هَلاَّ استمتعتم بأهابها ، قالوا : إنها ميتة قال: إنما حُرِّم أكلها) (٢) وتحريم (كل ذي ناب من السباع) (٣) ، ونهيه عن قتل الضفادع (٤) ، وبيانه لحكم الطعام وقعت فيه حشرة فماتت (٥) وغير ذلك من الأحكام.

٢- الأحاديث التي بينت أحكام الزكاة بالنسبة للحيوانات ، ومقاديرها ووجوه انفاقها وكانت لهذه الأحاديث أهمية من حيث انها نظمت عملية جباية الزكاة وجعلت لها قانوناً على مدى الأيام .

٣- الأحاديث التي بينت أحكام الصيد وصفة الضاري المعلم (٦).

٤- الأحاديث التي بينت أحكام ذبح الحيوان والاضاحي وصفاتها وأوقاتها .

٥- الأحاديث التي بينت أحكام المعاملات من بيع (٧) وشراء واجارة وسلم وضمان ما أتلفه الحيوان .

٦- الأحاديث التي ذكرت فيها أحكام وأمور عامة تخص الحيوان من قريب أو بعيد وذلك مثل أحاديث الرفق بالحيوان ، وبيان نجاسته ، والشؤم في الفرس ، والسباق في الخيل وغير ذلك .

١- راجع المعجم المفهرس لالفاظ الحديث مادة (كلب).
٢- البخاري ١٦٨/٣.
٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، محمد بن ابراهيم الصنعاني المطبعة التجارية ٧٢/٤.
٤- المصدر نفسه ٧٩/٤.
٥- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أحمد بن حجر العسقلاني ، القاهرة١٣٩/٤٦.
٦- سبل السلام ٨١/٤ ، تلخيص الحبير ١٣٦/٤.
٧- مثله نهيه عن التصرّي اثناء بيع الابل والغنم ، راجع تلخيص الحبير ١٤٦/٣.

المبحث الثالث

إهتمام اللغويين بالحيوان

إهتم اللغويون العرب بالحيوان ، فبحثوه في كتبهم ، ومعاجمهم، وأفرد بعضهم كتباً خاصة به ، وبحثه بعضهم ضمن فصول في كتبهم، فخصصوا أبواباً عن الانسان والخيل والابل والوحوش والحشرات ....

ومما خلفه اللغويون في ميدان الحيوان (١):-

١- كتب خلق الانسان .

٢- كتب الخيل .

٣- كتب الابل .

٤- كتب الوحوش .

٥- كتب الحشرات والهوام .

١- كتب خلق الانسان :

فصل اللغويون القول عن الانسان فذكروا اسماً لكل عضو ووصفوا بعض اعضائه وصفاً دقيقاً ، وذكروا بعض العلل التي قد تصيب تلك الاجزاء وتراثنا غني في هذا المجال ، فمن الف في خلق الانسان :-

---

١- اعتمدت في ذكر هذه الكتب على كتاب الفهرست ، طبعة ايران ، كشف الظنون حاجي خليفة بغداد/ المثنى ، ايضاح المكنون ، اسماعيل باشا، طهران ١٩٤٥، وتأريخ الأدب العربي لبروكلمان.

أبو مالك بن كركره (ت ؟) والنظر بن شُميل (ت ٢٠٤ هـ) ، محمد بن المستنير (ت ٢١٦ هـ) ، أبو عمر الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) ، المفضل بن سَلَمة (ت ٢٠٨ هـ) ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، عبدالملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) ، أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري (ت ٢١٥ هـ) ، يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابي (ت ٢١٥ هـ) ، سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠ هـ) ، نصر بن يوسف الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، أبو محلم محمد بن سعد الشيباني (ت ٢٤٥ هـ) محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) ، أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، ثابت ابن أبي ثابت (ت ؟) عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، أبو محمد القاسم بن محمد الانباري (ت ٣٠٤ هـ) ، أبو موسى سليمان ابن محمد الحامض (ت ٣٠٥ هـ) ، ابراهيم بن محمد ابن السري الزجاج (ت ٣١٠هـ) ، محمد بن أحمد بن أحمد بن اسحاق الوشاء (ت ٣٢٥ هـ).

ومن أهم كتب خلق الانسان التي وصلتنا كتاب الأصمعي [1] الذي ذكر فيه اجزاء جسم الانسان ومعانيها ، وأشكالها ، وهو يبدأ بذكر حمل المرأة وولادتها ، ثم تقلب أحوال الانسان ، ثم وصف رأس الانسان وما فيه من أجزاء ، والعنق ، والكتف ، والذراع ... الخ وهو يسلك في كتابه منهجاً لغوياً ، فيبين اللفظ ومعانيه ومرادفاته ويدعمه بأبيات من الشعر العربي.

والكتاب الثاني هو كتاب ثابت ابن أبي ثابت الذي تبلغ مادته ضعف كتاب الأصمعي ، من حيث اللغة والشواهد ، والتفصيل ، ونسبة الشواهد الى قائليها ، وهو في وصفه لبعض الاعضاء يقرب من الوصف العلمي ، ولكنه سرعان ما يعود الى منهجه اللغوي فمثلاً يقول عن المعدة (وفي البطن المعدة ، وهي موضع الطعام

١- نشره هفنر ضمن كتاب الكنز اللغوي ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٠٣م.

قبل أن ينحدر الى الأمعاء ، وهي من الانسان بمنزلة الكرش من الشاة ، ثم تؤديه المعدة الى الأمعاء ، والواحدة معي ، مقصور...) (١) .

وقد اعتمد ابن سيدة على مادة ثابت بن أبي ثابت - في كلامه عن خلق الانسان في جزئيه الأول والثاني ، حيث نقل أغلب ما في الكتاب مع ايجاز وترك لإسم الشاعر في كثير من المواضع ، وادماج مع المؤلفين الآخرين (٢) .

أما الزجاج فانه اعتمد بصورة مباشرة على ما ذكره الأصمعي ، مع حذف لبعض الشواهد ، والاستطرادات ، واضافة بعض ما لم يذكرهُ الأصمعي(٣) .

وخصص أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ) في كتاب (الغريب المصنف)(٤) أبواباً عديدة تحدث فيها عن خلق الانسان واوصافه ، واعضائه ، ومنهجه منهج لغوي .

٢- كتب الخيل :

للخيل عند العرب مكانة مهمة في بحوثهم اللغوية حيث أفردوا لها كتباً خاصة ، أو فصولاً في مطولاتهم اللغوية ، فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مَنْ ألف فيها ، أبو مالك ابن عمر بن كركرة ، وأبو عمر الشيباني (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبو علي بن المستنير(ت ٢٠٦ هـ) ، وأبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) ، وعبد الملك ابن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) ، وابراهيم بن محمد بن سعدان بن المبارك

١- خلق الانسان ، ثابت بن أبي ثابت ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، الكويت ١٩٦٥ ص٢٦٤.

٢- المصدر نفسه/المقدمة.

٣- راجع خلق الانسان ، الزجاج ، تحقيق د. ابراهيم السامرائي، بغداد ١٩٦٤، المقدمة.

٤- نسخة منه ، المتحف العراقي رقم ١٦٢٨ .

(ت ٢٢٠ هـ) ، ومحمد بن عبدالله العتبي (ت ٢٢٨ هـ) ، ومحمد بن زياد ابن الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) ، وعمرو ابن أبي عمرو الشيباني (ت ٢٤٥هـ)، وأبو عكرمة عامر بن عمران العتبي (ت ٢٥٠هـ) ، وابو الفضل الرياشي (ت ٢٥٧هـ) ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وقاسم بن محمد الانباري (ت ٣٠٠٤هـ) ، وابراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١٠هـ) ، ومحمد بن العباس اليزيدي (ت ٣٤٠هـ) ، ومحمد بن أحمد الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) ، ومحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، وأبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) والف هؤلاء اللغويون كتبهم تحت اسم ، كتاب الخيل ، خلق الفرس ، خلق الخيل .

والأصمعي من أوائل الذين الفوا في الخيل ، والف أبو عبيدة [١] كتابه عن الخيل الذي احتوى مادة لغوية كبيرةٌ ، فابتدأ كتابه بالكلام عن اهتمام العرب بالخيل ، وما قيل فيها من أشعار ، ثم تكلم عن اسنانها ، واسمائها ، وعيوبها ، وصفاتها الحميدة ، واختلاف الأنثى عن الذكر ، والوان الخيل وأوصافها ، وسمى أجزاء الفرس ، وذكر جملةً كبيرة من اشعار العرب وأقوالهم عن الخيل .

وأفرد اصحاب المعاجم اللغوية فصولاً وأبواباً للكلام عن الخيل وصفاتها حيث أفردَ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي في كتابه الغريب المصنف أبواباً للحديث عن الخيل وأوصافها وأسْمائها وكذلك فعل ابن سيده في كتابه (المخصص) ، واعتمد في جمع مادته على ما ذكره سابقوه ، وان ما ذكره اللغويون عن الخيل واوصافها يتشابه من ناحية المادة وطريقة العرض ولكنه قد يختلف من ناحية الكمية.

١- يروى أن ابا عبيدة ، وضع كتابه بخمسين مجلداً ، راجع وفيات الأعيان ، تحقيق د. احسان عباس، بيروت ١٧٣/٣.

٣- كتب الابـــل :

شاركت الإبل الخيل في اهتمام العرب فألف بعض اللغويين كتباً عديدة بحثوا فيها اوصافها واسماءها ، وممن ألف في هذا الموضوع أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) ، الأصمعي[١] (ت ٢١٣ هـ) ، أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، يزيد بن عبدالله بن الحر (ت ٢١٥ هـ) ، نصر بن يوسف الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) ، ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، أبو الفضل الرياشي (ت ٢٥٧ هـ).

كما خصص النضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ) جزءاً من كتابه (الصفات) لوصف الأبل ، كما خصص أبو عبيد أبواباً للحديث عنها ، وكذلك ابن سيده في كتابه المخصص.

٤- كتب الوحوش :

يراد بالوحوش (كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس [٢]) ، وهذا مفهوم واسع جداً حيث أنه يضم جميع فصائل الحيوانات غير المدجنة ، ولكن بعض اللغويين حصر الوحوش في الظباء ، والوعول ، والأيائل ، والبقر الوحشي ، والحمير الوحشية ، والنعام وهذا الحصر يحد من اطلاق الكلمة.

يذكر إبن النديم بعض من ألف في الوحوش كالأصمعي [٣] (ت ٢١٣ هـ) وأبي زيد سعيد بن اوس الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، وسعدان بن المبارك

١- نشر في الكنز اللغوي بروايتين.

٢- المخصص/٢١.

٣- نشرة R. Geyer , SBWA, 1888

(ت ٢٢٠ هـ)، ويعقوب بن السكيت (ت ٢٤٠هـ) وابن لره الكرجي ، وهشام بن ابراهيم الكرنبائي (ت ٢٤٥ هـ) ، وأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، وثابت بن أبي ثابت ، وأبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله السكري (ت ٢٧٥ هـ) وأبي موسى سليمان ابن محمد الحامض (ت ٣٠٥ هـ) .

وتحدث أبو عبيد عن الوحوش في كتاب الغريب المصنف ، ونقل ابن سيده الكثير من كلام السابقين ، فتحدث عن الوحوش من ظباء وبقر ، وحمير وحشية ...

٥- كتب الحشرات :

المطلع على كتب اللغة التي تكلمت عن الحشرات ، يرى أن كلمة (الحشرات) كلمة مرنة تشمل عدة حيوانات ، منها ما لا يقع تصنيفها ضمن الحشرات ، فالمفهوم اللغوي لهذه الكلمة حسب ما ذكرته بعض كتب اللغة :-

أ - إن حشرة الأرض تعني الدواب الصغيرة ، كاليربوع ، والورل ، والضب والقنفذ والفأرة ، والذبابة ، والجرذ ، والحرباء ، والعظاية ، وسام ابرص [١].

ب - ذهب البعض الى أن جميع الصيد يسمى حشرة ما تعاظم أو تصاغر ، وما أكل من الصيد فهو حشرة.

جـ - قيل أن الطير أيضاً من الحشرة.

د - الحشرة ما اكل بقل الأرض ، والغث.

هـ - الشرار من كل شيء ، وخص بعضهم به شرار الطير.

١- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ٦٧/٢ وكذلك المجمل لابن فارس مادة حشر .

و – هي ما لا دماغ لها من جميع دواب الأرض ، كالنعامة والحبارى والكــــروان(١) .

ومن هذه الأقوال نرى أن مفهوم كلمة (الحشرات) لم يكن محدد المعنى بل انه قد يتسع أو يضيق .

ولقد الف اللغويون عدة كتب في هذا الميدان ، وصل الينا قسم من مادتها عن طريق اللغويين المتأخرين . ومما الف في هذا الموضوع ، كتاب العسل والنحل لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ) ، كتاب الحيات ، وكتاب العقارب لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) ، كتاب النحل والعسل للأصمعي (ت ٢١٣هـ) ، وكتاب الحشرات لسعدان بن المبارك المكفوف (ت ٢٢١ هـ) وكتاب الجراد وكتاب الذباب ، لمحمد بن زياد بن الاعرابي (ت ٢١٣هـ) ، وكتاب الحشرات ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) وكتاب الحشرات لهشام بن ابراهيم الكرنبائي (ت ٢٤٥هـ) ، كتاب الحشرات لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) ، كتاب العسل والنحل لأبي حنيفة أحمد بن داود الـدينوري (ت ٢٨٢هـ) ، كتـــاب الجــراد للأخفش الصغيــر (علي بن سلمـــان) (ت ٣١٥هـ) ، وكتاب صفة النحل والبعوض لعلي بن عبيدة الريحاني.

ولقد فقدت أكثر هذه الرسائل والكتب ، ولكن وصلت الينا مادة هذه الكتب عن طريق النقول المتأخرة ، ومن الكتب التي وصلتنا (كتاب العسل والنحل والنبات التي تجرس منه)(٢) لأبي حنيفة الدينوري ، ولقد نحا مؤلفه منحى علمياً ولغوياً ، فهو يذكر الألفاظ والمترادفات والمعاني مقرناً ذلك بما قيل من أشعار تؤيد المعنى اللغوي أو توضحه ، وهو في الوقت نفسه نراه يصف بعض الأمور وصفاً علمياً تجريبياً مثل وصفه النحل (فالنحل تغمس السنتها في اعماق النور ، وترشف تلك الجناه ومن اختبر ذلك عرفه ، فقد مصصنا كثيراً من الأنوار ، فوجدنا في

١- راجع معاني هذه الكلمة ، اللسان ، مادة (حشر).
٢- حققه ونشره محمد جبار المعيبد ، في مجلة المورد ع١م٣ سنة ١٩٧٣.

اعماقها تلك الحلاوة) (١) ، وكذلك وصفه لألسنة النحل بأنها مجوفة طويلة حديدة الطرف مهيأة ، لهذا الشأن لا للصوت ، فإن النحل لا تصوت ، ثم يقول : وانه انما سماها السنة لا خراطيم لشبهها باللسان من حيث الارتشاف (٢).

وقد احتوى على أبواب كثيرة منها أسماء العسل ، خيرالعسل ، الاثمار ، اسماء شجر جرس النحل ، نعوت العسل ، أسماء النحل ...الخ . وقد اختلفت هذه الفصول من ناحية الطول والقصر ، وكذلك ما احتوت عليه من مادة لغوية وشعرية.

ومن كتب اللغة التي تعرضت لذكر الحشرات ، الغريب المصنف ، وأدب الكاتب (وفقه اللغة للثعالبي) ، والمخصص لابن سيده الذي قسم بحثه الى شطرين الحشرات والهوام وذكر تحت الحشرات ، اليربوع ، والقنافذ ، الضباب ، الجرذ ، الفأر ، ابن عرس اما الشطر الثاني وهو الهوام فذكر تحته الورل والعظاء ، والعقرب والحيات ، والخنافس ، والجعل ، ثم صغار الدواب كالعناكب ، والقمل ، والنمل ، والدود والقردان.

ومن كل ما تقدم نرى أن اللغويين قد اهتموا بأمور متعددة منها :-

١- تكلموا عن أسماء الحيوانات ومعانيها ، وما قيل فيها من أوصاف وتشبيهات.

٢- ذكروا تسميات أصوات الحيوانات مثل النهيق للحمار ، والنقيق للضفادع والزئير للأسد.

٣- وصفوا بعض أجزاء الحيوان ، وذلك لغرض تقريب المعنى اللغوي الى القاريء .

٤- بينوا مراحل تطور بعض الحيوانات وسموا كل طور منها بإسم خاص حتى اذا انتقل الى طورآخر سمي بإسم آخر أيضاً وهكذا ...

١- العسل والنحل ص١٣١ .

٢- راجع المصدر نفسه ص١٣١ .

المبحث الرابع

الحيوان في الأدب العربي

أولاً : الحيوان في الشعر العربي

العرب في الصحراء أهل صيدٍ وفروسية، حيث أن لطبيعة المكان الذين يعيشون عليه أثراً في تطور الصيد والفروسية ، كما أن وجود الطرائد كان يغري العربي في مزاولة الصيد ، فقد أحب العرب الصيد ومارسوه على مختلف طبقاتهم ، وكان احتكاك الأنسان العربي بطبيعته، ورفقته للحيوان في حله وترحاله أثر كبير في أن يسجل الشعراء منهم أحاسيسه عن الحيوان وصيده.

وصف كثير من الشعراء الحيوان في قصائدهم حتى أصبح وصف الحيوان كالسنة المتبعة عندهم ، فوصفوا الحيوان الأهلي والمتوحش والطير والحشرات .

فأما الحيوان الأهلي ، فقد وصف الشعراء جماله واعضاءه ، وقوته وسرعته، واحتل الفرس والناقة والكلب المكان الأول في أوصاف الشعراء ، فأبيات القصيدة في الشعر العربي القديم موزعة بين الوقوف على الأطلال ووصف الفرس والناقة ثم يذكر ما يشاهد من مناظر وما قد يصادفه من الحيوان الوحشي(١) .

فاهتم العرب بذكر الخيل ونعتها ، وبرع بعض الشعراء في وصفها فاعتبر الأصمعي(٢) : أبو داود (٣) وطفيل (٤) والنابغة الجعدي من أبرز المجيدين لوصف

١- الصيد والطرد في الشعر العربي ، د. عباس الصالحي ١٩٧٤ بغداد ص ٢٥٣ وكذلك شعر الطبيعة، سيد نوفل ، القاهرة ١٩٤٥م ص ١٠٨-١٠٩.

٢- راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٦، ١/٢٣٨.

٣- أبو داود الايادي ، وقد اختلف في اسمه فقال بعضهم هو جارية بن الحجاج ، وقال الأصمعي هو حنظلة بن الشرقي ، راجع الشعر والشعراء ١/٢٣٧.

٤- طفيل بن كعب الغنوي من شعراء الجاهلية المجيدين لوصف الخيل. راجع الشعر والشعراء ١/٥٤٣.

الخيل وبرع أيضاً امرؤ القيس في وصف الفرس في معلقته فوصفه بالسرعة والقوة وشبهه بالذئب والنعامة وجلمود الصخر [١] .. ووصفه أيضاً في قصيدته التي مطلعها :-

الا عِم صباحاً ايها الطلل البالي

وهل يعمّن من كان في العُصُر الخالي [٢]

وذكر طرفة الخيل في أمانيه الثلاث التي عدها من لذة الفتى التي لا يبالي الموت اذا فقدها [٣] ، وذكرها لبيد ، وعمرو بن كلثوم وغيرهما ... والقارئ يرى أن وصف الخيل كان منتشراً بين عموم الشعراء وعلى مختلف العصور.

أما الابل ، فقد اتخذ منها أكثرهم مدخلاً الى قصائدهم في الغزل أو المدح فيصف الناقة التي حملته ، فهي سريعة كالرئم أو الظليم [٤] ، أو قد يشبهها بحيوان آخر ثم ينصرف الشاعر فيصف ذلك الحيوان [٥].

أما الكلاب ، فقد حظيت باهتمام العرب ، وكان الكلب يسمى ، داعي الضمير وهادي الضمير ، وداعي الكرم ، ومشيد الذكر لما يجلب من الأضياف [٦] ، وساعدت الكلاب كثيراً في ممارسة الصيد ، حيث ترسل على الطريدة فتلحق بها وتصيدها ، وفرق العربي بين القوي والضعيف من الكلاب والأصيل كما حفظوا أنسابها كالخيل [٧] ، ومن الشعراء الذين وصفوا الكلاب امرؤ القيس في قصيدته

١- الأبيات من ٥٧-٧٤ في وصف الفرس ، راجع شعر الطبيعة ، د. سيد نوفل القاهرة ، ١٩٤٥م ص ٢٩.

٢- الديوان ص٢٧ بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة.

٣- معلقات العرب ، د. بدوي طبانة ، الانجلو مصرية ص٢١٧.

٤- راجع تاريخ الأدب العربي ، رينولد نكلسن ، ترجمة صفاء خلوصي ، بغداد ١٩٦٩ ص١٣٥.

٥- راجع فن الوصف ، ايليا الحاوي ص ٨٢ وكذلك ، الصيد والطرد في الشعر العربي ص ٢٥٣ ، ص ٢٦٢.

٦- شعر الطرد ، عبدالقادر حسن أمين ، النجف ، ١٩٧٢ ص ١٧٥.

٧- المصايد المطارد ص١٣١.

التي صور بها معركة بين ثور وحشي وكلب فيقول :-

فيدركنـــــــا فَغِمٍ (١) داجـــــــن

ســــميع بصيرٌ كَلُوبٌ نكِرْ (٢)

ألصُ الضروسِ (٣) حبي الضلُـــــوعِ

تَبـــوعٌ طـلوبٌ نشيـــط اشرْ (٤)

ووصفه أيضاً حاتم الطائي ، والنابغة الذبياني والأعشى وبشر بن أبي حازم وغيرهم (٥) ، وبقي وصفه على مدى العصور.

أما الحيوانات الأخرى كالغنم، والمعز ، والدجاج ، والحمير، والبغال ... الخ فقد ذكرها الشعراء ووصفوها ولكن لم يكن بمثل ما كانوا يصفون به خيلهم وابلهم.

والملاحظ أن اغلب أوصاف الشعراء مادية ولهذا لم يتوسعوا كثيراً في معانيهم ، بل انهم كانوا يدورون حول معان محدودة (٦) .

أما الحيوان الوحشي ، فقد أكثر الشعراء الكلام عنه ، فوصفوه وشبهوه وشبهوا به ، وحاولوا إظهار جماله و وصف مرابعه ، وطرق صيده.

فصورة البقرة الوحشية والثور الوحشي كانت مألوفة عند أكثر الشعراء

١- المولع بالشيء.

٢- منكر عالم بصيده.

٣- ملتصقةٌ بعضها الى بعض.

٤- راجع شرح ديوان امرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ص ١٦٠.

٥- راجع الطبيعة في الشعر الجاهلي ص١١٧ ، وكذلك الصيد والطرد في الشعر العربي ، ص١٨٩-٢٠٠.

٦- العصر الجاهلي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ١٩٦٠ ص ٢٢١.

المتقدمين منهم والمتأخرين فذكروها في قصائدهم ، وصوروها بصور مختلفة، ومن الشعراء الذين وصفوها لبيد بن ربيعة العامري ، في معلقته [١] ، وزهير ابن أبي سلمى ، وطَرَفة ابن العبد ، والحارث بن حِلّزة اليَشكُري ، وذو الرمة ، وبشر ابن ابي خازم والشَّمردَل والقطامي ، وأبو نؤاس[٢] ، ويلحظ هنا أن الثور لم يكن مقدساً عند العرب الا أنه كان جزءاً من الصور الطبيعية التي تعج بها المنطقة ، وتتفاعل مع ظواهرها الطبيعية المخيفة أحياناً والسارة أحياناً [٣] .

أما الحمار الوحشي فكان يمثل القوة والصلابة والسرعة ولهذا نرى كثيراً من الشعراء يشبه الناقة بحمار الوحش لإظهار قوتها وصلابتها ، ومن الشعراء الذين وصفوه : الأعشى ، والعجاج ، والشماخ ، وزهير بن أبي سلمى، والنابغة الذبياني و كعب بن زهير ، وذو الرمة، وأبو نؤاس [٤].

ووصف بعض الشعراء الظباء وحاولوا اظهار جمالها ورشاقتها، وقد شبهوا معشوقاتهم بها ، فوصفوا مشيها وتناسق اعضائها ، وحنوها على صغارها[٥]، ولعل أغلب الشعراء وصفوها .

ووصف الشعراء أيضاً الوعول حيث وصفها لبيد والشنفرى ، وعدي بن زيد

١- راجع شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق د. احسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ م ص ٢٩٨.

٢- راجع الطبيعة في الشعر الجاهلي ، د. نوري القيسي ص ١٣٣ وكذلك شعر الطرد ص ٢٣٢ ، الصيد والطرد في الشعر العربي ص ١٨٩-٢٠٠-١١٢٢-١٢٤.

٣- راجع شعر الطرد ص٢٢٠.

٤- راجع الطبيعة في الشعر الجاهلي ص١٣٧، شعر الطرد ص ٢٣٩ وكذلك الصيد والطرد في الشعر العربي ص ١٠٣-١١١.

٥- راجع شعر الطرد ص٢٧٤، الصيد والطرد في الشعر العربي ص ١٢٤-١٣٤.

وغيرهم ، والأرانب ، والثعالب ، والضباع ، والنمور وقد كثر ذكر الضباع والنمور في أشعار الصعاليك أمثال الشنفرى ، والسُليك (١).

وذكر الشعراء الطيور ، فوصفوا بعضها وتغنوا بها ، ومن الطيور التي تردد ذكرها بكثرة في الشعر العربي القطا، والنعام ، والكراكي ، والحمام ، وبعض الجوارح من الطير كالصقر والعقاب والبازي ، ووصف الطيور في الشعر العربي كان ، أما لتبيان حالة الشاعر بعد فراق أحبته ، أو لوصف طائر بعينه وبيان جماله أو قد تذكر بعض القصص على لسان بعض الطيور مثل قصة الديك والغراب (٢) كما أن بعض الطيور كانت مكروهة يتشاءم الناس منها مثل الغراب ، وبعضها كانت تستخدم في ضرب الأمثال مثل قولهم : أسلحُ مِن حُبارَى ، وهذه الاستعمالات وغيرها كثيرة في الشعر العربي .

ووصف الشعراء أيضاً الزواحف والحشرات ، كالذباب ، والبق ، والحية والعقرب وغيرها ، الا أن الشعراء لم يهتموا بها كثيراً .

ثانياً : الحيوان في كتب الأدب

عنى بعض المؤلفين العرب بدراسة الحيوان دراسة دقيقة ، والفوا فيه كتباً كثيرة منها متخصصة درست الحيوان بصورة خاصة ، ومنها كتب موسوعات ضمت ضمن موضوعاتها باباً أو أبواباً ، أو فصولاً عن الحيوان ، وهي تجمع بين الدراسة العلمية والأدبية حيث اهتم بعضها بذكر الحيوان ، وطبائعه ، وتركيبه ،

١- راجع شعر الطبيعة ص ٥٩ ، الصيد والطرد في الشعر العربي ص ١٣٤-١٥٨.

٢- راجع الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر ٣٦٩/٢.

وكيفية تولده ، وفـي الوقت نفسه تذكر ما قاله الشعراء في وصفه أو تشبيهه ، ومن هذه الكتب عيون الأخبـار ، المعاني الكبير ، العقد الفريد ، ديوان المعاني ، الامتاع والمؤانسة ، ثمار القلوب ، محاضرات الأدباء ...

كتاب عيون الأخبار [1] لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وهو موسوعة فيها معلومات متعددة وهو أربعة أجزاء ، ففي الجزء الثاني تحدث عن الانسان ومزاجه وتلاقحه ، وخصائص اعضائه ، كما تحدث عن الحيوان ، فذكر بعض أحوال الحيوان ، والمشتركات من الحيوان ، والمتعاديات ، والامثال المضروبة بالحيوان ، وذكر الأنعام ، والسباع ، والطير ، والحشرات والزواحف.

وفي كتاب المعاني الكبير[2] لأبن قتيبة حيث ذكر الخيل ووثبها وعدوها وأفردَ أبواباً لتشبيهاتها بالعقاب والبازي ، والصقر ....الخ ، كما بين اعضاءها وقوائمها ، وذكر الأسد والضبع والأرانب ، والجوارح والحمام ، كما ذكر الذباب ، والجراد والنحل ، والجعل ، والقراد ، والعنكبوت ، والنمل ، والحيتان ، والضفادع ، والظربان ، واليربوع ، والقنفذ ، والجرذان ، والحرباء ، والحية ، والعقارب.

وفي كتاب العقد الفريد[3] لابن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) فصول عن الخيل ، والبغال ، والحمير ، وطباعها ، وما نقص من الحيوان والمشتركات والانعام ومصايد الطير والسباع ، والبيض ، ومما يلحظ : ان هناك تشابهاً كبيراً بين مادته العلمية والمادة العلمية التي وردت في كتاب عيون الاخبار .

١- طبع المؤسسة المصرية العامة القاهرة وترجم كوبف القسم الخاص بالحيوان تحت عنوان:
The Natural History Section from a 9th. century Book of useful knowledge the " Uyun Al-Akhbar " of Ibn Qutayba , translated by L. Kopf , Leiden , 1949.

٢- طبع قسم منه بجزئين في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٤٩.

٣- طبع عدة مرات ، واعتمدنا طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩.

وكتاب ديوان المعاني[1] لأبي هلال العسكري (ت ٣٥٢هـ) ، تحدث في بعض أبوابه عن الحيوان ووصفه ، فذكر الخيل وصفاتها ، وبعض ما قيل فيها من الأشعار ، مع اعطاء شرح لتلك الأبيات وبيان لأوجهها البلاغية ، وذكر الأبل وسيرها ، وبين بعض أوصافها ، وبعض ما قيل فيها من أشعار ، وافرد فصلاً كاملاً ذكر فيه الوحوش والسباع ، والكلاب ، وذكر الطيور فبين أوصاف الديك ، والحمام ، والفاختة، والقبجة ، وطير الماء ، والخطاف ، وغيرها من الطيور ، وذكر السنور والقنفذ ، والفأرة والحية ، والعقرب ، والضب ، والبق ، والبراغيث وذكر بعض ما قيل فيها من أشعار.

كتاب الأمتاع والمؤانسة [2] لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت ٤٠٠هـ) حيث ذكر في الليلة العاشرة خلاصة جيدة لطباع الحيوان وغرائبه وفوائده فذكر ما يزيد عن الخمسين حيواناً .

كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب[3] ، لعبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٣هـ) وقد أوقف ثلاثة وعشرين باباً على ذكر ما يتعلق بالحيوان من قصص وأمثال وأشعار واهتم كثيراً بشرح تلك القصص والأمثال ، أما الجانب العلمي فإنه قليل فيما لو قيس باهتمامه بالجانب الأدبي.

١–مكتبة القدس ، القاهرة ، سنة ١٣٥٢ هـ .

٢– نشرة ، د. أحمد امين ، مكتبة القادس القاهرة ، ثم صدر له مختارات ، اختارها د. ابراهيم الكيلاني، دمشق ١٩٧٨، وقام بدراسته (د. كويف) وترجمه الى الانكليزية في مجلة (اوزيريس) :
L. Kopf : The Zoological Chapter of the Kitab " Al-Imta' " we-Muanasa of Abu Hayyan Al-Tauhidi " 10th. century " translated from the Arabian Annatated in Osiris 12 " 1965 , P. 309-466.
See : G.A.S. Fuat sezgin leiden , 1970 , Vol. 13 , P. 379.

٣– حققه ونشره محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر،١٩٦٥.

ومن الكتب التي اهتمت بالحيوان أيضاً ، كتاب العمدة [1] للحسن بن رشيق (ت ٤٦٣هـ) ذكر فيه بعض أوصاف الفيل والزرافة ، والطاووس ، والحمر الأخدرية ، والبغال والخيل ، وكتاب محاضرات الأدباء [2] لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) حيث ذكر في الحزء الرابع ، أوصاف البغال والحمير وذكر فضل الفرس ، وايثاره ، وبعض ما قيل في تشبيهات الخيل وألوانها ، والغنم وبعض ما جاء في اوصافها وتشبيهاتها ، والمعز ، والفيل ، والكلب ، والفهد ، والأسد ، والذئب والطيور ، والكركدن ، والظليم ، والهوام والحشرات ، وغير ذلك من الحيوانات ، وهو يذكر في بعض الأحيان طباعها وتولدها وسفادها ، وصيد الحيوانات وذبحها وكتاب ربيع الأبرار[3] لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) حيث ذكر جملة من الحيوانات في الجزء الرابع من كتابه ، وكتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات[4] لزكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ) حيث ذكر عدداً كبيراً من الحيوانات في القسم الثالث من كتابه ، وكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) ، حيث ذكر عدداً كبيراً من الحيوانات في الجزعين التاسع والعاشر من كتابه.

ومن كل ما تقدم نتبين :-

١- ان الوصف الأدبي والشعري لبعض الحيوانات ساعد في بيان وتوضيح كثير من صفاتها.

٢- استخدام الحيوان في الشعر والأدب ، للدلالة على معانٍ كثيرة واستعارات متعددة وأمثال وحكم.

٣- حفظت لنا الكتب التي ذكرت الحيوانات بعض آراء العلماء الذين لم تصلنا كتبهم.

٤- إحتوت هذه الكتب على بعض المعلومات العلمية الدقيقة.

١- حققه محمد محيي الدين عبدالحميد ، طبع عدة مرات بمصر.
٢- طبع دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦١م.
٣- توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف العامة (٣٨٦-٣٨٩) طبع الجزء الأول منه بتحقيق سليم النعيمي ، سلسلة احياء التراث العربي.
٤- طبع عدة مرات.

الفصل الثاني

دراسة الحيوان عند العرب

المبحث الأول

أولاً : الدراسات القديمة

معرفة الحيوان والاهتمام به قديمةً ترجع الى الانسان القديم الذي كان في صراع دائب مع الطبيعة ، فقد تابع الانسان بعد انتقاله الى طور التحضر الاهتمام بمعرفة ما يحيط به والسيطرة عليه ، فاهتم بالحيوان وتدجينه، والافادة منه ، ومعرفة أمراضه وعلله، وليس المهم في محاولاته هذه الدقة ومطابقتها لما وصلت اليه التقنيات الحديثة ، (ولكن الأهمية تكمن في أنهم بدأوا في منهج البحث العلمي[1]) وان كان في مراحله الأولى.

ومن أقدم المناطق التي جرى فيها الاهتمام بالحيوان ودراسته بلاد ما بين النهرين حيث ذكرت (الألواح الطينية التي هي مصدرنا الأساس عن أحوالهم وعلومهم من أسماء الحيوانات ، رتب بعضها على شكل عمودين أولهما المصطلح السومري والثاني مرادفه بالاكادي [2]) ، ومن أطرف الوثائق الحيثية المكتشفة بين السجلات الملكية في مدينة بوغازكوي ، رسالة لرجل يدعى (كخولش او كخولى) (حوالي ١٣٦٠ق.م) مكتوبة بالخط المسماري موضوعها تربية الخيل ووصف تدريباتها اليومية ، وكيفية اطعامها وطريقة المحافظة على وزنها [3] . فهذا النص

١- مقدمة في تاريخ الحضارات ، طه باقر، الطبعة الثانية بغداد١/٣٦٢.
٢- تاريخ العلم ، سارتون ، دار المعارف مصر ١٩٦١م ، ١/١٨٧.
٣- المصدر نفسه ١/١٩١.

يظهر شدة الاهتمام بالحيوان ومعرفة سلوكه وأحواله كما يظهر أيضاً أن هذه المعلومات لا بد أنها قد سبقت بممارسات ومعارف لم تسجل أو لم تصلنا .

أما المصريون القدماء فإن ما وصل الينا من المعلومات عن اهتمامهم بالحيوان قليل ولا يتجاوز المرحلة البدائية اذا قورن بالمستوى الذي وصل اليه الطب (١).

أما فلاسفة اليونان فقد أسهبوا في الحديث عن نشأة الاحياء واصولها ومن أوائل الفلاسفة (انكسمندريس ٦١٠-٤٥٧ ق.م) الذي تحدث عن نشوء الأحياء وكيفية تطورها (٢) ، ثم الدراسات التي قام بها ابقراط (٤٦٠-٣٧٧ ق.م) حيث ألف طبائع الحيوان (٣) ، وكتاب الأجنة (٤) ، ثم ديموقراط (٤٦٥-٣٧٠ ق.م) وكان معاصراً لابقراط ، وكانت له آراؤه في الكون والفساد ، ولكن لم تبقَ من هذه الدراسات الا أجزاء قليلة ذكرها الذين جاءوا من بعدهم (٥) . ومن أوائل الذين وصلتنا كتبهم ، أرسطوطاليس :

حيث أنه نظم دراسة علم الحيوان ، ولقد انسجم ذلك مع شدة إندفاعه نحو المعرفة والعلم ، فكان يجمع بعض المعلومات عن الحيوانات اثناء تجواله ، كما أن الاسكندر قد ساعده كثيراً ، بما قدم له من المعلومات والعينات الكثيرة التي جلبها من بقاع قاصية (٦) ، ولما كان أرسطو ذا فكر صافٍ فقد استطاع الافادة من الشرائح التي بين يديه.

١- راجع تاريخ العلم ، ٢٦٣/١.

٢- تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كريم ، بيروت ص ١٥.

٣- G.A.S. Sezgin , Vol. 3 , P. 344

٤- الفهرست ، ابن النديم ، تحقيق رضا تجدد ، ايران ص٣٠٥.

٥- طرق وأُسس تصنيف الحيوان ، ارنست ماير ، ترجمة د. يحيى محمود، الانجلو مصر ١٩٦٦، المقدمة.

٦- تاريخ العلم ٢٥٠/٣.

إن المتون الكبرى لدراسة علم الأحياء عند أرسطو هي الكتب :

De anima , Historia animalium, De Partibus animalium, De matu ani malium,De incessu animalium,De generatione animalium .[1]

هذه الكتب جميعاً تعالج موضوعات أساسية في علم الأحياء [٢] ، وقد ترجم يوحنا ابن البطريق كتاب الحيوان وهو تسع عشرة مقالة ، إحتوت المقالات (١-١٠) الكلام عن طبائع الحيوان [٣] ، والمقالات (١١-١٤) الكلام عن أجزاء الحيوان [٤] ، والمقالات (١٥-١٩) الكلام عن تكوين الحيوان[٥].

أما كتاب طبائع الحيوان فقد اشتمل على عشر مقالات تحدث فيها عن اختلاف الحيوان وأساس هذا الاختلاف ، وذكر الكثير من طباع الحيوان وعاداته وتناسله ، وقد ركز في مقالته الأولى على بيان الاختلافات بين الحيوانات [٦] فبين:

١- اختلاف اعضاء الحيوان في اللون والشكل ، وتختلف بالقلة والكثرة واللين والرطوبة واليبس والصلابة ...

٢- اختلافها من حيث تدبير معاشها وافعالها ، وغذائها ، فبعضها مائية وبعضها برية.

١- تاريخ العلم ٢٤٩/٣.
٢- المصدر نفسه ٢٤٩/٣.
٣- حققه ونشره د. عبدالرحمن بدوي في الكويت سنة ١٩٧٧ .
٤- حققه ونشره وكتب مقدمته د. عبدالرحمن بدوي في الكويت سنة ١٩٧٨ .
٥- حققه ونشره وكتب مقدمته فولونس وطبع في ليدن ١٩٧٠م.
٦- بين أرسطو تصنيفه للحيوانات ورأيه في السلم الطبيعي في كتابه :-

Historia animalium .

See : Studies in the History and Method of Science , Singer , Oxford 1921 , Vol. 2 , P. 21.

٣- اختلافها في عملية التنفس فمنها ما يتنفس الهواء ، ومنها ما يعيش في الماء ، أو ينتقل بين الماء واليابس.

٤- اختلافها باعضاء الحركة ، فمنها ما يمشي ومنها ما يطير ومنها الزاحف.

٥- اختلافها بالنظر الى طباعها ، واخلاقها فمنها الوديعة ، ومنها الجزوع، ومنها السافل ومنها الهادئ .

٦- اختلافها بطريقة معيشتها على شكل افراد أو جماعات ، أو مدى وحشيتها أو انسها .

٧- اختلافها بكثرة سفادها فمنها المكثر ومنها المقل.

٨- اختلافها بالنظر الى طريقة التوالد فبعضها يلد حيواناً ، وبعضها يبيض بيضاً.

ودرس أرسطو في مقالاته الأخرى ، أعضاء الحيوان وحركته وتحدث عن الطيور والأسماك ووصف بعض أنواع العظام ، والغضاريف ، والشعر ، والدم واللبن ، وبين توالد بعض الحيوانات وكيفية تغذيتها وبعض أمراضها ، وتحدث عن الانسان وتوالده واسباب العقم والشبه بين الآباء والأبناء ... وقد طرح ارسطو في كتابه جملة كبيرة من المعلومات منها ما لا يزال مقبولاً الى الوقت الحاضر مثل كلامه عن الحشرات (١) حيث أنه ميّزَ (ذوات الفكوك ، وذوات الممصات ، والحالات المجنحة ، وغير المجنحة ، كما أنه استخدم الفاظاً معينة للمجموعات الأصغر مثل غمدية الأجنحة ، وثنائية الأجنحة (٢)) ، ولكنه مع ذلك كان ينساق في بعض الأحيان وراء حكايات وأساطير قد تقلل من قيمة بعض المعلومات التي

١- اطلق عليه ارسطو اسم الحيوان المحزز .
٢- طرق واسس التصنيف ، ص ١١ .

ذكرها مثل كلامه عن الماعز الذي يتنفس من أُذنيه ، والرخم الذي يلقحه الريح [١]

أما كتاب أجزاء الحيوان فإنه شمل المقالات (١١-١٤) ، ويذكر في المقالة الحادية عشرة انه يريد أن يبين غاية الطبيعة من خلق كل عضو من اعضاء الحيوان [٢] ، وقد شملت المقالة الحادية عشرة كيفية دراسة الظواهر الحياتية وكيفية تصنيف الأحياء والنظام الذي تقوم عليه الحياة ، أما المقالة الثانية عشرة فشملت وصف الأعضاء وبيان المتشابه منها ، وامتياز الانسان عن سائر الحيوان والكلام عن بعض الحواس . أما المقالة الثالثة عشرة فانها احتوت الكلام عن الاسنان والفم ، والقرون والأوعية الدموية والرئة والكبد والطحال والمثانة والكلية والمعدة واجزاء الأمعاء . وشملت المقالة الرابعة عشرة على أجواف ذوات الأربع والزواحف واعضاء التغذية، والجذع ، والمفاصل ، والبطن ، والاعضاء التناسلية ، واعضاء السمك.

أما كتاب كون الحيوان الذي شمل المقالات (١٥-١٩) وقد بين فيها تحديد أجناس الحيوان واعضاء التناسل فيها وسفادها ، وتكوين البيض ، وولادة الحيوانات والحواس وأنواعها والشعر والصلع والاسنان ، وكثيراً من الأمور الجزئية الأخرى.

ثانيا : إهتمام العرب بكتب أرسطو

اهتم العرب بكتاب الحيوان الذي ألفه أرسطو والذي شمل المقالات التسع عشرة وقد ترجمه الى العربية يوحنا بن البطريق على ما ذكر ابن النديم [٣] ، وذكر

١- تاريخ العلم ١/٢٦١ - ٢٦٢ .
٢- اجزاء الحيوان ، ص ٤١ .
٣- الفهرست ، ص ٣١٢ .

له ترجمة أخرى [١] لعيسى بن اسحاق بن زرعة (ت ٣٩٨هـ) ، كما ذكره ايضاً علي ابن يوسف (ت ٦٢٤هـ) في كتابه تاريخ الحكماء [٢] ، وذكره ابن أبي اصيبعة (٦٦٨ هـ) في كتابه عيون الابناء في طبقات الأطباء [٣] ، وذكره الجاحظ في أكثر من خمسين موضوعاً وهو يشير اليه اما بقوله : قال صاحب المنطق ، أو بذكر اسمه صراحةً ، والظاهر أنه لم يعتمد اسلوب النقل الحرفي عن أرسطو بل أنه يصوغ العبارة باسلوبه ويظهر ذلك من خلال مقارنة النصوص [٤] ، وقد ناقش الجاحظ آراء أرسطو ورد بعضها ، وذكره أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ) في رسالته (اعضاء الحيوان وافعالها وقواها) [٥] ، وكذلك رسالته التي أوقفها (على رد جالينوس وانتصر فيها لأرسطو) [٦] ، واختصره محمد بن الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠) واختصره عبداللّهّ بن الطيب [٧] (ت ٤٣٥هـ) كما اعتمد بعض العلماء على مادته العلمية مثل أبي حيان التوحيدي (ت ٤٠٠هـ) في كتابه الامتا ع والمؤانسة حيث أفاد منه كثيراً ، والحسين بن سينا (٤٢٨ هـ) في كتابه القانون ، وعبيد اللّه بن جبرائيل بن بختشوع (ت ٤٥٣ هـ) في كتابه منافع الحيوان [٨] ،

١- ذكر ابن النديم بأن ابن زرعة قد ابتدأ بترجمة كتاب أرسطو وتصحيحه ص٣١٢، وفي ترجمة ابن زرعة ذكر ابن النديم انه قد ترجمه من السرياني ص٣٢٣ ، وقد ذكر القفطي في تاريخ الحكماء كتاب أرسطو ضمن الكتب التي ترجمها ابن زرعة ص ٢٤٦ ، واستدل الدكتور عبدالرحمن بدوي- في مقدمته لكتاب اجزاء الحيوان ص ٢٧ - بما ذكره القفطي على أنه متأخر عن ابن النديم وان ابن زرعة ربما أكمل الترجمة بعد وفاة ابن النديم ، ولكن نرى أن ما ذكره القفطي ذكره ابن النديم أيضاً.

٢- تاريخ الحكماء ، القفطي ، مكتبة المثنى بغداد ص ٢٤٦ .

٣- عيون الأبناء ، ابن أبي اصيبعة ، دار الفكر بيروت ١٩٥٦ م١/١١٢.

٤- راجع الجاحظ ، طه الحاجري ١٩٦٢م مصر دار المعارف ص ٤١٦ .

٥- طبعت الرسالة بتحقيق د. عبدالرحمن بدوي ، بنغازي الجامعة الليبية ١٩٧٣م.

٦- طبعت الرسالة بتحقيق د. عبدالرحمن بدوي ، بنغازي الجامعة الليبية ١٩٧٣م.

٧- عيون الأبناء ، ٢/٢٣٧ ، نسخة في برلين "qu-811"

٨- توجد منه نسخة في باريس (2782) ونسخة اخرى في المتحف البريطاني هي مزودة بصورة لكل حيوان (778) .

واختصره أيضاً عبد اللطيف البغدادي [1] (ت ٦٩٤هـ) ، وذكره الوطواط (ت ٧١٨هـ) في كتابه مباهج الفكر ، وآخرون غيرهم ، ومن هذا نعرف مدى اهتمام العلماء العرب بهذا الكتاب .

مكانة علم الحيوان في تصنيف العلوم العربية

إختلط علم الحيوان أول الأمر بالبحث في المسائل اللغوية والأدبية والفلسفية اضافة الى ما لحقه من خرافات شتى، وبعد أن نشطت حركة التأليف والترجمة واطلع العلماء العرب على مؤلفات اليونان تغير مساره نحو التخصص العلمي ، فأصبح علم الحيوان عندهم أحد فروع العلم الطبيعي [2] الذي يبحث في الأجسام الطبيعية [3] من حيث كونها متغيرة [4] .

وللعلم الطبيعي فروع متعددة فهو يدرس الأجسام الطبيعية من افلاك وعناصر واحجار ، ونباتات ، وحيوانات [5] ، وهو بذلك يدرس الأجسام المحسوسة [6] فاختلف بذلك عن الرياضيات والآلهيات.

١- عيون الأبناء ٣٤٧/٣.

٢- إنحصرت مسائل البحث عن العلماء بثلاثة أقسام رئيسة هي الطبيعيات ، الالهيات ، الرياضيات ، راجع الملل والنحل ، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، القاهرة ١٩٤٨، م٢/٢٣٥.

٣- احصاء العلوم، الفارابي ، مطبعة مانستري ص٧٦.

٤- ارشاد القاصد ، محمد بن ابراهيم السنجاري ، بيروت ١٣٢٢ هـ ص ٨٣٣ ، وكذلك مفتاح السعادة طاش كبرى زاده ٣٢٤/١.

٥- مفتاح السعادة ٣٢٤/١ ، ٣٢٥.

٦- راجع الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ، د. محمد عاطف ، دار المعارف ، مصر، ص ٧٢.

المبحث الثاني

جوانب دراسة العرب للحيوان

إهتم العرب بدراسة الحيوان ، وبحثوه من عدة جوانب ، واختص بعضهم بدراسة جانب أو أكثر من الحيوان ، فهناك من درس طباعه ، أو علاجه أو خواصه ولعل أهم الجوانب التي بحثها العرب في الحيوان :-

١- تصنيف الحيوان .

٢-البيطرة.

٣- البيزرة .

٤- دراسة سلوك الحيوان النفسي والجنسي.

٥- دراسة خواص الحيوان ومنافعه الطبية.

١- تصنيف الحيوان

إهتم العرب بدراسة الحيوانات وصفاتها وبيان الفروق في ما بينها ، فقسم العلماء الحيوان في كتبهم الى مجاميع ، وفرقوا بينها ، واختلف العلماء في الأساس الذي اعتمدوا عليه فلكل طريقته ، ومما يلحظ هنا أن الأنظمة هذه اعتمدت على الصفات الخارجية كما انها لم تعتمد على القرابة التي تربط بين الأشكال المختلفة ويطلق على هذه الأنظمة (الأنظمة غير الطبيعية [١]) وفي ما يلي عرض لبعض نماذج التصنيف :-

---

١- مبادئ علم البيولوجيا ، أ . ب . كاروزينا ، موسكو ١٩٦٧ ، ص ٢٠٩ .

أولاً : منهج الجاحظ

قسم الجاحظ العالم عموماً الى ثلاثة اقسام : المتفق ، والمختلف ، والمتضاد [1] وهذه الأقسام الثلاثة لا تخرج عن كونها نامية ، أو جماداً ، والنامية تقسم الى الحيوان والنبات ، ثم قسم الحيوان من حيث الحركة والانتقال الى الحيوان الماشي ، والطائر والسابح ، والمنساح [2] ، ثم قسم الماشي الى ، الناس ، والبهائم ، والسباع ، والحشرات ، وقسم الطائر الى السباع والبهائم والهمج ، وقسم السباع من الطير الى قسمين : العتاق والبغاث ، ثم ذكر الطائر المشترك ، وهو ما سلك سلوك سبع طائر ، وبهيمة طائرة ، كما أنه قسم الحيوان من حيث قدرته على إخراج الصوت الى الفصيح والاعجم.

وحاول الجاحظ وضع تحديدات لهذا التقسيم ، لكي يمنع الخلط بين هذه التسميات ، ويسهل فهم التقسيم ومن هذه التحديدات :-

١- البغاث : وهو كل ما عظم من الطير سبعاً كان أو بهيمة ، اذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب المعقفة كالنسور والغربان، وما أشبهها من لئام [3] السباع.

٢- الهمج : وهو ليس من الطير ، ولكنه مما يطير كالجُعْلان والزنابير[4] .

٣- السبع من الطير: ما اكل اللحم خالصاً.

٤- البهيمة من الطير: ما أكل الحب خالصاً.

٥- المشترك : ما خلط بين اللحم والحب.

١- الحيوان ١/٢٧ .

٢- الحيوان ١/٢٨ .

٣- المصدر نفسه ١/٢٨ .

٤-المصدر نفسه ١/٢٨ .

٦- الطائر : ينطبق على ثلاثة أشياء ، صورة ، وطبيعة ، وجناح ، ولبس الريش والقوادم.

٧- ليس كل عائم سمكة، وان كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه مثل كلب الماء (١).

ومن خلال تتبع هذه التقسيمات نرى :-

أ - ان الجاحظ ابتدأ بتقسيم العالم الى أجزاء مستعيناً في التفرقة بين الأجزاء بفروق تصنيفية حددها من خلال تعريفاته.

ب - إن الجاحظ لم يتبع فكرة تصنيفية واحدة كأساس للتقسيم بل أنه في كل مرة ينظر الى الحيوان من زاوية ، فمرة يقسمها على أساس النمو ، وأخرى على أساس الحركة أو قد ينظر الى طعامه ، أو الى كيفية معيشته في الطبيعة.

ثانيا : منهج اخوان الصفا

خص اخوان الصفا الحيوان برسالة ضمنوها بحثهم عن الحيوان وأوصافه وطباعه ومعيشته ، كما أنهم اهتموا كثيراً في اظهار الفروق بين الافراد والمجموعات فقسموا الحيوان حسب أُسس متعددة :-

١- تبعاً لخلقته الى تام الخلقة كامل الصورة كالتي تنزو وترضع ، وناقص الخلقة كالتي تتكون من العفونات (٢).

٢- تبعاً لحواسه ، فأرقاها ما له خمس حواس وأدناها ما ليس له الا حاسة

١- راجع هذه التحديدات في الحيوان ١/٢٩-٣٠ .

٢-رسائل اخوان الصفا ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ٢/١٨٣-١٨٩ .

اللمس كالصدف والحلزون ، ومنها ما له ذوق ولمس [١] .

٣- تبعاً الى أصواته ، الى المصوتة والتي لا صوت لها وقالوا بأن كل حيوان يستنشق الهواء يسمع له دوي وزمر [٢].

٤- تبعاً لمأكله الى آكل للعشب ، وهي ما تجتر وتسترجع ما تبلعه ثانية وتطحنه ومنها آكل اللحم ، وتكون له أنياب قوية أو مخالب مقوسة [٣].

٥- تبعاً لمحيط معيشته فقسموها الى أربعة اقسام فمنها سكان الهواء وهي أنواع الطيور ومنها سكان الماء وهي كل حيوان يسبح في الماء كالسمك ، ومنها سكان البر كالبهائم والانعام ومنها سكان التراب وهي الهوام [٤] .

٦- أما الطيور[٥] فانهم وضحوا الكثير من الفروق بين مجموعاتها ، فمنها المهاجرة ومنها غير المهاجرة ومنها ما يطير مصطفاً ، ومنها ما يطير جماعات ، ومنها ما يسفد في كل فصول السنة ، ومنها ما يهيج في فصل ، ومنها السريع في الطيران ومنها الثقيل ومنها الجوارح.

ومن هذه الفروق التصنيفية التي ذكرها اخوان الصفا نجد أنهم لم تكن لديهم فكرة ثابتة عن التصنيف لهذا تعددت أنظمة التصنيف عندهم ، كما يظهر أيضاً أنهم حاولوا استيعاب أكبر عدد من المجاميع وتبيان الفروق بينها ، كما أنهم انتبهوا الى الكائنات الصغيرة أيضاً مثل الحشرات والقواقع والعفونات.

١- نفس المصدر ٢/١٨٤ .

٢- نفس المصدر ، ٢ /١٩١ .

٣- نفس المصدر ٢/١٩٥ .

٤- المصدر السابق ٢/١٩٦ .

٥- راجع رسائل اخوان الصفا ٢ /١٩٨ .

ثالثاً : تصنيف احمد بن ابي الأشعث (١)

أما ابن أبي الأشعث فصنف الحيوان الى مجموعات تختلف عن التقسيمات السابقة حيث حاول ايجاد نظام تام لتقسيم الحيوان فقسمه الى :-

١- **الحي المالك** : وهو المدبر نفسه بقوى النفس الناطقة وهو الانسان فقط (٢).

٢- **الحي المملوك** : وهو الذي تدبره الطبيعة بقواها ويدبره العقل من خارج لأن قوى النفس الناطقة ليست له من ذاته ، وانما هي لـه من حيث انه مملوك مدبر(٣) ، وهو أنواع فمنه ما يركب ، ومنه ما يؤكل ، ومنه ما يركب ويؤكل، ومنه ما لا يركب ولا يؤكل.

٣- **الحي الذي ليس بمالك ولا مملوك** : وهو الذي تدبره الطبيعة فقط ثم يقسم هذا النوع الى أقسام كثيرة معتمداً على ما قالته الفلاسفة والأطباء ، بأن مبادئ العالم أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والأرض ، وان سائر الكائنات الفاسدات عنها واليها تفسد ، ولما كان الحيوان الذي لا مالك ولا مملوك من الكائنات الفاسدات فالحيوان الذي لا مالك ولا مملوك يتكون من النار والماء والهواء والأرض وهي أقسام كثيرة بالطبع والعدد لإختلاف تركيبها من هذه الأركان الأربعة (٤) واقسام هذا النوع هي :-

١- ***الحيوان الناري*** : هو جارح الطير وهو الذي طبيعته حارة يابسة غضوب حقود منهضم غاضب (٥).

٢- ***الحيوان الهوائي*** : وهو الناهض ، وهو ما طار في بخار الأرض

١- احمد بن ابي الاشعث ، طبيب ومصنف ، شرح الكثير من كتب جالينوس له عدة كتب طبية ، ت ٣٦٥ هـ ، راجع طبقات الاطباء ٢/٢٤٧ .

٢-الحيوان ، ابن ابي الاشعث ، نسخة بودليانا (Haut -534) ورقة ٣٤٩ وسوف يصدر قريباً بتحقيقنا - باذن الله تعالى .

٣- المصدر نفسه ، ورقة ٣٥٠ .

٤- الحيوان لإبن ابي الاشعث ، ورقة ٤٧٣ .

٥- المصدر نفسه ٤٧٤ .

ولم يعلُ عنه ، فكان مداه في الطيران فقيراً ، ولذلك طيرانه في بلده ولا ينتقل منـــه(١).

٣- ***الحيوان المائي*** : كسائر أنواع السمك ، وكل حيوان ، اذا فارق الماء مات مما نعرفه ولا نعرفه (٢).

٤- ***الحيوان الأرضـــي*** : وهـو ما لا يمكنه مفارقة الأرض الى الهواء ولا الى الماء (٣).

ومن هذه الأنواع الأربعة تخرج طباع جميع الحيوانات حيث تمتزج هذه الطباع الأربعة في ما بينها فتكون :-

١- **الحيوان الناري الهوائي** :- كل حيوان يطير في العلو أكثر من طيرانه في البخار.

٢- **الحيوان الهوائي الناري** :- الذي يطير في البخار أكثر من طيرانه في العلو .

٣- **الحيوان الناري المائي** :- وهو جارح الماء ، وهو ما طار في الجو فوق البخار وكان مرعاه الماء.

٤- **الحيوان المائي الناري** :- وهو حار المزاج لذلك يعلو في الجو ويقطع مسافات بعيدة.

٥- **الحيوان الناري الأرضي** :- وهو الذي يعلو في الجو ، واذا أبصر الجيف انقض عليها ومزاجه حار مثل الغراب والنسر والرخم.

١- الحيوان لابن ابي الاشعث ٤٧٥ .

٢- الحيوان لإبن ابي الاشعث ، ورقة ٤٧٥.

٣- المصدر نفسه ، ورقة ٤٧٥ .

٦- **الحيوان الأرضي الناري** :- وهو كل حيوان ماش يوجد له العدو والطفر والخفة على الأرض.

٧- **الحيوان الهوائي المائي** :- كل ما طار في البخار ، ولا يعلو ويرعى سطح الماء.

٨- **الحيوان المائي الهوائي** :- وهو الذي يطير في البخار ، ويخرج في الأدغال والاجام ويرعى ما في عمق الماء .

٩- **الحيوان الهوائي الأرضي** :- كل ما طار في البخار اما في اعلاه واما في أسفله.

١٠- **الحيوان الأرضي الهوائي** :- كل ما أكل الكلاء والقصب ، واغصان الشجر وكل خفيف الحركة شديد العدو كثير الطفر والقفز.

١١- **الحيوان المائي الأرضي** :- كل حيوان يأوي الى الماء ويرتقي فيه ويحيا فيه ، ويدب على الأرض .

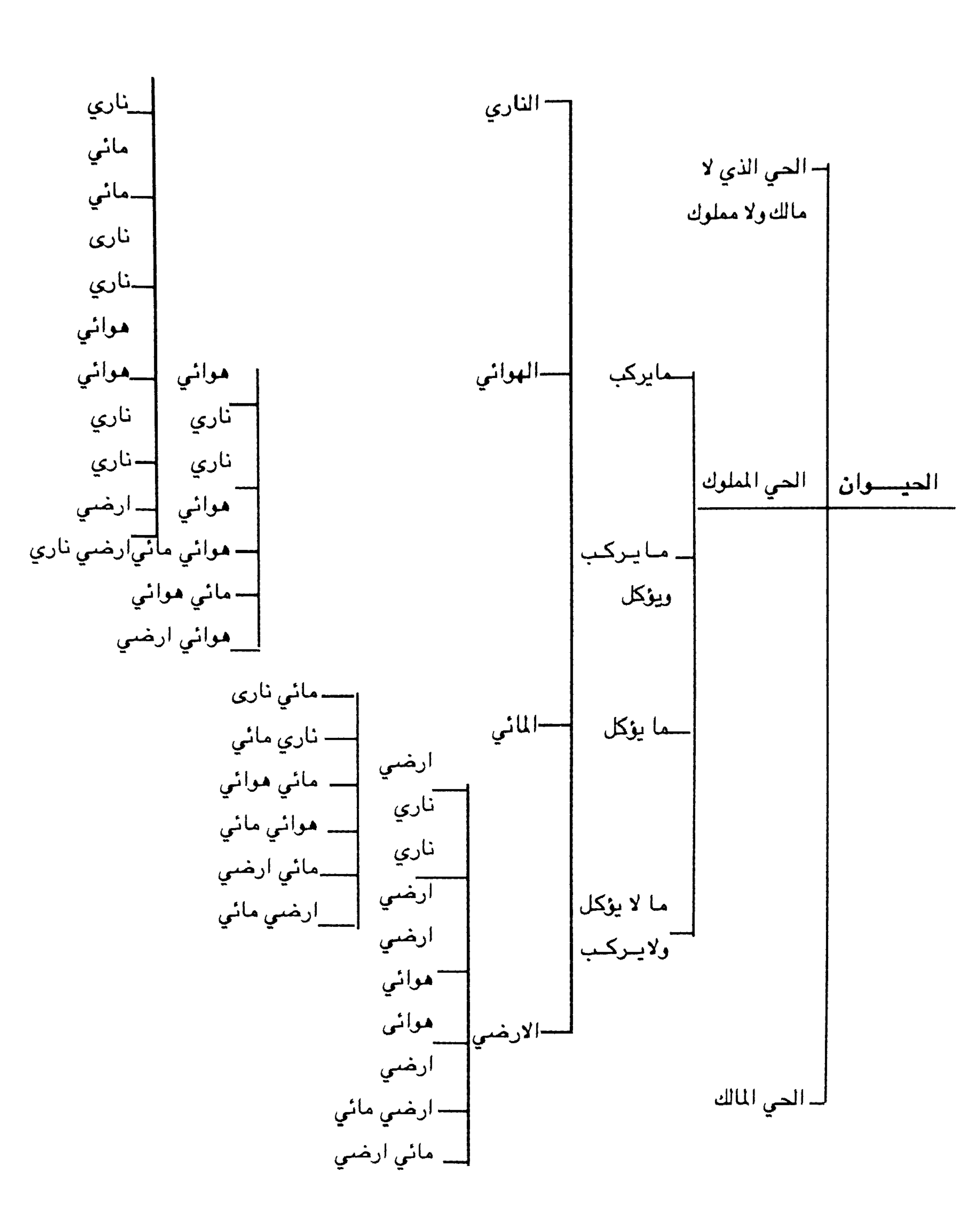
١٢- **الحيوان الأرضي المائي** :- كل حيوان يوكر على الأرض ويولد عليها ويهرب الى الماء ويعتصم به .

ويرى ابن أبي الأشعث أن تقديم الناري على الهوائي ، إنما ذلك ليدل به على أن طبع الحيوان الذي من هذا النوع هو أميَل الى طبع الناري ، وبالعكس لو قدم الهوائي عليه.

وتصنيف ابن أبي الأشعث ذو شقين :-

أولهما : تقسيم الحيوان الى ثلاثة اقسام رئيسة حيث اعتمد على :-

١- مدى تحكم الحيوان بنفسه وقدرته على التحكم بالغير .



تخطيط لتصنيف ابن ابي الاشعث

٢- مدى تحكم الطبيعة بالحيوان.

أما الشق الثاني وهو تقسيم الحي الذي ليس بمالك ولا مملوك ، حيث نظر الى هذا التقسيم من خلال نظرية العناصر الأربعة . فقاده ذلك الى أمور منها :-

١- إنه افترضَ أن كل واحدة من العناصر الأربعة يمكن مزجها بنسبة معينة ليخرج منها مركب ذو صفات خاصة ، وهذه الفرضية محالة التحقق.

٢- إن حصره تطبيق نظرية العناصر الأربعة على الحي غير المالك ولا مملوك أمر غير منطقي لأنه كما قال هو نفسه (إن هذه العناصر هي أصل العالم) والنوعان الأول والثاني هما جزء من العالم ، ولهذا نرى أن الأساس الذي اعتمد عليه في القسم الثاني لم يكن دقيقاً.

٢- البيطرة

البيطرة كلمة عربية مشتقة من البطر وهو الشق ، والمُبطِرُ معالج الدواب قال النابغة :-

شـك الفريصـة بالمدرى فأنفـذها

طعـن المُبطـر اذ يشفى من العضد

وهو يبطر الدواب أي يعالجها ، ومعالجته البيطرة (١).

نشأت البيطرة بعد أن دجن الانسان الحيوان ، وبدأ يعتني به ويلاحظ

١- راجع تهذيب اللغة ٣٣٧/١٣ ، وكذلك اللسان مادة بطر .

أحواله في حالة الصحة والمرض ، حيث عمل على اسعافها عند مرضها بما يعرفه من أدوية وعقاقير وأعشاب ، ليحافظ على حيواناته التي يستفيد منها ، ولقد زاول الانسان البيطرة منذ القديم فقد مارسها البابليون ، والمصريون القدماء ، واليونـــان .

وتقدم علم البيطرة على يد العرب لحاجتهم الماسة اليه لمداواة أمراض الحيوانات ، ولا سيما أمراض الخيل ، ولعل من أقدم الذين الفوا في البيطرة يعقوب بن اسحاق الكندي (٢٥٢هـ أو ٢٦٠ هـ) وله كتاب (البيطرة الرومية [١]) ، وترجم حُنين بن اسحاق (٢٦٠ هـ) كتاب البيطرة لثاوميطس [٢] ، وثابت بن قره (٢٨٨ هـ) الذي ألف كتاب البيطرة [٣] ، ومحمـد بن يعقوب بن اسحـاق الختلي الذي ألف كتاباً في البيطرة [٤] ، وذكر ابن النديم من كتب البيطرة : كتاب البيطرة للروم ، وكتاب البيطرة للفرس وكتاباً للحصيبي ، وكتاب البيطرة لسمسوس .

وأبدع بعض المتأخرين في التأليف في البيطرة ، فألف الملك الأشرف [٥] كتابه المغني في البيطرة [٦] ، وهو على ما قال في مقدمته : انه قد جمعه من مجموع تجارب من سبقه ، ومن تجاربه هو أيضاً ، وجعله في تسعين باباً شرح

١- نسخة منه في دار الكتب المصرية (٩١٤ طب).

٢- نسخة (ميكروفيلم) في مركز احياء التراث العلمي بغداد .

٣- نسخة منه في غوتا ٢٠٧٣ ، ٢٠٧٤ ، نسخة اخرى باريس ٢٨١٠ ، نسخة (ميكروفيلم) منه في مركز احياء التراث العلمي ، بغداد .

٤- اختلف اسم الكتاب بين الفروسية والبيطرة ، الفروسية وشيات الخيل توجد منه نسخ في المتحف البريطاني : (813,1305) باريس (2833,2810) الظاهرية ، ٥ ط .

٥- عمر بن يوسف بن عمر بن رسول ثالث ملوك الدولة الرسولية في اليمن حكم ٦٩٤-٦٩٦ هـ.

٦- نسخة منه في المتحف العراقي ٨٦٧٣ .

فيه أمراض الخيل وأسبابها وعلاجها وبين في أبوابه الأولى الوان الخيل وصفاتها وأجنائها ، وذكر أسماء الخيل ، وبين كيفية ترويض الخيل ، ووصف نعالها ، أما الأبواب الأخرى فإنه أوقفها لدراسة وبيان الأمراض التي تعتري الخيل كما أنه ذكربعض الأمراض التي تعتري الخيل وذكر بعض الأمراض التي تعتري الابل، والضأن ، والبقر ، والحمير ، والبغال.

ومن كتب البيطرة كتاب (كامل الصناعتين) (١) لأبي بكر بن المنذر البيطار(٢) ، سجل مؤلفه تجاربه فيه ، وحاول استيعاب أكبر قدر ممكن من وصف الأمراض والعلاجات ، فيقول في سبب تأليفه لهذا الكتاب : (انني لما رأيت البياطرة والأطباء والزراطقة والفلاسفة والحكماء مثل ارسطو طاليس ، وجالينوس وابقراط من المتقدمين ، وأبي يوسف (يعقوب بن اسحاق الكندي) ، ومحمد بن أخي حزام الختلي من المتأخرين ، وقد تقدموا ، ووضعوا كتباً في علم البيطرة ، والزرطقة والعلاجات الا أنهم لم يبينوا فيها جميع الأسباب والعلامات ... ولم أترك شيئاً مما يعرب ولا يعجم من الأمراض والاعلال والأسباب والنعوت ...) وقد قسمه الى عشر مقالات :-

المقالة الأولى : وتحتوي على عشرين باباً ذكر فيها الجياد وتربية الخيل

١- كامل الصناعتين في البيطرة والزرطقة المعروف بالناصري نسخة منه في المتحف العراقي ١٨٧، دار الكتب المصرية ٢٢ طب حليم ، وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية السيد (Perron)
La Parfeetion des de ax arts, au , Trarte complet d'hippologi et d' lu piolrie

راجع مجلة المجمع العلمي العربي ٣٢٢/٦، راجع أيضاً:
(Introduction to the History of Science , 1974 , Vol. 3 P. 828.)

٢- وهو رئيس البياطرة في اصطبل الملك الناصر بن قلاوون ت ١٣٤٠م.

وركوبها، وصفاتها، ونتاجها ، وتقدير اعمارها .

المقالة الثانية : وهي عشرة أبواب جعلها في الوان الخيل.

المقالة الثالثة : وهي عشرة أبواب تحدث فيها عن الفرس العتيق، والبراذين ومعرفة نتاج البغال والحمير.

المقالة الرابعة : وهي اثنا عشر باباً ذكر فيها عيوب الخيل وهيئة كل عضو من اعضاء الفرس.

المقالة الخامسة : وهي أربعة وثلاثون باباً بين فيها الاسباب والعلامات لجميع الاعلال التي تختص بسطح الجلد، والدماغ ، والاذنين ، والمنخرين ، والفم واللسان وما يليهما .

المقالة السابعة : وتحتوي على ستة وستين باباً في مداواة الأمراض.

المقالة الثامنة : وتحتوي على سبعة وسبعين باباً في المداواة أيضاً.

المقالة التاسعة : وهي اثنا عشر باباً في ذكر الأدوية والاكحال والأشياف والمسهلات والمراهم.

المقالة العاشرة : وتحتوي على خمسة عشر باباً في النعال والمسامير وأسمائها وصفاتها.

ومن كتب البيطرة أيضاً كتاب التذكرة في معرفة البيطرة (١) للسلطان علي المؤيد ابن داود الغساني (٧٦٤ هـ) فإنه شرح فيه كل ما يجب على السائس والرائض أن يعتمده في مداراة اخلاق الخيل وأمراضها وعللها ، ولم يقتصر على

١- نسخة منه في معهد المخطوطات كوبرلي ١٢٢٥ (١)- ف ٧٧٣ .

٢- راجع فهرس المخطوطات المصورة ، فؤاد سيد ٤٤/٣ .

ذكر الخيول العربية بل أضاف اليها غيرها من البراذين والبغال والحمير [٢].

٣- البيزرة

هذه الكلمة عربت عن الفارسية بيزار [١] أي صاحب الباز ، وقد تصرفوا فيها فسموا هذه الصناعة بإسم البزدرة أو البيزرة [٢] ، أُطلقت بعد ذلك على ما يخص حياة الباز وتربيته وصحته ومرضه [٣] ، وسمي صاحب الصيد به بالبازيار.

ولما كان العرب أهل صيد ، فإنهم استخدموا الجوارح في الصيد ، واعتنوا بتربيتها ووصفوا تمرينها ، وفرقوا بين الأصيل وغير الأصيل منها ، وأفردوا لها مكانةً في أشعارهم ، ومارس الصيد بها الخلفاء وأبناؤهم ، كما مارسته عامة الناس [٤].

واستخدموا الصقور والبزاة والشواهين في الصيد ، وكانوا يطلقون عليها جميعاً اسم الصقر [٥] ، ولكن بعد أن توسع استخدامها في الصيد بدأ الناس يفرقون بين البازي والصقر والكَوْنَج واليؤيؤ ، والشاهين ، بحيث أصبح لكل جارح منها صفاته وأوزانه وبيان مدى قدرته على الصيد، وقاد هذا كله الى ظهور علم خاص بالجوارح هو (البيزرة).

ولقد وصلتنا أسماء عدد من الكتب التي تتحدث عن البزاة، فذكر ابن النديم

١- راجع المعرب ، الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر ص١٢٦.

٢- راجع ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد ، محمد بن ابراهيم السنجاري ، بيروت ١٣٢٢ هـ ، ص ٩١.

٣- مفتاح السعادة ١/٣٣١.

٤- راجع مجلة فكر وفن سنة ١٩٦٤ ص ٢٣ وما بعدها ، وكذلك مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٢ م ٢ ص ٢٨٦ والصفحات التي بعدها.

٥- المخصص ١٤٨/٨.

كتاب البازي لأبي عبيدة بن المثنى ، وكتاب البزاة للترك ، وكتاب البزاة للروم ، وكتاب البزاة للعرب ، وكتاب البزاة للفرس ، وكتاب البزاة لأبي دلف القاسم بن عيسى بن معقل.

وذكر الجاحظ الجوارح وبين خصائصها ومميزاتها وتوالدها ، وصفاتها وما قيل فيها من أشعار وأوصاف.

وفي كتاب المصايد والمطارد (1) لمحمود بن حسين كشاجم معالجة لكثير من موضوعات البيزرة، حيث بين أنواع الجوارح ، فبدأ بالبازي مبيناً خواصه والصيد به ، والمحمود من صفاته ، والوانه وجرأته في الصيد، وما قيل فيه من شعر ، ثم أنواع البزاة وهي خمسة ، البازي ، والقيمي ، والباشق والزرق ، والبيذق ، وبين الفرق بين هذه الأنواع الخمسة موضحاً صفات كل نوع منها، ثم ينتقل الى الشواهين ، والتي هي على ثلاثة أنواع ، الشاهين والأنيقي والقطامي ، ثم بين المختار من صفاتها ، وذكر أنواع الصقور ، وهي الصقر ، والكونج واليؤيؤ ، وبين اثناء كلامه عن كل نوع أوصافه وما قيل فيه من أشعار ، كما أنه بين كيفية تعليم الجوارح ، ومعالجة أمراضها ، وعلامة كل مرض . وذكر أيضاً الصيد بالكلب والفهد ، وعقد فصلاً لآلات الصيد. وعلى ذلك فإن كتاب المصايد والمطارد من الكتب المهمة في دراسة الحيوان عامة والجوارح خاصة لما احتواه من معلومات قيمة في هذا المجال.

وكتاب البيزرة (2) للبازيار الفاطمي ، وهو أكثر تخصصاً من سابقه حيث

1- حققه ونشره ، د. محمد اسعد طلس في بغداد ١٩٥٤ م .

2- حققه ونشره المرحوم محمد كرد علي وطبع ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٩٥٣ م .

أوقفه على معالجة ما يتعلق بالجوارح والصيد بها ، إذ أنه توسع في ذكر صفات الجوارح وتربيتها والوانها وصفاتها ، وبحث أمراضها ، وعلاجاتها كما وصف الطريقة التي تتم بها مداواة الجوارح ، كما ذكر الصيد بالكلب والفهد ، وهذا الكتاب من أهم المصادر في موضوعه وذلك لاحتوائه على الكثير من المعلومات المهمة والأشعار .

ومن كتب البيزرة [١] : (كتاب الجمهرة في البيزرة [٢]) ، لعيسى بن علي بن حسان الأزدي (من علماء القرن الرابع) ، وكتاب البازي [٣] لبدر الدين بكتوت بن عبدالله الخزندار الظاهري(٦٩٤هـ) وكتاب الجوارح وعلوم البزدرة [٤] لأبي بكر بن يوسف بن أبي بكر بن حسن بن محمد القاسمي القرضي ، وجعله على مقالتين ضمنهما كما قال : (علماً وعملاً ، فالعلم في المقالة الأولى والعمل في المقالة الثانية) وكل مقالة مكونة من عدد كبير من الأبواب ، فالمقالة الأولى مثلاً تزيد على الستين باباً ، وهذا التقسيم الكثير افاد في استقصاء ما يرد الى موضوع البيــزرة ، وهو قيم لاحتوائه على مادة علمية غزيرة.

تبين من كتب البيزرة التي بين أيدينا أن موضوعاتها :-

١- صفات الجوارح ، والوانها ، واوزانها .

٢- طباع الجوارح ، ووصف شدة طيرانها ، وبيان افضل انواعها .

١- من كتب البيزرة كتاب الزند الواري في أحـوال الجوارح والضواري ، ايا صوفيا اسطنبول (3636) رسالة في الطيور الجارحة، المكتبة الحميدية اسطنبول (1488) .

٢- نسخة منه في الاسكوريال (903:2) نسخة أخرى في ايا صوفيا (3813)

٣- نسخة في ايا صوفيا (4826)

٤- نسخة منه في المجمع العلمي العراقي (٢٢٨) مصورة عن باريس.

٣- دراسة أنواعها ، وبيان الفروق بين هذه الأنواع.

٤- كيفية تدريبها وتمرينها على الصيد.

٥- معرفة أمراضها وبيان كيفية علاجها.

٤- دراسة السلوك النفسي والجنسي عند الحيوان

اهتم بعض العلماء العرب بتسجيل ملاحظات دقيقة واستنتاجات عن سلوك الحيوان النفسي والجنسي ، وحاولوا تفسير طباع الحيوان وما يعتريه من تغيرات.

فبعضهم درس النفس الحيوانية وبين الفرق بينها وبين النفس الانسانية فالتوحيدي مثلاً يرى : ان النفس الحيوانية ناقصة (١) ، أي أنها لم تصل الى رقي النفس الانسانية التي تنعم بقوى العقل، وحاول قسم من العلماء توضيح سلوك الحيوانات النفسية والجنسية فدرسوا :-

١- العداوة بين الحيوانات وهي في نظرهم من وجهين :-

أ - العداوة الحقيقية حيث أن بعضه آكل وبعضه مأكول والآكل أكثر حيلة وابلغ مكيدة وأحدّ شوكة، والمأكول أكثر خوفاً وأشدّ تحفظاً (٢).

ب - العداوة العارضة ، وهي تعادي ذكور الانواع بسبب الاناث (٣).

وقد فصلت كتب الحيوان ذكر المتعاديات من الحيوان ، فذكرت عداوة القط والفأرة ، والحدأة والغداف ، وابن آوى والدجاج ، والبوم وجميع الطير والحمار وعصفور الشوك (٤) ، وغيرها ، وذكرت أيضاً المتصادقات من الحيوان فالغراب

١- الامتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي تحقيق د. أحمد أمين ١٢٣/٣.

٢- المصايد والمطارد ، محمود بن حسين كشاجم ، تحقيق محمد أسعد طلس ص٤١ وكذلك الحيوان لأبن أبي الاشعث ورقة ٤٧٠.

٣- المصايد والمطارد ص٤١.

٤- راجع عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، المؤسسة المصرية للطباعة ، ٧١/٢.

مثلاً مصادق للثعلب ، والثعلب مصادق للحية وهكذا ... وقد عللوا بعض ظواهر العداوة والصداقة بين الحيوانات ، ولكن تعليلاتهم في بعض الأحيان غريبة بعيدة عن المنطق العلمي.

٢- تحدث بعض العلماء عن ظاهرة احتلام بعض الحيوانات (١) ، فاعتقدوا أن الكلب والفرس والثور والحمار تحتلم ، واستدلوا على ذلك أن هذه الحيوانات قد تفزع بعد انتهاء الحلم ، والظاهر أنهم أخذوا دليلهم هذا من قياس سلوك الحيوان على سلوك الانسان الذي تعتريه حالات فزع بعد بعض الأحلام المزعجة.

٣- أما السلوك الجنسي فقد أولوه عناية خاصة حيث أسهبوا في وصف هذا السلوك ، ومن القضايا التي بحثت في هذا المجال :-

أ - ذهب الجاحظ الى أن التلاقح بين الأنواع المختلفة لا يمكن ولهذا رد كل ما قيل عن النتاج المركب واعتبر ذلك ضرباً من الهذيان (٢) في حين ذكر بعض العلماء أن النتاج المركب حقيقة واقعة ويذكرون لذلك أمثلة كالزرافة (٣).

ب - ذكر بعض العلماء سفاد الحيوان وأوضاعه (٤) ووصفوا ما يجري بين بعض الحيوانات اثناء الممارسة الجنسية (٥) ، وبينوا المكثر والمقل من السفاد.

جـ - أما أوقات السفاد فقد ذكرها بعضهم وبين متى تكثر الحيوانات السفاد ومتى(٦) تقلل منه كما وصفوا بعض أعضاء تناسل الحيوان (٧) .

د - وصف بعض العلماء ما يتعرض له بعض الحيوانات من انحرافات

١- راجع الحيوان ٢/٢٦.
٢- الحيوان ٧/٢٤١.
٣- عيون الأخبار ٢/٧٠، عجائب المخلوقات ٢/٢٠٤، حياة الحيوان ٢/٦.
٤- راجع الحيوان ٧/٢٤٤.
٥- راجع عيون الأخبار حيث قارن بين سلوك الانسان وسلوك الحمام ٢/٩١.
٦- راجع مباهج الفكر وكذلك منافع الحيوان لابن بختيشوع ، في مواضع متعددة حيث أشار كلاهما الى الحيوان المكثر في السفاد أو المقل مثل كلامهم عن العصفور ، والخنزير ، والديك .
٧- عيون الأخبار ٢/٨٣ ، حياة الحيوان ١/٢٠.

جنسيـــة (١) مثل لواطة الخنزير.

مما تقدم يتبين أن بعض العلماء العرب اهتموا بدراسة نفسية الحيوان ولهم فيها اشارات علمية جيدة .

٥ - خواص الحيوان الطبيـــة

تقدم علم الأدوية على يد العرب ، فاستطاع الصيادلة العرب تركيب أنواع كثيرة من الأدوية من مواد مختلفة لمعالجة بعض الأمراض ، ويمكن تقسيم المواد الأولية لهذه الأدوية :-

أ -المواد النباتية : وكان الاعتناء بها كبيراً كما يتجلى من كتب العقاقير والأدوية.

ب -المواد الحيوانية : حيث استخدمت أجزاء الحيوان عقاقير طبية، وافاد الأطباء منها في معالجة بعض الأمراض ، ولكن استخدام المواد الحيوانية كان أقل بكثير من المواد النباتية ، لأن الأولى سريعة التلف ، وتحتاج في حالة حفظها الى معالجات خاصة بعكس المواد النباتية التي قد لا تحتاج الاّ الى معالجات بسيطة .

واهتم الأطباء بالحيوان ، فدرسوا أجزاءه وبينوا خواصه الطبية ويمكن تصنيف دراستهم الى :-

أ - دراسة الحيوانات السامة ومعرفة مدى سميتها ، وأنواعها فمنها ما يكون السم منتشراً في جميع أجزاء جسمها ، أو في عضوٍ من اعضائها ، فـ (لحم الوَزَغةِ قاتل وربما سقطت في الشراب ، وماتت فيه، وتفسخت ، فصار ذلك الشراب كالسم(٢)) حيث أن السم في جميع أجزائها ، ومنها ما يكون السم مركزاً في عضو منها وهي الحيوانات اللاسعة واللادغة ، وقد درس الأطباء سُميّة

١- نهاية الارب ٩/٣٠٠ .

٢- القانون ، ابن سينا ، بيروت ، دار صادر ٢/٢٣٢ .

هذه الحيوانات لغرض معالجة حالات الاصابة بها ، فوضحوا علامات التسمم من قيء ، ووجع ، وتشنجات ، ووصفوا علاجاً لكل نوع من أنواع التسمم .

ب – دراسة منافع أعضاء الحيوان : – وقد حظي باهتمام الاطباء عموماً ، فذكروا الفائدة الطبية لبعض أجزاء الحيوان فذكروا :–

١– فائدة أنواع الشحوم في معالجة بعض الأدواء مثل شحم الأسد وشحم الخنزير.

٢– فائدة رؤوس الحيوانات وقرونها .

٣– فائدة لحوم بعض الحيوانات وكيفية استخدامها في العلاج كلحم الضبعة والثعلب ...

٤– فوائد الأحشاء الداخلية للحيوان كالرئة والكبد والقلب ...

٥– فوائد بعض أجزاء الحيوان في طرد وابعاد الحشرات .

ومن الكتب الطبية التي اهتمت بذكر الحيوان ، كتاب الحاوي(١) لمحمد بن زكريا الرازي (٣١٣هـ) حيث ذكر عدداً كبيراً من الحيوانات التي تستخدم كعلاج من الأمراض ، أو الحيوانات السامة ، وفي كتاب كامل الصناعة(٢) لعلي بن العباس المجوسي (ت٤٠٠هـ) حيث أفرد أبواباً كثيرة للحديث عما يمكن أن يستفاد من الحيوان في العلاجات الطبية ، أما ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) فإنه خصص أكثر من مائة فصل بين خلالها كل ما يحتاجه الطبيب من معلومات لغرض استعمال الحيوانات كعلاجات طبية .

ومن الكتب التي تخصصت بذكر منافع الحيوان كتاب (في صفات منافع

١– طبع في حيدر آباد الدكن ١٩٦٦ .

٢– طبع في المطبعة الكبرى سنة ١٢٩٦ م.

اعضاء بدن الانسان (١)) لحنين بن اسحق (ت ٢٦٠هـ) ، (ومنافع الاعضاء في جسم الانسان لجالينوس (٢)) الذي ترجمه علي بن اسحاق بن زرعة (ت ٣٩٨هـ) ، (وكتاب منافع الأعضاء (٣)) ، (وكتاب منافع الحيوان (٤) لعلي بن عيسى ، وكتاب (منافع الحيوان (٥)) لعبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع (ت ٤٥٣هـ) الذي تناول في بحثه :-

١- تعريف الحيوان ، بذكر صفاته وطباعه وبعض أنواعه .

٢- وصف أجزاء الحيوان وبيان المفيد منها طبياً.

٣- ذكر وصفات علاجية لبعض الأمراض وكيفية تحضير الأدوية ، وطريقة استعمالها ، كما ذكر عدداً كبيراً من الحيوانات الأليفة وغير الأليفة.

وممن اهتم بفوائد الحيوان ابن زهر في كتابه الخواص (٦) ، ومحمد بن عبدالله البيطار (ت ٦٤٦ هـ) فقد تناول منافع الحيوان في كتابه (الجامع لمفردات الأدوية (٧)) وبين علاقة مزاج الحيوان بلحمه وأثره في عملية الهضم ، وقيمة اللحوم الغذائية...

ومن كل ما تقدم نخلص الى أن العرب إهتموا بالخواص الطبية لأجزاء الحيوان وافادوا من هذه الأجزاء في تركيب الأدوية والعقاقير ، كما أنهم لم يقصروا اهتماماتهم على الحيوانات النافعة بل تعدى ذلك الى الحيوانات الضارّة أيضاً.

١- نسخة منه في مانشستر (804) .
٢- نسخة منه في جوتا (1906) .
٣- نسخة منه في جامعة القديس يوسف بيروت ٢٩٢.
٤- نسخة منه في غوتا (2/67) ، فينا (2/1481) الاسكوريال (892) ، بودليانا (812/1) باريس (3/1037) .
٥- نسخة منه في المتحف البريطاني وهي تحتوي على رسوم الحيوانات ، نسخة أخرى في ايا صوفيا (4943) نسخة أخرى في باريس (2782) نسخة أخرى في برنستون (1065) .
٦- نقلت اكثر الخواص التي ذكرها ابن زهر على هامش ٣٤٠ ورقة من مخطوطة مباهج الفكر في مكتبة السلمانية في تركيا ٩١٨.
٧- طبع في المطبعة العامرية ١٢٩١ هـ واعيد طبعه بالاوفست .

الفصل الثالث

المؤلف 632-718 هـ

المبحث الأول

حياتـــــه :

وهو محمد بن ابراهيم بن يحيى بن على الأنصاري[1] المروي الأصل ، المصري المولد [2] ، المعروف بالوطواط ، الملقب بجمال الدين الكتبي[3] .

ولد سنة اثنين وثلاثين وستمائة في مصر[4] ، والظاهر أنه عاش طول حياته في مصر حيث لم تُشر المصادر التي بين أيدينا الى خروجه منها .

وقد عمل طوال حياته وراقاً [5] واعتمد في معيشته عليها [6] ، وجمع اثناء عمله بالوراقة ما راقه من الكتب والمعارف [7] جعلته في مقدمة العلماء ، فكان

١- الوافي بالوفيات الصفدي طبعة استانبول ، ١٦/٢، الدرر الكامنة ابن حجر العسقلاني ، تحقيق سيد جاد المولى، مصر ٣٨٥/٣.

٢- أعيان العصر وأعوان النصر ، للصفدي ١١٣/٨ ب نسخة ايا صوفيا (٢٩٦٨) ، الوافي بالوفيات ١٦/٢ ، المنهل الصافي ، والمستوفي ، لابن تغري بردي ورقة ٦٣١ب.

٣- الوافي بالوفيات ١٦/٢ ، أعيان العصر ١١٣/٨ ب ، الدرر الكامنة ٣٨٥/٣.

٤- الوافي بالوفيات ١٦/٢ ، أعيان العصر ١١٣/٨ ب.

٥- راجع اعيان العصر ١١٣/٨أ.

٦- ولهذا لُقب بالوراق أيضاً .

٧- أعيان ١١٣/٨أ.

عارفاً بعدة علوم ، والمطالع لكتبه يرى سعة ثقافته العلمية والأدبية التي استمدها من مطالعاته في الكتب التي كانت تقع بين يديه بحكم مهنته، وكان صاحب تصانيف متعددة ، وأتقن فن الانشاء والكتابة الا أنه لم يستطع نظم الشعر(١) .

يذكر الصفدي : أنه كان بين الوطواط، وابن الخُويـيّ (٢) قاضي القضاة مودة حينما كان بالمحلة، فما تولى ابن الخوييّ قضاء الديار المصرية توهم الوطواط أنه سوف يبره ، فسأله فلم يبره الى شيء ، فاستفتى عليه فضلاء عصره ، فكتبوا اليه على فتياه بأجوبة مختلفة ، وجعل من ذلك كتابا (٣) أسماه (فتوى الفُتّوة ، ومرآة المروّة) وقرّظ له عليها جماعة من اكابر عصره (٤) .

وكان بين الوطواط ، وبين القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر بعض كره فكتب القاضي محيي الدين تقليداً (٥) على سبيل المداعبة بشخص يعرف بإبن غراب يعرض فيه بالوطواط (٦) .

كتبه

الف الوطواط عدة كتب تظهر فيها سعة علمه ، واطلاعه ومما أثبته له المؤرخون :-

---

١- راجع اعيان العصر ١١٣/٨أ.

٢- محمد بن أحمد بن سعادة الخوييّ ، تولى القضاء في دمشق ، والقاهرة وغيرها ت ٦٩٣ هـ فوات الوفيات ٣٦٨/٢ ، بغية الوعاة ٢٣/١.

٣- راجع اعيان العصر ١١٤/٨أ، الوافي بالوفيات ١٦/٢ .

٤- كشف الظنون ١٢٤١ .

٥- نقل الصفدي في اعيان العصر هذا الكتاب كاملاً.

٦- الوافي ١٧/٢، المنهل الصافي ورقة ٦٣١ ب ، الدرر الكامنة ٣٨٦/٣.

١- غُرَرَ الخصائص الواضحة ، وعُرَرَ النقائص الفاضحة [1].

بين فيه مؤلفه اختلاف أخلاق الناس ، المحمود منها والمذموم، وذكر جانباً مما قيل فيها من الشعر والنثر، وقد قسم الكتاب الى ستة عشر باباً ، كل باب يشتمل على ثلاثة فصول، وقدم أبواب الأخلاق الحميدة، ومدائحها ، ثم ذكر أبواب الأخلاق الذميمة ومزج مادة كتابه بطائفة من الأخبار والفكاهات كما جعل أخباره قصيرة.

وللكتاب مختصرات :

أ - خصائص الغُرر ، ونقائص العُرر [2] .

ب - محاسن الغُرر [3] ، جمع فيه محاسن ما في غرر الخصائص ، والحق بآخره خاتمة ليست من الغرر المزبورة [4] .

٢- الدرر والغرر، والدرر والعرر [5]

٣- فتوى الفتوة ، ومرآة المروة [6] وهي الفتوى التي كتب له عليها ، وقرظها عدد من علماء عصره.

٤- كتب حاشية على كتاب الكامل لابن الأثير [7] .

٥- مباهج الفكر ومناهج العبر وهو أربعة مجلدات سوف نفرد له كلاماً.

١- طبع في مصر سنة ١٢٨٤هـ.

٢- ذكر جرجي زيدان بأن منه نسخة في فينا ، راجع تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان دار الهلال ١٤٣/٣، المتحف البريطاني (1141) ، يني جامع ، (1010) ، راجع بروكلمان الملحق (54/2) .

٣- ذكر جرجي زيدان أن اسمه (محاسن الغرر ، ومساوي العرر) إختصره ابن جاني بك ، وتوجد منه نسخة في جوتا ، راجع تاريخ اداب اللغة العربية ١٤٣/٣.

٤- كشف الظنون ١٦٠٩.

٥- أعيان العصر ١١٤/٨ أ ، الوافي ١٧/٢ ، المنهل الصافي ٦٣١ ب ، وذكر صاحب كشف الظنون أن اسمه (الدرر والغرر في شعراء أندلس) كما أنه لقبه برشيد الدين الوطواط وهو غير صحيح لأن الرشيد هو غير محمد بن ابراهيم.

٦- اعيان العصر ١١٤/٨ أ ، الوافي بالوفيات ١٦/٢ ، كشف الظنون ١٢٠١ .

٧- اعيان العصر ١١٤/٨ أ ، الوافي بالوفيات ١٧/٢ ، الدرر الكامنة ٣٨٦/٣ .

المبحث الثـــــاني

الكتـــــاب

(مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر)

تسمية الكتاب

اختلفت المصادر في ضبط اسم هذا الكتاب فبعضها يذكره بإسم (مباهج الفكر ومناهج العبر) ، والبعض الآخر يذكره بإسم (مناهج الفكر ومباهج العبر) ويمكن ايراد هذا الاختلاف على الشكل الآتي :

فأما في مخطوطات الكتاب

فقد ثبت (مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر) في خاتمة الجزء الثالث من النسخة الأولى ، وفي خاتمة الأجزاء الأول والثاني من النسخة الثانية ، وفي خاتمة الجزء الثالث من النسخة الثالثة ، وبداية الجزء الرابع من النسخة نفسها ، وكذلك على الجزء الرابع المحفوظ في مكتبة المتحف العراقي ، والجزء المحفوظ في مكتبة بودليانا .

وثبت (مناهج الفِكَر ومباهج العِبَر) على الأجزاء الأول ، الثاني ، الثالث، الرابع ، من النسخة الأولى ، وكذلك الجزء الثالث من النسخة الثالثة ونهاية الجزء الرابع من نفس النسخة.

وأما في المصادر

وردت تسميته باسم (مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر) في كل من نهاية الارب للنويري ، والوافي بالوفيات ، للصفدي ، وأعيان العصر للصفدي ولحسن المحاضرة للسيوطي.

ووردت بإسم (مناهج الفِكَر ومباهج العِبَر) في كل من الدرر الكامنة ، وحياة الحيوان ، أما المنهل الصافي ، فقد وردت باسم (منهاج الفكر ومناهج العبر) وهو فيما يظهر من الناسخ لأنه لا ينسجم مع ما ذكرته بقية المصادر [١] .

ومن خلال هذا الاستعراض نجد أن تسميته بالمباهج أقرب الى الصواب حيث وردت هذه التسمية في أقرب المصادر الى عصر المؤلف ، كالنويري (٧٣٣هـ) والصفدي (٧٦٤هـ) اضافةً الى ورود التسمية في نسخ الكتاب المخطوطة.

منهج التأليف ومادة الكتاب

ألف الوطواط كتاب مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر لخزانة الأمير سعد العشائر بدر الدين الحمداني بن مهمان دار (مهمندار) العرب [٢] . وجعله في أربعة أجزاء خصص الجزء الأول للحديث عن الفلك والكون وما فيه ، والجزء الثاني عن الأرض وما عليها ، والثالث عن الحيوان وطباعه ، والرابع عن الفلاحة – وسوف نقصر البحث عن الجزء الثالث فقط .

قسم المؤلف الكتاب الى تسعة أبواب شملت أكثر الحيوانات المعروفة فذكر تحت كل باب مجموعة من الحيوانات ، فتحدث عن طباعها وكيفية معيشتها وتوالدها وقد جعل طريقة معيشة الحيوان في اغلب الأحوال أساساً للتفريق بين مجموعات الحيوانات ، ولم يتطرق المؤلف الى ذكر تشريح الحيوان ، أو منافع أجزائه أو أمراضه فقدم الانسان أولاً ثم بقية الحيوانات ، على ما سنذكر.

أما مادة الكتاب فتتكون من جانبين :-

١- ***الجانب الأدبي*** : ويشمل هذا الجانب جميع القصائد والمقطوعات الأدبية التي اقتبسها المؤلف من مظان الدواوين ، وهذا أكسب الكتاب أهمية خاصة اذ أن بعض هذه النصوص فقدت مصادرها ، كما أن اختياره للقصائد والمقطوعات الشعرية كان ملائماً في وصف الحيوان المتحدث عنه ، وقد اختلفت

١- انظر المنهل الصافي في ورقة ٦٣١ وذكر صاحب كشف الظنون الروايتين ورجح تسميته (مناهج الفكر ومباهج العبر) .

٢-راجع مجلة العالم العربي ، السنة ١ ، عدد ، ٤ ، ص ٧٣ .

هذه القصائد والمقطوعات من حيث الكثرة والقلة.

٢- ***الجانب العلمي*** : ويشمل هذا الجانب جميع ما ذكره المؤلف من أمور علمية تتعلق بالحيوان وطبيعته وتوالده... وقد وزع هذه المادة على أبواب الكتاب التي شملت :-

الباب الأول (في ذكر خصائص الانسان)

فبين فضل الانسان على الحيوانات وتكلم عن تقسيمات المخلوقات ، وخلق الانسان ، وكيفية توالده ، والمراحل التي يمر بها ودرس النفس الانسانية وبين خلق الانسان وأسباب تباينها ، وبين ما امتاز به الانسان عن بقية الحيوانات . وقد قصر هذا الباب على دراسة الانسان خاصة.

الباب الثاني (في ذكر طبائع ذي الناب والظفر)

شمل هذا الباب الكلام على طبائع الأسد ، والببر ، والنمر ، والفهد ، والكلب ، والذئب ، وابن آوى ، والضبع ، والخنزير ، والدب ، والتفة ، والثعلب ، والنمس ، والهر والزباد.

الباب الثالث (في ذكر طبائع الحيوان الوحشي)

وشمل كلامه عن الفيل ، والكركدن ، والزرافة ، والبقر الوحشي ، والأيل ، واليحمور ، والثيتل والحمار الوحشي ، والضباء ، والأرانب ، والقرود ، والنعام ، والسمندل.

الباب الرابع (في ذكر طبائع الحيوان الأهلي)

ذكر فيه الفرس والبغل والحمار الأهلي ، والابل والبقر ، والجاموس ، والضأن ، والمعز.

الباب الخامس (في ذكر طبائع الحشرات والهوام)

وهي الحيات والوزغ ، والقنفذ ، والدلدل ، وابن عرس ، والفأر ، والزباب ، والخلد ، واليربوع ، والعقرب ، والخنفساء ، والصراصر، والجنادب.

الباب السادس (في ذكر طبائع سباع الطير وكلابها)

تضمن ذكره للعقاب ، والزمج ، والبازي، والزرق ، والباشق ، والعفصي، والبيذق ، والشاهين والأنيقي والقطامي.

أما كلاب الطير فهي النسر ، والرخمة ، والحدأة ، والغراب.

الباب السابع (في ذكر طبائع بغاث الطير)

تحدث فيه عن الحمام، والقمري ، والدبسي، والورشاني ، والفواخت ، والشفنين واليعتبط ، والنواح والقطاة ، واليمام ، والصعداء ، والمنسوب ، والببغاء ، والقبج ، والدراج، والحباري ، والطاووس ، والدجاج والحجل ، والكركي، والأوز ، والبط ، والنمام ، والأنيس، والخطاف، والزرزور، والسماني ، والعقعق ، والعصفور، والبلبل.

الباب الثامن (في ذكر طبائع الطير الليلي والهمج)

ذكر الكروان ، والصدى ، والبوم ، أما الهمج، فهو النمل ، والزنبور ، والعنكبوت ، والجرادة ، والقز ، والذباب ، والبعوض ، والبراغيث.

الباب التاسع (حيوان البحر المشترك)

وهو السمك والدلفين ، والرعاد ، والتمساح والسقنقور ، والسلحفاة ، والفرس النهري ، والجندبادستر ، والضفدع.

كما اشتمل الكتاب أيضاً على فصل بين فيه أدوات الصيد كالجلاهق ، والبندق ، والشباك .

مصـــــادره

إعتمد المؤلف في كتابه على مصادر كثيرة ، وعلوم متعددة استهدى بضوئها اثناء بحثه ، ومصادره عموماً تنقسم الى :-

أولاً : المصادر العلمية :

وتشمل :-

١- كتاب الحيوان للجاحظ :-

وهـو من أهـم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، حيث نقل منه نصوصاً كثيرة في اثناء بحثه فقد ذكره في صفحات :- ١٠ ظ ، ١٧ظ ، ٣٤ ظ ، ٤٠ و ، ٤٣ و ، ٥٤ ، ٥٨ ظ ، ٦١ و ، ٦٣، ظ ٦٤ و ، ٧٢ و ، ٧٥ ظ ، ٩٠ و ، ٩٣ و ، ٩٣ ظ ، ٩٨ و، ١٠٤ و ، ١٠٨ ظ ، ١١٠ ظ ، ١١٤ ظ ، ١١٧ و ١١٨ ظ كما استفاد منه في غير هذه المواضع ، حيث يظهر ذلك واضحاً من خلال مقارنات النصوص ، وهو يذكر رأي الجاحظ أما لتثبيت قضية أو توضيح أمر ، أو عرض لرأي الجاحظ، أو لمناقشة رأي وهو لا ينقل في اغلب هذه المواضع التي اعتمد فيها على كتاب الحيوان نصاً بل يغير.

٢- كتاب الحيوان لأرسطو طاليس :

وهـو أيضاً من مصادره المهمة التي اعتمد عليها ، ويظهر أن اغلب نقوله كانت من كتاب طباع الحيوان ، وهو لا ينقل منه نصاً أحياناً بل انه يذكر المعنى الذي يريد أرسطو ويسند القول اليه ، وقد استشهد برأي ارسطو في :- ٥ و ، ٩ و ، ١٦ ظ ، ٢٠ ظ ، ٢١ ظ ، ٣٢ ظ ، ٣٨ ظ ، ٤٣و ، ٥٨ ظ ، ٦٢ و ، ٦٤ و ، ٦٥و، ٧٠ و ، ٩١ ظ ، ٩٤و ، ٩٩ و ، ١٠١ و، ١٠٤ و، ١٠٦ و، ١٠٩ ظ ، ١١١ ظ ، ١١٨ظ. واستفاد المؤلف من كتاب أرسطو حيث استقى بعض معلومات كتابه منه فاستهدى ببعض آراء أرسطو في مجال الحيوان.

٣- كتاب الحيوان [1] لأحمد بن أبي الأشعث :-

إعتمد الوطواط على كتاب ابن أبي الأشعث ونقل منه نصوصاً متعددة وخاصة في اثناء كلامه عن طبائع الحيوان ، وقد ذكره في :- ١٦ ظ ، ٣٠ ظ ، ٤٠

١- نسخة منه في مكتبة بودليان (Ms. Hunt . 534)

ظ ، ٥٠ ،. ٦١ ظ ، ٧٥ ظ ، ٧٧ و، ٨٩ ظ ، ١٠٤ ط ١١٧ ظ ، ١٢٠ و. وهو في بعض الأحيان لا ينقل من هذا الكتاب نصاً بل انه قد يختصر النص .

٤- كتاب عبداللطيف البغدادي :-

اعتمد المؤلف أيضاً على ما ذكره البغدادي (٦٢٨ هـ) عن الحيوان وطباعه فذكره في ٣٤ ظ ، ٦٨ و، ٧١ ط ، ١٢١ ظ ، وللبغدادي كتب متعددة في الحيوان منها اختصار كتاب الحيوان لأرسطو ، واختصار كتاب الحيوان للجاحظ، واختصار كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث ، وكتاب المدهش في أخبار الحيوان[1] ، الا أن الوطواط لم يعين من أي الكتب قد نقل.

ثانياً : المصادر الأدبية واللغوية :

جمع المؤلف الدراسة العلمية للحيوان الى جانب ما قيل في وصفه من أشعار ، وما تداولته كتب الأدب من أوصاف لتلك الحيوانات ، وقد أفاد من بعضها لتوضيح أوصاف بعض الحيوانات أو طباعها .

ولا شك في أنه اعتمد في جمعه لهذه الأشعار والأقوال على مصادر أدبية كثيرة، مثل دواوين الشعراء أنفسهم ، أو الكتب الأدبية عامة ، وقد ذكر بعض مصادره الأدبية واللغوية فذكر عيون الأخبار لابن قتيبة ، (٨٧ و، ٩٤و) والعمدة لابن رشيق (٤٣ظ) ، والغريب المصنف لأبي عبيد(٣٤و) ، والمجمل لابن فارس (٣٤ ظ) ، والأوائل لأبي هلال العسكري (٥٧ و) ، وكتاب المصايد والمطارد لكشاجم (٨٦ ط) ولقد استفاد من هذه المصادر حيث امدته بكثير من المادة الأدبية واللغوية التي ذكرها .

وهناك أيضاً مصادر تاريخية استقى منها بعض المعلومات التاريخية مثل

١- راجع انباه الرواة ، القفطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ ، ١٩٢/٢ ، وعيون الانباء ٣٣٠/٢ .

كتاب مروج الذهب للمسعودي ، (٤٧ظ ، ٦٠ ظ) ، والكامل لابن الأثير (٤٦ ظ) كما أنه أحياناً لا يعين مصدراً بعينه بل يكتفي بقوله حكى المؤرخون ، واعتمد أيضاً على مصادر فلسفية ، وخاصة في الباب الأول حينما تكلم عن النفس والروح ، الاّ أنه لم يصرح بذكر مصدر معين ، واعتمد أيضاً علــى بعض التفاسيــر الاّ أنه لــم يصرح الا بذكــر الزمخشــري (٣و ، ١١٧و).

أما احالاته الى المصادر فانها تنقسم الى قسمين :-

أ - الاحالات غير المنسوبة :

وهـي التـي لم ينسبـها الـى أي شـخـص، ولا الى أي كتاب بل انـها جاءت مطلقـــة ، مصدرة بلفظ يشعر بعدم نسبتها الى أحد ، وقد استعمل عدة صيغ منهـــا :-

قال أصحـاب النظر ، قال آخرون ، قال أرباب العقول الصافية ، قالوا ، قال بعضـهم ، قال أصحاب الكلام في الطبيعيات ، قال المتكلمون في طبائع الحيوان ، قال أصحاب الكلام في البيزرة ، تقول الأطباء ، قال أصحاب الكلام في الطبائع ، يقال ، ذهب بعض الاخباريين ، ذهب بعض المفسرين ، ذهب بعض الاخباريين ، زعم قوم ، زعم بعض الباحثين ، ذهب بعض الناس .

وربما اختلفت صياغة هذه الاحالات ليدل بها على سعة الاطلاق أو حصره فمثلاً قوله : يقال ، أو زعم قوم هو بالضرورة أوسع من قوله : تقول الأطباء ، أو قال أصحاب البيزرة ، فانها أكثر تخصيصاً .

ب - الاحالة الى المصادر وهي اما أن يحيل :-

١- الى كتاب بعينه فيذكر الاسم صراحة.

٢- أو أن يحيل الى أحد المؤلفين فيذكر اسمه أو لقبه أو كليهما .

أهميـــة الكتـــاب

هذا الكتاب موسوعة لها أهمية علمية كبيرة حيث حوت معلومات قيمة استقاها مؤلفها من خيرة الكتب الموجودة في زمانه ، فقد أطلعته مهنة الوراقة على كتب لم تتوفر لغيره [١] ، فكان هذا الكتاب خلاصة لمطالعته ، وما اقتبسه من تلك الكتب ، وقد قال الصفدي عن هذا الكتاب : بأنه كتاب تعب عليه وما قصر فيـه[٢] وان أهمية هذا الكتاب تنبع من أمورٍ أهمها :-

١- اعتمد المؤلف على عدد كبير من الكتب والدواوين التي لم يعرف عن مصيرها شيء الآن ولهذا نراه قد ينفرد [٣] بذكر نص أدبي أو علمي لا نعثر عليه في غيره من المصادر .

٢- اعتمد عليه كثير من الكتاب قديماً وحديثاً فهو بذلك مصدر مهم ، فالنويري مثلاً قد اقتبس من هذا الجزء من الكتاب أكثر معلوماته عن الحيوان والمقارن بين الكتابين يلمس ذلك بوضوح ، والدميري أيضاً ذكره من بين المصادر التي اعتمد عليها في كتابه حياة الحيوان [٤] ، والسيوطي أيضاً في كتابه حسن المحاضرة وغيرهم .

١- راجع مجلة المجمع العلمي العربي م ٩ ، س ١٩٢٩ م ص ٦٨٣ .
٢- الوافي ١٧/٢ .
٣- مجلة المجمع العلمي العربي ص ٦٨٣ .
٤-ذكره في ١١٩/١ مثلاً .

٣- جمع هذا الكتاب بين المادتين العلمية والأدبية ، فقارئه يجد المتعة اثناء قراءته كما يجد أيضاً الفائدة العلمية.

٤- إن المعلومات التي ذكرها المؤلف هي خلاصة لما توصل اليه البحث العربي في مجال علم الحيوان تغني في مجالها عما سواها .

ومن هذا نرى أهمية هذا الكتاب.

مختصـر الكتـاب

ولمباهج الفكر ومناهج العبر مختصر اسمه نُزهة العُيون في أربعة فنون[١] حيث حذفت منه أكثر النصوص الشعرية والأدبية وابقي على أبواب الكتاب ومادته العلميـــة[٢] .

نسـخ الكتـاب

النسخة الأولى [٣]

وهي النسخة المحفوظة في مكتبة السليمانية بتركيا برقم (٩١٨) وهي نسخة كاملة مكتوبة بخط النسخ ، الا أن ناسخها يهمل أماكن النقاط في اغلب الأحيان كما أنه يداخل بين الأشطر اثناء كتابته للأشعار، وهذه النسخة تتألف من (١٢٦) ورقة، ومسطرتها (١٩) سطراً ، وكتبت على حواشيها خواص الحيوانات التي ذكرت في متن الكتاب ، وهذه الخواص منقولة من رسالة الخواص لابن زهر الأندلسي.

١- يقوم الاستاذ زيتني فرانشيسكو الايطالي الجنسية على تحقيقه ، حسب ما نشر في نشرة معهد المخطوطات ع ١٢٢ س ٨ شهر ١٩٧٨/١٢/١ .

٢- راجع فهرس المخطوطات المصورة ، فؤاد سيد ، سنة ١٩٦٤ م ، ٤/ ١٠٥ .

٣- النسخ الاولى والثانية والثالثة ، مصورة (مايكروفيلم) في المكتبة المركزية بجامعة بغداد .

ويظهر أن هذه النسخة قد قوبلت على النسخة التي نقلت منها حيث توجد بعض التصحيحات مكتوبة على الحاشية ، حيث يضع الناسخ علامة فوق الخطأ ثم يعيدها على الحاشية ، ثم يكتب الصحيح، ثم يضع بعدها علامة (صح).

وعلى الورقة الأولى كتبت بعض التمليكات والوقفيات ، منها وقفية كتبت بصورة داخل شكل هندسي جاء فيها (بسم الله الرحمن الرحيم وقف هذا الكتاب مصطفى رئيس الكتاب السابق لوجه الله الخالق ، وسلمه للمتولي وحكم بصحته حاكم الشرع الشريف ، وشرط الاستفادة منه لأولاده قيم قيم وبعدهم العمل به ، كما يبقى الوقوف الى قيام الساعة واخرى الله).

وتمليكة أخرى جاء فيها (الحمد لله ، ملكه من فضل ربه فقير عفوه ، وغفرانه، محمد بن نجم لطف الله تعالى في الدارين) وتحت التمليكة كتب التاريخ (٩٢٧).

وفي آخر النسخة (تم الفن الثالث من مباهج الفكر ومناهج العبر في الطبائع الحيوانية، يتلوه الفن الرابع في الفلاحات النباتية ان شاء الله تعالى وعونه ولطفه وبه المستعان).

وفي آخر الفن الرابع من هذه النسخة (تم الفن الرابع من كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر، وبتمامــه تم الكتــاب بعون الله ولطفه ، علقه لنفسه حسن بن (– – –) ابن احمد القرشي المتطبب (– – –) المنصورية المستحمدة حرسها الله ، شهر شوال سنة ٧١٥).

ونظراً لكونها أقدم النسخ وأوضحها قراءة فقد اعتبرناها النسخة الأصل.

٢- *النسخة الثانية*

وهي نسخة كاملة أيضاً الا أن بعض كلماتها مطموسة ، وربما كان السبب في طمسها رداءة التصوير ، وهي أيضاً محفوظة في مكتبة السليمانية بتركيا ، وتوجد عليها بعض الوقفيات أيضاً الا أن أكثر كلماتها مطموسة ، وهي تتألف من جزئين ضم الجزء الثاني منها على الفن الثالث في الحيوان ، والفن الرابع في

النبات ، وفي نهاية الفن الرابع من هذه النسخة كتب اسم ناسخهـا وهـو محمد بن محمد الحنبلي المالكي سنة ٩٧٢ ، وأشرت اليها بحرف ب .

٣- *النسخة الثالثة*

وهي نسخة مختصرة حذفت منها اكثر الأبيات الشعرية والنصوص الأدبية وأبقيت الأمور العلمية حيث لم يختصر منها شيء ، وتنتهي هذه النسخة عند نهاية القول في السرطان ، وعدد أوراقها ١٠٠ ورقة ، وعدد أسطرها ٢٠ سطراً ، وذكر ناسخها انها قوبلت على النسخة التي نقلت منها ، أما رؤوس موضوعاتها فقد كتبت بقلم عريض ، وكذلك كتبت أسماء بعض الشعراء ، وناسخها يكثر من رسم الفواصل في بداية الأبيات ونهايتها ، وكذلك يرسم الفواصل لكي يوازي بها الأسطر وأشرت اليها بحرف جـ.

٤- *نسخة معهد المخطوطات* (١)

يحتفظ معهد المخطوطات بنسخة كاملة من الكتاب صورها من مكتبة كوبريلي باسطنبول ، وهي محفوظة برقم (كوبريلي باستامبول ١١٧٠) ويمتلك أيضاً نسخة أخرى ناقصة من الأول صورها من مكتبة لاله لي باستامبول ، وهناك نسخة أخرى صورها من مكتبة الجامعة الأميريكية في لبنان وهي ناقصة من الأول والآخر والباقي مطابق للنسخة الثالثة تماماً.

٥- *نسخة دار الكتب المصرية* (٢)

وهي أربعة مجلدات نسخت سنة ١٩٤٩م من النسخة التي كانت محفوظة في الدار وهي محفوظة برقم (٣٢٣ ف).

١- فهرس معهد المخطوطات ١٤٣/٣ ، ٣ / ١٨٠ .

٢- فهرس المخطوطات لدار الكتب ، فؤاد سيد ، دار الكتب ١٩٦٣ م ، ٣/٣ .

٦- نسخة برلين[١]

تحتفظ مكتبة برلين بالجزء الثاني فقط وهو في وصف الأرض وما عليها برقم (6045 . spr. 12) .

٧- نسخة المتحف البريطاني[٢]

يوجد الجزء الثالث والرابع فقط ، وهي محفوظة برقم (ADOL 7482)

٨- نسخة تونس [٣]

توجد منه نسخة في مكتبة جامع الزيتونة برقم (٤٦٩٩).

٩- نسخة العراق

يوجد في مكتبة المتحف العراقي الجزء الرابع الخاص بالزراعة وتاريخ نسخها ١١٥٤ الا أن فيها كثيراً من التصحيف والتحريف وهي محفوظة برقم (١٢٥٠).

١٠- نسخة بودليان (اكسفورد)

وهي الجزء الرابع ، وهي نسخة كثيرة الأخطاء متداخلة النصوص وهي محفوظة برقم (٤٥٤).

١- Ahlwardt , Vol. 5', P. 371 .

٢- فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي ، اعداد ميخائيل عواد .

٣- مخطوطات تونس ، عبد الحفيظ منصور ، دار الفتح ١٩٦٩ م ص ١٠٤ .



البـــاب الثاني

الـنص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يَسّر وأعِنْ (١)

[وما توفيقي الا بالله عليه توكلت] (٢)

الحمد لله الذي أرسل جود (٣) جوده على الأنام فهمى وخلق الانسان وكلفه ليكون بكمالات نفسه الناطقة قيّما ، وابدع اذ اطلع في سماء ذاته من شرائف صفاته انجما ، وغاير بين حركات (الحيوانات) (٤) فمكبوب ، ومنساب ، وسابح وطائر بالجناح سما ، ومنح كلاً منها الهاما يقرطس (٥) غرض المرام سهمه متى رمى ، واقامه فيها مقام العقل الغريزي الذي نبل به (٦) قدر المرء ونمى ، والصلاة على سيدنا محمد أشرف خلق ولج القول سمعه ، وشقّ له اللسان فما (وعلى آله وصحبه ما اضاف الخالق في تركيب البدن الى اللحم دما) (٧) .

وبعد : فهذا (٨) الفن الثالث من الفنون التي(٩) دعت النفس الى جمعها أحاديث أمانيها ولجأت الى الانقياد بوضعها من وساوس اغراض تعانيها .

١- ساقطة من ب.

٢- الزيادة من ب.

٣- ساقطة من ب.

٤- في الأصل الهوامات.

٥- من قرطس اذا وضع هدفا للرامي.

٦- ساقطة من ب.

٧- ساقطة من ج.

٨- في ب فان هذا.

٩- في الاصل الذي .

قصرته على ذكر الحيوان بجملة أنواعه وما اشتمل عليه كل ذي روح من اخلاقه وطباعه ولم التفت الى ما تحدث عن استعمال (١) شيء منها من (٢) النفع والضر(٣) ، ولا الى ما ذكرته الاطباء من تشريح اعضاء الصور وذلك (٤) موضوع لهم في كتب مروية(٥) عدت باختلاف الأسماء والنعوت معنونة فمتى ارادت الافهام استفصاحاً عن اسراره (٦) واستصباحاً من أشعة انواره فسبيلها الى تعرف مقصودها منه ، مقسوم الى تسعة أبواب جعلتها معربة عنه :-

البـــاب الأول : « في ذكر خصائص نوع الانسان (٧) »

البـــاب الثاني : « في ذكر طبائع ذي النـــاب والظفر »

البـــاب الثالث : « في ذكر طبائع الحيـــوان المتـوحش »

البـــاب الرابع : « في ذكر طبائع الحيـــوان الأهلــي »

الباب الخامس : « في ذكر طبائع الحشرات والهــوام »

الباب السادس : « في ذكر طبــائع سبـــا ع الطيــــر »

البـاب السابع : « في ذكر بغـــاث خشــاش الطيــــر »

البـــاب الثامن : « في ذكر طبائع الطير الليلي والهمج »

البـاب التاسع : « في ذكر طبائـع البحر والمشتـــرك »

١- في ب اسماع .
٢- في جـ في .
٣- في ب ، جـ الضرر.
٤- في جـ اذ ذلك .
٥- في جـ مدونة.
٦- في جـ امره .
٧- اسماء الأبواب ساقطة من جـ.

وهنا أنا ابتدي قاصداً ان شاء الله تعالى [1] سواء السبيل مستعيناً بالله تعالى [2] ، فهو حسبي ونعم الوكيل.

مما [3] يكون فاتحة [الكتاب] [4]

الباب الأول

وهو [5] [القول] [6] في بيان شرف الانسان على سائر المخلوقات [7] .

قال الله تعالى :- (و لقد كرّمنا بني آدم وحَملناهُم في البَرِ والبحر ورزقناهم من الطيباتِ وفَضلّناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تَفْضيلا [8]) . فعلم بهذه الآية أن الانسان صفوة العالم وخلاصته وسلالته ، وخاصته، ونخبته ، وثمرته ، وزبدته فمن ادوات التكريم فيه قول الله تعالى : (وسخرّ لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) [9] ومن خلقت من أجله ، وسببه جميع المخلوقات عُلويها وسُفليها ، خليق بأن يرفل في ثياب الفخر على من تعداه ، وتمتد الى اقتطاف زهرات النجوم يداه .

١- ساقطة من ب ، جـ .
٢- ساقطة من ب ، جـ .
٣- في جـ بما .
٤- الزيادة من جـ .
٥- ساقطة من جـ .
٦- الزيادة في ب .
٧- في ح الحيوان .
٨- الاسراء آية ٧٠ .
٩- الجاثية آية ١٣ .

ومنها انه [1] واسطة بين شريف وهو الملائكة ، ووضيع وهو الحيوان ولأجل ذلك ، جمع [2] فيه قوى العاملين ، وأهّل[3] لسكنى الدارين ، فهو كالحيوان في الشهوة والغذاء ، وكالملائكة في العلم ، والعقل ، والعبادات ، ووجه الحكمة فيه أنه تعالى لما رشحه لعبادته وخلافته في عمارة أرضه وهيأه مع ذلك لمجاورته في جنته ودار كرامته ، جمع فيه القوتين ، فإنه لو كان كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لخلافة الله تعالى [4] ، وعبادته ، ومجاورته في جنته كما لم تصلح البهائم ، ولو خلق كالملائكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم تصلح الملائكة لذلك.

ومنها أنه خصه برتبة النبوة ، واقتضت الحكمة [الآلهية] [5] أن تكون شجرة النبوة صنفاً مفرداً ونوعاً واقعاً [6] بين الانسان والملك ، ومشاركاً لكل واحد منهما على وجه فإنه كالملائكة في الاطلاع على ملكوت السماوات والأرض ، وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب ومثله واقعاً بين نوعين ، مثل المرجان مُكوِّنه شبيهاً للنبات[7] والمعدن فإنه بما فيه من الحجرية يشبه المعدن ، وبما فيه من النمو وتشذب الاغصان يشبه النبات .

١- في ب ومنها خلق واسطة .

٢- ساقطة من ب .

٣- في جـ واقبل .

٤- ساقطة من جـ .

٥- الزيادة من ب .

٦- ساقطة من جـ .

٧- في ب ، جـ بالنبات .

ومنها أنه اذا طَهُرَ من نجاسته النفسية ، وقاذوراته البدنية جعل في جوار الله تعالى [1] يكون حينئذ افضل [2] من الملائكة لقوله تعالى (والملائكةُ يدخلون عليهم من كلِ بابٍ) [3] وفي الحديث (الملائكةُ خَدَمُ اهلِ الجَنةِ) [4] .

القول في مبدأ خلق الانسان

قال أصحاب النظر في أسباب حدوث الموجودات [5] :- ان الحكمة اقتضت ان تكون المخلوقات أربعة أقسام :-

قسم له عقل ولا شهوة لـه.

قسم له شهوة ولا عقل لـه.

وقسم لـه عقـل وشهوة.

وقسم لا عقل له ولا شهوة.

فسبق ايجاد ما له عقل ، وليس لـه شهوة ، وهو الملائكة ، وما لـه شهوة ولا عقل له ، وهو كل الحيوان خلا الانسان ، وما ليس له شهوة ولا عقل وهو الجماد وبقي من الاقسام الأربعة قسم ، وهو الذي لـه عقل وشهوة فأوجدت القدرة التامة والمشيئة الكاملة ، نوع الانسان وتممت به الاقسام التي كانت في

١- ساقطة من جـ.

٢- في الاصل فضل.

٣- الرعد آية ٢٣.

٤- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث مادة (ملك).

٥- راجع كتاب النفس والروح ، الرازي ص ٣ حيث أورد هذا الاقسام .

ضمـــان الامكــان[1] ، فإن رجحت شهوته على عقله التحق بالبهائم ، وان رجح عقله على شهوته التحق بالملائكة [وقال آخر: جُزوى الملائكة [2] روح وعقل، والبهائم نفس وهوى ، والانسان بجمع الكل ابتلاء [3] ، فإن غلب الروح على النفس والهوى فضلته البهائم] [4] .

وذهب بعض الاخباريين [5] في سبب ايجاد الانسان الأول وهو [6] آدم عليه السلام ان الله تعالى خلق السماوات وعمّرها بالملائكة ، وخلق الأرض وعمرها بالجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فبعــث الله تعالى لمحاربتهــم جنداً من السماء فاجتاحوهم [7] قتلاً وأسراً الا القليل ممن سكن الجزائر ، واعماق البحر فكان فيمن اسر (عزازيل)، وهو ابليس فلما خلت بقاع الأرض من الجن ولم يبق فيها الا الدواب ، شاء الله تعالى [8] أن يخلق من بعدهم فيها من يعبده ويوحده وذلك لا يتأتى الا ممن له /٢و عقل فبعث الله تعالى [9] الى الأرض ملكاً يقال [10] له جبريل عليه السلام[11] ليأخذ من ترابها ما يخلق منه خلقاً يعمرها به فناشدته الله تعالى[12] في ذلك خوفاً ان يخلق منها ما [13] يعصيه ، فتركها، وصعد [14] ، فانزل الله تعالى ملكا يقال له [15] عزرائيل ، فسألته في ذلك فقال : لا اعصي أمر

١- راجع كتاب النفس والروح ، ص ٤.
٢- يقصد ان مكونات الملائكة هي روح وعقل.
٣- ابتلاء : اختباراً.
٤- الزيادة من جـ.
٥- راجع تاريخ الطبري ١/٨٤-١٠٥ حيث أسهب في ذكر مختلف الروايات عن خلق الانسان.
٦- في جـ الذي هو .
٧- في الأصل فاجاحوهم.
٨- ساقطة من جـ.
٩- ساقطة من جـ.
١٠- في جـ يسمى .
١١- ساقطة من جـ ، ب.
١٢- ساقطة من جـ.
١٣- في جـ من .
١٤- في الاصل وصد.
١٥- العبارة في جـ ملكاً آخر يسمى .

ربي فأخذ من سهلها وحَزَنِها وطيبها ، وخبيثها ، واحمرها ، وأسودها ، ثم صعد به فخلق الله من ذلك بشراً عجن طينته بيده ، وخمّرها اربعين سنة ، ونفخ فيه من روحه ، واسجد له الملائكة (١) ، وسماه آدم لأجل أنه خلق من اديم الأرض اي من وجهها ، وكان خلقه لمضي(٢) احد عشر ساعة من يوم الجمعة واهبط الى الأرض عند انقضاء اليوم فكان لبثه في الجنة الى حين خروجه منها ساعة واحدة من ايام الآخرة ، مقدارها ثلاث وثمانون سنة وثلاثة اشهر من سني الدنيا ، ويقول (٣) الناس في خرافاتهم (٤) : ان آدم (عليه السلام) (٥) لما اهبط الى الأرض اجتمعت الطير والهوام (٦) ، والوحش (٧) ، والحشرات ، وانطلقت الى الضب وكان قاضيها حينئذ ، فذكرت له حال الانسان ووصفته (٨) بصفته فقال :- أراكم تصفون خلقاً ينزل الطير من السماء ، ويخرج الحوت من الماء ، فمن كان ذا جناح فليطر ، ومن كان ذا مخلب فليحتفز (٩) ، وتزعم اليهود (١٠) في التوراة : ان الله تعالى فرغ من الخلق يوم الجمعة ، واستراح يوم السبت ، وقال هذا يوم راحة ودعة (١١) ، تعالى

١- في ب ، جـ ملائكته.

٢- في جـ احدى عشر.

٣- في ب وقول.

٤- في باب خرائبهم

٥- ساقطة من ب ،جـ.

٦- في ب ، جـ البهائم.

٧- في ب ، جـ الوحوش .

٨- في ب ، جـ ووصفه.

٩- في ب فليحتض.

١٠- العبارة في ب (وتزعم اليهود لعنهم الله في....)

١١- ورد في التوراة (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل) الاصحاح٢ ، سفر التكوين .

الله ان يمسه فيما خلق لغوب ونصب [1] ، وهل ذلك الا حالة من جُبِلَ جسمه [2] من لحم وعصب ، ولم يكفهم كفرهم حتى وصفوا هيئة الاستراحة بصفة هي عين التجسيم وركبوا في حكايتها الخطر العظيم ، والهول الجسيم.

فصـــــل : -

وخلق الانسان على أربعة أضرب

[انسان من غير اب ولا ام ، وانسان من اب لا غير، وانسان من ام لا غير وانسان من اب وام] [3] .

الضرب الأول :

انسان من غير اب ولا ام وهو آدم (عليه السلام)[4] خلقه (من تراب)[5]، وركب فيه روحاً مؤيداً بالعقل ليقارن في العبادة من جعلت السماء مركزاً له وهم الملائكة ، ونفساً متسلطة [6] بالشهوة /٢ظ ليقارن في التناسل من جعلت الأرض مركزاً له وهم الحيوانات ، ومبدأ خلقه ان الله تعالى لما أراد ابرازه من العدم الى الوجود ، وامتحان ابليس له بالسجود قلّبه في ستة أطوار ، طور التراب وهو [7] قوله تعالى : (ومِن آياته أَنْ خَلَقكُم من تُرابٍ ثم إذا انتم بَشَر تنتشرون)[8] وطور الحمأ [9] وذلك قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من صلْصَال من حمأ مسنون)[10] ، وهذا الكلام يقتضي التقديم والتأخير ، لأن الطين لا يكون صلصالا

١- كذب القرآن الكريم ذلك في سورة ق (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) آية ٣٨.
٢- في جـ جسده.
٣- الزيادة من ب ، جـ.
٤- ساقطة من ب ، جـ.
٥- في جـ خلقه الله من تراب.
٦- في جـ مسلطه.
٧- في جـ وذلك .
٨- الروم آية ٢٠.
٩- الحمأ : الطين المائع
١٠- الحجر آية ٢٦.

الا بعد أن يكون حمأ ، والترتيب يقتضي ذلك ، [قال الزمخشري معناه (من صلصال كائن من حَمأ) (١) فيكون صفة لصلصال] (٢) وطور الطين اللازب وذلك قوله تعالى : (فاستَفْتِهِم أهُم أشدُ خَلقاً أَمْ مَنْ خَلَقنا ، إنّا خَلَقناهم من طِينٍ لاَزِب) (٣) ، وطور الصلصال وذلك قوله تعالى : (خلق الانسان من صَلْصَالٍ كالفَخارِ) (٤) ، ولما كان في هذا الطور كان ابليس اذا مر به ، وقف ليتأمله ، وفي رواية يركضه (٥) برجله ، ويقول : لقد خلقت لامر عظيم ، [ويقال كان يدخل من فيه ، ويخرج من دبره لأنه كان أجوف] (٦) ، وطور التسوية وهو جعل الخزفة التي هي الصلصال (٧) عظماً ولحماً ودماً ، وانما كانت الاطوار على هذا الترتيب ، لأن التراب الذي هو المبدأ (٨) الأول كان متفرق الاجزاء فجبل بالماء حتى اجتمعت اجزاؤه ، فصار حمأ مسنوناً أي طيناً مائعاً متغير الرائحة اذ من عادة الماء اذا خالطه شي غير لونه (٩) وطعمه وريحه لا سيما اذا كان ما خالطه تراباً ، ثم ترك الحمأ برهة حتي نقصت رطوبته ، واشتد فصار طيناً لازبا وهو المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة ، واللازب الذي يلصق (١٠) بما لامسه ، وهو اللازم ايضاً ، وفي هذا الطور كان تخطيط الصورة وتشكيلها ، وتقدير اعضائها ،

١- الكشاف ، الزمخشري ٥٧٦/٢ .
٢- الزيادة في جـ.
٣- الصافات آية ١١ .
٤- الرجمن آية ١٤ .
٥- يركضه : أي يرفسه.
٦- الزيادة من جـ.
٧- العبارة في جـ (وهو جعل الصلصال عظماً....)
٨- ساقطة من جـ.
٩- في جـ غيره وغير لونه.
١٠- في جـ يلتصق.

وتفصيلها ، ثم ترك الطين (١) حيناً حتى صار صلصالاً كالفخار ، وهو الطين الذي أصبح خزفا وترك حتى جف وسمعت له صلصلة (٢) ، أي صوت (٣) كما يسمع للفخار اذا طبخ بالنار، ثم كانت التسوية وهي احالة هذه الخزفة (٤) الى جسم حيواني يصلح أن يكون مسكنا للروح الروحاني وكل طور من هذه الأطوار على ما حكاه (ابن مَنْدَه) (٥) ، أربعون سنة فيكون مجموع كونه حمأ مسنوناً الى ان صار طينا لازباً ، الى ان صار صلصالا كالفخار/٣و ثم الى أن سُوِّيَ مائة وعشرون سنة من سني الدنيا، ثم نفخ فيه الروح فصار حياً ناطقاً (٦) وقال علي (٧) عليه السلام ، مشيراً الى ما اودع جسد آدم عليه السلام من اسرار التخليق : جمع سبحانه من حزن الارض ، وسهلها ، وعذبها ، وسبخها تربة شنها بالماء حتى اختلطت ، ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات احناء و وصول ، واعضاء وفصول ، اجمعها حتى استمسكت ، واجلدها حتى صلصلت لوقت معدود واجل محدود ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا اذهان يتخيلها (٨) وفكر يتصرف فيها ، وجوارح يختدمها(٩) وادوات تقلبها ، فيعرف بها الاذواق والمشام والالوان ، والانواع والاجناس ، وبهذا الاعتبار تكون تمام الحكمة الآلهية في تخليق

١- في جـ (ترك الطين بعد التمثيل والتصوير والتشكيل والتقدير حيناً ....)
٢- في جـ وسمع له عند النقر صلصلة.
٣- في جـ (اي صوت ليبسه وجفافه كما ....)
٤- في جـ (الخزنة الجوفاء الى جسم ....)
٥- هناك اثنان سميا بنفس الاسم وهما محمد بن اسمان بن يحيى بن منده من كبار حفاظ الحديث ٣٩٥ هـ والثاني محمد بن يحيى بن منده محدث وحافظ ت ٣١٠هـ.
٦- في جـ (فصار حياً ناطقاً بعدما كان جماداً لا حس ولا حركة ...)
٧- ساقطة من جـ.
٨- في ب يتخيل بها.
٩- في الاصل تخذمها ، في جـ يختذمها.

الانسان اظهر مما هي في سائر المخلوقات ، لأنه خلقه من ضدين متباينين ، وجوهرين متغايرين ، وذلك ان الروح علوي ، والبدن سفلي والعلوي والسفلي ضدان ، والروح نوراني ، والجسد ظلماني والنور والظلمة ضدان « و الروح لطيف والبدن كثيف (١) واللطافة والكثافة ضدان (٢) » والروح سماوي والبدن أرضي ، والسماوي والأرضي ضدان ، ويُستظرف قول ابي اسحاق (الصابي) (٣) في معنى هذا (٤) :-

جُملة الانسانِ جيِفة وهيولاه سَخيفة

فبماذا ليت شعري قَبِلَ النفس الشريفة

إنما ذلك فيه حكمة اللّه اللطيفة (٥)

[وقال آخر] (٦)

[من اين للطين القيام بنفسه أو اين للفخار ان يتكلما

لو لم يكن روح الحياة تمده ما كان من اسمائه يتعلما] (٧)

١- في ب كيف .
٢- ساقطة من ج - .
٣- ساقطة من جـ . وهو ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون ، كاتب مشهور (ت ٣٨٤ هـ) راجع يتيمة الدهر ٢٤٢/٢ ، وفيات ٥٢/١ .
٤- في جـ (في هذا المعنى ...) .
٥- يتيمة الدهر ٢٩٧/٢ .
٦- الزيادة من جـ .
٧- الزيادة من ب ، جـ .

[وقال آخر] (١)

[لم يكن الون (٢) غير نكر   سُلافـة الكـــرمَ عرّفتـه (٣)

فـآدم (٤) اصلــــه تراب   ونفخة الروح شرفته (٥)] (٦)

الضرب الثاني :

انسان خلق من اب لا غير وهـي(٧) حواء عليها السلام، ويذكر الاخباريون (٨) في مبدأ خلقها ان آدم عليه السلام نام في الجنة ، ثم استيقظ فرأى حواء الى جانبه فقال : يارب ما هذه؟ قال : زوجك تسكن اليها خلقتها من ضلعك القصـراء(٩) التي في جانبك الأيسر، ولهذا يوجد عدد أضلاع الجانب (الأيمن في الرجل اثنا عشر) (١٠) وعدد اضلاع الجانب الأيسر أحد عشر، وقد خرّج

١- الزيادة من جـ.

٢- في ب الذين.

٣- في ب غرفته .

٤- في جـ كآدم.

٥- في ب تشرفه.

٦- الزيادة من ب ، جـ.

٧- في الأصل وهو .

٨- راجع تفسير الطبري ٤/٢٢٤-٢٢٥.

٩- في ب القصير.

١٠- ساقطة من جـ .

البخاري في صحيحه مصداق ما ذكر[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (استوصُوا بالنساءِ خيراً فإن المرأة خُلقت من ضِلع وان أعلى الضلع اعوج وانك ان قومته كسرته ، وان تركته /٣ و استمتع به على عوج فيه) [2] .

الضرب الثالث :

إنسان من ام لا غير وهو عيسى عليه السلام قال الله تعالى (ان مَثَل عيسى عند الله كَمثل آدم خَلَقَه من تراب) [3] . ذهب بعض المفسرين للكتاب العزيز [4] ان الله تعالى لما خلق آدم ، بقي من التراب الذي خلقه منه جزء ، وقال آخرون لما تم خلقه عطس فسقط من أنفه تراب فلما اراد خلق عيسى عليه السلام بعث جبريل الى مريم عليها السلام فنفخ ذلك التراب في فرجها ، وهو جيب درعها أو ذيلها ، فحملت بعيسى[5] من ساعتها ، واجاءها المخاض الى جذع النخلة فوضعته عندها ، وهذه السرعة في الحمل والوضع [6] نتيجة قوله تعالى: (كن فيكون) [7] ، والمستقبل في موضع الحال ، وقيل في مدة الحمل ثمانية أشهر [ولايمكن هذا الحمل لغيره لأنه لا يعيش ولد لثمانية ، وقيل سبعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل ثلاث ساعات حملته في ساعة ، وصور في ساعة ، ووضعته في ساعة ، وقال ابن

١- في جـ مصداق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- راجع النص في صحيح البخاري ٤٦/٧ .

٣- آل عمران ٥٩ .

٤- راجع تفسير الطبري ١٨/٦ ، تفسير الرازي ٨٤/٢٣ .

٥- في جـ بعيسى عليه السلام.

٦- في الاصل (في الوضع والحمل) .

٧- النساء ١٧١.

عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته، وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشر سنة وقيل عشر سنين] (١) ويؤيد القول الأول قوله تعالى : (إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمتهُ ألقاها الى مريم ورُوحٌ منه)(٢) ، والكلمة (٣) كن ، وبهذه الكلمة صار التراب المتفرق الاجزاء جسداً ملتئماً ذا عظم ولحم وعصب وعروق ودم ، قابلاً لنفخ الروح فيه ، ومعنى وروح منه أي : من عنده.

الضرب الرابع :

انسان من أب وأم ، وهو الذي خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، يعني من صلب ، وترائب (٤) الام ، ودافق بمعنى مدفوق ، وقال اللّه تعالى :(ياأيها الناس إنّا خَلقناكم من ذكرٍ وأُنثى) (٥) يعني آدم وحواء ولهذا [قال] (٦) ارباب العقول الصافية والاذهان الوافية :- ان اثار التركيب في البشر اكثر مما هي في الملائكة لانهم خلقوا من شيء (٧) واحد وهو النور والبشر خلقوا من جوهرين الروح والبدن ، وظهروا من اثنين الاب والام وركبوا من شيئين المني والدم ، وغذوا بغذائين الطعام والشراب فهم أكمل وأتم وهذا الضرب تم (٨) بعد أن تم (٩) عليه ستة اطوار أيضاً ، (وهي النطفة ثم العلقة ، ثم المضغة ، ثم العظام ،

١-الزيادة من جـ .
٢- النساء آية ١٧١ .
٣- في ب فالكلمة .
٤- في الاصل تراب .
٥- الحجرات آية ١٣ .
٦- زيادة يقتضيها السياق .
٧- في جـ سبح .
٨- في جـ يتم .
٩- في جـ يمر .

ثم كسوة العظام لحماً ، ثم الانشاء ، وهو نفخ الروح فيـــه) (١) وقال الله تعالى: (ولقد خَلقنا الانسان من سُلالة من طين ، ثم جعلناه نُطفةً في قَرارٍ مَكين ثم خَلقنا النُطفَةَ عَلَقةً /٣ظ فَخَلقنا العَلَقةَ مُضغَةً ، فخلقنا المُضغةَ عِظاماً فكسونا العِظامَ لَحْماً ثم أنشأناه خَلقاً آخر) (٢) أي : حياً ناطقاً ، أما قوله (من سُلالة منْ طين) فذهب بعض المفسرين للكتاب العزيز (٣) الى أن هذا القول اشارة الى آدم عليه السلام ، ثم ذكر نسله ونبه على انهم مخلوقون من نطفة وذهب بعض الحذّاق (٤) : منهم الى مراده (٥) بالطين الاغذية التي استحالت دماً بعد اكلها لأن منبتها فيها ثم استحال الدم منبتاً لحركة (٦) الوقاع والجماع وبهذا يكون مبدأ الانسان من النطفة ، ويكون في مقابلة التراب (لكونها مَواتا) (٧) وهي اذا وقعت في الرحم امتزجت بمني المرأة فصار شيئاً واحداً ، ثم يكون بعد ايام قلائل بطبخ الرحم له علقة وهي دم قدمه جفاف ما ، وهو في مقابلة الحمأ المسنون (فما فيه من الاختلاط والامتزاج (٨)) ولا تزال حرارة الرحم تدأب (٩) في التخفيف حتى تصير العلقة مضغة بعد برهة ، وهي في مقابلة الطين اللازب الذي يمكن معه قبول الصورة (١٠) ثم يكون عظاماً بعد حين وهي في مقابلة الصلصال ، لاستحكام(١١) الجفاف ، واليبس عليها بحيث انها اذا قرعت صلّت، فإذا صارت عظاماً كسيت

١- ساقطة من جـ.
٢- المؤمنون آية ١٢ ، ١٣، ١٤.
٣- راجع تفسيري الطبري ١٨/٦ ، تفسير الرازي ٨٤/٢٣.
٤- تفسير الرازي ٨٤/٢٣.
٥- في ب ، جـ المراد.
٦- في جـ بحركة.
٧- ساقطة من جـ.
٨- في جـ العبارة (لاختلاطهما كاختلاط الماء والتراب ولا تزال...).
٩- في ب تذاب .
١٠- ساقطة من جـ.
١١- في جـ لاستيلاء.

لحماً فاشتد به البدن واعتدل واشتد ما بين العظام من الخلل ، وهذه في مقابلة ، فاذا سويته ، وقوله ثم أنشأناه خلقاً آخر ، في مقابلة ونفخت فيه من روحي ، ومقدار كل طور من هذه الأطوار على ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، أربعون يوماً الا أنه لم يذكر غير ثلاثة أطوار وهي النطفة ثم العلقة ثم المضغة ، فذلك مائة وعشرون يوماً فإنه قال عليه السلام : (إنَّ احدكم يجمع خَلْقه في بطن امه أربعين يوماً ثم يكون عَلقةً أربعين يوماً ثم يكون مُضغةً مثل ذلك ثم يرسل الله عز وجل اليه الملك فينفخ الروح ، ويؤمر بأربع كلمات، رزقه ، وأجله ، وعمله(١) ، وسعيد أم شقي ، وفي رواية ان المَلَك يقول : يا رب ما الرزق ؟ ما الأجل ؟ ما العمل ؟ فيقول الله عز وجل ويكتب الملك) (٢) ولهذا السر جعل/ ٤و الشارع عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً لإستبراء الرحم فيها .

القول في الشيء الموكل بتدبير الانسان

قالوا : (الانسان أشياء كثيرة ، فلكثرة ما هو به كثير يعجز عن ادراك ما هو به واحد) (٣) ، (ويكفي أن نعلم أن النفس قوة الهية واسطة بين الطبيعة المصرفة (٤) للاسطقسات (٥) والعناصر المتهيئة بين العقل المنير لها ، الطالع عليها ، السائر (٦) فيها، المحيط بها ، فكما أن الانسان ذو طبيعة لآثارها البادية

١- في جـ عمره.

٢- راجع صحيح مسلم ١٦/١٩٠.

٣- راجع النص الامتاع والمؤانسة ٣/١٠٩.

٤- في الأصل المتصرفة.

٥- الاسطقس هو آخر ما ينتهي اليه تحليل الاجسام فلا توجد فيه قسمة، راجع الحدود لابن سينا ص ٥٨.

٦- في جـ انمانه.

في بدنه ، فكذلك (١) هو ذو نفس لآثارها الظاهرة في آرائه وأبحاثه (٢) ومطالبه ومآربه ، وكذلك هو ذو عقل لتميزه وتصفحه واختياره وفحصه ، واستظهاره (٣) ، ويقينه وشكه وظنه وفهمه ورويته وبديهيته (٤) ، (فإن قيل : كَفَتْ الطبيعة ، قلنا : قد كفت في مواضعها التي لها الولاية فيها من النفس كما كفت النفس في الأشياء التي لها عليها الولاية (٥) من قبل العقل في الأمور التي له الولاية عليها (٦) من قبل الاله (وان كان مجموع هذا كله راجعاً الى الاله (٧)) فإنه في التفصيل محفوظ الحدود على أربابها (وهو كالملك الذي في بلاده وجماعة يصدرون عن رأيه وينتهون الى امره ويتوخون في كل ما يعقدونه ويملونه ويبرمونه وينقضونه ، ما يرجع الى وفاته ومراده وكل ذلك منه (٨) وله وبه.

وقالوا الحيوان ينقسم بالقسمة الأولى الى ثلاثة أقسام(٩)

أحدهما : حي *مالك* : وهو الذي تدبره نفسه الناطقة ، وتدبره الطبيعة بالقوى الطبيعية وهذا هو الانسان .

والثاني : حي *مملوك* : وهو الذي تدبره الطبيعة بقواها ، ويدبره العقل من خارج ، أعني من قبل الانسان ، ولهذا لا يوجد هذا النوع الا حيث يوجد الانسان

١- في ب كذلك .
٢- في جـ انمائه.
٣- في الامتاع واستنباطه.
٤- الامتاع والمؤانسة ٣/١١٠.
٥- في الاصل العبارة (في الاشياء التي الولاية اليها فيها ....)
٦- في الاصل فيها.
٧- ساقطة من ب .
٨- الامتاع والمؤانسة ٣/١١٤.
٩- التقسيم لأحمد بن ابي الاشعث ، راجع كتابه الحيوان ٣٤٩-٣٥٠ وقد بيناه في الفصل الثاني من هذا البحث.

كما يكون الزرع حيث يكون الزارع ، وهكذا كالخيل والبغال والحمير والبقر وما أشبه ذلك.

والثالث : هي لا مالك ولا مملوك : وهذا النوع تدبره الطبيعة فقط وهو مثل الكلأ، وهو سائر السباع والأنعام والسمك (١) والطباشير(٢) والحشرات فتبين لنا من هذه القسمة ان الانسان أكمل الحيوان لإشتراك النفس الناطقة التي هي العقل والطبيعة في تدبيره / ٤ظ فأما (٣) الطبيعة فإنها قوة الباري تعالى وجل (٤) مدبرة لبدن (٥) الحي ، وانما قيل لها طبيعة لأنها تلزم شيئاً واحداً، ولا تقوى على الشيء وضده ، كما في الآلات الصناعية لأن (٦) المناشير (٧) لا تفعل فعل الفأس والفأس لا يفعل فعل القدوم ، وقال بعضهم :- هي قوة نفسية ، ثم قال فإن قلت عقلية أو الهية لم يبعده وهي التي تسري في اثناء (٨) هذا العالم محركة ومسكّنة ومحددة ، ومبلية ، ومنشئة ، ومبدية وهي بالمواد اعلق ، والمواد لها اعشق (٩) ، وقال آخرون : الانسان هو كالشيء المتقوم بتدبير الطبيعة للمادة المخصوصة بالصور البشرية ، المؤيدة بنور العقل من قبل الاله ، وهذا وصف يأتي على الشائع عن الأولين في حد الانسان ، انه حي ناطق ميت (١٠) أي حي من قبل الحس والحركة ،

١- في جـ السموك.
٢- ساقطة من ب ، جـ ، والكلمة مقحمة.
٣- في ب و .
٤- في ب من الباري جل وتعالى ، في جـ من الباري جل وعلا.
٥- في الأصل البدن.
٦- في جـ فأن.
٧- في ب ، جـ المنشار.
٨- في الاصل ابناء.
٩- النص في الامتاع والمؤانسة ١١٣/٣ .
١٠- في ب ، جـ مائت.

ناطق من قبل الفكر والتمييز ميت (١) من قبل السيلان والاستحالة ، فمن حيث ما هو حي(٢) مشارك للحيوان (٣) ، (ومن حيث ماهو ميت مشارك لما يتبدل ويتحلل، ومن حيث ما هو ناطق هو انسان حصيف ، ومن حيث ما يبلغ مشابهة الملائكة بقوة الاختيار البشري ، والنور الالهي هو ملك) (٤).

وأما (٥) النفس : فقد اختلف في ماهيتها (فقال قوم هي امتزاج الأركان) (٦) وقال افلاطون : جوهر بسيط عقلي(٧) يتحرك (٨) من ذاته بعدد مؤلف ، وقال فيثاغورس جوهر نوري (٩) ولا خلاف عندهم أن الباري عز وجل(١٠)) جعلها كمالاً أولاً لجسم طبيعي آلي ، وذهب أرسطو الى إنها ليست متصلة بالبدن اتصال انطباع فيه ولا حلول وانما اتصلت به اتصال تدبير وتصرف، وانها حدثت مع حدوث (١١) البدن لا قبله ولا بعده (١٢) ، وذكر على ذلك دلالة (١٣) استطلناها فتركناها ، واستدلوا على وجودها بالتصورات العلمية ،

١- في ب ، جـ مائت .

٢- في جـ ماهو حي ناطق...

٣- في ب ، جـ للملائكة.

٤- العبارة ساقطة من ب ، جـ.

٥- في جـ فاما .

٦- راجع الامتاع والمؤانسة ١٠٨/٣. والمقصود بالاركان العناصر الأربعة التراب ، والماء ، والهواء ، والنار.

٧- في جـ عقل.

٨- في جـ متحرك .

٩- في جـ نور .

١٠- في ب (ان الباري جعلها) في جـ (ان الباري جل وعلا) .

١١- في جـ بحدوث.

١٢- راجع الملل والنحل للشهرستاني ٣٩١/٢.

١٣- راجع هذه الأدلة في الملل والنحل للشهرستاني ٣٩١/٢- ٣٩٢.

والاختبارات الارادية ، (وقالوا : لا نشك في أن الحيوان يتحرك الى جهات مختلفة حركة ارادية ، إذ لو كانت حركاته طبيعية أو قسرية لتحرك الى جهة واحدة لا تختلف البتة ، فلما تحرك الى جهات مختلفة علم أن حركته اختيارية والانسان مع أنه مختار في حركاته كسائر الحيوان الا أنه تحرك بمصالح عقلية يراها في عاقبة كل أمر فلا تصدر عنه حركاته الا الى غرض وكمال ، وهو معرفة عاقبة كل حال ، والحيوان/٥و ليست حركاته بطبعه [١] على هذا المنهج فيجب أن يميز الانسان بنفس خاص كما يتميز سائر الحيوان عن سائر الموجودات [٢]) [٣] واستدلوا على انها جوهر فقالوا [٤] : من شرط الجوهر أن يكون قابلاً للأضداد من غير تغيّر [٥] وقد رأينا النفس قابلة للشيء وضده ، مثل العدل والجور، والذكاء والبلادة والعلم والجهل ، والبر والفجور ، والشجاعة والجبن ، الى غير ذلك من الأضداد التي لا يحصرها التعداد ، واستدلوا أيضاً فقالوا يمتنع أن يكون المدبر لهذا الجسم جسماً لأن الجسم لا يقبل صورة أخرى من جنس صورته الأولى الا من بعد مفارقة الصورة الأولى البتة ، (مثاله أن الجسم اذا قبل صورة وشكلاً كالتثليث وليس يقبل شكلاً آخر من التربيع والتدوير الا بعد مفارقة الشكل الأول [٦]) ، وكذا اذا قبل نقشاً ومثالاً ، ونحن نجد النفس تقبل [٧] الصور [٨] كلها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ، وهذه الخاصية ضد خاصية

١- في ب بطبيعته في جـ تطيله.

٢- في ب سائر الموجودات كلها.

٣- راجع الملل والنحل للشهرستاني ٢/٣٩٠.

٤- اي الفلاسفة.

٥- الامتاع والمؤانسة ١/٢٠٠.

٦- راجع المثال في تهذيب الاخلاق ، ابن مسكويه ، مصر ١٣٢٩ هـ ص ٥.

٧- في ب بنفس ، وما اثبت من جـ وتهذيب الاخلاق.

٨- في الاصل الصورة.

الجسم ، ولهذا يزداد الانســان بصيرة [1] كلما نظر وبحث وارتأى وكشف ، (ويمتنع أن يكون المدبر أيضاً للبدن عرضاً لأن العرض لا يتفق زمانين لقبوله التغير والاستحالة ، ولأنه لا يوجد الا في غيره فهو محمول لا حامل ، ويمتنع أن يكون هُيولى، فانها لو كانت ، لكانت قابلة للمقدار والعظم [2] ، واستدلوا أيضاً على أنها جوهرة بكونها لا يدخل عليها ضد ولا يصل الى شيء منها بلى ، والانسان إنما يبلى ويفسد ويبطل ويموت ، ويفقد لأنه يفارق النفس ، والنفس تفارق ماذا حتى يكون في حكم البدن وشكله ، ولو كانت كذلك لكانت تموت وتفنى ، فأما الانسان بها حي وجب أن لا يكون حكمها حكم البدن ، ولا يخص على من كان عَريّا عن الهوى عاشقاً للحق ، فالفرق بين النفس المحركة للبدن ، وبين البدن المتحرك بالنفس فإن البدن معجون من الطين ، والنفس تدبره بالقوة [3] الالهية ، ولهذا احتاج الى الاجناس [4] والمواد والاقتباس والالتماس حتى تكون هذه الحياة الحسية تالفة الى آخرها /٥ ظ من ناحية الجســر ، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد ولو لم تكن النفس لا تموت ولا تفسد بفساد البدن عند المفارقة لما قال اللّه تعالى مخاطباً [5] لها مفارقتها للبدن (يأيتها النفس المُطمَئِنةُ ارجعي الى ربك راضيةً مرضية [6]) ولما قال في حق الشهداء (ولا تَحسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون فَرحين [7]) ولمــا قــال في

١- في جـ بغيره.

٢- في جـ النظم ، النص في الامتاع والمؤانسة ١٩٩/١.

٣- في الاصل القوة.

٤- في ب ، جـ الاحساس.

٥- ساقطة من جـ .

٦- الفجر آية ٢٧.

٧- آل عمران ١٦٩ .

حـق آل فرعون (النـارُ يعرضون عليها غدواً وعَشيا) (١) ، وهـذا منبه على أن (٢) النفس بعد مفارقتها للبدن تنتقل اما الى خير واما الى شر ، ولهذا قال عليه السلام (٣)) : (القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنة أو حُفرةٌ من حُفر النار) (٤) .

والى هذا اشار أبو العلاء المعري بقوله :-

خُلِـــق الناسُ للبقاءِ فظلـتْ

امةٌ يَحسبُونهــا للنفـــادِ

إنما (٥) يُنقلون من دار اعمـا

لٍ الى دار شقوة أو رشاد (٦)

وكل ما ذكرته القدماء في النفس ذكرته العلماء في الروح والجأهم الحال في ذلك الى أن قالوا : هما اسمان موضوعان على مسمى واحد ، هو : مدبر بدن الانسان (٧) ، وذلك بالاستقراء مـن حديث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم (٨) ، وذهب قوم : [الى] (٩) انهما متغايران (١٠) ، وقالوا الانسان ذو روح ونفس ،

١- غافر آية ٤٦ .

٢- ساقطة من جـ.

٣- في جـ قال النبي صلى الله عليه وسلم...

٤- سنن الترمذي ٤/٥٥ .

٥- في الاصل وانما .

٦- الديوان ٣/٩٧٩ .

٧- ذكر الرازي ان النفس والروح قد يراد بها جوهر النفس او قد يراد غير ذلك راجع النفس والروح ص ٧٨ .

٨- لم تفرق الأحاديث بين النفس والروح بل استعملتا مترادفتين.

٩- الزيادة من جـ.

١٠- إن بعض المتكلمين فرقوا بين النفس والروح ، راجع مقالات الاسلاميين ص ٣٣٣-٣٣٧.

فالروح جسم لطيف تنبث في البدن به يحس ويتحرك ، ويلتذ ، ويألم ، ويضعف ، ويقوى ، ويصلح ، ويفسد ، والنفس جوهر بسيط عالى الرتبة بعيد عن (١) الفساد منزه عن الاستحالة ، فالانسان بالنفس ما هو انسان لا بالروح ، وانما هو بالروح حي (٢) فقط ، ولو كان انساناً بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق فان له روحاً وليس له نفس ، وقالوا: الروح تغني عن النفس في جنس الحيوان الذي لم يكمل فيكون انساناً، ولا تغني النفس عن الروح في الانسان، فان الروح كالآلة للنفس تدبرها بواسطة (٣) ، وليس ذلك لعجز النفس (٤) ، ولكن لعجز ما ينفذ فيه التدبير [وقال ابن عباس في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس هي التي بها العقل والتمييز ، والروح هو الذي به النفس ، والتحرك ، فاذا نام العبد قبض نفسه ولم تقبض روحه ، واذا مات قبض نفسه وروحه] (٥) .

وقالوا: للنفس ثلاث قوى (٦) : قوة نباتية ، ويشترك فيها النبات والحيوان ، وقوة حيوانية ويشترك فيها الحيوان والانسان ، وقوة /٦و إنسانية وهي خاصة بالانسان ، وبعضهم يسمي هذه القوى ، ويقول: النفس كجنس انقسم الى ثلاثة أنواع (٧) ، أو كعين تفجرت منها ثلاثة ينابيع ، أو كشجرة تفرعت منها ثلاثة أغصان أو كرجل يعمل ثلاثة صنائع ، فالنفس النباتية محلها الكبد ، ومنه مبدأ

١- في ب . ج من .

٢- راجع الامتاع والمؤانسة ١/١١٤.

٣- في ب بوساطة .

٤- في جـ الانسان.

٥- الزيادة من ب .

٦- راجع احوال النفس ص ٥٧، وكذلك رسائل ابن سينا ص ١١٥.

٧- راجع النجاة ص ١٥٨.

النشوء والنمو، ولهذا جعلت فيه عروق دقاق غير ضوارب ينفذ فيها الغذاء الى الأطراف ، وقوى النفس الحيوانية ، محلها القلب ، ومنه مبدأ الحرارة الغريزية ، ولهذا فتحت منه عروق ضوارب الى الدماغ ليصعد اليه من حرارته ما يعدل مافيه من برودة ، ويترك فيه من اثاره ما يدبر به الحركة والحس وقوى النفس الانسانية محلها تصريفاً وتدبيراً الدماغ ، ومنه يبدأ الفكر والتعبير عن الفكر ولهذا فتحت له أبواب الحواس مما يلي هذا العالم ، وأبواب المشاعر مما يلي ذلك العالم ، فالحواس خمس وهي : السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس ، والمشاعر خمس ، وهي : الحس المشترك وهي(1) قوة مرتبة في مقدم الدماغ من شأنها قبول ما حصل في الحواس من المحسوسات.

والخيال : وهو قوة مرتبة في آخر التجويف المقدم من الدماغ من شأنها حفظ ما قبله (2) الحس المشترك من الحواس ، وتبقى فيها بعد غيبة المحسوسات(3) فهي خزانته (4) .

والفكر : وهو قوة مرتبة في التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها ان تركب الصور والمعاني بعضها من بعض بحسب الاختيار.

والوهم : وهو قوة مرتبة في آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها أن تحكم في الصور المحسوسة بمعان غير محسوسة ، كادراك الشاة معنى في الذئب فتنفر منه ومعنى في النوع فتنفر اليه.

والحفظ : وهو قوة مرتبة في التجويف المؤخر (5) من الدماغ من شأنها حفظ المعاني المدركة بالوهم ، واسترجاعها عند النسيان، ونسبة الحافظة الى

١- في ب و هو .
٢- في جـ قبلها.
٣- راجع النجاة ص ١٦٢.
٤- في الاصل خزانتها.
٥- ساقطة من جـ .

الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك ، الا أن تلك في الصور ، وهذه في المعاني (١) .

وأما **العقل** : (فقال (٢)) : العقل أشرف من النفس لأنه يستخلفها ولهذا / ٦٦ظ كان اشراقه الطف ، ومنافعه في اشراقه أشرق ، وحدده :-

(بأنه قوة الهية أبسط من الاسطقسات ، كما أن الاسطقسات أبسط من المركبات وهو خليفة الله ، وهو الفائض الفيض الخالص الذي لا شوب فيه ولا قذى ، وان قيل هو نور في الغاية لم يكن ببعيد) (٣) ، وان قيل اسمه يعبر عن نعته لم يكن بمنكر هذا الحديث ، اذا لحظ في ذروته التي يشرق منها فوق اشراق الشمس واما اذا فحص عن اثاره في حضيضته فانه تميز وتحصيل ، وتصفح ، وحكم ، وتصويب وتخطئة ، واجازة وايجاب واباحة ، واما اذا فحص عن انحائه ، فانحاؤه على قدر ما يقال فلان عاقل ، وفلان اعقل ، وفلان في عقله لوثة ، وفلان ليس بعاقل وهذا الاختلاف بحسب الاختلاف في الألوان ، والصور، والقصر ، والحسن والقبح والاعتدال والانحراف ، وذلك مدروك (٤) بالحس مشهود بالعيان ، واما اذا فحص عن صنيعه فهو الحكم في قبول الشيء ورده ، وتحسينه ، وتقبيحه) (٥) وحقه وباطله وذلك ان الأشياء اما أن تكون حسيّة أو عقلية ، أو مركبة منهما ، أو متولدة عنهما ، وتكون اما صحيحة، واما فاسدة ، أو حقاً أو باطلاً ،

١- راجع النجاة ص ١٦٣.

٢- في ب ، جـ فقالوا.

٣- في ب سعيد .

٤- في ب ، جـ مدرك.

٥- راجع الامتاع والمؤانسة ١/١١٦-١١٨.

فالعقل يتصفح هذه كلها بنوره ويحكم لها وعليها بحكمه ، ويعطي كلا منها الذي حقه وتسميته التي [1] هي له (ويقال : الانسان بين طبيعةٍ هي عليه وبين نفس هي له كالمنتهب المتوزع ، فإن استمد من العقل نوره وشعاعه ، قوي ما هو له من النفس ، وضعف ماهو عليه من الطبيعة ، وان لم يستمد قوي ما هو عليه من الطبيعة وضعف ماهو من النفس) [2] .

وقال أصحاب الكلام في الطبيعيات في الانسان قوة عالمية [3] نظرية من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة [4] ، ثم لها نسب الى هذه الصورة [5] وذلك أن الشيء الذي من شأنه أن يقبل شيئاً (قد يكون بالقوة [6] ، وقد يكون بالقوة والفعل) [7] ، والقوة تنقسم الى ثلاثة أوجه :

قوة هُيولانية وهي الاستعداد المطلق من غير/٧و فعلٍ ما ، وهو الاستعداد الأول الذي للفعل الساذج ، وبه يهتدي الى الثدي اذا خرج من الرحم ، ويبكي اذا جاع .

وقوة ممكنة وهو استعداد فعل ما كقوة الطفل على الكتابة بعد ما يعلم بسائط الحروف.

وقوة ملكة (وهي قوة لهذا الاستعداد اذا تم بالآلة) [8]

١- في الاصل الذي .
٢- الامتاع والمؤانسة ١٤٦/١.
٣- قسم الفلاسفة النفس الى قسمين النظرية وهي التي ذكرها ، والاخرى العملية وهي القوة التي باعتبارها يستعد جوهر النفس لتدبير هذا البدن. راجع النفس والروح ص ٧٧.
٤- راجع النجاة ص ١٦٥- ١٦٦ .
٥- في جـ الصور .
٦- في جـ بالقوة قابلا.
٧- العبارة في النجاة : (قد يكون بالقوة قابلا له ، وقد يكون بالفعل، والقوة تنقسم ...).
٨- ساقطة من ب .

فالقوة النظرية قد تكون نسبتها الى الصور تشبه الاستعداد المطلق وتسمى عقلاً هُيولانياً ، واذا حصلت فيها المعقولات الاول [1] التي تتوصل[2] الى المعقولات الثنائية تسمى عقلاً بالفعل ، واذا حصلت فيها المعقولات الثانية المكتسبة وصارت مخزونة بالفعل ، متى شاء طالعها ، فإن كانت حاضرة عنده بالفعل سمي عقلاً مستفاداً ، وان كانت مخزونة بالقوة سمي عقلاً بالملكة ، وها هنا ينتهي النوع الانساني ، وعنده يتشبه [3] بالمبادىء الاول ويصير عالماً عقلياً بما فيه من العقل الشديد الاستعداد الذي لا يحتاج الى أن يتصل بالعقل الفعال ، فيصرف كل شيء من نفسه ، لا تقليداً ، اما دفعة في زمان واحد ، واما دفعات في أزمنة شتى ، وهي القوة القدسية التي تناسب روح القدس ، وادناها الولاية ، واعلاها النبوة .

واختلف في مسكنه فذهب جالينوس من الحكماء ، وأبو حنيفة من العلماء الى أن مسكنه الدماغ ، واحتجوا (بأن العقل أشرف القوى فوجب أن يكون مكانه أشرف ، وأشرف الأمكنة اعلاها فتعين أن (يكون مكان العقل الدماغ وهو بمنزلة الملك العظيم الذي يسكن القصر العالي المشرف ، وايضاً أن) [4] الحواس محيطة [5] بالرأس كأنها خدم الدماغ، واقفة حوله على مراتبها ، وأيضاً ان محل الرأس من الجسد ، محل السماء من العالم ، وكما أن السماء محل الروحانيات فكذلك الدماغ فوجب أن يكون مستكن [6]) [العقل] [7] وقد اعتبر اختلاط العقل

١- المقصود بالمعقولات الاولى : المقدمات التي يقع بها التصديق لا باكتساب ، راجع النجاة ص ١٦٦.

٢- في جـ يتوصل بها.

٣- في الاصل تشبه.

٤- ساقطة من جـ .

٥- في جـ محيط .

٦- راجع النفس والروح ص ٦٥-٦٦.

٧- الزيادة من ب ، جـ.

إنما يكون بما يطرأ على الدماغ من مرض أو عرض ، وذهب [الجمهور] [١] الى أن مسكنه القلب وعلى ذلك تضافر الكتاب ، والسنة والمعقول .

أما الكتاب : فقوله تعالى (إن في ذلك لَذكرى لمن كان له قلبٌ) [٢] /٧ظ (له قلب) [٣] أي : عقل فعبر عن الحال بمحله ، وقال تعالى [٤] (أفلمْ يَسيروا في الأرضِ فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها) [٥] .

أما السنة : فقوله عليه السلام [٦] : (إنَّ في ابنِ آدمَ لَمضغَةٌ اذا صَلُحتْ صَلُح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب) [٧] وصلاحه يكون بزيادة ما فيه من العقل الهادي الى الخير ، وفساده يكون بنقصانه الحاوي [٨] على الشر.

وأما المعقول : فإن العقل لما كان شريفاً وجب أن يكون مكانه أشرف الاعضاء وأشرف الاعضاء القلب ، لأنه الرئيس الاعظم ، لو أنه أول عضو يخلق من الانسان ولما كان الأهم في الخلق كان الأشرف في الاعضاء ولأن [٩] محله من البدن في الوسط ، والاعضاء محيطة به فكان كالملك حوله جنوده واشياعه وعبيده .

١- الزيادة من ب ، جـ.

٢- ق آية ٣٧.

٣- ساقطة من ب .

٤- ساقطة من ب ، جـ.

٥- الحج آية ٤٦.

٦- في ب صلى الله عليه وسلم.

٧- صحيح البخاري ٣٥/١.

٨- في جـ الهادي.

٩- في جـ ولين.

القول فيما امتاز به الانسان من التخليق والتركيب

ونجعل الكلام فيه : بان الاحتلام ، أعني يبتديء في الصبى اذا بلغ اسبوعين (١) من السنين ، وفي هذا السن تنبت عانته (٢) ، ويخشن صوته ، وتتغير رائحة (٣) عرقه (٤) وتنفلق أرنبته من طرف الروثة (٥) ، وهذه علامات البلوغ ، وكذلك النساء يطمثن اذا [مر] (٦) عليهن هذا السن، ويرتفع ثديهن ، وتتغير أصواتهن (٧)، ومتى طمثت الصبية هاجت الى الجماع ، وتتلذذ بذكره من غير فعل ، وبعض الذكور لا يحتلم ، وكذلك بعض النساء لا تطمث (٨).

ومنها أن المني لا يوافق الولادة الا بعد مضي ثلاثة اسابيع (٩) سنيناً وهذا المعتاد ، وقد رأيت أن ولداً للمقتدر (١٠) حملت منه جارية وهو ابن احدى عشرة سنة ، [وفي صحيح البخاري : (ان المغيرة بن سعيد قال احتلمت وأنا ابن اثنتي عشرة سنة وفيه أيضاً عن ان الحسن ابن صالح (١١) قال ادركت جارةً لنا جدة وهي ابنة (١٢) إحدى

١- المقصود اذا بلغ عمره أربع عشرة سنة.
٢- في ب ، جـ ينبت شعر عانته.
٣- في جـ ريح.
٤- في ب رائحة عرقه ويحتلم .
٥- في الاصل الروبه ، والروثة مقدم الأنف ، راجع اللسان مادة روث.
٦- الزيادة من ب ، جـ.
٧- في ب اصواتهن هذا الغالب والمعهود .
٨- في ب ، جـ في النساء من لا يطمث .
٩- اي ان الذكر يصبح قادراً على الاخصاب متى ما بلغ وعموم البلوغ لا يتجاوز الثامنة عشرة.
١٠- في الاصل ولد المقتدر.
١١- الحسن بن صالح بن حي، وكان فقيهاً ومجتهداً متكلماً ، وكان من زعماء البترية من اليزيدية راجع الفهرست ص ٢٢٧.
١٢- اي صارت جدة وهي ابنة احدى وعشرين.

وعشرين سنة (١)) ، وكان بين عمرو بن العاص وبين ولده عبدالله اثنتا عشرة سنة] (٢) واذا جامع الرجل المرأة ، وبقي المني في رحمها ستة ايام ، ولم يقع فذلك دليل على الحمل فاذا تم الحمل لا يكون خروج الدم طبيعياً (٣) بل يرجع الى الناحية العليا الى الثديين فيستحيل لبناً عند قرب الولادة.

ومنها أن الرجل يستفرغ ولد امرأتين لانه يولد له وهو ابن تسعين سنة (٤) ، والمرأة لا تلد بعد الخمسين الا نادراً ، ولا تحيض ، الا ما حكي أن موسى بن عبدالله بن حسين حملت به أمه وهي بنت ستين سنة (٥) [وكان بين موسى بن عبده المريدي وبين أخيه ثمانين سنة] (٦) ومنها / ٨و أن المرأة تفرط في السمن فتكون عاقراً ، والرجل يكون فلا يطرأ عليه ذلك ، والمرأة تهيج في الصيف والرجل في الشتاء.

ومنها أن المرأة اذا حملت أحست بما في بطنها، ولا سيما في نواحي الحالبين فاذا كان الحمل ذكراً فالحس يكون من الناحية اليمنى(٧) ، يوجد (٨) بعد أربعين (٩) يوماً (واذا كان انثى فإنه يكون في الناحية اليسرى بعد تسعين يوماً في) (١٠) الغالب .

١- صحيح البخاري ٨/٤.

٢- الزيادة من ب ، جـ.

٣- في جـ طباعيا.

٤- راجع عيون الاخبار ٦٧/٢.

٥- في ب احدى وستين ، في جـ ثلاث وستين.

٦- الزيادة من جـ .

٧- في جـ اليسرى.

٨- ساقطة من جـ.

٩- في جـ تسعين.

١٠- ساقطة من جـ.

ومنها أنه أكثر الحيوانات شهوة للجماع ، وأقدرها عليه ، وان ضرب المثل في ذلك بالعصفور ، فإن العصفور يسفد (١) في فصل مخصوص وزمان معلوم والانسان يقدر على ما يقدر عليه العصفور في كل حين لا سيما اذا توفرت الدواعي من الغلمة والجمال والشبيبة ، والرفاهية ، وأحد ما يكون الغلام أشبق والــح ، وأحرص عند أول بلوغه ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر أو آفة تعرض له ، والجارية لا تزال من وقت ادراكها وحركة شهوتها على شيء واحد من ضعف الارادة حتى تكتهل فاذا اكتهلت قوي عليها سلطان الحرص والشهوة (٢) للباه فيكون هيجانها عند سكون هيجان الكهل (٣) ، وادبار شهوته.

ومنها أن حد الولادة في الناس مختلف بخلاف سائر الحيوانات (٤) فإن مدد حمل الحيوان في كل نوع على حد سواء من الكثرة والقلة الا النساء ، فإن منهن من تلد لستة أشهر وعلى هذا حمل قوله تعالى : (وحَمْلُهُ وفِصَالُه ثلاثونَ شهــراً) (٥) ، وبذلك أفتى علي (٦) عليه السلام في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت امرأة ولدت لستة أشهر ، فأراد عمر أن يرجمها فكف (٧) عنها ، ومنهن من تلد لسبعة أشهر (٨) (يقال ان الشعبي(٩) ولد لهذا العدد) (١٠) ، ومنهن من

١- في جـ اسفد .
٢- جـ كالشهوة.
٣- في جـ الكل.
٤- في الحيوان.
٥- الاحقاف آية (١٥) .
٦- راجع الرازي ١٥/٢٨ وقد ذكر ان الحادثة كانت في مجلس عثمان (رض) .
٧- في ب وكف .
٨- ساقطة من جـ .
٩- عامر بن شراحيل بن عبد ، وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ت ١٠٦هـ ، راجع تاريخ بغداد ٢٢٧/١٢ ، وثابت ١٢/٣.
١٠- ساقطة من ب .

تلد لثمانية أشهر ، وقلما يعيش لعلة ذكرها المنجمون (١) على زعمهم ليس هذا موضع ذكرها [وهذه المدد المختلفة، [و] (٢) قد ذكر أصحاب التواريخ جماعة ولدوا فيها ، فأما من ولد لثمانية أشهر فعيسى عليه السلام ، والشعبي ولد لسبعة أشهر ، وكذلك جرير الشاعر وعبدالملك بن مروان ولد لستة أشهر] (٣) ، ومنهن من تنقضي مدة الحمل التي هي (٤) تسعة أشهر وتستأنف مدة أخرى ، ولا تيأس من الولد كما حكي أن هرم بن حيان (٥) حملت به أمه أربع سنين ، ولذلك سمي هرماً وان امرأة لابن عجلان (٦) ولدت له بعد أن حملت خمس سنين ، وحملت مرة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت غلاماً وكانت /.٨ظ تسمى حامل الفيل (٧) ، وروى(٨) أن الضحاك بن مزاحم (٩) حملت به أمه ستة عشر شهراً ، وولد شعبة لسنتين ، ومالك بن انس (رضي الله عنه (١٠)) لثلاث سنين ، وخرج من بطن امه،

١- ذكر المنجمون أن الجنين ان بقي في الرحم عاد في الشهر الثامن الى تدبير زحل البارد اليابس راجع خلق الجنين ص ٣٩.

٢- الزيادة ضرورية لاكمال السياق.

٣- الزيادة من ب ، جـ.

٤- ساقطة من جـ.

٥- هرم بن حيان العبدي من بني قيس ، احد التابعين ، وكان ناسكاً وهو أحد القواد في ايام عمر (رض) وعثمان (رض) ت بعد ٢٦ هـ ، راجع طبقات ابن سعد ٩٥/٧ ، اسد الغابة ٣٩١/٥.

٦- محمد بن عجلان مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة.

٧- في خلق الجنين ص ٣٤ وردت العبارة (ولدت ثلاثة بطون كل بطن أربع سنين فكانت تسمى حاملة الفيل).

٨- في ب و قد روى.

٩- الضحاك بن مزاحم البلخي ت ١٠٥ هـ.

١٠- ساقطة من ب ، جـ.

وقد بدت (١) اضراسه ، وسمع (٢) نساء الحجاز من ولد عمر (٣) بن الخطاب يقلن ما حملت امرأة منا اقل من ثلاثين شهراً ، وولدت بنت أبي عبيدة محمد بن حسن على رأس أربـــع (٤) سنين .

ومنها أن النساء وان اختلفن في مدة الحمل ، وبين سائر الحيوانات في ذلك فقد يشتركن معها في أن تلد المرأة فذاً (٥) وتوأمين ، وربما ولدت ثلاثة أو أربعة وخمسة(٥) [قال البخاري : بنو راشد السلمي أربعة ولدوا في بطن واحد ، عامتهم محدثون ، وكان شريك (٦) لهذا الاعجوبة يقول : اذا مات الرجل وله حمل وأرادوا أن يقسموا الميراث عزلوا نصيب أربعة ذكور لما شاهد من بني راشدة](٧)، والمرأة اذا وضعت توأمين ، وكان أحدهما ذكراً فقلما يسلمان (٨) .

ومنها أن المرأة تحتمل الجماع بعد الحمل بخلاف سائر الحيوانات وربما علقت ، وهي اذا علقت بعد زمان يمضي عليها بالذي حملت به أولاً لا يتم ويهلك الأول والثاني ، فان علقت بعد الحمل بزمان يسير يسلمان كلاهمـــا وهمـــا التوأمـــان(٩) ، وحكى أرسطو في كتاب الحيوان : ان امرأة ولدت لتسعة أشهر ثم

١- في ب نبتت .

٢- اي الذي ينقل عنه المؤلف .

٣- في ب ، ج زيد .

٤- في ج اربعين .

٥- فذا : اي واحدا.

٦- شريك بن عبدالله النخعي وكان عالماً بالحديث وقاضياً عادلاً (ت١٧٧هـ) ، تاريخ بغداد ٢٧٩/٩، وفيات ٤٦٩/٢ .

٧- الزيادة من ب ، جـ.

٨- طباع الحيوان ص ٤٧٢.

٩- طباع الحيوان ٤٧٣ .

ولدت بعد ذلك بشهرين فعاش الثاني وهلك الأول (١).

ومنها أنه قد يولد لذوي العاهات ما يشبههم من الأولاد، فيولد للأعرج أعرج وللأعمى أعمى(٢) ، وربما كانت العاهة في ولد الولد وكذلك في اللون.

ومنها أن جميع الحيوانات التي لها أربعة أرجل يكون ولده (٣) في الرحم ممتداً منبسطاً ما خلا ولد الانسان فإنه يكون قاعداً القرفصاء شبه المتفكر وأنفه بين ركبتيه واذناه خارجتان (٤) عنه (٥) ويداه عليهما، وهو يتنفس في خلاء ووجهه الى الصلب لتحدّر الطعام على صلبه (٦) ولا يتأذى به.

ومنها أن يتقدم الجنين عند خروجه ماء ، وذلك عند انقلاب الرحم والمشيمة ومتى لم تربط سرته لساعة وقوع المشيمة ، وسال منها دم قبل أن يجمد هلك (٧) .

ومنها أن المولود اذا نعر لساعته (٨) واومئ بيده الى فيه ، وطلب الثدي ويلازمه السهر أربعين يوماً ، ويقال ان ذلك من وحشة يجدها لفراق وطنه الذي كان فيه وهو الرحم ، وما أحسن قول علي بن العباس بن جريح الرومي (٩) وقد

١- في طباع الحيوان (وعرض لامرأة أخرى ان تلد ولداً ابن سبعة أشهر ، وبعده وضعت اثنين ابني تسعة أشهر فعاش أحدهما وهلك الآخران) ص ٤٧٣ .

٢- طباع الحيوان ص ٤٧٥ .

٣- في جـ ولدها .

٤- في طباع الحيوان (وانف هذا الحيوان يكون بين الركبتين ، والعينان على الركبتين والاذنان خارجاً منها) ص ٤٧٨ .

٥- في ب عنهما .

٦- في جـ على خلاف.

٧- راجع طباع الحيوان ٤٨. .

٨- في ب لساعته نعر ، نعر : صاح

٩- ابو الحسن علي بن جريح شاعر مشهور (ت ٢٧٦ هـ) تأريخ بغداد ٢٣/١٢ ، وفيات ٣٥٨/٣ .

ذكر هذه الحالة ، وما الحكم فيها :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها

يكون بكاء الطفل ساعة يوضع [1] /٩و

والا فما يبكيه منها وانها

لأفسَحُ [2] مما كان فيه وأوسعُ [3]

اذا عاين [4] الدنيا استهل كأنه

بما سوف يلقى من اذاها يفزعُ [5]

وقد ورد أن ذلك من طعن الشيطان له في خاصرته.

ومنها أنه اذا خرج من الرحم يخرج مقبوض الكف ، ويقول أصحاب الاشارات أن ذلك دليل [6] حرصه على الدنيا ، واذا مات فتح كفه ، يشير بذلك اني مع حرصي عليها خرجت منها بلا شيء ، وقد نظم هذا بعض الفقهاء [7] فقال :

١- في ربيع الأبرار: يولد.

٢- في ربيع الأبرار: الأوسع.

٣- في ربيع الأبرار: وارغد.

٤- في ربيع الأبرار: ابصر.

٥- في ربيع الأبرار: يهدد ٧٣/١ .

٦- في ب دليل على .

٧- في الأصل الفهما.

وفي قبض كف الطفـــــــل عند وُلادهِ

دليلٌ على الحرص المُوكَلِ بالحــــــي(1)

وفي بَسطِها عند المماتِ اشــــــارة

ألا فـانظروني(2) قد خرجـــت بلا شيء

ومنها أنه قد يولد مختوناً وتسميه العرب ختان القمر، ويزعمون أن السبب في ذلك ، ولادة أمه له في مكان صاح للقمر لا يستره سقف ولا جدار .

قال امرؤ القيس يهجو قيصر ملك الروم :-

إني حلَفتُ يميننـــــــا غيرَ كاذبةٍ

لأنت اقلف الا مـــا جنى القمـــــر

اذا طَعنْتَ بـــــــه مالتْ عِمامتــــــه

كمـــا تجمع تحت الفكـة الوتــــر (3)

وقد ولد جماعة من الأنبياء (صلوات الله عليهم) (4) كذلك منهم سيد البشر الشفيع المشفع في المحشر(الذي ختم به النبيين واعلا درجته في عليين) (5) محمد المبعوث الى الأحمر والأسود (6) صلى الله عليه صلاة دائمة يوم نبعث ونحشر(7) .

1- في الأصل ما يحى.

2- في الأصل الا فانظروها.

3- الديوان ص ٢٨٠.

4- ساقطة من ب ، جـ.

5- ساقطة من ب ، جـ.

6- في ب ، جـ الاسود والاحمر.

7- في جـ يبعث وينشر.

ومنه أنه حين يولد تكون عينيه زرقاء (١) ثم يتغير الى اللون الـــذي شأنه أن يوجد (٢) له ، ولا يوجد ذلك شيء من الحيوان ، وهو في طفولته يحلم (٣) ولهذا نرى(٤) (حين ينتبه) (٥) أما مذعوراً يبكي وأما مسروراً يضحك والانسان وحده يولد، ولا أسنان له لقلة الأرضية فيه، فاذا كبر صلبت مواده، وصلحت لمادة الاسنان ، وجميع عظامه تتقوم من الكون الأول سوى الاسنان /٩ظ فإنها تتجدد مرتين في العمر (٦) مرة في الشهر السابع وما بعده، ومرة في العام السابع وما بعده .

والذي يختص بالصورة أمور منها :-

إن اللّه تعالى ميزه على سائر الحيوانات بأن خلقه في أحسن تقويم فجعله منتصب القامة عريض الظفر (٧) معرى البشرة (٨) عن الوبر، وجعل عقله في دماغه ، وصرامته في قلبه ، وغضبه في كبده ، وسروره في كليته وضحكه في طحاله ، ورعبه في رئته ، وفرحه في وجهه (٩) .

ومنها أن جعل الحلاوة في عينيه، والجمال في أنفه ، والصباحة في وجهه والوضاءة في نشرته ، والملاحة في فمه ، والظرف (١٠) في لسانه ، والحسن في شعره والرشاقة في قده واللباقة في شمائله .

١- في ب ، جـ (حين يولد أزرق العينين) .
٢- في ب ، جـ يؤهل.
٣- في جـ تحتلم.
٤- في ب ، جـ تجده.
٥- ساقطة من ب ، جـ.
٦- في جـ في العمر مرتين.
٧- في ب الصدر.
٨- في ب من.
٩- راجع عيون الأخبار ٦٢/٢.
١٠- في الأصل الطرب.

ومنها أن جعل لعينيه أهداباً عليا وسفلى بخلاف سائر الحيوانات (١) فإن ذوات الأربع لها أهداب(٢) لأجفانها العليا دون السفلى ، وليس لعيون الجناح أهداب البتة.

ومنها أن ميّز أنفه بالشم والقنا (٣) وجعله مثلث الشكل مستطيلاً مبرأً من الفطس والخنس.

ومنها النطق الذي لولاه كان صورة ممثلة أو بهيمة مهملة ، وهو فصيح وان عبر عن نفسه باللفظ والخط ، والعقد ، والاشارة.

ومنها ما في يده من المنافع فإنه ، لما كان محتاجاً الى الخياطة والكتابة وسائر الصنائع العملية قسمت الأصابع ، وقسمت الاصابع الى الأنامل ، وهو وان شاركه الحيوان في حاستها المدركة للملاسة ، والخشونة ، واللين ، واليبس ، والحرارة ، والبرودة فقد امتاز عنه بأن اضيف اليه معرفة الثقل (٤) والخفة ، وكذا ان شاركه الهر والقرد (٥) في اجهاز ما يأكلانه الى الفم فليس فيها (٦) من المرافق ماله ، فإنه اذا بسط كفه كان طبقاً ، وان قعّره كان مغرفة ، وان ضم الكفين بعضهما الى بعض في التقعير(٧) كان قبعاً وان ضم اصابعه كانت له سلاحاً يقاتل به عدوه.

وقال بعض الباحثين (٨) عن خلائق الانسان انه جمع فيه جميع(٩) ما تفرق

١- في ب الحيوان .
٢- في ب ، جـ فإن لذوات الأربع الأهداب .
٣- هو ارتفاع في اعلاه بين القصبة والمارن.
٤- في اصل النقل.
٥- في ب ، جـ والقرد والهر.
٦- في ب ، جـ فليس لهما فيها .
٧- في ب وان ضم الكفين في التقصير بعضهما .
٨- نسب التوحيدي هذا القول الى أبي سليمان (محمد بن طاهر المنطقي) راجع الامتاع والمؤانسة ٢ /٤٣.
٩- في ب ، جـ كلما .

في الحيوان (١) ثم زاد عليها (٢) / ١٠و ثلاث خصال بالعقل للنظر في الأمور النافعة لتجلب (٣) والضارة لتتجنب، وبالمنطق لإبراز ما استفاد من العقل بواسطة النظر ، وباليدين لإقامة (٤) الصناعات وابراز الصور فيها مماثلة لما في الطبيعة من قوة (٥) النفس ولما انتظم له هذا كله جمع الحيل للطلب والهرب ، والمكايدة والحذر ، وهذا بدل من السرعة والخفة (٦) التي في الحيوان، واتخذ بيده السلاح مكان الناب والمخلب والقرن ، واتخذ الجنن لتكون رقابة له من الآفات مكان الشعر والوبر.

وقال الجاحظ : وهم يجعلون كل انسان وطائر [اذا] (٧) أربع ، فجناحا الطائر يداه ويدا الانسان جناحاه) (٨) ، ولهذا كان كف الطائر في رجله وكف الانسان في يده ، ولما كانت يد الانسان جناحه (٩) صار اذا عدا يحركهما ، ومتى(١٠) قطعتا لم يجد العدو كما ، لو قطعت رجلا الطائر لم يجد الطيران ، وفي الناس من اذا فقد يديه عمل برجليه كل ما كان يعمل بيديه لو كانتا له ، وركب ذوات الأربع في يديها ، وركب الانسان في رجليه ، وفي الناس من يعمل بيساره ما يعمل بيمينه ، ويسمى أعسر يسر، وبهم من يقصر(١١) بيمينه عما يعمل بيساره (١٢) ، ويسمى الاعسر(١٣) ، واذا كان أعسر

١- في ب في جميع الحيوان .
٢- في ب ، جـ زاد عليها وفصلها بثلاث.
٣- في ب لتجتلب .
٤- في الأصل قامات .
٥- في جـ بقوة.
٦- في جـ الخفة والسرعة .
٧- الزيادة من ب ، جـ .
٨- النص في الحيوان ٥/٢٢١.
٩- في جـ جناحيه.
١٠- في ب واذا.
١١- في جـ ومنهم من تقصر.
١٢- في جـ يساره .
١٣- في جـ اعسر.

مصمتـــاً فليس سوى (١) الخلق.

ومنها أنه ليس في الحيوان ماله ثدي في صورة غير الفيل والانسان (٢) لكن هما في الفيل بين (٣) الحالبين ، والصدر، وربما حنى الرجل على الطفل فدرت له ثدياه وكذلك المرأة العاقر.

ومنها أن سائر الحيوان الناحية العليا منه أنبل من الناحية السفلى خلا الانسان ، فإنه بالعكس اذا كان حدثاً ، واذا أسن كان على التساوي وهذه علة اختلاف سيره وحركته ، وكذلك رجلاه أكبر من يديه ، وليس كذلك ذوات الأربع من ذوي البراثن والحوافر ، فإن أيديها أكبر من أرجلها .

ومنها أن المرأة اذا غرقت رسبت ، فاذا انتفخت طفت منقلبة على وجهها (٤) والرجل بخلاف ذلك ، واذا ضربت (٥) عنقه لا تتحرك له جثة بخلاف سائر الحيوان اذا ذبح واذا وقعت جثته في الماء بعد بينونة الرأس عنها لم ترسب ، وبقيت قائمة في الماء ، ولم تظهر أكان الماء جارياً أو راكداً ، فاذا جاف وانتفخ انقلب وظهر بدنه كله.

ومنها أن كل أخرس أصم حكمة من الله تعالى (٦) ، ولطفاً اذ لو سمع الكلام ولم يجب مات حسرة ، وأصحاب الكلام في الطبائع يقولون : ان الخرس طارئ عن الصمم ، وانما كان ذلك لأنه حين لم يسمع صوتاً قط مؤلفاً ، أو غير مؤلف لم يعرف كيفيته ، فيقصد اليه ويحكيه.

ومنها أن (٧) في طبع الانسان ، أنه متى انهزم نزل عن جواده ليحضر(٨)

١- في جـ يسوى .
٢- في جـ غير الانسان والفيل.
٣- في ب ، جـ بين .
٤- عيون الأخبار ٦٣/٢.
٥- في جـ ضرب .
٦- ساقطة من ب ، جـ.
٧- في ب أنه.
٨- الحضر: الاسراع .

ببدنه لأنه يظن أن احضاره أنجى له ، وأنه اذا كان راكباً على ظهر فرسه كان أقرب الى الهلاك (١) .

ومنها أن في الناس من يحرك فروة رأسه ومنهم من يحرك اذنه من بين اعضائه، وربما حرك احداهما (٢) وترك الأخرى ساكنة (٣) ، ومنهم من يبكي اذا شاء من غير سبب محدث للبكاء ، ومنهم من يبكي بإحدى عينيه ، وبالتي يقترحُها المنعت له (٤) .

ومنها أنه متى خصي صلب عظمه ، وعظمت رجلاه ، وساوى الصبي في الأمن (٥) من الصلع ، وغيره من الحيوان اذا خصي دق عظمه واسترخى لحمه ، ومتى خصي الانسان في أي سنٍ كان ، حفظ عليه الخصاء حال تلك السن من الأفعال السياسية والطبيعية مدة حياته فمتى خصي قبل العشر سنين لم يتغير دمه عن دم الطفولية ويبقى فيه مزاج الصبي لابثاً لا يتحرك ، وان تعالت سنه ، والدليل على ذلك أنه اذا غضب بكى ، واذا غلب سطى ، ويرضيه الخداع أكثر مما يرضيه الحق ويعرض له الشر (٦) عند حضور الطعام ، والبخل عليه والشح الغالب في كل شيء [وكل] (٧) ذلك من أخلاق الصبيان ، ومن خصي وهو في النحو لا يؤثر الخصاء (٨) في مزاجه وذلك بعد ثماني عشرة سنة (٩) ولم تسقط لحيته لكنه يعدم الشهوة اما كلها أو بعضها ، ويسلم له جميع ما للفحول ، وهو مع الخصاء(١٠) يحتلم ويرى الماء الا أنه غير دافق ، وليس له رائحة الطلع ، ويجامع

١- راجع الحيوان ٦/٣٧٦.
٢- في جـ اعضاهما .
٣- الحيوان ٦/٤٦٦.
٤- الحيوان ٦/٤٦٦ .
٥- في الأصل الأمر .
٦- في الأصل العزة .
٧- الزيادة من جـ .
٨- في الأصل الخصى .
٩- في الأصل ثمانية عشر سنة .
١٠- في الأصل الخصى .

النساء كثيراً دائماً لكنه ينزل بعد /١١و الجهد الشديد ماء يسيراً متغير الريح (١) ، وقال الجاحظ : الخصي تقوى شهوته ، وتسخن معدته وتتسع فقحته ، وتنتن جلدتــه ، وتتجرد شعرته ، وتكثر دمعته (٢) ، ويخرج من أكثر معاني الفحول وصفاتهم ، فصار كالبغل الذي ليس بحمار ، ولا فرس ، وتصير اخلاقه مقسومة على طبائع (٣) الذكر والانثى ، وربما لم يخلص له خلق ، ولم يصف بل يصير مركباً ممزوجاً مذبذباً لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ، ومن العجب خروجه عن شطر طباع الذكورة الى شطر طباع الانوثة ، ولا يعرف له التخنيث ، وكان ينبغي أن يكون في الخصيان عاماً.

القول في السبب الموجب لتغاير أخلاق الانسان

قد تقرر بالاختبار الباحث عن الانسان وطرائق ما فيه ، وبه (٤) ان أحواله مختلفة لسبب أن كل مايدور عليه ويجوز عليه مقابل بالضد أو شبهه كالحياة والموت والنوم واليقظة ، والحسن والقبح والصواب والخطأ ، والخير والشر، والرجاء والخوف والعدل والجور ، والشجاعة والجبن ، والسخاء والبخل ، والحلم والسفه(٥) [والرضا والغضب] (٦) الى غير ذلك مما يطول تعداده ، ويكثر ترداده ، وما ذاك

١- في ب الرائحة .

٢- النص في الحيوان (اذا قطعت خصيته ، قوت شهوته ، وسخنت معدته ، ولانت جلدته وانجردت شعرته ، واتسعت فقحته ، وكثرت دمعته) ١٠٧/١ .

٣- في جـ طباع.

٤- في ب ، جـ به و فيه .

٥- النص في الامتاع والمؤانسة ١٤٩/١ .

٦- الزيادة من ب ، جـ .

الا ليظهر امتيازه على سائر الحيوانات [1] فإنها لم يوجد منها شيء يزول عن خاصيته، ولا يتعداها الى خلافها لأن الأسد لا يوجد جباناً ، ولا الأرنب جريئاً ولا الغزال بطيئاً ولا الدب سريعاً وقد يوجد الانسان جريئاً كالأسد ، جباناً كالأرنب سريعاً كالغزال ، بطيئاً كالدب ، خبيثاً كالثعلب ، سليماً كالفيل ، ذليلاً كالكلب ، عزيزاً كالفهد ، وحشياً كالنمر، أنيساً كالحمار ، ويقال الانسان صفو الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوان كدر النوع الذي هو الانسان ، فالانسان [2] هو الشخص الذي هو واحد من النوع ، وما كان صفواً وخلاصة بهذا النظر فيه من كل ضرب من الحيوان خلق أو خلقان ، أو أكثر ، فظهر بذلك عليه ويظن أيضاً فيه بالأقل والأكثر ، والاغلب والأضعف كالكمون [3] الذي في طبائع الخنزير [4] والفأرة /١١ظ والبيات [5] الذي في طباع الذئب والتحرز الذي في طبائع الجاموس[6] من بنات الليل ، والتقدم الذي في طباع الفيل أمام قطيعه تمثلاً بصاحب المقدمة ، والحذر الذي في طباع الخنزير ، والكمن[7] تمثلاً بصاحب الساقة ، وكأوية الطير الى أوكارها ، وغيرها من الدغل والاعشاب والغياض التي تراها (كالمعاقل ولما وهب الانسان الروية واعين بالفكر) [8] ، ورفد بالعقل جمع هذه الخصال وما هو أكثر منها لنفسه ، وفي نفسه بما خصصه به خالقه وميزه حين أظهره للوجود وأبرزه [قال الشاعر] [9] :

١- في ب الحيوان .

٢- في ب كالكمس ، في جـ كالكمين .

٣- في الامتاع والمؤانسة : السبع .

٤- في ب والثبات .

٥- في جـ والكمين .

٦- ساقطة من جـ .

٧- راجع الامتاع والمؤانسة

٨- الزيادة من ب ، البيت لأبي نؤاس ، الديوان ٢١٨.

٩- في ب مشتمل .

وليس على اللـــــــــــــــهِ بمُسْتَنكرٍ

أنْ يَجْمَعَ العالمَ في واحـــــــــــــدٍ

وبهذه المزية فضل جميع الحيوانات حتى بلغ منها مراده بالتسخير والاعمال[١] واستخراج المنافع منها وادراك الحاجات بها وهذه المزية استفادها بالعقل لإن العقل ينبوع العلم والطبيعة ينبوع الصناعات ، والفكر بينهما مستمد[٢] منها فصواب بديهة الفكر من سلامة العقل وصواب روية الفكر [٣] من صحة الطباع وصحة الطباع من موافقة المزاج بالبدن [٤] الاتفاقي والاتفاق الغيبي[٥] . واصحاب الكلام في تهذيب الاخلاق يرون أن اختلاف الأخلاق في الانسان كائن عن اختلاف قوى النفس الناطقة فإنهم يسمون القوة التي محلها الدماغ النفس الانسانية وعنها تصدر الافعال الملكية [٦] والقوة التي محلها القلب ، النفس الغضبية وعنها تصدر الأفعال الشيطانية ، والقوة التي محلها الكبد النفس الشهوانية وعنها تصدر الافعال البهيمية ، ولا يخلو أن تقوى كلها حتى تبدو افعالها متكافئة من غير مطاوعة منها لغيرها وتكون [٧] كعدة اقوام ترافقوا [٨] ولهم أغراض بعددهم ليس للواحد منهم على الباقين رئاسة ، فهم مترافقون متعاضدون حتى تسلم لهم الحياة في سبيلهم ، ويتم لكل واحد منهم ادراك غرضه، واذا كانت كذلك كانت نفوس الملوك الجبابرة والساسة القاهرة /١٣ظ لما فيها من علو الهمة التي هي خاصة بالنفس الانسانية ، ولما فيها من التغلب والاعتصام[٩]

١- في جـ الاعتمال .

٢- في ب مشتمل .

٣- في ب العقل .

٤- في الامتاع والمؤانسة بالمدد .

٥- راجع الامتاع والمؤانسة ١/١٤٥.

٦- في المالية .

٧- في جـ فيكون .

٨- في جـ والاهتضام .

٩- في ب الشهوانية .

ومنع الجانب ، وانتهاك الحرمة ، وذلك خاص بالنفس الغضبية ، ولما فيها من الحرص والطمع والنشوة والاستئثار بالأموال من غير اعتقاد كفاية أو وقوف عند غاية ، وذلك خاص بالنفس الشهوية (١) واما ان تضعف النفوس الثلاث ضعفاً متكافئاً حتى لا تصل واحدة الي حقها الا أنها في هذا لا يقال لها سقيمة ومن كانت هذه حال أنفسهم كانوا اسقاط الناس ورعاعهم وأهل الضعف والسكينة، ومن لا يوجد لهم (٢) تقدم في معاشه ولا تدبير في نفسه ولا يأخذ نفسه بدقيق الصنائع ولا بمعالي الأمور ، ولا يلتمس قوته الا عند نوع قليل الفكر كثير النوم لا تسوؤه اللأواء (٣) ولا تسره النعماء ، واما ان تقوى النفس الانسانية ، وترأس (٤) الغضبية والشهوية مع سلامتها ، ولزومهما الحال الافضل ومن كانت نفوسهم كذلك كانوا حكماء الناس وفلاسفتهم ، والمعلمين الحكمة (٥) فإن كانتا ضعيفتين مسامتين ليستا على المجرى الطبيعي، ومن كانت هذه حال أنفسهم كانوا عباداً زهاداً ، خائفين لله عز وجل ، هينين لينين أو ظباء (٦) الاخلاق قليلي الشهوة للمآكل والمشارب ، والمناكح زاهدين في المكاسب والتجارات (٧) محبين لله تعالى(٨) راغبين فيما عنده منقطعين اليه ، وذلك أنهم لما بطل تعلق النفس الغضبية والنفس الشهوانية ظفرت النفس الانسانية بنفسها فاشتاقت الى عالمها ، وزهدت فيما سواه ، واما سقم (٩) الثالثة فتبطل افعالها ولا يوجد لشيء منها المجرى

١- في ب الشهوانية .
٢- في جـ له .
٣- اللأواء : الشدة .
٤- في الأصل ورأس وما أثبتناه من ب ، جـ .
٥- في جـ للحكمة .
٦- ربما يقصد بها الاستقرار والثبوت من المواظبة .
٧- في جـ والمتاجر.
٨- ساقطة من جـ .
٩- في جـ تقسم .

الطبيعـي فيكـون من ذلك البلّه والمعتوهــون (١) ، ومن لا يحصل من أمر دينه ولا مأكله ولا مشربه شيئاً البتة حتى أنه يوجد هؤلاء من لا يلتمس قوته ، ومنهم من يثب على الناس ، ومنهم من يخاف الناس ، ومنهم من فيه مداراة للناس (٢) وخبث، واما أن تقوى(٣) الغضبية وتملك الاثنين وتستولى (٤) عليهما مع سلامة فيها وهذه نفوس المحاربين وأهل النجدة والاقدام والبطش والمنافسة /١٢ظ والتغلب لإن تدبير النفس الانسانية كله هو فيما كان فيه لذة النفس الغضبية [وأما أن تقوى النفس الغضبية مع سقم الاثنين وخروجها عن الحالة (٥) الطبيعية (٦) فتكون هذه نفوس السراق وقطاع الطريق ، وأهل الدعارة وقتلة النفوس (٧) ، والصابرين على العقوبات فهده الطبقة تستلذ أن تؤذي من لا يؤذيها، وترى ذلك مغنماً ، قاسين القلوب على نفوسهم فضلاً على [من] (٨) سواهم ، واما أن تقوى الشهوانية وتملك(٩) الاثنين مع سلامة منهما ، فإن هذه نفوس التجار وكسبة الأموال ، واهل الثراء ، واما أن تقوى وتستقيم (١٠) الاثنتان ، ويبطل فعلهما الا انهما ليستا بسقيمتين البتة ، فتكون هذه النفوس نفوس الملاحين والنقلة والرعاع وكل من تعبه لشبع بطنه ، وقد تقوي نفسان وتسقم (١١) واحدة او تسقم (١٢) نفسان وتقوى واحدة ولهذا ضرب من التركيب لا يخفى على من له ذهن [وفكر] (١٣) .

١- ساقطة من ب ، جـ .

٢- في الأصل القول .

٣- في الأصل وتقول .

٤- في جـ وخروجهما عن الحال .

٥- في جـ وخروجهما عن الحال .

٦- الزيادة من ب، جـ .

٧- في جـ الانفس .

٨- الزيادة من جـ .

٩- في ب وتهلك .

١٠- في الأصل تسقيم .

١١- في جـ ونقسم .

١٢- جـ و تقسم .

١٣- الزيادة من ب .

فصـــــــــل : -

وها هنا أمثلة ضربت لذي العقل الرزين[1] ليتبوأ منهـا معقل الـرشد الحصين ، قربت فيها الحكماء بعد الأرب ، وجعلتها [2] فارقة في الاختلاف [3] بين الضارب والضرب.

ومنها انهم مثلوا النفس الانسانية بالملك المستولي ، وافضل أحواله أن يكـون عالما [4] عادلاً ليناً مهيباً مطاعاً [5] قوياً من غير غلطة ، رؤوفاً من غير مهانة والنفس الغضبية مثال جنده الذين يسدون ثغوره ويقهرون اعداءه ، ويقومون رعيته ، وينفذون امره وافضل احوالها أن تكون عزيزة الجانب في نفسهم سهلة الانقياد لسلطانها المستخدم لها [6] ، والنفس الشهوانية مثال رعيته الذين يجب أن تكون عريكتهم لينـة مواتيـة ورهبتهم منـه ، ومـن جنده ثابتـة [7] مستحكمة فمتى أخذت هذه القوى مأخذهـا ، وتعادلت في [8] أوزانها وأقسامهـا كان الانسان كاملاً وان زال عن ذلك نقص ، وكـان نقصانـه بمقدار زوالـه ، والنفس الانسانيـة ، لا تسلم مـن معارضاتهـا الا أن تكـون صارمـة قويـة أبيـة ، فإنهـا اذا كملت شدتهـا واستحكمت قوتهـا ثبتت لمقابلة [9] العدوين اللذين[10]

١- في ب ، جـ الرصين .

٢- فـي ب الاخـلاق .

٣- ساقطـة من جـ .

٤- فـي جـ مطلعـا .

٥- ساقطـة مـن ب .

٦- فـي ب تامـة .

٧- ساقطـة مـن ب .

٨- في جـ كمقابلـة .

٩- فـي جـ الـذين .

١٠- في الاصل اذا .

معهـا[1] ، اذ [2] قيل ويل للقوي بين [3] الضعيفين [4] ، فـامـا ان كـانـت ٣/و ضعيفة بين قويين فهناك تجتمع المعايب والمثالب وترتفع المحاسن والمناقب .

ومنـها أن البدن كالمدينة ، والنفس الانسانية كالملك ، والحواس الباطنة والظاهرة كالجنود ، والاعضاء كالرعية ، والغضب والشهوة كعدوين ينازعانه الملك ويسعيان في هلاك رعيته، فإن قصد الملك قهرها استقامت مملكته وصارت الى العاقبة رعيته [5] وان لم ينازعهما ، وضيّع الحزم اختلت مملكته وصارت عاقبة أمره الى الهلاك [6] .

ومنها أنهم قالوا : مثل النفس الانسانية مثل الفارس ركب لأجل الصيد فشهوته فرسه وغضبه كلبه ، فمتى كان الفارس حاذقاً، وفرسه مرتاضاً ، وكلبه معلماً كان جديراً بالنجح ، ومتى كان الفرس جموحاً والكلب عقوراً ، ولا فرسه تنبعث تحته على حسب ارادته ، ولا كلبه يسترسل باشارته ، فهو خليق بالعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب [7] .

ومنـهـا أن البدن كبيت فيه انسان وسبع ، وخنزير ، فالانسان النفس الانسانية ، والسبع الغضب ، والخنزير الشهوة ، فأي الثلاثة غلب فالمسكن له فيجب أن تكون هاتان النفسان تحت سلطان النفس الانسانية فيجريهما مجرى المركب الذي يركبه عند الحاجة بسرج يذلله وشكيمة تحنكه ، وحنان يلينه وسوط يخيفه فاذا نزل عنه الزمه الشكال والرباط لئلا يجد على حال من الأحوال شيئاً الى أن يشرد [8] فيهلك نفسه ويجني على صاحبه ، والقول الحق أن الخلق مشتق

١- ساقطة من جـ .
٢- في الاصل صعفين .
٣-الزيادة من ب ، جـ .
٤- المثال ورد في التنفس والروح ص ٨١ .
٥- المثال رد في النفس والروح ص ٨١ - ٨٢ .
٦- في جـ .
٧- ساقطة من جـ .
٨- ساقطة من جـ .

من الخلق وكما لا سبيل الى تبديل الخلق كذلك لاقدرة على تحويل الخلق ولكن[١] لا مندوحة على الاستبصار، وقمع التلون بعزائم الاستبصار حتى يصير المحمود من الأخلاق بحتاً والموصوف لا يشتغل بالأرزاء به وقتاً ولو لم يكن ذلك ممكناً لما وضعت الحكماء الكتب في الحض على تهذيب الأخلاق واصلاحها، وليس ذلك بالعبث فيها بل لمنفعة عظيمة موجودة ظاهرة ، مثاله أن الحبشي يتدلك بالماء والغسول لا ليستفيد بياضاً ، ولكن ليستفيد نقاء شبيهاً بالبياض والنفس/١٣ظ الانسانية اذا ساست القوتين اعني « الغضبية والشهوية » ، فحذفت زوائدهما [٢] ونقت [٣] فواضلهما ووفت نواقصهما، وذيلت قوالصهما [٤] أعني اذا رأت غلمة [٥] في الشهوة [٦] أخمدت نارها، واذا وجدت السرف في الغضبية قصرت عنائها فحينئذ يقومان على الصراط المستقيم فيعود السفه حلماً ، أو تحالماً ، والحسد غبطةً ، أو تغابطاً ، والغضب كظماً أو تكاظماً، وصرفت [٧] هذه الكوامن في هذه المكامن اذا سارت سورتها، وثارت ثورتها على مناهج الصواب تارة بالعظمة واللطف ، وتارة بالزجر والعنف ، وتارة بالأنفة وكبر النفس وتارة باشعار الحذر وتارة بعلو الهمة، وهناك يصير العفو عند القادر الذ من الانتقام ، والعفاف عند الهائج أحلى من قضاء الوطر ، والقناعة عند المحتاج أشرف من الاسفاف [٨] ، والصداقة عند الموتور [٩] آثر من العداوة والمرارة عند المحفظ أطيب من الممارأة على أن الأمرين بالتخلق والتطبع غير منكرين.

١- ساقطة من جـ
٢- في ب روافدهما .
٣- في الاصل وبقيت .
٤- في جـ ذبلت قوالعهما
٥- في الاصل قلة .
٦- في جـ الشهوية .
٧- في الاصل الاشراف ، في ب الاسعاف ، في جـ الانفاق .
٨- في الاصل المواتر والاصح الموتور وفي ب ، جـ كذلك .
٩- الامتاع والمؤانسة ١/١٥٢.

إن الاخلاق تابعة لمزاج البدن في الأصل يقال : ان الخلق من الخلق ، والولد شبيه بوالده (١) لكنهم لما رأوا (٢) كل ما يمكن (٣) أن يقال فيه للانسان (٤) لا تفعل هذا أو أقلل منه وكف عنه كما يقال لبصير سدد طرفك ، واكحل عينيك وقــر(٥) ناظرك ، وكذا (٦) يقال للطويل تكامن في هذا الزقاق حتى تدخل، وتقاصر حتى تصل لمرور به ، وحرضوه عليه لوجود الأمكان ، وعدم العجز عن وطئ الجسر في إمتثال الأمر ، ولا كان الحال هذه ، فرقوا ما تقدم التمثيل به في الاستطاعة وبين تكليف مالا في الوسع ، وهذا (٧) ان يقال للأعمى لم لا تكون (٨) بصيراً وللطويل لم لاتكون (٩) قصيراً ، فان الأول من باب الخلق الذي مكن أن ينتقل ، والثاني من باب الخلق الذي لا يمكن أن يتبدل ، والامكان مخلوق في المكلف ، ولولا هذا لما قال تبارك (١٠) وتعالى : (ونفسٍ وما سواها فألهَمها فُجورها وتَقواها) (١١) ثم قال :(قد أفلَحَ من زكّاها وقد خابَ من دسّاها) (١٢) فلو لم يكن ممكناً لما لاح الفلاح ليحضه بالحرص على تزكية النفس والاجتهاد في ازالة لبس الدين وقد قالوا /١٤و نفائس الاخلاق وخسائسها تكون بحسب التمايز (١٣) والغرائز فإن

١- الامتاع والمؤانسة ١/١٥٢.
٢- في الأصل رواها.
٣- في الأصل ممكن .
٤- في الأصل الانسان .
٥- في جـ وقل .
٦- في جـ فكذا .
٧- في جـ وهو .
٨- في جـ تكن .
٩- في جـ تكن .
١٠- ساقطة من ب ، جـ .
١١- الشمس آية ٧ .
١٢- الشمس آية ٩ .
١٣- في باب البحائر .

كرمت أواصره فمحمول على الخير الا ان تغلب النفس هواها فيشوب (١) من اخلاقها بالمذموم ، ومن لُومّت عناصره مطبوع على الشر الا ان تحدث (٢) بقواهـــا(٣) فيمتزج المذموم من أخلاقها بالمحمود ، لكن لا يدومان ، فإن الطبع أملك للنفس التي هي محله وعلة تضاد (٤) اخلاق الكريم ان نفسه الانسانية ربما ضجت أو اهتضمت فتبعثها أنفتها من العار على المكافأة والانتصار ، كما قال الجاهلي(٥) :

الا لاَيجْهَلَن أحـــــد علينـــــــــــــا

فَنجهل فوق جهلِ الجاهلينـــــــــــــا

[وقال اعرابي :-

انا الصَابُ (٦) ان (شورست) (٧) يوما وانني

جَنى النخل ان سُومحت يومـــا لاكلي

بسيط يد بالعـــــرف والنكـــــران اقل

بوعد وايعادٍ اقل قـــول فاعلـــي] (٨)

(صَؤُول على الضعــــــفِ المُنِيخِ ومُمسك

غرامي عن الواهـي القوي المضللِ) (٩)

١- في جـ فتشوب .
٢- في جـ تجدب .
٣- في جـ هواها .
٤- في جـ فضاد .
٥- البيت لعمرو بن كلثوم ، راجع شرح القصائد الطوال ص ٤٢٦ .
٦- وهو عصارة شجر مر .
٧- هكذا وردت هذه الكلمة .
٨- الزيادة من ب ، جـ .
٩- ساقطة من جـ .

وكما قال *البحتري* :-

متى اخرجـــــــــــــت ذا كَرمٍ

اليك ببعض اخـــــــلاق اللئيـــــم (١)

وكما قال *أبو تمام* :-

اخرجتموه بكـــــــــــره عن سَجِيَته

والنار قد تنقضي من ناصر السلـــــم (٢)

[ومن كلام الحكماء كن من الكريم حذراً ان أهنته ، ومن اللئيم ان أكرمته ومن العاقل ان أحرجته ، ومن الأحمق ان مازحته ، ومن الفاجر إن عاشرته ، وقد تطرف بعض المتأخرين في قوله :

تَكرّمت لا طبعاً وجدت تكلفـــــــــــا

فقـــام خطيب في البريـــــــــة يخطبُ

فلما اتاك الناس من كل جانـــــــب

منعتهم بالطبـــــــــعِ والطبعُ اغلبُ] (٣)

وعلة ذلك (٤) في اللئيم انه ربما كان له صديق يصفي له الود وهو لا يعبأ به جرياً على سجيته ، فاذا الم (٥) وتكلف من التودد ما لا في وسعه فيعجز ، ويقصر ولهذا قال القائل في ذلك :-

هيهات لا تتكَلَفنَّ في الهـــــــــوى

فَضحَ التطبع شيِمـــــةَ المطبـــــوعِ

١- الديوان ٢٠٧٩/٤ .
٢- الديوان ١٨٩/٣ .
٣- الزيادة من ب ، جـ .
٤- في ب ، جـ وعلة التطبع في اللئيم .
٥- في جـ لثم .

والسابق الى هذا القول زهير بن أبي سلمى حيث قال :-

ومن يبتدع ما ليس مـــــن حَتمِ نفسه

يدعه ويغلبـــــــه على النفسِ حَتْمُهـــا

وقد أبان بعض المتكلمين في الأخلاق السبب (١) في تباينها واختلافها، وتغلب بعضها على بعض فقال المخلوقات على ثلاثة أقسام:-

١- اما كامل لا تتطرق اليه النقصانات ، وهم أصحاب العالم العلوي (أجسادهم السماوات وأرواحهم الملائكة، ونفوسهم الكواكب) (٢) .

٢- واما ناقص لا تتطرق اليه الكمالات وهو الحيوان والمعادن والنبات (٣) .

٣- بقي من التقسيم قسم وهم الذين يكونون كاملين مرة ، وناقصين أخرى فاذا صاروا في الكمال كانوا جالسين مع الملائكة في حضرة رب العالمين معتكفين على بابه مواظبين على ذكره متوكلين على رحمته ، واما اذا صاروا /١٤ظ في النقصان ومقام الغضب والشهوة ، اما في الغضب فتارة يكون كالكلب العقور ، والجمل الصؤول ، وتارة كالنار المحرقة ، والمياه المغرقة وأما في الشهوة فتارة يكون كخنزير أجيعَ ثم أُرسل الى النجاسات ، وتارة كالذباب يدب على القاذورات فهو مع كونه شخصاً واحداً ، يصدق عليه أنه ملكي نوراني بالفضائل ، وشيطاني ظلماني بالرذائل (٤) ، وقالت الأطباء تباين أخلاق الانسان عن اختلاف

١- في الأصل النسب .

٢- ساقطة من جـ .

٣- في جـ الحيوانات والنبات والمعدن .

٤- راجع النفس والروح ص ١١ .

الطبائع (١) فيه فإن الحرارة اذا غلبت على مزاج القلب يكون شجاعاً سريع الحركة والغضب (٢) قليل الحقد ، ذكي الخاطر حسن الاخلاق ، واذا غلبت عليه البرودة يكون بليداً غليظ الطبع ثقيل الروح ، واذا غلبت عليه الرطوبة يكون لين الجانب سمح النفس كثير الانسان ، واذا غلب (٣) عليه اليبس (٤) يكون صبوراً ثابت الرأي ، صعب الانقياد والمراس ، يضبط ويحقد ، ويمسك ، ويبخل ، وقد لمح بعض (٥) الشعراء فقال:

تَحَمَّل أخــــــاك على ما بـــــه
والا فما فيــــــــه مستمتعُ
وأنى لــــــه خلــــق واحــــد
وفيه طبائعـــــه الأربـــــع

[وعلى اثر ذكر الطبائع سئل جالينوس عن الانسان فقال سراج ضعيف بين أربع رياح ، يريد البروج والطبائع الأربع] (٦) .

وقال آخرون إنما اختلفت أخلاق الانسان عن اختلاف الطينة التي خلق منها ، لانها كانت (٧) مجموعة من طيب الأرض وخبيثها وسهلها وحزنها ، وأحمرها وأسودها وقد أشار بعض الشعراء الى ذلك بقوله :

والنـــاس كالأرض ومنهـــا هم
واثمد يجعـــل في الاعيـــنِ

١- ساقطة من ب ، جـ .
٢- في جـ الغضب والحركة .
٣- في ب الاحوال ، في جـ الحال .
٤- في جـ علبت .
٥- في ب ، جـ اليبوسة .
٦- الزيادة من ب .
٧- ساقطة من جـ .

ومن (١) تشتكي الرجل منــــــه الاذى

من خشن قاس ومـــــــــــــن لَيِّنِ

ومن أحسن ما يقال من القول الذي يفي بحق الانسان في التكريم وتعلية درجة التعظيم : ان الله تعالى(٢) ركب فيه الضدين بدليل قوله تعالى (وهديناه النجدين) (٣) وهما على بعض الأقوال خلقـــان مختلفان (٤) ، اختلاف المطعم والمــاء(٥) ، يصدر احدهما حالة الافاقة ، والآخر حالة الاغماء والى هذا أشار الشاعر بقوله هذا:

تَمر على المرءِ أيـــــــامُ محنتهِ (٦)

حتى يرى حَسنا ما ليس بالحسنِ /١٥و

فهذا عذب فرات صلح لاحياء ما هو من الفضائل في عداد المرات ، وهذا ملح اجاج قطع عبابــه مــا نهج للمدح مـــن المسالك ، والفجاج ، ولمــا اقتضت الحكمة الالهية جبلـه علــى ذلك جعــل بــازاء كـل مذموم مــن الملائـم محمـوداً من المكــارم لتغشى الظلمة بالنور فبصيرته في خير المستور فتغلبه بعض هذه الاخلاق على بعض ، في الانسان تعلو فيعلو ، أو تنقص فيرخص ، فإن علا استحق (قول الشاعر) (٧) :

١- في ب مرق في جـ مـــرد .

٢- ساقطـــــة مــــن جـ .

٣- البلـــد آيـــــة ١٠.

٤- في الاصل خلقين مختلفين .

٥- فـــي جـ المطعم في الماء .

٦- فـــي جـ غفلتـــــه .

٧- ساقطـــة مــــن ب .

يا كاملَ الآداب منفــــــــــــرد العُلا

والمكرمات ويا كبـــير (١) الحاســـدِ

شخصُ الامـــام كمـــالك فاستعـــذ

من شـــــر أعينهــــم بعيب واحـــد

وقول (٢) الآخر :

قد قلت حـــــين تكاملــت وغدت

اخلاقـــــه زيناً بـــلا شيـــــن

ما كان أحوج ذا الكمــــــال الى

عيب يوقيه مـــــــــن العيــن

وان نقص استحق أن يقال فيه :-

تأنستْ بذميم الفعل طلعتــــــــــه

تأنسَ المقلة الرمــــــداء بالظلـم

القول في معنى تسميتهم الانسان بالعالم الصغير فذلك من وجوه :-

منها أن الله تعالى أوجدَ المخلوقات خمسة ضروب الجماد والنبات والحيوان والشيطان ، والملك ، وكلها مجموعة في الانسان فهو جماد حيث يكون نطفة ولا حركة فيه ولا حس (٣) وهو نبات حيث ينمو (٤) ويغتذي ، وهو حيوان يلد ويألم(٥)

١- في ب ، جـ يا كبير .
٢- في جـ أو قول الآخر .
٣- اعتبر الحيوان المنوي جماداً وهذا غير صحيح لأن له جميع صفات الحيوان.
٤- في ب يبني.
٥- في ب يبني .

وهو شيطان حيث يقوى ويضل ، وهو ملك حيث يعرف الله تعالى[1] ويعبده.

ومنها أنه يصور كل شيء بيده ، ويحكي كل صوت بفيه ، ولانه ينهش اللحم كما تنهش السباع ، ويأكل البقول كما تأكله البهائم ، ويقضم الحب كما تقضمه الطير ، ولهذا قالوا لا متفرق لو جمع كان منه انسان الا العالم ، ولا مجتمع لو فرق كان منه العالم الا الانسان (٢) ، فهو انسان بالفعل عالم اكبر بالقوة ، وعالم أكبر بالفعل انسان بالقوة.

ومنها أن الله تعالى خلق المخلوقات في عالم الاجساد على /١٥ظ أربعة أصناف قائم كالاشجار ، وراكع كالبهائم ، وساجد كالحيات ، والحيتان ، وجالس كالجبال فخلق الانسان بحيث يكون تارة قائماً ، وتارة راكعاً ، وتارة ساجداً ، وتارة قاعداً ويقال إنما لقب بالعالم الصغير لأنهم (٣) مثلوا رأسه بالفلك وروحه بالشمس اذ لا قوام للعالم الا بها ، كما لا قوام للجسد (٤) الا بالروح ، وعقله بالقمر لأنه يزيد وينقص ويذهب ويعود ، ومثلوا حواسه ببقية الكواكب السيارة ، وآراؤه بالنجوم الثابتة ودمعه بالمطر ، وصوته بالرعد وضحكه بالبرق ، وظهره بالبر وبطنه بالبحر ولحمه بالأرض وعظامه بالجبال ، وشعره بالنبات واعضاؤه بالاقاليم، وعروقه بالأنهار ، ومغار عروقه بالعيون.

ومنها أن فيه ما يشاكل الجمع (٥) ، والشهور، والأيام ، والسنة ، أما الجمعة فإن بدنه سبعة أجزاء وهم : اللحم ، والعظام ، والاعصاب ، والعروق ، والدم ،

١- ساقطة من ب ، جـ .

٢- ذكر الشهرستاني ان كل ماهو في العالم منتشر ففيه مجتمع ، وكل ماهو فيه من خواص الاجتماع فليس للعالم ، راجع الملل والنحل ١٤٢/٢.

٣- في الأصل لأنه .

٤- في ب بالجسد .

٥- في ب ، جـ الجمعة .

والجلد ، والشعر واما الشهور فإن لبدنه اثنا عشر جزء مدبراً منها ستة باطنة (١) وهي الدماغ والقلب ، والكبد والطحال ، والمعدة ، والانثيان ، وستة ظاهرة وهي العقل والحواس الخمس ، وأما الايام فان فيه ثلاثمائة وستين عظماً منها ما هو لبنية الجسد ، مائتان وخمسة وستون عظماً ، والباقي سمسمانية لسد الفروج التي تكون بين العظام ، فإن فيه أربعة اخلاط طبعها طبع الفصول الأربعة ، فالدم الربيع في حرارته ورطوبته ، والمرة الصفراء كالصيف في حره ويبسه ، والمرة السوداء كالخريف في برده ويبسه والبلغم كالشتاء في برده ورطوبته [وسئل أرسطو طاليس : فما تقول في البلغم ؟ قال الملك الأكبر إن فتحت عليه باباً، فتح باباً ، قيل فما تقول في الدم ؟ قال عبدك وبيدك ، وربما قتل العبد مولاه ، قيل فما تقول في المرة الصفراء ؟ قال كلب عقور في حديقة ، قيل فما تقول في المرة السوداء ؟ قال هيهات تلك الأرض اذا ماجت ماج عليها] (٢) [وقال جالينوس : البلغم في الجسد كالسبع الذي لا يضرب شيئاً الا قتله ، وان منه السودان ، كاللص اذا دخل الدار عمد الى خير شيء فيه فسرقه، يغلب على القلب والدماغ فيفسدهما ، والدم كعبد السوء ربما قتل سيده فدواؤه اخراجه لأن التصفية لا تنفع فيه ، والصفراء يرضيه اليسير ، ويصلحه القليل فهي تهيج بالثمرة وتعمقها شربة باردة] (٣) وهذه الاخلاط من أول مزاج الأركان التي هي العناصر الأربعة ، وهي النار، والهواء ، والماء ، والأرض ، ومزاجها تقابلها

١- في ب ، جـ ستة منها .

٢- الزيادة من ب ، جـ .

٣- الزيادة من جـ .

وازدواج (١) بعضها ببعض ، ومن هذه الأركان يبتدئ التركيب ، واليها ينتهي التحليل وهي (٢) على الجملة ، فالانسان وعاء القوى وظرف المعاني وطينة /١٦و الصور ومعدن الاثار، وهدف الاعراض ، ولكل (٣) شيء فيه نصيب ، ومن كل شيء عنده حلية وله الى كل شيء مسلك ، وبينه وبين كل شيء نسبة ومشاكلة ، وهو جملة اشياء لا تنفصل ، وتفصيل حقائق لا تتصل ، وهو لب العالم بين (٤) المتوسط بين العالمين وله نزاع الى الطرفين الى ما حط عنه بالتشوف الى الكمال ، والى ما يعلو عنده بالتنزه عن النقصان ، وهو تابع للغالب ، ومنجذب مع الجاذب ، وفاعل فيما علا عليه ، وقبل اثره ، وقابل مما انحط عنه وسرى اليه اثره [والله اعلم بالصواب] (٥) .

١- في ب فازدواج .

٢- ساقطة من جـ .

٣- في جـ فكل .

٤- ساقطة من جـ .

٥- الزيادة من ب .

الباب الثاني

في ذكر طبائع ذي الناب والظفر

قال ابن أبي الأشعث : الحيوان السبعي أرضي ناري (١) ، وانما قيل له ارضي ناري لما فيه من العدو والخفة والافتراس ، وأكل الدم واللحم الحي ، وجميع ذلك بطبعه الناري ، وانما قيل له الأرضي (٢) لأن اليبس فيه مفرط لغلبة يبس الأرض على حر النـــار ، وحر النار مساعد غير معاند فلهذا هو أشد الحيوان واجرؤه ، وهو قوي الصلب شديد الختل (٣) عاسي (٤) الجسم شرس الاخلاق لا يألف كل نوع من ابناء نوعه لشراسته (٥) واستئثاره هو نفسه (٦) ، ولا يتزوج ، ولا تربي الذكور أولادها لقساوة قلوبها، وان وجدت جراها أكلتها، ولنجعل أول ما نذكر من هذا النوع (٧) .

١- في الأصل ناري ارضي وهو خطأ ، حيث يذكر بعد ذلك انه انما قيل له ارضي ناري ، وكذلك ورد في كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث ص ٤٧٩ .

٢- في ب ، جـ أرضي.

٣- في جـ الحيل .

٤- في جـ على والعاسي الصلب .

٥- في الحيوان لشراهته.

٦- في جـ بفرسيته.

٧- النص في الحيوان لابن ابي الأشعث الا أن فيه بعض التغيير ص ٤٧٩ .

القول في طباع [1] الأسد

وإنما بدأنا به أولاً لأنه أشرف هذا النوع لأن منزلته في منزلة الملك المهيب[2] لقوته، وشجاعته، وقساوته، وجهامة خلقه، وشراسة خُلُقه، والذي يعرفه الناس منه صنفان أحدهما مستدير الجثة، والآخر طويلها كثير الشعر، وعدّ أرسطو في هذا النوع ضروباً [3] كثيرة، وحكى[4] عن بعض من تكلم في طبائع الحيوان قبله أن في أرض الهند سبعاً سماه باليونانية في عظم الأسد وخلقته [5]، ما خلا وجهه فانه شبيه بوجه الانسان ولونه شديد الحمرة، وذنبه شبيه بذنب العقرب، وفي طرفه جُمّة وله صوت يشبه الزمارة [6] وهو قوي /١٦ظ يأكل لحوم الناس وذكر أن من السباع مايكون في عظم الثور وفي خلقته، له قرون سود طولها في قدر شبر [7] الا أنه لايحرك الفك الأعلى كما يحركه الثور[8]، ولرجليه أظلاف مشقوقة، قصير الذنب بالنسبة الى نوعه، ويحفر بخرطومه، وينسف [9] التراب، واذا جرح هرب، واذا ضعف رمح برجليه [10]، ورمي برجعيه على بعد، فأما السبع الذي صدق فيه الخبر فان أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون: إن اللبوة لاتضع الا جرواً واحداً [11] وتضعه بضعة لحم ليس فيها حس ولا حركة، فتحرسه من

١- في جـ طبائع .
٢- في باب المهاب .
٣- راجع طباع الحيوان ص ٤٤٩ وما بعدها .
٤- في ب فحكى، في جـ حكي .
٥- في ب، جـ وفي خلقتنه .
٦- في ب الرقارة .
٧- في جـ الشبر .
٨- ربما كان الخطأ في الترجمة أو النقل، حيث انه لم يذكر ذلك اثناء كلامه عن الثور وان العبارة التي ذكرت في معرض المقارنة عبارة قلقة، راجع طباع الحيوان ص ٤٥٠ .
٩- في الأصل يشق، في جـ يشتق .
١٠- طباع الحيوان ص ٤٥٠ .
١١- الامتاع والمؤانسة ١/١٧٩.

غير حضان ثلاثة ايام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ في تلك البضعة المرة بعد المرة حتى تتحرك ، وتتنفس فتتفرج [1] الأعضاء ، وتتشكل الصورة ثم تأتي أمه فترضعه ، ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة ايام من تخليقه ، وهي مادامت ترضع لا يقربها الذكر البتة ، فاذا مضت على الجرو ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب ، وطارد الذكر الانثى، فان كانت صارفة أمكنته من نفسها ، وان لم تكن دفعته ومنعته ، وبقيت مع شبلها بقية الحول وستة أشهر من الثاني ، وحينئذ تألف الذكر وتمكنه من نفسها ، وللأسد بعدُ: الوثبة واللصوق بالأرض والاسراع في الحضر اذا هرب ، والصبر على الجوع ، وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من السباع [2] وهو اذا شبع من فريسته تركها ، ولم يعد اليها ولو جهده الجوع ولا يأكلها غيره، واذا أكل يُقيم يومين وليلتين بلا طعام لكثرة امتلائه ويجعر بعد ذلك جعراً [3] يشابه [4] جعر الكلب ، واذا بال رفع إحدى رجليه كالكلب [5] واذا فقد أكله صعب خلقه ، واذا امتلأ بالطعام ، فهو وادع ، وأكل الجيَف أحب اليه من اللحم العريض الغض ، وهو لا يثب على الانسان للعداوة ، ولكن للطعم ، فانه لو مر به وهو شبعان لم /١٧و يتعرض له ، وهو مع ذلك حريص نَهِم ، واسع النحر[6] ينهش ولا يمضغ ، قليل الريق ولهذا يوصف بالبخر ، ولحم الكلب أحب اليه ، ويقال إنما ذلك لخفته عليه فانه اذا أراد الطواف [7] في جنبات

١- في جـ وتتفرج .

٢- في جـ (من السباع وربما سار في طلب القوت ثلاثين فرسخاً ولا يأكل فريسة غيره من السباع وهو اذا ...) .

٣- اليابس من البعر .

٤- في ب ويلقى بعد ذلك شيئاً يابساً مثل جر الكلب .

٥- ساقطة من ب .

٦- في ب ، جـ السحر .

٧- في ب ، جـ التطواف .

القرى الــح [1] الكلب بالنباح عليه والانذار به ، فيرجع خائباً لنهوض الناس عليــه [2] ، فاذا أراد ذلك بدأ بالكلب ليأمن إنذاره، ومن شأنه اذا أكثر من حسو الدم وأكل اللحم ، وحلت نفسه منهما طلب الملح وجعله كالحمض بعد الحلة [3] فهو يطلبه ، ولو كان بينه وبين عريسه خمسون فرسخاً ، ويوصف بالجبن والجرأة ، فمن جبنه أنه يذعر[4] بصوت الديك ، ومن نقر الطشت ، والضرب على الطنبور والحبل الأسود ، والديك الأبيض ، والسنور ، والفأرة ، وقد تكون النار من أسباب اغتراره واغتياله[5] لأنه يعتريه ما يعتري الظباء والوحوش عند رؤيتها النار من الحيرة والعجب بها وادمان النظر اليها ، والفكر بها حتى تشغله عن التحفظ والتيقظ ، ومن جرأته أنه يقدم على المقنب [6] الكبير، والجمع الكثير، والاسد الاسود اكثر جرأة وجهالة وكلبا على الناس ويقال : ان الانثى أجرأ من الذكر، والجاحظ لايعجبه هذا القول ويقول : انما هي انزق [7] ومن عادته اذا عاين أحداً لا يفزع ولا ينهزم ، وان الجئ الى ذلك وأحس بالصيادين تولى ، وهو يمشي مشياً رفيقاً، وهو مع ذلك ملتفت يضمر الخوف ويظهر عدم الاكتراث ، فان [8] تمكن منه الخوف هرب عجلاً حتى يبلغ مكاناً يأمن فيه فاذا علم أنه آمن مشى ميادا ، وان كان في سهل والجئ الى الهرب جرى جرياً شديداً كالكلب ، وان رماه أحد ولم يصبه شد عليه ، فإن أخذه لم يضره وانما يخدشه ، ثم يخليه كأنه من عليه بعد الظفر به ، واذا شم

١- في الأصل راح .
٢- في ب ، جـ اليه .
٣- في جـ الخله .
٤- في جـ يذكر .
٥- في ب اغتياله وانخراره .
٦- المقنب : ما دون المئة من الخيل .
٧- الحيوان ١١٢/١
٨- في ب وان .

رائحة الصيادين عفّا اثره بذنبه وفيه من شدة البطش ما انه يأتل الجمل الهائج فيضرب جنبه /١٧ظ بيده فيثني الجمل عنقه اليه (كأنه يريد عضه) [١] بيساره الى مشعره فيجذبه جذبةً يفصل بها بين دأيات عنقه [٢] ، وان الفاه قائماً وثب عليه ، فاذا هو في ذروة سنامه فعند ذلك يضربه كيف شاء ويتغلب به كيف أحب ومن عجيب [٣] أمره أنه لايألف شيئاً من السباع [لانه] [٤] لايرى فيها ما هو كفؤ له فيصحبه ، ولا يطئ على اثره شيء [٥] منها ، ومتى وضع جلده مع سائر جلودها تساقطت شعورها ، ولا يدنو من المرأة الطامث ، ومتى مس قوائمه لحاء شجر البلوط خدر ولم يتحرك من مكانه واذا غمره الماء جاء الصبي حتى يركب على ظهره، ويقبض على اذنه ، ولا تفارقه الحمى ولذلك الأطباء يسمون الحمى داء الأسد ، وعظامه عاسية [٦] جداً ، وان دُلِكَ بعض عظامه ببعض خرجت منها نار[٧] كما يخرج من الحجارة ، وكذلك في جلده من القوة والصلابة ، ما لم [٨] يعمل فيه السلاح الا من مراق من بطنه ، وليس في الاسود الا وحشياً [٩] ، وقد يطول مثوى الواحد مع الناس حتى يهرم وهو في جميع حالاته صعب شديد العزم[١٠] لاتؤمن شروره إن انفرد من سُوامه وأبصر غيضة [١١] بين يديها

١- ساقطة من جـ .
٢- جمع دأيه وهي فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير .
٣- في الأصل عجب .
٤- الزيادة من جـ .
٥- في الأصل سيئا .
٦- في الأصل جاسية . والعاسية : الصلبة .
٧- في الأصل نارا .
٨- في جـ مالا .
٩- في الأصل الاوحشي .
١٠- في جـ العزام .
١١- الغيضة : الاجمة واغيضة مغيض ماء يجتمع فيه الشجر .

صحراء ، ويبلغ من العمر كثيراً ، وعلامة ذلك أن يصاد فيوجد مهشوم (١) الأسنان وليس ذلك الا من الكبر.

الوصف والتشبيه :-

وصفه أبو زيد الطائي(٢) في حكاية حكاها لعثمان بن عفان رضي اللّه عنه وقد لقيه فقال : (اقبل يَتظالعُ (٣) من بَغيهِ ، ولصدره غَيظ (٤) ، ولبَلاعيمهِ غَطِيط ، ولطَرْفِه وَميض ، ولارساَغهِ نقيض كأنما تخبط هشيماً ، أو يطأ صريما (٥) ، ذا هامةٍ كالمجنّ ، وخدٍ كالمسن ، وعينان سجراوان (٦) كأنهما سراجان ، وقصرة رَبْلَـــة (٧) ، ولهزمة (٨) رهلة (٩) وساعد مجَدّول وعضدٍ مَفْتول ، وكفٍ شثنة (١٠) البراثن ، ومخالب كالَمحاجن وفَم اشدق كالغار الأخرق يفتر عن معاول مصقولة غير مغلولة ، فهجهجنا (١١) به قرقر(١٢) وبربر ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ البرق يتطاير من جفونه عن شماله ويمينه ، فارعشت الأيدي /١٨و واصطكت الأرجل ، وجحظت العيون ، وساءت الظنون ، ولحقت الظهور بالبطون(١٣) . وقد روى آخرون في

١- في جـ مهشوم .
٢- هو حرملة بن المنذر شاعر معمر عده من الشعـــراء المخضرميـــن ، راجـع الاغانـــي (دار الكتب ١٢٧/١٢).
٣- يتظالع : يتمايل .
٤- الغيظ : الزفير .
٥- الصريم ما قطع من الشجر .
٦- العينان اذا خالط بياضهما احمراراً.
٧- ربلة : السمينة .
٨- في الأصل هزمة ، والهزمة أصل الحنك .
٩- رهلة : منتفخة .
١٠- شثنة : الغليظة .
١١- زجرناه .
١٢- قرر ، بربر : صاح به وفي الاغاني فقرقر .
١٣- الاغاني هناك حذف لبعض الكلمات ١٣٥/١٢-١٣١/ نهاية الارب ٢٣٤/٩ وهي ساقطة من جـ .

حكايته وصفاً آخر ، وكان الوصفان مصنوعين (١) على لسانه ، اذ العرب قلما تسترسل في السجع.

(و هو له عينان حمراوان مثل وهج الشرر كأنما نقرتا (٢) بالمناقرعرض حجر لونه ورد (٣) ، وزئيره رعد ، هامته عظيمة ، وجبهته سقيمة (٤) ، نابه شديد ، وشره عتيد اذا استقبلته قلت أقرع ، وان استدبرته قلت أقرع ، لا يهاب اذا الليل عسعس ، ولا يجبن اذا الصبح تنفس ثم أنشد :-

عَبوُسٌ شَمَوُسٌ مُصْلَخِدٌ (٥) مكابر

جرئ على الاقدام للقرن قاهــــرُ

براثِنه شثن وعيناه في الدجـــــى

كجمر الغَصا في وجهه الشر طائر

يدل بانيـــاب حِــــداد كأنهـــا

اذا قلص الاشداق عنها خناجر (٦)

ومن *التهويلات في الأسد نظما قول القائل :*

اياك لا تَستَوشِ (٧) ليثـــا مخدرا

للهول في غَسَق الدُجـــى دَوّاســا

١- في الأصل كلا الوضعين مصنوعين .
٢- في الأصل تقرب .
٣- في جـ له ورد .
٤- سقيمة : كريهة المنظر .
٥- في الأصل مصلحة ، في جـ مصلنجة ، مصلخد : المنتصب .
٦- الديوان ، ص ٦٥ وهي ساقطة من جـ . النص في نهاية الارب ٢٣٥/٩ .
٧- في الأصل لاتسوس ، تستوش : تستخرج ، وهي ساقطة من جـ .

مَراسا (١) كأمراس القليل جدولـــه

لا يستطيـــع له الانـــام مراســـــا

شثن البراثن لَمحاجــن عطفــت

اظافـــرهُ فتـــخالُها أقواســــا

لاَنَ الحـــديدُ لجــلده ... فإهابــه

يكفــــيه مــن دون الحديـدِ لباســا

مُصطكة أرسَاغـــةُ بعظامـــــهِ

فكأن بــــين فُصولهـــا اجراســـا

واذا نظـــرت الى وميــض جفونــه

أبصرت بيت شُفورهـــا مقباسا (٢)

وقـــال آخر يصفه :

توق وقاك ربُ النـــاس ليثـــــا

حديـــد النـابِ والاظفــــارِ ورِدا

كأنّ بملتقى اللجــــــين منــه

مذربـــــة الاســــنةِ او حـــدا

وتحســــب (٣) لَمْحَ عينيـــه هدوء

ورجـــع زئيره برقـــاً ورعـدا /١٨ظ

١- في جـ مراسا ، المرس الحبل .

٢- نهاية الارب ٢٣٦/٩ وهي ساقطة من جـ .

٣- في جـ و يحسب .

تهابُ الاســــدُ حيـــن تراه منــه

اذا لاقتـــــــه في الغاب فـــردا

تصيد من الفرائـــس حيـــن يبدو

وكانت قـــبل تأنف أن يصيـــدا (١)

وقـــال الناشيء (٢) يصفه:

رب ذي شبِلـــــين قســـــــورة

قد أجـــمّ الحـــينُ في اجمـــــه

لا يرى (٣) حيا يطيف بـــه

لا ولا يدنـــو الى حرمـــــــــه

كمجن الحـــــرب هامتـــــــــه

وكغفـــور النـــار غور فمـــــــه

وكجـــــدل الجـــذع قصرتـــه

وكَهضِيب صعب (٤) ملتزمـــــــه

وتظفـــــــــر القـــد ساعـــده

وتلف رحـــــــب مبتسمـــــــــه

١- نهاية الارب ٢٣٧/٩ ، وهي ساقطة من جـ .

٢- عبدالله بن محمد الناشئ شاعر وعالم بالأدب والدين والمنطق أشعار كثيرة في الطرد ت ٢٩٣ هـ .
تاريخ بغداد ٩٢/١ ، وفيات ٩١/٣ .

٣- في جـ ترى .

٤- في جـ صخر .

(وكوقـــب الشعـــب فعلتــــه

وكلصب (١) شعـــب ملتقمــه) (٢)

ولنـــاب النـــاب مخلبــــه

حيـــن ينجيـــه بمختطمــه

وكــأن المـــوت معتـــرض

بين لحييـــــه وملتثمـــــه

وكأن البـــــرق مـا قدحــت

عينيه باللحظ مـــــن ضرمـه

وكأن الرعـــــــد مـا انتزعت

نفسه بالـــــزأر مـن سدمـه

وكأجناد المخاشـــب (٣) مــــا

بين منبتـــــه الى قممــــه

وكوشك الدهـــر خطفتـــه

حين تلقيـــه على وجهـــه

وكأجـــال تسيـــر الـــى

عمر امضــــاء مغترمـــه

١- اللصب : الشعب الصغير في الجبل .

٢- ساقط من المصايد والمطارد .

٣- في حـ وحاجب الأخاشب .

وكأن السيـــــــف منصلتـــــــا

كرة اذ ذاد عن حرمـــــــــــه

وكأن السهـــــــم منخـــــــرقا

حصـــــره قصـــــدا الى نهمـــــه

أن يكون رزق الــورى قسمـــــــا

فجميع النـــاس من قسمــــــه (١)

وقال أبو الطيب المتنبي يصفه من ابيات :

وَردٌ اذا وَردَ البحيـــــــرة واردا (٢)

ورد الفــــراتَ زئيره والنيـــــــلا

مُخضبٌ بدمِ الفــــوارسِ لابـــس

في غيلــه (٣) من لبدتيه (٤) غيــــلا

في وحـــــدةِ الرهبــان الا انـــه

لا يعـــــرف التحـريم والتحليـــــلا

وقعـــــت على الاردان منـــه بليـــة

نـضدت بهــا هــــام الرفـــاق تلولا

١- النص في المصايد والمطارد ص ١٨١-١٨٢ ساقط من حـ .

٢- في الديوان شاربا .

٣- الغيل : الاجمة .

٤- لبدتيه : الشعر الذي على كتفيه .

ما قوبلـــــت عينـــــاه الا ظنتا (١)

تحت الدجى نـــار الفـــريق حلولا

يطأ الثــــــرى (٢) مترفقا مــن تَيهِهِ

فكأنــــه آسٍ (٣) يجس عليـــــــلا

ويرد عفرتـــــه الى يافوخـــــــه

حتى تصيـــــــــر لرأسه اكليــلا

وتظنه فيـــــــما يزمجر نفســــــه

عنهـــــا لشـــدة غيظه مشغولا /١٩و

قصرت فخامته الخطى فكأنمـــــــا

ركب الكَمـــي(٤) جــواده مشكـولا (٥)

ثم خرج *الى* ذكر *الممدوح* ، *وقال* عبد*الجبار بن* حمديس (٦) يصفه :

وليـــــــث مُقيم في غياضٍ منيعـــه

أمين على الوحش المقيمة في القفــر

١- في الأصل عينا الاقوبلن ظنا .

٢- في الديوان اكبر .

٣- الاسي : الطبيب .

٤- الكمي : الشجاع .

٥- الديوان ٣/٢٣٨ - ٣٤١ والبيت ساقط من الديوان .

٦- عبدالجبار بن ابي بكر محمد بن حمديس الصقلي وهو شاعر بارع في الوصف ت ٥٢٧ هـ وفيات ٣/٢١٣.

يلْحـــم شبليـه لحـــــوم فوارسٍ
ويقطع كاللص السبيل على السفـــــر
هِزبر له في فيه نـــــــار وشفرة
فما يشتوى لحم القتيل على الجمـــر
سراجان عينـاه اذا اظلم الدجــــى
فان بات يسري باتت الوحش لا تسري
له جبهـــــة مثل المجـــن ومعطس
كأن على أرجائـــه صبغــة الحبـــر
يصلصل رعد مـــن عظيم زئيــــره
ويلمع برق من حماليقـــه الجمـــر (١)
له ذنب مُستنبط منـــــــه سوطـــه
ترى الأرض منـه مضروبـة الظهـــر
ويضرب جنبيـــــــه بـــه فكأنمـــا
له منهمـا طبـل يحض على الكـــرّ
ويضمك في التعبيس فكيه عن مـــدى
نيــوب صلاب ليس تهتم بالفهـــــر

١- في الديوان الحمر .

يصول بلف عرض شبرين عرضهــــا

خناجرها أقصى من القضيب المبتّــــــر

يجرد منها كل ظفر.. كأنــــــــــه

هلال بدا للعين في أول الشهــــــــر[1]

[ثم خرج الى ذكر الممدوح ... وذكر كيف صرعه وقتلـــه][2]

القول في طبائع الببر (٣)

وهو سبع هندي ، ويقال : حبشي وهو في صورة أسد كبير ازب (٤) ملمع بصفرة وسواد ويقال انه متوالد بين الزبرقان (٥) واللبوة ، ومن طبعه ان يسالم النمر وغيره من السباع ، فاذا استكلب خافه كل شيء كان يسالمه ، وهو والأسد متوادان أبداً ومودته معه كمودة الخنافس ، والعقارب ، والحيات والوزغ ، ويقال: ان الأنثى منه تلقح بالريح (٦) ولهذا يقال أن عدوه يشبه الريح سرعة ، ولا يقدر أحد على صيده وانما تسرق جراه فتحمل في مثل القوارير من زجاج عظام . فيركض بها على /١٩ظ الخيول السابقة فان أدركهم أبوها رمي اليه بقارورة

١- الديوان ص ٤٩ ساقط من جـ.

٢- الزيادة من ب ، جـ.

٣- الببر ببائين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

٤- كثير الشعر.

٥- الزبرقان دابة اصغر من الفهد أحمر ذو زغب وعينين براقتين سريع الوثب راجع مروج الذهب ٣٢٦/١ المكتبة العصرية.

٦- ان هذا النوع من التلقيح ليس له أساس من الصحة بالنسبة للحيوان.

منها فينشغل بالنظر اليها والحيلة في إخراج جروه منها فيفوته الآخذون [1] لها ، وقد زعم قوم أنه اذا استكلب ورآه الأسد رقد له حتى يبول في اذنه خوفاً منه ورهبة له [2] .

القول في طباع النمر [3]

ومزاج هذا الحيوان كمزاج السبع [4] ، وهو صنفان عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس ، وزعم أصحاب البحث عن طباع الحيوان أن النمرة لاتضع ولدها إلاّوهو مطوق بأفعى[5] وهي تعيش وتنهش الا انها لا تقتل، ومنزلته من السباع في الرتبة الثانية من الأسد، وهو خفيف الجرم شديد الحضر، يقضان الحراك ، وفي طبعه عداوة الأسد ، والظفر بينهما سجال وهو وان كان ينتصف [6] من الأسد فان قوته على سائر الحيوان دون قوة الأسد ، وهو نهوش خطوف بعيد الوثبة ، وربما [7] وثب أربعين ذراعاً صعدا الى مجثمه الذي يأوي اليه ، وفي طبعه أنه يشبع لثلاثة ايام يقطعها بالنوم، ثم يخرج في اليوم الرابع ، ومتى لم يصد لم يأكل ولا يأكل من صيد غيره كالأسد وينزه نفسه من أكل الجيفة ، ولو مات جوعاً، ولا يأكل لحوم الناس الا للتداوي [8] من داء يصيبه ، وفيه زعارة خلق [9] ، وحدة

١- في ب ، جـ الآخذ.
٢- راجع الحيوان ٦٤/٧.
٣- بفتح النون وكسر الميم ويجوز اسكان الميم مع فتح النون وكسرها .
٤- في جـ الاسد .
٥- وهي من الخرافات ، وقال الجاحظ عنها (ولو كنت أجسر في كتبي على تكذيب العلماء ودارسي الكتب لبدأت بصاحب هذا الخبر) الحيوان ١٢٨/٧ .
٦- في ب وان كان بعض الاحيان ينتصف.
٧- في جـ فربما .
٨- ربما ذلك من الخرافات حيث أن تصديقها يستلزم أن يكون النمر طبيباً لنفسه .
٩- زعارة خلق : سوء خلق.

نفس وتجهم وجه ، وشدة غيظ ، ولهذا يقال : اذا كثر حنق الرجل على عدوه ، واشتد غيظه (لبس له جلد النمر) أي تخلق بأخلاقه ، والمعضوض من هذا النوع يطلبه الفأر ليبول عليه فاذا ظفر به وبالَ عليه مات ، وهو يحب شرب الخمر، وبها يُصاد ، فانه اذا سكر نام ، وزعموا أنه يتولد بينه وبين اللبوة سبع يسمى الــذراع [١] ، على قدر الذئب [٢] العظيم جريء لا يأوي معه شيء من السباع والوحش.

الوصف والتشبيه :-

قال أبو الفتح كشاجم [٣] من طردية :

وكالـــح كالمغضــب المهيـــج

جهم المحيا ظاهر التشنيـج [٤] /٢٠و

يكشر عن مثـــل مـــدى العلـــوج [٥]

او كشبا اسنـــــة الوشيـــج

مدبج الجلـــد بلا تدبيـــج

كأنه من نمـــط منســـوج

١- في جـ الديراع.

٢- في جـ الدبب.

٣- محمود بن الحسين السندي ، وهو شاعر وأديب ، وكان له ولع شديد بالطرد وشعره ت ٣٦٠هـ الفهرست ١٥٤، والديارات ص١٦٧ .

٤- في المصايد والمطارد التشيج.

٥- العلج : الغليظ الشديد.

تريك فيـــــــه لمـــع التدريــج (١)

كواكبــــا لم تك فيــــــه بروج (٢)

فصـــل :-

ومن أطرف ما يحكى أن مروان بن الحكم دس القتّال الكلابي(٣) لابن هبار(٤) فقتله ثم طلبه ليقتله به ليزيل عن نفسه التهمة فهرب منه ، ولجأ الى غار فيه نمر فاعتركا طويلاً ، فلما[لم] (٥) يظفر واحد منهما بصاحبه تآلفا (٦) ، فكان هذا يأكل من صيد هذا وهذا يأكل من صيد هذا، الا أن القتال كان يأكل مما تمسه النار فقال يذكر حاله:-

أيرسلُ مـــــــروانُ الي رسالــــة

لاتيـــــــه اني اذن لمضلــــــلُ

وما بي(٧) عصيان ولا بعد مرحــــل (٨)

ولكني من شخص (٩) مروان أَوجــلُ

١- في الديوان التخريج.

٢- الديوان ص٩٧ ساقط من جـ.

٣- عبدالله بن مجيب بن المفرجي، ولقب بالقتال لتمرده وكان ذا نفس دنيئة وكانت عشيرته تبغضه، الشعر والشعراء ٧٠٥/٢، خزا نة الأدب ٦٦٨/٣.

٤- هناك عدة روايات لهذه الحادثة وقد ذكرها محقق الديوان د. إحسان عباس ص ١٨.

٥- الزيادة من جـ.

٦- في الأصل فتالفا.

٧- في ب، جـ ولا.

٨- في الحيوان: منزل.

٩- في الحيوان : من خوف

ولصاحب في الغار هذا الصاحب (١)

ابو الجون(٢) الا انـــــه لا يعلـــــل

اذا ما التقينا كان أذكى (٣) حديثنـــا

ضمات وطرف كالمَعابِل اطحـــــل (٤)

كلانا عدو ولو يرى فـي عـــــــدوه

مَهزًا وكل في العــــــــداوة مجمل

تضمنت الاروى لنـا بشوائنـــــا (٥)

فكل له منهــا صديق مخــــــردل (٦)

وافضلـــه في صنعـــة الــزاد انني

اميـط الأذى عنـــــه ولا يتمهـــل (٧)

القول في طبائع الفهد

زعم ارسطو أنه متولد بين اسد ونمرة ، أو بين لبوة ونمر (٨) ومزاجه كمزاج ماتقدم وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في ادوائه والنوم الذي يعتريه ، ويقال : ان

١- في الحيوان : ولي صاحب في الغار هول صاحها.

٢- في الحيوان هو الجون.

٣- في الحيوان جل.

٤- المعابل : نصل طويل ، اطحل : لون بين الغبرة والبياض.

٥- في الحيوان بطعامنا ، في جـ نواسنا.

٦- في الحيوان كلانا له منها نصيب ومأكل.

٧- النص في الحيوان ٢٥٢/٦ وفي الديوان ص٧٧ ساقطة من جـ.

٨- النص ورد في البيزرة ص ١١٩.

الفهدة اذا حملت وثقل حملها ، حنى عليها كل ذكر يراها من الفهود ، يواسيها من صيده ، فاذا أرادت الولادة هربت الى موضع قد أعدته لها (١) حتى اذا علمت أولادها الصيد تركتها ، وهذا الحيوان يضرب به المثل في شدة النوم (٢) ، وقال الشاعر وقــد عُيِّر بكثرة (٣) النوم :-

رقـــــدت مقلتـــي وقلبـــي يقظا

ن يحس الامــور حســـا شديداً /٢٠ظ

يحمد النــــوم في الجـــــواد كمالا

يمنع الفهد نومــــــــــه ان يصيدا (٤)

وليس شيء في جرم الفهد من الحيوان ، الا والفهد أثقل منه ، واحطم لظهر الدابة والاناث أصعب خلقاً ، وأكثر جرأة ، واقداما من الذكــور ، وفي اخلاق الفهد(٥) الحياء وذلك أن الرجل يمر بيده على سائر جسده (٦) ، فيسكن لذلك حتى تصيب اليد (٧) مكان الثفر (٨) فيقلق حينئذ ويغضب ، ومن خلقه الغضب ، وذلك اذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى ينالها ، فيحمى لذلك ، وتمتلئ رئتيه من الهواء الذي

١- ساقطة من جـ.

٢- في ب وبهذا الحيوان يضرب المثل .

٣- في ب وقد عبر الشاعر بكثرة النوم.

٤- النص في البيزرة ص ١٢٠ نهاية الارب ٢٤٦/٩ .

٥- ساقطة من جـ .

٦- في الأصل جسدها .

٧- في ب ، جـ يده.

٨- في البيزرة (موضع بعرها) ص ١٢٠.

حبسه وسبيله أن يراح ريثما يخرج النفس ، ويبرد تلك الغلة ، ويشق له عن قلب الطريدة ويشم اياه ثم يطعمه منه ، ويسقى رية ماء ان كان الزمان قيضا ، ودون الري إن كان الزمان برداً ، وان لم يروح لم يفلح بعد ذلك ، واذا أخطأ صيده رجع مغضباً ، وربما قتل سائسه وقتئذ [1] ، ومن أخلاقه أن يأنس لمن يحسن اليه ، ويقال أنه لص من لصوص السباع وهو وان كان وحشياً فانه يقبل الأدب[2] الا ان كبارها اقبل ، وان تقادمت في التوحش، واناثها أصيد من ذكورها ، وفي طبعه أنه يحب الصوت الحسن ويصغي اليه وربما كان سبباً [3] في صيده ، ومما[4] ركب فيه أن ما عجز عن التكسب منها لهرم تجتمع على فهد يصيد لها في كل يوم شبعها ، وقال أرسطو : والسباع تشتهي [5] رائحة الفهد [6] وتستدل بها على مكانه وتعجب به [7] أشد العجب [8] ، فهو يتغيب عنها لذلك ، وربما قرب بعضها من بعض فيطمع [9] في نفسه ، فاذا أحس السبع منه ذلك وثب عليه فأكله، وهو ألطف شمّاً لأرايح السباع القوية الشم فاذا مر به أيل مفاجأة وثب عليه وانشب مخالبه /٢١و في مخالغه ومص دمه حتى يضعف الأيل ، ويسقط فتجتمع عليه الفهود فتأكله ، فان اجتاز به أسد نهض وترك الفريسة له تقرباً اليه والفهد يعتريه داء يسمى (خناقة الفهود) ، وقد الهم انه اذا اعتراه ذلك يأكل العذرة [10] فيبرأ

١- في ب ذلك الوقت .
٢- في جـ التأديب.
٣- في جـ مسبباً
٤- في جـ وربما .
٥- في جـ تستشن .
٦- راجع طباع الحيوان ص ٣٨٧.
٧- في ب ، جـ بلحمه.
٨- في جـ التعجب.
٩- في الا فيلمع .
١٠- راجع طباع الحيوان ص ٢٨٦.

ويقال ان الادواء التي تعتري الكلب تصيبه ، وهي الكَلَبُ والذبحة والنقرس والفالج والجرب ، وهذا الداء يعرض له فيصيبه الجرب ، ويقال أنه يسفد الدبة فيتولد من بينهما سبع مختلف المنظر لا يتناول الناس ولكن يصيد الكلاب ويأكلها .

فصـــــل :-

وينبغي اذا صِيدَ أن تغطى عيناه ويدخل في جواليق ، ويجعل في بيت قد وضع فيه سراج ، ويلازمه سائسه ليلاً ونهاراً ، ولا يدخل عليه غيره اذا أنس به أركبه ظهر دابة ، وأطعمه على يده ، واول من صاد به كليب بن (١) وائل ويقال همام بن وبرة ، وكان صاحب لهو وطرب ، واول من حملها على الخيل يزيد بن معاوية ، وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراساني ، وأول من استأنس(٢) الحلقة في الصيد وأولع بها كثيراً المعتضد والمواضع التي يوجد بها هذا الحيــوان(٣) ما يلي :- بلاد الحجاز الى اليمن ، وما يليها الى بلاد العراق ، وفيما يلي بلاد الهند الى التبت.

الوصف والتشبيه :-

قال أبو اسحاق الصابي من رسالة طردية :- ومعنا فهود اخطفُ من البروق وأرسعُ من السهم حين المروق ، وأثقف من الليوث ، أَجرى من الغيوث (٤) وأمكرُ من

١- كليب بن وائل سيد بكر وتغلب في عصر ماقبل الاسلام م ت ١٣٥ ق.هـ.
ابن الأثير ١/١٨٧ نهاية الارب ١٥/٣٩٧-٤٠٠.

٢- في جـ استن.

٣- في ب ، جـ مما .

٤- في الأصل ليوث .

الثعالب وأدبُ من العقارب خُمصُ الخصور ، قُب [1] البطون رقش المنون حمر الاماقِ خُزرالاحداقِ ، هرت [2] الاشداق ، عرض [3] الجباه غلب الرقاب . كاشرة عن أنياب كالحراب تلحظ الظباء من أبعد غاياتها ، وتعـــرف حسنها مـــن أقصى نهاياتها تتبع /٢١ظ مرابضها ، وآثارها ، وتشم [4] روائحها وانشارها [5].

ومن رسالة [6] طردية لضياء الدين المعروف بأبن الأثير الجزري [7] يصف فهداً وذكر [8] ظبياً ، فأرسلنا عليه فهداً سلس الضريبة [9] ميمون النقية منتسباً الى نجيب من الفهود ونجيبة كأنما ينظر من جمرة ، ويسمع من صخرة ، ويطأ من كل برثن على شفرة وله أهداب قد حيك [10] من ضدين بياض وسواد ، مصور على أشكال العيون فتطلعت الى انتزا ع الأرواح من الاجساد [11] ، وهو يبلغ المدى الأقصى في أدنى وثباته ويسبق الفريسة ، فلا يقتنصها الا عند التفاتة[12].

١- قب : ضامرة .

٢- أي واسعة .

٣- في ب ، جـ عراض .

٤- في جـ وتتنسم .

٥- راجع المختار من رسائل الصابي مصور في أوقاف بغداد (١٢) و (١٧٣) .

٦- في جـ ومن اخرى طروبة.

٧- نصرالله محمد بن محمد الشيباني الجزري وهو من العلماء الكتاب تولى الوزارة للملك الافضل وله عدة مؤلفات ، وفيات ٥/٣٨٩.

٨- في ب ، جـ ويذكر.

٩- أي الطبيعة.

١٠- في ب قدحيك ، في جـ قد حيك .

١١- في الأصل الاجناد.

١٢- رسائل ابن الأثير ١٠١.

وقال بعض الاعراب يصف فَهْداً من ابيات [1] :-

بذلك أبغي الصـــيد طـــوراً وتارة
بمُخَطَّفَةِ الاكفال [2] رحب الترائـــبِ

مُرفقةُ الاذنابِ نمرٌ [3] ظهـــورها
مخططة الاذان [4] غلـــبُ الغوارب [5]

مُدَنَّرة [6] ورق [7] كأن...عيونهـــا
حَواجِل [8] تستذرى [9] متونَ الرواكـبِ

اذا قلّبتها في الحجاج [10] حسبتهـــا
سنى ضرم في ظلمة الليـل ثاقـــبِ

مُولّعةٌ فطسُ الانوف [11] عوابـــس
تخـالُ على اشداقهـا خط كاتـــبِ

١- تنسب الأبيات الى احمد بن زياد بن كريمة.

٢- مخطفة الاكفال : ضامرة العجز.

٣- نمر : نكت بيضاء وسوداء.

٤- في الحيوان الاماق .

٥- الغارب ما بين الظهر والـ ، غلب : غليط.

٦- أي كأنها الدنانير.

٧- الورق: أي الذي فيه سواد وبياض.

٨- في الحيوان حواجم ، والحواجل القارورة الواسعة الرأس.

٩- في الحيوان تستذمي أي تتبع.

١٠- في الحيوان انعجاج والحجاج العظم المستدير حول العين.

١١- في الحيوان فطح الجباه.

نواصب للاذان حتى كأنهـــــــــــا

مداهن للاجراس مـــــن كــــل جانبِ

ذوات آشافٍ ركبـــــــت في أكفهـــا

نَوافذِ في صم الضـــــــــمور نواشبِ

فوارسُ مالـــــم تلقَ حربا ورِجلـــه

اذا التبست (١) بالبيد شهب الكتائـــــبِ

تَضاءل حتى مـــا تكـــاد تبينهـــا

عـــــيون لدى الصـرّات (٢)غير كـــواذبِ

حِراصُ يفوت البـرقُ أمكــثُ جَريهـــا

ضـراء مدلات (٣) بطولِ التجـــــــاربِ

توسّد اجيــــــاد الفرائس أذرعـــا

مُرمّلــة تحكي عنــاق الحبائــــــب (٤)

وقال عبدالله *[بن المعتز]* (٥) يصف *[فهدة]* (٦)

١- في الحيوان آنست .

٢- الصرات : أي لا تكذب عند صرها وشدها .

٣- في الحيوان ميلات والميل : الثابت الجري .

٤- القصيدة في الحيوان ٢/٣٧١ ، البيزرة ص ١٢٢.

٥- الزيادة من ب .

٦- العذب : خيوط الميزان.

ولا صيـــــــد الا بوثابـــــــــةٍ

تَطير على أربع كالعـذب [1] /٢٢و

معلمة من نتـــــاجِ الريــــــاح [2]

تُريك [3] على الأرض شيئــاً عجب

تَضم الطريــــــــد الى نحرهــــــا

كضم المحبـــــة من لا يحـــب

اذا مـا رأى عَدْوَهــــا خلفــــــه

تناجت طمائـــــره [4] بالعطـــبِ

لها مجلـــــس مـن مكان الرديـــــف

كتركيــــــة قد سبتها العـــرب

وفعلتهـــا سائـــــل كحلهـــــا

وقد حليت سبجـــا [5] من ذهـــب

متى أطلقـــــــت من قلاداتهــــــا

وطار الغبار وجـــــــد الطلـــب

١- العذب : خيوط الميزان

٢- في الديوان : فزوبعة من نبات الرياح.

٣- في الديوان : ترك ، ورك الشيء طرحه .

٤- في الديوان ضمائره.

٥- في الأصل سبحا والسبج : الخرز.

غدت وهي واثقـــــة انهـــــا

تقوم بزاد الخمــيس اللجـــب [1]

وقال عبد الـصمـد بن المعذل [2] :-

قد اغتدى والشمس في رواقهـــــا

لم تأذن السُدفة [3] في اشراقهـــا

وصحبتي الامجـــاد في...اعراقهـــا

على عتاق الخيل من عتاقهـــــا

نمر بنات القفر من ارزاقهـــــا

تغدو منايا الوحـــش في اطواقهـــا

وفيّة الغـــــدر [4] مـن اخلاقهـــا

ترى بايديهـــا لدى استباقهـــا [5]

مثلُ أشا في العين [6] في إنزلاقهـــا

كـأنها والخزر من احداقهـــــا

١- الابيات في الديوان ١/٤٠٤ ، وهي ساقطة من جـ.

٢- عبدالصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم شاعر هجاء محب للخمرة (ت ٢٤٠هـ) ، راجع الاغاني ٢٢٦/١٣، فوات الوفيات ٥٧٥/١.

٣- السدفة : الظلمة.

٤- في الاصل ماء الغدر.

٥- في ب والبيزرة لدى اتساقها ، في المصايد اسلافها.

٦- في ب والمصايد اثاثي العين. .

والخطط السـود على اشداقهـا

ترك جرى الاثمد من اماقهـا

نظّارة (١) تخفـى على رماتهـا

من ختلها الوحـش ومن اشفاقهـا

كأنها الحيـات في اطراقهـا

اما رأيت الريح في انخراقهـا (٢)

أو لمعـة البـارق في ائتلافهـا

تهوى هوى السيل (٣) في ارشاقها (٤)

ما أدرك الطرف سـوى لحاقهـا

وهصرها الاقران (٥) واعتناقهـا (٦)

وقال آخر يصفه(٧) :-

قد اسبق العِصـم وغيرُ العِصـم

بجيد القلـبِ حديـدُ الفهـم (٨)

١- في المصايد والبيزرة حذاقة .
٢- الانخراق السرعة.
٣- في ب النبيل ، البيزرة الدلو .
٤- الارشاق الهدف والاصابة .
٥- في البيزرة الارام.
٦- راجع الديوان ١٣٤ - ١٣٩.
٧- نسبها في المصايد الى ابن الحسين الحافظ.
٨- في البيزرة والمصايد بعيد الهم .

مُركـــــــــب من عصبٍ وعظـــــــم

مافيــــــــه وزنُ ذرة (1) من لحـــم

تخاله بعض نجوم (2) الرجـــم /٢٢ظ

فكــــــــــم دم اراقــــه من قَرْم

مُعصـــــفر يشبه مـــــاء الكـــــرمِ

وانفع لـي من شاهـــــد لخصم (3)

وقال بعض الكتاب يصف حيله (4) ، ودسيسه:-

قد أسبـــــقُ الاذانِ (5) بالتغليــــسِ

قبل غنـــــاءِ القسِ والقسُوسِ (6)

بذي دَهاء ضاحكٍ (7) عَبــــــــوُسِ

جَهْم كُسي من صنعـة القـــــدوسِ

ديباجـــه من احسنِ اللبـــــوس (8)

كأنمـــا تبتز مـــــن عــــــــروسِ

١- في البيزرة درهم.
٢- في الأصل نجم .
٣- ساقطة من جـ المصايد ص ٢٠٠ البيزرة ص ١٣٢، وفيها اختلاف في الترتيب .
٤- في ب خلته .
٥- في البيزرة الاخوان .
٦- في المصايد والناقوس .
٧- في البيزرة يضحك .
٨- في ب الملبوس .

ابليسُ او امكر مـــن ابليـــــس

طب بصيدهـــا عفرها [1] والعيس

لاطٍ [2] لُطوَ [3] الخاملِ الخسيس

والسطو سَطو القـــادرِ الرئيــس [4]

له دبيب ليـــــس بالمحسوس

مثل دبيب المـــــاء في الغَروسِ

فعل كمين الجَحفــل ... الخميس

وحش يضـــــاهي حيلـة الانيس

حتى اذا افضى من التأنيـــس

الـى سكون النافـــــر الشموس

وحمّت الاجـــــــال للنفوس

ابدلهـــا مــن نعمـــــة ببؤس

اسرع من عيـــــن الى نُفَيْسِ

لاهٍ عن الخُشفـــان بالتيـــوس [5]

١- العفر ما يعلو بياضه حمرة.

٢- في البيزرة لطا .

٣- في الاصل لوط .

٤- في البيزرة الاريس والاريس الامير .

٥- القصيدة ساقطة من جـ ، في المصايد والمطارد ١٨٧-١٨٨، البيزرة ١٢١ وفي القصيدة اختلاف في الترتيب .

ولا مزيد في الحسن على قول فارس الدولة محمد بن أحمد السراج يصفه :-

واهرت (١) الشدق في فيه وفي يـــده

مـافي الصـــوارم والخطّيـــة الذبـــل

تساهم الليل فيه والنهار (٢) معـــا

فقمّصـاه بجلبـاب مـــن المُقْـــلِ

والشمس مذ لقبوها بالغزالة لـــم

تطلع لناظـره الا على وَجـــل (٣)

وتبعه من *قال ناسجاً على منواله وحاوياً على مثاله:-*

واهرت الشدق بادي السخط مطرحُ الـ

حيـــاء جَهْمُ المحيـا سيءُ الخلق

والشمس مذ لقبوها... بالغزالـة اعطِ

تهما (٤) الرشَا حدا (٥) من ثوبها اليقق (٦)

١- اهرت : واسع .

٢- في جـ والصباح .

٣- نهاية الارب .

٤- في ب ، جـ اعطته .

٥- في الأصل جسداً .

٦- اليقق : الابيض .

ونّقطته [١] حيـــــــــاء كي يسالمها

على المنايا نعـــاج الرمـــل بالحدق [٢]

القول في طبائع الكلب

قال المتكلمون في طبائع الحيوان الكلب لا سبع ولا /٢٣و بـهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب ، لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألفَ واستوحش [٣] في البراري، وجانب القفار ، ولو تم له معنى البهيمية في الطبع ما أكل لحم الحيوان وكلب على النـــاس ، وانما جعلناه تبعاً للفهد ، وهذه حاله لمشاركته له في حرفة الصيد ، واعتناء الناس بتربيته ، وتعليمــه ، كمــا اعتنــوا بالفهد فـــي ذلك وهو نوعان أهلي وسلوقي ، وكلاهما في الطبائع سواء ، وفي طبائع الكلب أنــه يحلم ويحتلم ، وتحيض اناثه [٤] في كل سبعة ايام وعلامة ذلك ورم اثفارها والانثى تحمل ستين يوماً ، ومنهــا مـا تحمل خمس السنــة ، (ومنها ما تحمل ربعها) [٥] ومــا ولدته قبل الستين لا يعيش ، وتضع جراهــا عميــا ، ولا[٦] تفتح عينهــا [٧] الا بعد اثنى عشر يومـــاً، ويظهر لبنهــا بعد حملهــا بثلاثين يومـــاً ، والذكــور تهيج قبـل الانــاث وهي تنزو اذا مضى [٨] عليهـــا سنــة ، وربمــا عــرض لهـا

١- في الاصل حياء الحباء : العطاء .
٢- نهاية الارب ٩/٢٥٣.
٣- ذكر الجاحظ انه سبع وان كان بالناس انيسا ولا تخرجه الخصلة والخصلتان ، راجع الحيوان ٥/٢١٥.
٤- راجع الحيوان ٣/٢٢٠.
٥- ساقطة من جـ .
٦- في جـ فلا .
٧- في جـ عيونها .
٨- في ب ، مضت .

ذلك اذا تمت [1] لها ثمانية أشهر[2] (واذا وضعت الانثى ينزى عليها بعد ستة أشهر[3]) وتحمل الى تمام عشرين سنة ويسفدها كلب أبيض وكلب أسود ، وكلب أبقع ، وكلب أصفر ، فتؤدي الى كل سافد منها شبهه وشكله ، وفي الكلب من الاهتداء [4] الى الأثر وشم الروائح ما ليس لغيره ولهذا تراه ابداً يشمم ويتروح ولو كانت الأرض ذوية [5] جرداء ، وهذا من شدة الحرص والجشع ، ومن جشعه أنه لا يرمي بحجر الا رجع اليه وعض عليه لما كان لا يأكل الاّ شيئاً رمي به اليه صار يتوهم ، لفرط شهوته ان الرامي لم يرد عقره وقتله ، وانما أراد اطعامه والاحسان اليه ، والجيفة أحب اليه من اللحم الغريض [6] ، وهو يأكل العُذرة ويرجع في قيئه، ويَشْغَر [7] ببوله ، وبينه وبين الضبع عداوة شديدة وذلك أنه اذا كان في مكان مرتفع ووطئت الضبع ظله في القمر رمى نفسه اليها مخذولاً [8] فأكلته ، والظريف في ذلك أن الانسان متى حمل لسان ضبع لم ينبح عليه كلب ، ومتى دهن كلب بشحمها جن واختلط وفي طبعه أنـــه يحرس / ٢٣ظ ربه ويحمي حريمه شاهداً ، وغائبا ، وذاكراً وغافلا ، ونائماً ويقضاناً ، وهو أيقظ الحيوان عيناً في وقت حاجته الى النوم ، وانما نومه نهاراً عند استغنائهم [9] عن حراسته ، وهو في نومه أسمع من فرس ، وأحذر من عَقْعَقْ ، وهو اذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقهما

١- في جـ تمن .

٢- راجع الحيوان ٢/٢١٩.

٣- ساقطة من ب .

٤- في جـ اقتفاء الأثر .

٥- في جـ دوية .

٦- الغريض : الطري من اللحم .

٧- أي يرفع رجله اثناء بوله .

٨- في ب مجدولا ، في جـ مخدولا .

٩- في الأصل اشتغالهم .

وذلك من خفة نومه ، وسبب خفته أن دماغه بارد بالنسبة الى دماغ الانسان ومن عجيب حاله أنه يكرم الجلة من الناس ، وأهل الوجاهة ، فلا ينبح على أحد منهم وربما حاد عن طريقه ، وينبح على الاسود ، والوسخ الثوب ، والصغير الحال (1) ، ومن طباعه البصبصة والترضي والبشاشة ، والتودد ، والالف ، بحيث اذا دعي بعد الضرب والطرد رجع وليس شيء عنده آثر (2) من أن ينظر اليه صاحبه بوجه طلق، وتمكنه (3) من ملاعبته وهو لا (4) يلاعب كلباً ما دام ربه يلاعبه ، وفي ملاعبته له يعضه العض الذي لا يؤثر ولا يؤلم ، وهي الاضراس التي لو نشبها في الحجر لنشبت وقد وصف بأنه أشد الحيوان فكا وأرهفها حدا يرى العظم المدبج ، فيعلم بالطبع والغريزة أنه اذا عضه رّضه واذا ابتعله استمرأه ، وفي طبعه أنه يأكل للقناعة لا للشبع ، والشبعة الواحدة تؤثر في جسمه ، وفي نومه ، ومن عادته اذا طرح له الطعام أكل منه نَهْمَته ، فان فضل عنه شيء خبأه بحيث يأمن ليجده اذا احتاج اليه واذا طرح اليه (5) الشيء وهو شبعان احتمله حتى يحوزه (6) لوقت ضرورة (7)] ولقد حكى بعض الكبراء أنه كان بالدرب الذي يسكن فيه كلبة ولدت اجراء كثيرة ، فذهبوا موتا واحدا بعد واحد ، وبقي معها واحد ، فدخلت يوماً بيت بعض جيرانه، فأخذت منه رغيفاً ، فاغلق بابه وعاقبها حتى الجأها الى طاقة في البيت على الطريق فرمت بنفسها منها فماتت ، فكنت أشفق على الجرو لصغره

١- أي الرزي الحال .
٢- في جـ عندما ثر .
٣- في جـ وتمكينه .
٤- ساقطة من جـ .
٥- في جـ له .
٦- في جـ يحرزه .
٧- في جـ ضروته .

وكيسه فأطعمه ، وأسقيه لعجزه عن الاكتساب فدخل يوماً الدرب كلب كبير ظن الجرو أنه أمه فبادر اليه وتعلق به ، ودار حوله فرأيت الكلب قد قاء له شيئاً من فيه وانصرف ، فأكله الجرو مكانه ، عندما حنّ بره بما وصلت اليه قدرته اليه ، خلق لو تخلق الانسان بمثله لم ينطق لسان يلوم على البخل وعذله] (١) والكلب يقبل التأديب والتعليم (٢) والتلقين وهو في ذلك أهدى من الفيل والدب والقرد ، والغنم المكّية ، والببغاء والزرزور (حتى أن في أجناسها) (٣) من لو وضع على رأسه المسرجة ، ورمى له قطعة لحم لا يلتفت اليها ما دام على حالته ، فاذا أخذت المسرجة عنه وثب على اللحم فأكله وهو يعيش على (الجراح) (٤) التي لا يعيش عليه غيره ، وتعرض له أمراض سوداوية /٢٤و منها الكَلَبُ ، وهو جنون يعترضه وقت طلوع نجم الكلب، وقد الهم انه اذا كان في بطنه دود اكل السنبل ثم يقيئه ، فيرميه معه ما في بطنه من الدود ومن الأمراض (٥) الذبحة ، والنقرس ، والجرب ، والهزال ، وحدوث قروح لا تبرأ ، والكلب اذا أصابه الكلب ، وعض انساناً أصاب الانسان نباح مثله والحقته العضة باجراء صغار يراها علقاً في صورة الكلاب ، والفأر يطلب المعضوض ليبول عليه ، ومتى بال عليه مات ، وتعرف سلامة المعضوض من عطبه أنه يرى وجهه في المرآة ، فإن رأى فيها صورته فلا بأس عليه ، وان رأى فيها صورة كلب فجزع ، وحرص على الهرب فانه وشيك الموت ، وقد يعالج بانفحة الكلاب (٦) يسقاها مع الماء فيبرأ .

١- الزيادة من ب ، جـ .

٢- في جـ والقبل يقبل التعليم والتأدب .

٣- ساقطة من جـ في جـ حتى لو وضع على .

٤- الكلمة غير مفهومة .

٥- راجع طباع الحيوان ص ٣٥٥ ، وكذلك المصايد والمطارد ص ١٣٨.

٦- ذكر ابن سينا ان أحد علاجاته يكون بانفحة الأرانب التي تخلط مع مواد أخرى راجع القانون ٢٥٢/٣.

في فصل ما يختص به الكلب السلوقي من الطباع

سبب نتاج الكلب السلوقي على ما حكاه أصحاب الكلام في الكلبزة[1] :

أن الكلاب تسفد الذئاب في سلوقية [2] من أرض اليمن [3] فيتولد بينهما[4] السلوقي ، وقال آخرون الثعالب والكلب السلوقي [5] ، (ويقال سلوق مدينة الى الآن واليها تنسب الدروع والكلاب) [6] ، وله نفس متولعة [7] بتناول ما يرسله عليه أهله ، ويطلبه بالاحضار خلفه حتى يدركه فيأخذه لهم لأن حرصه على الصيد ، وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لأن الجوارح تعمل لأنفسها الا الكلاب ، فانها تعمل [8] لأصحابها [9] ، وهي واذا كثرت عليها الاثار أو اختلطت تلتفت لذلك ، وتذهب في كل وجهة ، حتى تستثبت الأثر وتتحقق جهته وذلك من حرصها على مطاوعة أربابها [10] ، واستعدادها لنكاية اعدائه [11] ، ومسارعتها الى تحصيل غرضه الذي اسلاها بسببه ، ومن أعجب الأحوال فيه أنه اذا عاين

١- معرفة حال الكلاب السلوقية .

٢- ذكر ارسطو ان الذئاب تسفد الكلاب في أرض قرونية ، طباع الحيوان ص ٣٦٦.

٣- راجع البيزرة ص ١٤٠.

٤- في جـ منهما .

٥- ذكر الجاحظ انها تتولد من ثعالب وكلاب ، الحيوان ١٨٤/١ .

٦- ساقطة من جـ .

٧- في ب ، جـ .

٨- في ب ، جـ تكسب .

٩- ان ما ذكره لايعدو عن مجرد تخمين .

١٠- في ب ، جـ ربها .

١١- أي اعداء صاحبها، وقد تغير الضمير علي الجمع الى المفرد.

الظباء قريبة منه كانت أو بعيدة ، عرف المقبل من المدبر ، وعرف العنز من التيس ، واذا أبصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه أنه اذا عدا شوطين لم يستطع البول مع شدة الحضر ورفع القوائم معاً فينتقص مدى خطاه ، ويعتريه البهر فيلحقه الكلب /٢٤ظ والمعزى اذا اعتراها [١] البول في العدو لم تمسكه وقذفت به لسعة المسلك [٢] ، ولاجل ذلك لا يطلبها ، ومن عجيب أمره أنه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال: ان الروم لا تدفن ميتاً حتى يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمه [٣] اياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته ، ويقال أن هذا الحذق لا يوجد الا في الكلب القلطي وهو صغير الجرم قصير القوائم جداً ويسمى أيضاً الصيني وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب في الشم والاسترواح ، واناث الكلاب السلوقية أسرع تعلماً من الذكور [٤] ، والفهد بالعكس ، وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم أرسطو وربما تبلغ الاناث هذا السن ، ودلائل النجابة والفراهة في الكلاب السلوقيــة [٥] اما في الخلقة فطول ما بين اليدين والرجلين ، وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق، وغضف [٦] الاذنين ، وبعد مابينهما، وسعة العينين ، وبعد مابينهما وزرقة العين ونتوء الجبهة وعرضها وقصر اليدين.

١- في ب والعنز اذا اعراها .

٢- في ب السبيل .

٣- في جـ شمهم ، اختلف الضمير والصحيح أن يقال من شمها اياه .

٤- في جـ تعليما من ذكورها.

٥- راجع طباع الحيوان ص ٢٩٧.

٦- استرخاء الاذان .

أما الألوان فيقال : السوداء أقل صبراً على الحر والبرد ، والبيض افره اذا كنّ سود العيون [١] ، وقد قال قوم ان السود أصبر [٢] على البرد وأقوى [٣] ، وكـذا [٤] كل أسود من الحيوان ، ودلائل الفراهة في الجراء ، اذا ولدت الكلبة واحداً كان افره من أبويه وان ولدت ذكراً أو انثى كان الذكر افره ، وان ولدت ثلاثاً فيها انثى في شبه الأم ، كانت افره الثلاثة ، وان كان في الثلاثة ذكر واحد فهو افرهها .

الوصف والتشبيه :-

الأحسن في أوصاف الكلاب الأهلية على أن الناس قد نظموا في هذا كثيراً لا سيما العرب ، فانهم أهل اطعام واكرام ، وكانوا يسمون الكلب هادي الضمير وداعي الضيف ، ومتمم النعم ، ومشيد الذكر ، بما يجلب من الاضياف بنباحه ، والضمير : القريب من قولهم اضمرته البلاد أي /٢٥ ، غيبته [٥] وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تثبت النيران فرقوا الكلاب حول بيوتهم ، وجعلوا لها مطاول ، وربطوها على العمد لتتوحش فتهدي الطلاب [٦] بنباحها ، وقال ابن هرمة [٧] في هذا المعنى وقد أهدى كلباً :-

---

١- راجع الحيوان ٤٧/٢ .
٢- في جـ اقوى .
٣- في جـ واصبر .
٤- في جـ وكذلك .
٥- في جـ هيبته ، اللسان مادة ضمر .
٦- في جـ الضلال .
٧- ابراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني وهو شاعر كثير الغزل عاش في الدولتين الأموية والعباسية ت ١٧٦ هـ . تاريخ بغداد ١٢٧/٦، الاغاني ٩٧/٦.

أوُصيــــــك خيراً بـــه فان لـــــه
سَجيـــــــــة لا ازال أحمدهـــا
يدلُ ضيفي عليّ في غســــق الـ
ليلِ اذا النار نام موقـــــــدها (١)

ولـــــه أيضـــاً من ابيـــات :-

يكاد اذا مـا أبصر الضيف مقبـلا
يكلمه تَرْحِبة (٢) وهــــو أعجمُ (٣)

وقال حاتم الطـــائي يفتخر :-

واذا تَنَوّرَ طــــــــــارقٌ مُستنبح
نبحت فدلتــــــــــه علـــي كلابي
وعَوين يَسْتعجِلنه ولقينـــــــــــه
يُرشِدنه بشَراشـــــِر الاذنــابِ (٤)

قولـــــه : مستنبح يريد أن الضيف الطارق ليلاً اذا لم يهتدِ الى البيوت بنار ولا كلاب ، وذلك لشدة البرد نبح ، فاذا سمعت الكلاب (٥) نبيحه نبحت فيقصدها حيث كانت وعابه البديع الهمذاني(٦) .

١- الابيات نسبت الى عدة شعراء .
٢- في جـ من حبه .
٣- البيت لابن هرمة الديوان ص ٢٠٧.
٤- شراشر الذنب : ذباذبه ، راجع اللسان مادة شرر ، ولم اعثر عليهما في ديوان .
٥- في جـ فأسمعت الكلاب .
٦- احمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني من كبار الكتاب والشعراء في زمانه وله المقامات المسماة باسمه ت ٣٩٨ هـ . يتيمة الدهر ٤/٢٥٦ ، وفيات ٣/١٢٧.

يزين حـــــين (١) يسمـــــــن

ولا يتبـــع حين يشبـــــــــع

وعند الجـــــوع يهتم بالرجـــوع

ومما تختص به الكلاب السلوقية من الوصف ، قال أبو اسحاق الصابي من رسالة :-

ومعنا (٢) كلب عريق المناسب ، نجيح المكاسب ، حلو الشمائل نجيب المخامل حديد الناظرين اغْضَفُ الاذنين ، اسيل الخدين ، مُخطفُ الجنبين عريض الزور(٣) متين الظهر أبي النفس ملهم الشكر لا يمس الأرض الاّ تحليلاً ، وايماء ، ولا يطؤها الاّ باشارة وانحناء (٤) ، ولبعض الأندلسيين يصفه من رسالة:

فحللناه من ساجوره ، واطلقناه ، فبلغنا (٥) الى سروره ، ومر يخفي شخصه غباره في سدفة سفرته وتارة من النصف الطامحة العيون ، والهرت اللاحقة البطون معرق في نجابته منعم مخول في فراهته يسمع منك ايماء ، ويفهم عنك ايماء المشي (٦) ، فلا يمس الأرض بأربعة ، ويجري فلا يسبقه الريح الى منزعه :

١- في جـ حيث .

٢- في المختار وفي صحبتنا منهم .

٣- الزور الصدر .

٤- النص في المختار ورقة ١٧٣.

٥- في ب فبلغناه .

٦- في ب يمشي .

اذا عدا واشتد فـــــــي طِلاَبه /٢٥ظ

يكاد أنْ يخـــــرج من اهابه (١)

وقـــال : (٢)

متقدٌ كالنـــــــار في التهـــابه

لايطعن الصيد بغيـــــــر نابهِ

اعده للحـــــرب من جرابـــــه

فكــل مـن يرمي بـــــه لمأبه (٣)

(ومن المنظوم في ذلك) (٤) *قول ذي الرمة* (٥) *من أبيات يصفه بسرعة الحضر* *[من أبيات]* (٦) :

كأنه كوكب فـــــــي إِثر عقربه

سـوم سـوداء الليـــل مغتصب (٧)

١- في ب يمشي .

٢- النص ساقط من جـ .

٣- ساقطة في ب .

٤- ساقطة من جـ .

٥- غيلان بن عقبة بن نهيس شاعر فحل ت ١١٧هـ ، الشعر والشعراء ٢٠٦ ، وفيات ١١/٤ .

٦- الزيادة من ب .

٧- الديوان ١١١/١ .

وقـــال آخر يصف كلباً :ـ

انعت كلبـــــــاً يكسر اليحمورا (١)

مجربـــــا مدربـــا صبـــورا

يأنف أنْ يشاكـل الصقـــــــورا

منفـــــرداً بصيده مغيـــــــرا

ذا شيةٍ (٢) تحسبهـــــــا حريرا

قد حُبّرت نقوشها تحبيـــــــــرا

اذا جرى حسبتــــــــه المقـــدورا

يكاد للسرعــــــة أنْ يطيـــــرا

حتفاً لمـــــــــن عنّ له أسيرا (٣)

اعجز أنْ يرى لـــــــــه نظيرا (٤)

وقال أبو نؤاس يصف كلباً :ـ

هجْنا بكلـــب طالما هجنا بـــــــه

ينتسق (٥) المقود مـــــن جذابـه (٦)

١- من فصيلة الايايل قصير الذنب كل قرينه ثلاث شعب احمر اللـون ابيض الاليتين اسمـــه العلـمي Capicolus

٢- الشية : سوداني بياض أو بالعكس .

٣- في المصايد والنهاية : مبيرا أي المهلك .

٤- ساقطة من جـ المصايد ص ١٤٤ ونهاية الارب ٢٦١/٩.

٥- في الأصل يتسيف ، ينتسف ينتزع .

٦- في الديوان كلابه .

كأن متنيـــــه لدى انسلابــــــه (١)

متنا شجاع لجّ في انسيابـــــــــه

كأنما الاظفور في قنـــــــابه (٢)

موس صناع رد فــــــــي نصابه

تراه في الحضر اذاها هى (٣) بـــه

يكاد أنْ يخرج من اهابـــــــــــه

ترى سَوام الوحش اذ تحـــوي بـه

يرحن اسرى ظفـــــــره ونابه (٤)

وقال الناشيء قافيا أثره وواردا نهره :-

واغضف عيشـــــــــي(٥) من عذابه

بـراح ان يدعي ليغتذى بـــــــــه

روحه ذي النشوة مـــــــــن شرابه

يخط بالبراثن (٦) فـي ترابـــــــه

١- الانسلاب الاسراع .

٢- قناب الظفر : الصدع الذي يرجع فيه .

٣- أي صاح به وزجره .

٤- ساقطة من جـ ، الديوان ص ٦٣١ ما عدا البيت الأخير .

٥- في المصايد باغضف عيشه ، والغضف : اقبال الاذن على القفا .

٦- في المصايد بالبرثين .

خط يد الكاتب في كتابـــــــــه

ملتقطـاً للخطو في انتدابـــــه

لقط يد الماهر فـــــــــي حسابه

يستـأسـر المعظـــم عن طلابــه

في نَأيه عنــه وفي اقترابه (١) /٢٦و

تسلبه الحتفة (٢) مـن اسلابــــه

ولا (٣) يحس ما بـــــــه لمـا (٤) بـه

ينتصل الاظفور مــــــن قنابــه

كما يسل السيف مـــــــن قرابــه

تخاله (٥) مـاجِدٍ في التهامــــه

مجرداً بالحضر مـــــن اهابه (٦)

وقال أبو الطيب المتنبي :-

فحلّ كلاّبي وثاق الاحبـــــــــلِ

عن اشدق مُسْتَوجِرٍ مسلســـــلِ

١- في المصايد اغترابه.

٢- في المصايد تسلمه الحيفة .

٣- في المصايد فلا .

٤- في المصايد مما.

٥- في ب بلخاله .

٦- النص في المصايد والمطارد ، ص ١٥٢ الا أن الاشطر فيها اختلاف في الترتيب .

اقبُ ساطٍ شرسٍ شَمَـــــــردلِ (١)

مُؤجد الفقرة رخو المفصـــــل (٢)

لـه اذا أدبر لحظ المقبـــــــــل

يعدو اذا احرز عدو السهـــــــل

اذا تلا جاء المَدى وقــــــــد تلي

يقعي جلوس البـــدوي المصطلي

باربع مجدولة لــم تجـــــــــدل

فتل الايادي رابذات (٣) الأرجـــل

اثارها امثالها فــــي الجنـدل (٤)

يكاد في الوثب وفـــــي التفتل

يجمع بين متنه والكلكـــــــــل

و بين اعلاه وبين الأسفــــــــل

شبيه وسمي الحضـار (٥) بالولي (٦)

كأنه مصور مــــــــن جندل (٧)

١- اقب : ضامر البطن .

٢- في باب مؤجر .

٣- الرابذات : الخفيفات .

٤- الجندل : الصخر .

٥- الحضار الاسم من الحضر .

٦- الولي : ما يليه .

٧- في الديوان مضبر من جرول .

موثق علـــــى رمـــــاح ذبـــل

ذي ذنب أجـــــــرد غير اعزل

يخط في الأرض حساب الجمّل (١)

كأنه من جسمه ... بمعـــــــزل

نيل المنى وحكم نفس المرســـل (٢)

وعقلة الظبـــي وحتف التتفـل (٣)

لا يأتلي في تركــــــه لا يأتلي (٤)

مقتحماً على المكـــــــان الاهول

حتى اذا قلت له نلت افعـــــــــل

افتر عـــــــن مَذْرُوبةٍ كالانصل

لاتعرف العهد بصقـــــل الصيقل

مركبات في العـــــــذاب المنزل

كأنها من سرعة في الشـــــــمأَل

كأنهـــــــا مـــــن ثقل في يذبل

١- حساب الجمّل : حساب الابجدية.

٢- في ب المؤمسل .

٣- التتفل : ولد الظبي .

٤- في الديوان لا يأتلي في ترك أن لا يأتلي .

كأنها من سعة في هوجـــل (١)

كأنه من علمـــــــه .... بالمقتل

وعلم بقراط ... فصـــاد الأكحل

فصار ما للقفز للتجـــــــــدل (٢)

وصار ما في جلده في المرجـــل

فلم يضرنا معه فقد الأجـــدل (٣)

وقال آخر يصف كلباً (٤) من ارجوزة :-

منسوبة كريمـــــــــــة الأعراق

ضارية مشعلـة الاحـــــــــــداقِ

تخالها فـــــــــي حلق الاطواق

ضواحكاً مـن سعـــة الاشداقِ (٥)

وقال ابن هذيل الأندلسي : /٢٦ظ

واغضف تلقى انفه فكأنمـــــــا

يقود به نور مـــن الصبــــــح نير

١- هوجل : الأرض الواسعة .

٢- التجدل : السقوط على الأرض .

٣- الاجدل : الصقر القصيدة في الديوان ٣/٢٠٣-٢٠٨ وهي ساقطة من جـ .

٤- في كلابا .

٥- الابيات لابن المعتز الديوان ٢/٤٧١ وهي ساقطة من جـ .

اذا الهبتـــه شهوة الصيد طامعـــا

رأيت عقيم الريح عنه تقصـــر (١)

وقال ابو اسحاق بن خفاجة الأندلسي(٢) يصفه :-

وأخطل لـــــو تعاطى سبق ريح (٣)

لطار من النجاح (٤) بلا جنـــاح

يسوق الأرض يسأل عـــن بنيهـــا

فتخبر أنفه عنها (٥) الريـــــاح

اقب اذا طردتَ بـه قنيصـــــــا

تنكب قوسه الاجــــل المتاح (٦)

ولــــــــه :-

وَمُوَرس (٧) السربالِ يخلع قــــــده

عن نجم رجم في سماء غبـــار

١- في نهاية الارب ٢٦٣/٩.

٢- ابراهيم بن ابي الفتح بن عبدالله الاندلسي ، هو شاعر مجيد وصف الرياض والطبيعة وصفاً جميلاً ت ٥٣٣ هـ وفيات ٥٦/١ ، بغية الوعاء ٤٢٢/١.

٣- في الديوان برق .

٤- في الديوان الفجاء ، والفجاء : واحدتها فجوة.

٥- في الديوان عنه .

٦- راجع الديوان ص ٤١ وهي ساقطة من جـ .

٧- في الاصل مورد .

تستن في سنن الطريق وقد عفـــــا

قدما فيقرأ أحــــــــرف الآثار

عطف الغمور سراتـــه (١) فكأنــــه

والنقع يحجبه هـــــلال سرار (٢)

يفتر عن مثل النصال وانمـــــا

يمشـــي على مثل القنا الخطار (٣)

ولآخــــــر (٤) :-

ومؤدب الاساد يمســـــك صيده

متوقفاً عن اكله كالصـــــــائم

صـــب اذا ما صاد عانــق صيده

طرب المقيم الى لقـــاء القادم (٥)

ولآخــــــر (٦) :-

وما الضبي منها في حشاشة نفســـــه

ولكنـــه كالطفــل في حجـر امـــه

١- في الأصل سرابه ، والسراة الظهر .

٢- ليلة السرار : آخر ليلة في الشهر .

٣- راجع الديوان ص ٢٠٧ وهي ساقطة من جـ.

٤- في ب وقال آخر .

٥- راجع المصايد والمطارد ص ٢٢ ونهاية الارب ٢٦٤/٩ وهي ساقطة من جـ .

٦- في ب وقال آخر .

يلازمه (١) دون اخترام كأنمـــــــــا

تعلق خصم عند قاض بخصمــــه (٢)

القول في طبائع الذئب

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : الذئب كلب بري (٣) متوحش (٤) الا أنه مخالفة لغدره ، وقلة محافظته (٥) ، وكان الشاعر انما عناه بقوله وقد هجا انساناً :-

هو الكلب الا أنَّ فيـــه نذالــــــــة

وسوء مراعاة وما ذاك فـــي الكلب (٦)

ويقال أيضاً : الأسد والذئب مختلفان في الجوع ، والصبر عليه لأن الأسد شديد النهم رغيب حريص شره ، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى اياماً لا يأكل شيئاً ، والذئب وان كان اقفر منزلاً ، واقل خصباً ، وأكثر كمداً واخفاقاً فلا بد له ،من شيء يلقيه في فيه ، فاذا لم يجد شيئاً استعان بادخال النسيم فيقتات (٧) ، ومن عجيب أمره أن جوفه يذيب العظم المصمت ولا يذيب نوى التمر . ويقول من سر(٨)

١- في ب ملازمه .
٢- راجع المصايد والمطارد ص ٢٢ ، نهاية الارب ٦٥/٩.
٣- في جـ البر .
٤- ذكر الجاحظ انه كلب ولهذا أمكن نافذه معه ، راجع الحيوان ١٨٢/٢.
٥- في جـ يخالفه في قلة حفاظه وغدره .
٦- ربيع الابرار ٤/ ١٨٦ .
٧- هذا القول من الأساطير التي وقع بعض المؤلفين فيها .
٨- في ب ويقول ، في الاصل ومن يقول من .

طباع الحيوان أنه لا يوجد الالتحام عند السفاد (١) الا في الذئب والكلب ، ومتى التحم الذئب والذئبة وهجم عليهما هاجم قتلهما كيف شاء ، الا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك ابداً لأن الذئب اذا أرادَ السفاد توخى موضعاً لايطأه أنيس (٢) خوفاً على نفسه ، وهو يسفد مضطجعاً على الأرض ، وذكره عظم . وهو موصوف بالانفراد والوحدة وشدة التوحش وذلك يدل على غلظ طباعه ، وحدتها وميلها الى الخلط السوداوي ويوصف بالقزل (٣) فاذا حث (٤) المشي فكأنه يتوجى ، واذا أراد العدوَ فانما هو النقز والوثب ورفع القوائم ، وفي طبعه انه اذا خفي (٥) عليه موضع الغنم عوى ليؤذنهم بمكانه ويخبرهم بقربه ، فاذا حضرت الكلاب الى الناحية التي هو فيها زاغ عنها الى ناحية من الغنم (٦) ليس فيها كلب يحرسها ، فاختطف ، والذي يخاف من الذئب السلّة والخطفة والاستلاب والاختلاس ، وهو لا يعود الى فريسته بعد أن شبع منها آخر الدهر ، وهو ينام باحدى مقلتيه والأخرى يقظاء حتى تكتفي العين النائمة من النوم ، فاذا اكتفت فتحها ونام بالأخرى ليحترس(٧) باليقظاء ويستريح بالنائمة ، فهو أبداً يراوح بين عينيه وهو أكثر تضوراً وعواء اذا كان مرسلاً ، واذا أخذ وضرب بالعصى والسيوف حتى يقطع قطعاً أو تهشم عظامه كلها لم تسمع له صوت الى أن يموت ، وفيه من قوة حاسة الشم ما أنه يشم ويستروح من فرسخ ، وأكثر ما يعرض للغنم من الصبح وانما يتوقع فترة الكلب ، ونومه ، (وكلاله لأنه يظل طول ليلته حارساً متيقظاً (٨) وميز

١- في باب عند السفادي .

٢- راجع المصايد والمطارد ص ١,٤ .

٣- في ب القول ، والقزل نوع من المشي ، اللسان مادة قزل .

٤- في جـ احس الشي .

٥- في الاصل اخفي .

٦- في جـ الى ناحية منها ليس .

٧- في جـ ليحرس .

٨- في جـ وكلالها لانها تبيت ليلها حارسة متيقظة .

أصحاب الكلام في طبائع الحيوان بينه وبين الكلب فقالوا (١) ان الذئب وحشي وصاحب /٢٧ ظ [قفار] (٢) والكلب الوف (٣) ، وصاحب ديار ، والذئب خئون غدار، والكلب وفيّ مناصح ، وفي تركيب الذئب ، ان الذئبين متى افترسا شاة قسماها نصفين (٤) بالسوية ، ومن عجيب أمره أنه اذا وطئ ورق العنصل (٥) مات من ساعته ، وعداوته للغنم بحيث أنه متى جمع بين وتر عمل من أمعاء الغنم وضرب به لم يسمع لها صوت ، واذا جمع مع جلد ذئب تمعط جلد الشاة والذئب اذا كده الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ، ويقف بعضها الى بعض فمن ولى منها وثب الباقون فأكلوه ، وقال بعض الشعراء يعاتب صديقاً له اعان عليه في مصيبة نزلت به ، من أبيات (٦) :-

وكنت كذئب السُوءِ لما رأى دما

بصاحبه أحال على الدم (٧)

واذا عرض للإنسان وخان العجز عنه عوى عواء استعانة ، فتسمعه الذئاب فتقبل الى الانسان اقبالاً واحداً ، وهم سواء في عداوته ، والحرص عليه وعلى أكله ، فأن أدمى الانسان منها واحداً وثب الباقون (٨) على المدمى فمزقوه (٩) ،

١- في الأصل و قال ، في ب و قالوا .
٢- الزيادة من ب .
٣- في ب الشي .
٤- ساقطة من جـ .
٥-في الاصل الحنضل ، والعنصل البصل البري ، اللسان مادة عنصل .
٦- الزيادة في ب .
٧- البيت للفرزدق الديوان ١٨٧/٢ .
٨- في ب الباقي .
٩- في ب فاكلوه .

وتركوا الانسان ، وان كان مدمى ، واذا طمع فيه الانسان خافه (١) ، واذا خافه الانسان طمع فيه ، واذا سبقت رؤية الانسان رؤية الذئب له لم يقدر على الكلام زماناً ، وان سبقت رؤية الذئب رؤية الانسان اعتراه مثل ذلك حتى انه ربما ضرب بلحييه الأرض من شدة الاصطكاك ، وهو لا يواجه الانسان ، وانما يأتيه من ورائه ، فاذا وجد الانسان ما يسند ظهره اليه لم يقدر الذئب عليه ، وهو يقطع العظم بلسانه ، ويبريه بري السيف، ولا يسمع له صوت ، ويقال ان اسنانه ممطولة(٢) في اجزاء فكيه عظماً واحداً ، وكذلك الضبع .

فصل وتقول الاعراب :-

إن الذئب يسفد الكلبة فيسمى الولد الذي يخرج بينهما الديسم (٣) وتقول ايضاً:- ان الدببة تحمل من الضباع (٤) ولذا يسمونه السمع (٥) وقد اجتمع فيه شدة الضبع وقوتها وجرأة الذئب / ٢٨و وخفته ، ويزعمون انه كالحية لا يمرض ولا يموت حتف انفه وانه اسرع من الريح والطير عدوا [والله اعلم] (٦) .

١- في ب الانسان فيه خافه .

٢- من المطل: وهو السبك.

٣- اختلف في أبويه فقيل : ولد الثعلب من الكلبة ، ولد الدب ، ولد الكلبة من الذئب ، ولد الضبع من الذئب ، ولد الذئب من الكلب. وهو بفتح الدال وسكون الياء وفتح السين، واسمه بالانكليزية Cub.

٤- في ب ، جـ للدببة .

٥- بفتح السين واسكان الميم ، وهو سبع افريقي بين الذئب والضبع اسمه العلمي Lycaon Pictus.

٦- الزيادة في ب .

وقال بعض الاعراب يصف السمع :-

انعت سمعا قفـــــزة مجرسـا (١)

فجالسـا اذا اشتهى لحـم اكل

ابـوه سرحان وذيخ (٢) جــــده

فمن كلا لونيهما فيه مثــل

وفيه من لون الضبـــاع غــرة (٣)

وفيه من لون السراحين طحــل

الوصف والتشبيه :-

قد أكثر الناس في وصف الذئب ونعته ، والذي أتى في ذلك على الأمر الاقصى واستوفى ذكر خلائقه ، واستقصى ابن عنقا الغزاري (٤) وذكر جوادا شبهه بالذئب فقال :-

واعوج (٥) من ال الصريح (٦) كأنـــه

بذي الشّثّ سيد آبه (٧) الليل جائـع

١- في ب مجلسا
٢- الذيخ ذكر الضباع.
٣- في جـ عثرة.
٤- قيس بن بجرة ، وقيل عبدالقيس ، من بني شمخ من فزارة وعاش في الجاهلية والاسلام وهو شاعر مجيد ، راجع معجم الشعراء، المرزباني ص١٩٩ .
٥- اعوج : فرس.
٦- الصريح : فحل من خيل العرب.
٧- في المؤتلف والمختلف بله .

بغى كسبـــــه اطراف ليـــل كأنـه

وليس به ضلع مـــن الخمص ظالــع

فلما أباه الــرزق مــن كـل وجهة (١)

جنوب الملا وأيأستـــه (٢) المطامـــع

طوى نفسه طي الحـــرير كأنــــه

حوى حيـــة في ربـوة فهـو هاجـع

فلما اضاءت (٣) متنه الشمـــس حكـه

باعضل في اطرافه السم ناقــــع

وقام فالـــقى مده قدر طولـــه (٤)

يديه ومَطّى صلبـــه وهــو قابـع

وفك لحييـــه فلمـــا تعاديـــا

صأى ثـم أقعى والبـــلاد بلاقـــع

فهم بأمـــر ثـم اجمـــع (٥) غيـــره

وإنْ ضـــاق رزقٌ مرّة فهـــو واسع

١- في المؤتلف والمختلف : من كل جانب .

٢- في أمالي المرتضى : والحماسة البصر ية : وآيسته .

٣- في أمالي المرتضى : اصابت .

٤- في الحماسة البصرية فاقعي قاعدا يقسم المنى

٥- في الحماسة البصرية والمرتضى : ازمع .

وعارض اطراف الصبا فكأنـــــــه

رجا ع (١) غدير هزه الريح راجـــع (٢)

والابيات الشهيرة في وصفه ابيات حميد بن ثور التي(٣) *يقول فيها* :-

ونمت كنوم الفهد عـــــن ذي حفيظة

اكلت طعامــاً دونـــــــــه وهو جائــع

ترى طرفيه يعلان كلاهمــــــــــــــا

كمــا اهتـــــز السّاسم المتتابــع (٤)

خفيف المعي الا مصيـــــــــرا يبله

دم الجوف سؤر من الحوض نافع (٥)

ينـــــــام باحدى مقلتيـــــــه ويتقي

باخرى المنايـــــا فهو يقضان هاجــع

اذا نال من بهم النحيلة قوتـــــــــه

على غفلة مما يـــــــــرى وهو جائــع

١- في البصرية : حباب.
٢- ساقطة من جـ امالي المرتضي ٢/٢١٢ ، الحماسة البصرية٢/٢٤٠ ، المؤتلف والمختلف ص ٢٣٧.
٣- حميد بن ثور بن حزن الهلالي وهو شاعر فحل عاش في الجاهلية والاسلام ت ربما ٣٠٠ هـ ، الشعر والشعراء ١/٣٩٠٠ ، الأغاني (دار الكتب) ٤/٣٥٦.
٤- يعسلان : يهتزان ، الساسم : شجر أسود ، المتتابع : المستوى الذي لاعقدة فيه.
٥- في الديوان طوى البطن المصير : المعي .

لحقه ولو كان ابنها خرجـــــــت به

اذاهب ارواح الشتـــاء الزعـازع (١)

وان خال من ارض مضيفا رمت بـــه

محافظة والجانب المتواســــــع (٢)

واذا بات وحشاً ليلة لــــم يضق بها

ذراعاً ، ولم يصبـح بها وهو خـاشع

اذا ما عدا يوماً رأيت عبابـــــــه

من الطير ينتظرن الذي هو صانع (٣)

هــــو البعل الداني من القوم كالذي

له حرمة وهو العـــــدو المنازع (٤)

وقال الشريف الرضي ناسجاً على منوال هاتين القصيدتين :-

عاري الشـــوى والمنكبين من الطوى

اتيح له بالليـــل عاري الاشاجع (٥)

١- في الديوان تلوم ولو كان ابنها.

٢- في الديوان مخالبه .

٣- في الديوان غيابة : كل شيء اظل الانسان فوق رأسه مثل السحابة.

٤- البعل : البرم بأمره الديوان ص ٣٠٣-٣٠٦.

٥- الشوى : جلد الرأس ، الاشاجع : اصول الاصابع.

اغيبر (١) مقطوع من الليل ثوبـــــه

انيس باطراف البلاد البلاقـــــع

قليل نعاس الليل (٢) الا غبابـــــة

تمر بعيني جاثـم القلب جائـــــع

اذا جن ليل طارد النوم طرفـــــه

ونص (٣) سرى (٤) الحاظه بالمطامـــع

يراوح بين الناظريـــــن اذا التقت

على النوم اطباق الجفون الهواجـــع

له خطفة (٥) حذاء من كـــــل قلة

كنشطة اقنى (٦) ينقض الطل واقـــع

المّ وقد كان الظلام نقيضـــــا

يشرّد فرّاط (٧) النجـــــوم الطوالع

طوى نفسه وانساب في شمله الدجـى

وكل امـــــرء ينقاد تحت المطامـــع

١- في الديوان اغيبر.
٢- فــــي ب العيــن.
٣- نص : استخـــرج.
٤- في الديوان هـــدى.
٥- في الأصل خفتــه.
٦- اقنى : البــــازي.
٧- الفراط : السوابق.

اذا فات شيء سمعه دل انفـــــه (١)

وان فات عينيـــــــه رأى بالمسامع

تظالع حتـــى حك بالارض (٢) زوره

ورا ع (٣) وقد روعتــه غير ظالع /٢٩و

اذا غالبت احدى الفرائـــــس حظه

تداركهـا مستنجداً بالاكـــــــارع

جريٌ يسوم النفـــــس كل عظيمة

ويمضي اذا لم يمـــض من لم يدافع

اذا حافظ الراعي على الشاء (٤) غرّة

خفي الشــــــرى لا يتقى بالطلائعِ

يخادعه مستهزئا..... بلحاظــــــه

خدا ع ابن ظلماء كثير الوقائــــــع

ولما عـــــوى والرمـــــل بيني وبينه

تيقن صحبي انـــــــــه غير راجع

تأوى والظلماء تضرب وجهــــــــه

الينا باذيـــــــال الرياح الزعازع

١- في ب اذا فات شيء انفه دل سمعه.

٢- في الأصل حكى الأرض خفقة .

٣- في الأصل و ولع.

٤- في الديوان الضأن .

له الويل من مستطعم عـــــاد طعمه

لقوم عجـــال في السي[1] نوازع [2]

قال أبو نصر بن نباتة[3] قافيا اثر ما تقدم من قصيدة حميد بن ثور وابـن عنقا ولقد أجاد كل الاجادة ، واتى بالحسنى وزيادة [وهو قوله] [4] :-

واطلس [5] مافي سعيه غيـــــر أنه

يضيق عليه الـــــرزق والخرق واسع

يخاف اخوه حرصه وهو طاعــــــم

وتهرب عنه عرســــــــــه وهو جائع

علا شرف البيـــــــداء يسأل انفه

بيانا وقـــــــد اكدت عليه المسامـع

فنمّت اليه الريـــــح إن شظيّة [6]

وبهما باكفاف السماوة رائـــــع [7]

١- في الديوان بالقسي .

٢- القصيدة ساقطة من جـ، الديوان ١/٦٦١.

٣- عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن نباتة وهو أحد شعراء سيف الدولة ت ٤٠٥هـ راجع تاريخ بغداد ١٠/٤٦٦ ، وفيات ٣/١٩٠.

٤- الزيادة من ب .

٥- الاطلس : الذئب .

٦- الشظيه : عظم الساق ، البهم : اولاد الضأن.

٧- في الديوان ضائع .

فزعزع من قطريه(١) يدأل(٢) ظالعا(٣)

وما هـــــو الا للخديعـة ظالـــــع

على كل حال من يسار... وفاقـــــة

يسير بمـا أهدت اليـــــه المطامـــــع

اذا غمرة هاب الجبـــــــان حياضـها

توردّها ماض على الهـــــــول طالع

سرى ماله تحــــــت الظلام وسيلة

الى الحي الا خطمه والاكــــــــارع

وابصرها فوضى فسارع تاركـــــا

مجـــــاهرة إنّ الحريـــــص مسـارع

وان سخطه فانضــــــم يسرق شطـره

ازل كصدر الرمـــــــح بالخيل بـارع

فويلمّه ان كان يـــــــوم غـــــواره

عن المجد يحمي او عليه يقـــــارع (٤)

١- قطرية : جانبية .

٢- الدأل : مشي مثقل شبيه بالختل .

٣- الظالع : الغامز في مشيه.

٤- ويلمه : كلمة تفجع وتعجـب ، يقارع : يدافع . القصـيدة ساقطـة من جـ ، راجع الديـوان ٦٠١/١.

وهذه الأربع قصائد إنما ذكرتها على نسق لكونها على قافية واحدة ولكونها عملت في قالب المناظرة والمماثلة ، وعرضت في معرض المجاورة والمساجلة ليوازن بين قرائح شعرائها ، وتثبيت الحكم فيها ، ويعطي كل قريحة قسطها من انصافه على أن للبحتري قصيدة وصف الذئب فيها تقصر عنها شيئاً ، وكل نظم عمل في معناها ، وتتمنى القرائح ان تأتي بمثلها فيحول العجز بينها وبين مناها ، وهي طويلة جاء منها :-

وليل كأن الصبـــــح فـــي اخرياته
حُشاشة نصل ضم افرنده (١) غمـد

تسربلته والذئب وسنان هاجـــــــع
بعين ابن ليل ماله بالكـــــرى عهـد

اثير القطا الكدري (٢) عن جثماتـــــه
وتألفني فيه الثعالب والرُبـــــد (٣)

وأطلس ملئ العـــين يحمـــل زوره
واضلاعه من جانبيه شوى نهـد (٤)

له ذنب مثـــل الرشـــــاء (٥) يجره
ومتن كمتن القـــوس اعوج منـاد (٦)

١- افرند : السبت.
٢- الكدري : المائل للسواد.
٣- الربد : الأسود.
٤- نهد : بارز.
٥- الرشاء : الحبل.
٦- في الأصل حمند والمنأد : المعوج .

طواه الطوى حتى استمر مريـــــــره
فما فيه الا العظـــم والـــروح والجلد
سما و بي من شدة الجـــــــوع مابـه
ببيداء لم تـعـرف (١) بهـا عيشة رغد
تقضقض عُصلا(٢) في اسنتها(٣) الردى
كقضقضة المقرور ارعده البـــــرد
عوى ثم اقعى وارتجـــــزت وهِجْتُه (٤)
فأقبـــــــل مثل البرق يتبعه الرعد
واوجرته عرجاء (٥) تحسب ريشـــــــها
على كوكب ينقض والليـــــل مسود
فما زاد الا جـــــــرأة ... وضـراوة
وايقنت أن الأمـــــر منه هو الجد
واتبعتها اخرى فأظللت نصلهـــــــــا
بحيث يكـــون اللبُ والرعبُ والحقد

١- في الديوان تحسس.
٢- يقضقض عصلاً : يصوت بأسنانه صلبه معوجه.
٣- في الديوان اسرتها.
٤- في الديوان فهجته.
٥- في الديوان خرقاء ، واوجرته خرقاء : رميته بسهم.

فخر وقد اوردتـــــه منهـــل الردى

على ظمأ لو أنه عذب الـورد /٣٠و

وقمت فجمعت الحصى فاشتويتـــه (١)

عليه وللرمضاء مــن تحتــه وقد (٢)

ولبعض الاعراب يصفه [فقال] (٣)

فباتت وبات الذئـــــــب يعوي كأنه

حبيب لها بالبيد يهـوى ويعســـل

ازل كعـــــود الخيـــــزرانة لونه

كلون دخان النار اطلس المحل (٤)

عسوب السرى لا يملأ الليل صـــــدره

على الهول مقـــدام كسوب معبل

متـــــى مايفد يكـــــن ذخـــره

له مشرب (٥) فـي صدر يوم ومأكل

ولم يرَ الا وهو فـي كـــل ليلـــــة

مع الكسب منه معوز الزاد مـرحل

١- في الديوان واشتريته.

٢- الديـــوان ٧٤٢/٢.

٣- الزيـــادة مـــن ب.

٤- فـــي ب محـــل.

٥- فـــي ب شـــرب .

مفيــــد مبيــــــد ما أفــــاد فما به

الى أحـــد فقر ... ولا يتحول (١)

وكل هذه القصائد عيال على قول من قال يصفه (٢)

هـــــــو الخبيــــــث عنه فراره

اطلـــــس يخفي لونـــه (٣) غبـاره

في فمـــــه (٤) شفرته ونــــــــاره

لهم بنـــي سنجاب مـــر داره (٥)

والطريف من وصفه قول الآخر وهو المشهور (٦) لأبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة من أبيات يصف ذئباً :-

ولرب روّا غ هنـــــــالك أَنْبـــــط (٧)

ذَلِق (٨) المسامع أَطلـــس الاطمـارِ

١- ساقطة من جـ .

٢- في ب والطريف في وصفه قول الآخر وهو المشهور.

٣- في ربيع الأبرار : شره.

٤- في ربيع الأبرار : رأسه.

٥- في ربيع الأبرار: بهم بني محارب من ... وهذا الشطر ساقط من ب ، والأبيات في ربيع الأبرار ١٨٣/٤ ظ.

٦- ساقطة من ب .

٧- انبط : ابيض ما تحت الابطين .

٨- في الديوان : خلق اي املس .

يجري على حذرٍ فيجمـــــــع بَسْطَه

تهوى فتعطف انعـــــــطاف سوار

ممتد حبـــــــــل الشَأوِ يعسل رائعا

فَتكاً ويغلـــــــب ايدي الاقدار (١)

فصـــــل :-

ويلحق بالذئب في الذكر ابن آوى (٢) وهو عند المتكلمين في طبائع الحيوان ذئب اهلي لانه لايكون ابداً الا قريباً من الناس ، وعمارة الأرض وانما سمي ابن آوى لأنه يأوي الى عواء ابناء نوعه ، ولن يعوي الا ليلاً، وذلك انه اذا استوحش وبقي وحده عوى /٣٠ظ فلا يسمع عواءه ابن آوى عن قريب ولا بعيد الا أسرع اليه حتى يصير معه فيستأنس به ، وهو شديد الختل لصائده ، ولهذا قيل ان (٣) بعض المحترفين بالصيد يذكر ان قيمته لاتفي بالتعب عليه، [وهو قوله] (٤) :-

ان ابـــــــن آوى لشديد المُقتَنَص

وهو اذا ما صيد ريح في قفــص (٥)

ويقال أن صياحه يشبه صياح الصبيان وهي والضباع والثعالب تتسافد وتتلاقح .

١- في ب فتكاد يفلت ايدي انذار وهي ساقطة من جـ ، الديوان ص ٢٠٨.

٢- من الفصيلة الكلبية أيضاً واسمه العلمي Canic Aureus.

٣- في جـ قال.

٤- الزيادة من ب .

٥- ذكره الدميري١/١٠٨ .

القول في طبائع الضبع

وهي سبع مهيمن لأكلها الجيفة ، والميتة ، يقول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان انها كالأرانب تصير مرة ذكراً ومرة أنثى[١] ، فيلقح [٢] في حال الانوثة، ويلقح في حال الذكورية ولها في الليل قوة وسورة ، وتوصف بالعرج وفيها يقول بعض العرب :-

من الغُبرِ لايُدرى أرجلُ شِمـــــالها

بها الضَلَعُ لما هرولـــــت ام يمينها [٣]

وقال ابن أبي الأشعث [٤] : يوصف الضبع بالعرج ، وليست عرجاء ، وانما يخيل ذلك للناظر وسبب هذا التخيل لدونة [٥] في مفاصلها، وزيادة الرطوبة في الجانب الأيمن على الجانب الأيسر منها ، وهي مولعة بنبش القبور، وإنما ذلك لشهوتها في لحوم الناس اذا لم تجدها ظاهرة ، ومن عاداتها اذا صار القتيل بالعراء ، وانتفخ ذكره وقلبه ، تجيء فتركبه وتقضي حاجتها منه ، ثم تأكله ، ومتى رأت إنساناً نائماً حفرت تحت رأسه ، وأخذت بحلقه قتلته وشربت دمه ، وهي فاسقة لا يمر بها حيوان من نوعها الا علاهـــا وتضرب العرب بها المثل في الفســاد[٦] ، فانها اذا وقعت في الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفي الذئب فاذا

١- جاء في المصايد أنها زعم للاعراب ص ٢١٤ ، ونسب أرسطو ذلك الى الخطأ وان ما ذكر بأن له عضوين غير صحيح وان منشأ ذلك كان من وجود خط يشق عضو الانثى وذلك الخط موجود في ذكورها واناثها، راجع كون الحيوان ١١٦-١١٧.

٢- في ب تلقح.

٣- البيت لمدرك بن حصن ، الحيوان ٥/٢١٣.

٤- لم أعثر في كتاب الحيوان لأبن أبي الأشعث على هذا القول وربما في كتاب آخر.

٥- لدونة : ليونة.

٦- يقولون : (أفسد من الضبع) راجع المستقصى في أمثال العرب ١/٢٧.

اجتمع الضبع والذئب [1] في الغنم سلمت فان كل واحد منهما يمنع صاحبه والعرب تقول في دعائها للغنم اللهم ضبعاً وذئباً [2] ، أي اجمعهما فيها لتسلم والضبع اذا وطئت ظل الكلب في القمر وهو على سطح وقع فأكلته ، واذا دخل/٣١و الرجل عليها وجارها [3] ولم يسد خروق الموضع بنفسه أو بثوبه ، ثم صار اليها من الضياء بقدر سم الخياط ، وثبت اليه وقطعته وان أخذ معه حنضلاً أمن سطوتها وتوصف بالموق [4] والحمق ، وذلك ان الصيادين لها يقفون على باب وجارها ، ويقولون اطرقي أم طريق خامري أم عامر فاذا سمعت كلامهم انقبضت، فيقولون ابشري بكمر الرجال ابشري بشاة هزيل [5] ، وجواد عظلي، وهم [6] مع [ذلك] [7] يشدون يديها ورجليها و (هي) [8] لا تتحرك ، ولو (شاءت) [9] لأجهزت عليهم فقتلهم وهذا عند من له أدنى فهم في الخرافات التي للعرب ، وهي تلد من الذئب جرواً يسمى العسبار [10] يكون منفرداً لايألف السباع ويثب على الناس والدواب [والله اعلم بالصواب] [11] .

١- في جـ الذئب والضبع .

٢- راجع اللسان مادة ضبع ، وقد ورد في الاشعار قولهم:

تفرقت غنمي يوما فقلت لها

يا رب سلط عليها الذئب والضبعا .

٣- وجارها : مأوى الضبع.

٤- الموق : حمق مع غباوة.

٥- في ب ، جـ هزلي.

٦- في الأصل وهي.

٧- الزيادة ضرورية لاكمال العبارة.

٨- ساقطة من ب .

٩- ساقطة من ب .

١٠- بالضم وهو ولد الضبع من الذئب.

١١- الزيادة من ب .

الوصف والتشبيه :

قال مُتَمم بن نويرة يصفها :

يا لَهفَ من عَرفاءَ ذاتِ فَلِيلة [1]

جاءت اليَّ على ثلاثٍ تضلعُ [2]

ظلت تراصدني وتنظر حولها

ويريبها رمق واني مطمع

وتظل تنشطني وتُلحِم اجريا

وسط العرين وليس شيء يمنع [3]

لو كان سيفي باليمين ضربتها

عني ولم اوكل وجنبي الاضيع [4]

القول في طبائع الخنزير[5]

وهو صنفان : اهلي ووحشي ، وكأنه مشترك بين السبعية والبهيمية فالذي فيه من السبعية الناب ، واكله الجيف [6] ، والذي فيه من البهيمية الظلف وأكله العشب ، والعلف ، وهذا النوع يوصف بالشبق ، وكثرة السفاد حتى أن الأنثى منها يركبها الخنزير، وهي ترجع ، وربما [7] قطعت أميالاً ، وهو على ظهرها ويرى اثر

١- في الأصل حليلة ، الفليلة : القطعة من الشعر.

٢- في الديوان تخمع .

٣- في الديوان حي يمنع.

٤- راجع : مالك ومتمم ابنا نويرة ص٩٩.

٥- ساقطة من ب ، جـ القول في طباع الخنزير.

٦- في جـ للجيف.

٧- في جـ ترتع فربما.

ستة أرجل (من لايعرف ذلك فيظن أن في الدواب ما له ستة أرجل) [١] وذكر الخنازير يطرد الذكور عن الاناث، وربما قتل واحد [٢] منهما صاحبه ، وربما هلكا جميعاً واذا كان زمان هياج الخنازير تطاطيء رؤوسها ، وتحرك اذنابها، وتتغير أصواتها وتضع /٣١ظ الخنزيرة عشرين خِنّوصا [٣] ، وتحمل من نزوة واحدة، والخنزير ينزو اذا تمت له ثمانية أشهر، واذا بلغت الخنزيرة خمسة عشرة سنة لا تلد ، ويقال أنه ليس للخنازير زمان للنزو، لانها تنزو اذا شبعت ، والخنزيرة أنسل الحيوان ، والذكر أقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثا فيه . ويقال : إنه ليس لشيء من ذوات الأنياب ما للخنزير من القوة في نابه ، حتى أنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل ما لقي من جسده من عظم وعصب ، وربما طال [٤] ناباه حتى يلتقيان فيموت عند ذلك جوعاً لأنهما يمنعانه من الأكل، وهو [متى] [٥] عض كلباً سقط [٦] شعر الكلب وهو (وان صار أهلياً بعد أن كان) وحشياً ، لا يقبل التأديب على حال حتى كأنه بهيمة في طباع ذئب [٧] ، واذا رأى الأسد جرب نفسه لمحاربته وذلك أنه يضرب الشجرة بنابه ، فان قطعها حارب الأسد ، والا هرب ؛ وفي طبعه أنه يحذر الكمين ، كما يحذر الجاموس من البيات فترى الخنازير اذا طردت وأُريعَتْ [٨] تقسم الحذر بين الشخصين شخص تتوقعه، وآخر [٩] تعاينه ، ويجعل لها في سيرها حامية منها وساقه ، ومنها استفادت

١- ساقطة من جـ .
٢- في جـ احدهما.
٣- بكسر الخاء وتشديد النون ولد الخنزير.
٤- في الأصل صالت.
٥- الزيادة من ب .
٦- في الأصل اسقط.
٧- في الأصل حتي كأنه وان كان بهيمة...
٨- في ب ورفعت.
٩- في جـ شخص.

المقاتلة حذر الكمين ، واعداد الحامية ، والساقة في الحرب ، وهو يطلب العذرة وليست كالجلالة ، وانما يطلب احرّها وانتنها واقربها عهداً بالمخرج ، وهو في القرى يتعرف أوقات الصبح والفجر ، وقبيل ذلك وبعده يزور الناس للغائط فيعرف من كان قائماً في بيته انه قد أسحر، بأصواتها، ومرورها ووقع أرجلها في الغيطان، ولذلك يضرب المثل ببكوره (١) ، ويعتري ذكوره داء الحلاق (٢) ، واللواط ، فربما يرى الخنزير وقد ألجأه اكثر من عشرين خنزيراً الى مضيق ثم ينزو عليه /٣٢و الأمثل فالأمثل حتى يبلغ آخرهم، وهذا (٣) إنما يكون عن ضعف في ذكر بعينه، أو تأنيث في طبعه، أو يكون في اعينها من الاستحسان شبيهاً بالذي يراه بعض الرجال في الغلمان ، والأحداث والشبان ، وهو اذا قلعت إحدى عينيه هلك عاجلاً ، وتقول الأطباء: [انه] (٤) متى فسد من عظام الانسان عظم ووضع في مكانه عظم خنزير قبلته الطبيعة ، ونبت عليه اللحم وفيه من الشبه به إنه ليس له جلد يسلخ الا أنه يقطع ما تحته من اللحم ، وهو يعيش من خمس عشرة سنة الى العشرين على ما حكاه أرسطو في كتاب الحيوان (٥) .

الوصف والتشبيه :-

لم أجد في صفته لأحد من الشعراء شيئاً، وانمـــا عثرت لعطاء بن يعقوب

١- فيقولون : (ابكر من الخنزير).

٢- الحلاق: مرض يصيب ذكر الخنزير فيحمر ويتقشر ، راجع اللسان مادة (حلق).

٣- في جـ ذلك .

٤- الزيادة من ب جـ .

٥- طباع الحيوان ص ٢٩٣.

الغزنوي (١) في رسالة كتبها يعرض فيها بقاض: وما مثل فلان في استتابته (٢) الا كمثل رجل رأى في المنام أنه يضاجع خنزيراً، فبكر الى المُعَبّر ليعبر منامه تعبيراً فقال له المعبر: يا برذعة الحمير ماغرك بالخنزير؟ الين ملمسه أم حسن معطسه ، أم شكله الرشيق أم طرفه العشيق ، أم لقاؤه البهيج أم قُبيعة (٣) الغَنِج أم شعره الرَجِل أم ثغره الرَتِل (٤) .

القول في طبائع الدب

والدب مختلف الطباع يأكل ما تأكله السباع ، وما ترعاه الدواب ، وما يأكله الناس وفي طبعه أنه اذا كان أوان السفاد خلا كل ذكر بأُنثاه، والذكر يسفد انثاه مضطجعة (٥) على الأرض وهي تضع جروها فدرة لحم غير متميز الجوارح فتهرب به من موضع الى موضع خوفاً عليه من النمل وهي مع ذلك تلمسه حتى تنفرج اعضاؤه ويتنفس وفي ولادتها صعوبة وربما أشرفت على التلف حالة الوضع ويزعـم(٦) بعض من فحص عن طباع الحيوان انها تلده من فيها (٧) ، وإنما تلده ناقص الخلق شوقاً الى الذكر ، وحرصاً على السفاد، ولشدة شهوتها تدعو الآدمي

١- في الأصل لغطاس ، عطاء بن يعقوب الغزنوي كاتب وشاعر باللغتين العربية والفارسية ت ٤٩١هـ نزهة الخواطر ١/٨٥.

٢- في الأصل ....

٣- والقبيعة: نخرة أنفه.

٤- الرتل المنضود ، والنص ساقط من جـ ، وهو في نهاية الارب ٩/٣٠١.

٥- في الأصل مضطجعاً.

٦- في ب وزعم.

٧- قول لا يؤيده العلم ، وهو محض زعم .

الى وطئها ، وهذا الحيوان يختفي في الشتاء في مجاثمه ، ويكون ان كان يفعل ذلك لبرد أو علة أخرى ، وهو يوجد في ذلك الزمان سميناً جدا ، ولذلك يكون عسر الحركة ، والاناث تضع /٣٢ظ حينئذ وتقيم حتى تبلغ وقت خروج جراها ، وتفعل ذلك في الشهر الثالث [١] وهو اذا جثم في مكان لا يتحرك منه الا بعد أن (يمر عليه) [٢] أربعة عشر يوماً ، وبعد ذلك يتدرج في الحركة ، وهو في تلك الايام لا يأكل شيئاً ، وانما يمص يديه ، ورجليه وربما صيد منها شيء ، فيشق جوفه فيوجد معاؤه وليس فيه شيء من الطعم وهو يشد على الثور ، فاذا همّ الثور بضربه تناول قرنه ونهشه بين كتفيه حتى يقع [٣] [و] [٤] لا حراك به ، ولما فيه من القوة يقاتل الايايل ، وخنازير البر خاصة اذا فاجأها قبل أن تحس به والانثى اذا هربت دفعت جراها بين يديها ، واذا [٥] اشتد خوفها عليها حملتها ، واذا لحقها طالبها صعدت بها الأشجار وفي هذا الحيوان من القوة والشدة ، ما يقطع العود الضخم من الشجرة العادية الذي لا يقطعه الفأس ، ثم يأخذه بيديه... قائماً ويشد بها على الفارس فلا يصيب شيئاً الا هتكه ، وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب [والتعليم [٦]] لكنه لا يطيع معلمه الا بعنف وضرب شديد .

القول في طبائع التفة [٧]

وتسمى عناق الأرض وهي في نحو الكلب الصغير وأحسن من الكلب وصيدها في غاية الحسن ، وربما واثبت الانسان فعقرته ، ولا تطعم غير اللحوم ،

١- ساقطة من حـ.
٢-ساقطة من ب .
٣- في ب فيقع .
٤- الزيادة من ب .
٥- في جـ فاذا .
٦- الزيادة من ب .
٧- ويسمى أيضاً الغنجل ، والتفة كثبة وهو من مرتبة اللواحم من فصيلة السنانير واسمه العلمي Lynxcarcal

وتضرى على صيد الكركي ، وما قاربه من الطير فتفعل فيها فعلاً حسناً (١) ، وتؤخذ صفته من أبيات صنعها الناشىء شعراً منها (٢) :

من كان للصيدِ كسّابا فَقانِصـــــــه
ذو مـرةٍ في سبـــــا ع البيد معدودُ

لكنه كفتــــــاة الحي ... بـــــارزة
من خـــــــدرها مالىء للعين مـودود

حلو الشمائل فـــــي أجفانه وطف
صافي الأديم هضيم الكَشْحِ ممسود

فيه من البـــــــدر أشباه موافقه
منها له سفــــــع في وجهه ســـود

كوجه ذا وجه هذا فـــــــي تدّوره
كأنه منه فـــــــي الاشكال مَقدُود

له من الليــــــــث ناباه ومخلبه
ومن غَرير الظبـــــاء النحر والجيد

يصغى باذنين يدنـــي وَشْك سمعهما
له الذي عييت في غولهـــــا البيد

١- الزيـادة من ب .

٢- الزيادة من جـ .

كأستين على غضين تعطفهـــا (١)

من جانبيه وفي الرأسين تحديد

كعنبر عوجته فــــي سوالفهـا

من بعد ما قومته الغــادة الرود

كأنـــه لابس من جلـــده فَنكا (٢)

في لينه كبـــنان الكف تمهيد

حكته (٣) في لَونه نُمر الغطاط (٤) وفي

لطف المكائد منه السمع والسيد

اذا رأى الصيد أخفى شخصـه اربـا

وقلبــه باقتناص الصيد معقود

يكاد من سَدْكه (٥) الأرض يخرقهـــا

كأنه لحثيث الذعـــر مزء ود (٦)

ينســـاب كالايم هبـــالا (٧) لبغيته

حتى اذا أمكنته وهو مكـــدود

١- في الأصل تعطفه.

٢- الفنك من فصيلة الثعالب ولــه فــرو مــن أحسن أنــواع الفــراء واسمــه العـلمي Fennecus Zerda

٣- في المصايد تحكية.

٤- من أنواع القطا من فصلية الطيور الدجاجية.

٥- سدك : التصق.

٦- مزؤد : خائف.

٧- هبالا : كسابا.

سطت عليها به كف المنــون فمـــــا

تبغي نجا و ورد الحيــن مورود (١)

القول في طبائع الثعلب

وهو سبع جبان مستضعف خبث ، ذو مكر ، وخديعة ، ولكنه لفرط الخبث والحيلة ، يجري مع كبار السباع ، ومن حيلته (٢) في طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه ، حتى يظن أنه قد مات، فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصـــاده(٣) وهذه الحيلة ، لا تتم على كلب الصيد ، ومنها أنه اذا دخل على برج حمام ، وكان شبعاناً قتلها، ورمى بها لعلمه أنه لا ينتفع بها [فترمى] (٤) حتى اذا جاع عاد اليها فأكلها وهو من الحيوان الذي سِلاحه سُلاحه وهو أنتن من سُلاح الحباري فاذا تعرض للقنفذ ولقيه شوكه ، واستدار كالكرة سلح عليه فانسدخ (٥) ، فعندها يقبض على مراق بطنه ، ومن طريف ما حكي عنه أن البراغيث اذا كثرت في فروته تناول صوفه بفمه ثم يدخل النهر قليلاً قليلا ، والبراغيث تصعد فراراً من /٣٣ظ الماء حتى يجتمع في الصوفة التي في فمه فيلقها ويهرب ، والذئب يطلب أولاد الثعلب فاذا ولد له (٦) وضع ورق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب، ويقال إنما يفعل ذلك اذا أحس بالصيادين ، ويقال : قضيب الثعلب في خلقة الانبوب أحد شطريه عظم في صورة المثقب ، والآخر عصب ولحم (٧) وربما سفد

١- القصيدة في المصايد والمطارد ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
٢- في جـ حيله.
٣- في ب ، جـ فصاده.
٤- الزيادة من جـ .
٥- انسدخ : انبسط.
٦- في جـ ولد الثعلب.
٧- النص في المصايد والمطارد ص ١٤٩.

الكلبة فولدت كلباً في خلقة السلوقي الذي لايقدر على مثله ، وفرو الثعلب أفضل الأوبار منه الأسود والأبيض الخلنجي [١] ، وادونه الاعرابي لقلة وبره وما كان منه ببلاد الترك سمي (البرطاسي) [٢] لكثافة وبره ، وحسن لونه ، وهذا قول عبداللطيف [٣] في كتاب الحيوان [الذي] [٤] صنفه.

الوصف والتشبيه :

قال بعض الأعراب يصفه :-

جاءوا بصيد عجب [٥] من العجب

أُزَيرِّق العينين طوّال الذنب

تبرق عيناه الى ضوء الشهب [٦]

وقال الببغاء [٧] :-

وأعفرُ المسكِ تلقاه [٨] فتحسبه

من ادكن الخَزّ مخبوء بخيفان [٩]

١- الخلنج شجر تتخذ منه الأواني ويراد به لون هذا الخشب.
٢- برطاس : اسم لمكان سكنته (على ما يقول ياقوت الحموي البرطاسية والمكان قريب من الخزر، راجع معجم البلدان ٥٦٧/١ .
٣- عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، وهو أحد العلماء الكبار له مصنفات عديدة في علوم عديدة ت ٦٢٩ هـ. فوات الوفيات ٧/٢ ، انباه الرواة ٢//١٩٣.
٤- الزيادة من ب .
٥- في المصايد كل.
٦- ساقطة من جـ ، راجع المصايد ص١٥١ ، نهاية الارب ٢٨١/٩.
٧- أبو الفرج عبدالواحد بن نصر بن محمد المخزومي شاعر كثير الوصف ت ٣٩٨ هـ وفيات ١٩٩/٣ ،يتيمة الدهر ٢٥٢/١.
٨- الزيادة من ب .
٩- في الأصل بحقيان.

كأن اذنيه في حسن....انتصابهما

اذا هما انتصبا للس زجان [1]

يسري ويتبعه من خلفه ذنب

كأنه حين يبدو ثعلب ثان

فلا يشك الذي بالبعد يبصره

فردا بانهما في الخلق اثنان [2]

القول في طبائع النمس [3]

وهذا الحيوان تسميه العرب الظربان ، قال أبو عبيد [4] في كتابه الغريب المصنف [5] الظرباء على وزن فعلاء [6] ، وهوعلى قدر الهر ، وفي قدر الكلب القلطي ، وهو منتن الريح ظاهراً وباطناً [7] ، وقال الواصف له : لونه الى الشبهة ، طويل الخطم [8] جداً ليس له اذنان الا صماخان، قصير اليدين، وفيهما براثن حداد ، طويل الذنب ليس لظهره فقار ، ولا فيه مفصل ، بل عظم واحد من مفصل

١- الزج : الحديدة توضع في اسفل الرمح.
٢- نهاية الارب ٢٨١/٩.
٣- حيوان لاحم اكدر اللون Her Pestes.
٤- القاسم بن سلام الهروي من أئمة اللغة والأدب والحديث ت ٢٢٤ هـ ، تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ وفيات ٦٠/٤.
٥- من كتب اللغة المهمة نسخة منه في المتحف العراقي (١٦٢٨).
٦- الغريب المصنف ٢١٩ ظ.
٧- في ب في الظاهر والباطن.
٨- الخطم : مقدم الأنف.

الرأس الى مفصل الذنب ، وربما ظفر الناس به فيضربونه بالسيوف فلا تعمل فيه حتى تصيب طرف أنفه /٣٤و لأن جلده مثل قد [١] في القوة والصلابة، ولفسوه ريح كريهة ، حتى أنه يصيب الثوب فلا يذهب ريحه منه حتى يبلى، وهو يفسو في الهجمة من الابل فتتفرق ولا تجتمع لراعيها الا بعد جهد ، والعرب تضرب به المثل في تفريق الجماعة فيقولون: فسا بينهم الظربان [٢] وهو لأهل مصر كالقنافذ لأهل سجستان في قتله الثعابين اذ لولاه لأكلتهم الثعابين ، والنواطير عندهم يتخذونها اذا خافوا منها ، ومن عاداته [٣] أنه اذا رأى الثعبان دنا منه ووثب عليه فاذا أخذه تضاءل في الطول حتى يبقى شبيهاً بقطعة حبل[٤] فينطوي الثعبان عليه ، فاذا إنطوى نفخ بطنه ثم زفر زفرةً ، فينقطع الثعبان قطعاً ، قال الجاحظ :- وفسو الظربان أحد أسلحته ، لأنه يدخل على الضب في جحره ، وفيه حسوله [٥] وبيضه ، ويأتي أضيق موضع في الجحر فيسده ويحول دبره ، فلا يزال يفسو ثلاث فسوات حتى يخر الضب سكراناً مغشياً عليه فيأكله[٦] ، ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسولة ، وله جرأة على تسليق الحيطان في طلب الطير، فان هو سقط نفخ بطنه حتى يمتلئ جلده ريحاً [٧] فلا يضره السقوط .

١- القد : السير المقدود من الجلد.

٢- جمهرة الأمثال ٢/٢٢١.

٣- في جـ عادته .

٤- في جـ بقطعة لحم حبل.

٥- الحسول اولاد الضب حال خروجها من البيض.

٦- الحيوان ١/٢٤٩.

٧- الزيادة من ب .

فصـــــــل :-

ويشبه هذا الحيوان السمور [1] ، وقد ذهب بعض الناس الى انه هو وانما البقعة التي هو فيها فعلت في تغير وبره ، وحكى عبداللطيف البغدادي في كتاب الحيوان عن ابن ماسة : وان السمور حيوان ليس في الحيوان أجرأ منه على الانسان وهو سريع الحضر [2] ، لايؤخذ الاّ بالحيل في صيده بأن تدفن جيفة فيغتال بها ، ولحمه حلو والترك يأكلونه ، وجلده لا يدبغ كسائر الحيوان ويقرب منه حيوان يسمى الدلق [3] ، وهو أيضاً يفترس ويكرع الدم ، وذكر ابن فارس [4] في كتاب المجمل في اللغة انه النمس أيضاً [5] .

والسنجاب [6] وهو حيوان سريع الختلة ، واذا أبصر الانسان صعد الشجر العالى ، وفيها يأوي ، ومن ثمرها يأكل ، وهو كثير ببلاد الصقالبة ، والخزر ، ومزاجه بارد رطب بالاضافة الى مزاج /٣١و السباع وبالاضافة الى مزاج الانسان (حار رطب لسرعة حركته على حركة الانسان) [7] .

(قال أبو الفرج) [8] *الببغاء* :-

قد بلونا الذكاء في كـــــل ناب

فوجدناه صنعة السنجـــــاب

١- حيوان بري آكل اللحوم يضرب لونه الى السمرة اسمه العلمي Mustela Zibelina

٢- في ب الحذر.

٣- من فصيلة السراعيب أكبر من ابن عرس يقرب من السنور الأهلي في الحجم.

٤- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني من أئمة اللغة والأدب ت ٣٩٥ هـ يتيمة الدهر ٣/٤٠٠ وفيات ٤/١١٨.

٥- المجمل مادة نمس .

٦- فصيلة قائمة برأسها ، من رتبة القواضم.

٧- ساقطة من جـ.

٨- ساقطة من ب .

حركات تأبـــى على السكون والحا

ظ حِدَاد كالنار في الالتهـــــاب

خـــــــف جدا على النفوس فلو

شاء ترامى مجاوراً للتصــــابي

واشتهت قربـــــه العيون الى أن

خلته عندها اخــــــا للشباب

لابس جلـــــــــده اذا لاح خلنا

ه بها في مزرة مــــــن سحــاب

لو غدا كـــــــل ذي ذكاء نطوقا

رد في ساعة الخطاب جوابي [١]

القول في طبائع الهر

وهـو ضربـان وحشـي وأهلـي ، وكل منهمـا [٢] لـــه نفس غضوبة يفترس ، ويأكل اللـحم الحي وهـو شبيـــه [٣] بـالأسد فـي الصـورة والاعـضـــاء والـوثـب والافتراس والاحضار الا أنــه أقـــل حرارة من السبع ، وأكثرهـــا مـن سائر الحيوانات ، وهو واسع الاهــاب وكــل حيوان مسلوخــه أوســع فهو خفيف العدو ، ويناسب الانسان في أمور منهـــا أنـــه يعطس ويتثاءب ، ويتمطى ، ويتنـــاول الشيء بيده ، ويغســل وجهه وعينيه بلعابه [٤] ، وفيه أنه تحدث للأنثى قوة وشجاعة،

١-القصيدة ساقطة من جـ، نهاية الارب ٢٧٨/٩.
٢- في جـ منهما .
٣- في جـ يشبه.
٤- راجع الحيوان ٥/ ٢٩٠.

ولهـذا [١] اذا كامنها الذكر هرب منها عند فراغه فلو لحقته قطعته ، وربما رمى بنفسه من خالف ، وهذه الشجاعة تكون في الذكر قبل السفاد وهي اذا هاجت آذت بصياحها أهل المكان ليلاً ونهاراً بشيء ظاهر[٢] لايعتريها فيه فترة ولا سآمـــة ، ولا يفعل الذكر مثل ذلك ، وهي تحمل في السنة مرتين ومدة حملها خمسون يوماً ، وهي تأكل [٣] أولادها ، ويقال أن هذا من فرط حبها لهم [٤] ويقال إنما يعتريها ذلك من جنون يعرض لها عند الولادة أو /٣٥و جوع ، ويضرب المثل بالهر بالتلطف [٥] عند الاستجداء والطلب وترى منه حينئذ ما يبعث المتمقت له على ايثاره وبره والميل اليه والحنو عليه [٦] ، وله أصوات مختلفة عند صياحه لجراه [٧] وعند طلب ما يأكل وعند الخصام، حتى أنه يكاد يفهم عن نفسه ما يروم من المحاورة لخصمه وعند هياجه للسفاد، وعند شربه ، وفي طبعه الالف ، ومعرفة الصاحب والمنزل حتى أنه ينفى الى الأماكن البعيدة لفساد يكون منه فيعود الى منزله بعد الأيام العديدة ، وفيه من الأخلاق الحميدة أنه يراعي حق التربية والاحسان اليه ويقبل التأديب حتى أنه ربما يضرب على فعل المكروه منه فلا يعود لمثله ، وربما رؤى [٨] في حانوت السمّان والجزار، وبين الدجاج والحمام ، ومما [٩] يخاف عليه من سائر المطاعم ولا [١٠] يتعرض لها بفساد ، وربما خطفها من غيره وقاتل دونها مع مافيه من الافتراس ، والاختلاس ، وفي طبعه أنه اذا أطعم شيئاً

١- الزيادة من ب .
٢- في ب ظاهر قاهر ، في جـ قاهر.
٣- في ب وفي اخلاق بعضها انها تاكل... في جـ اذا ولدت تاكل...
٤- في ب ، جـ لها.
٥- في ب في التطلف.
٦- الزيادة من ب ، جـ .
٧- في جـ جراه.
٨- في جـ .
٩- في جـ وما .
١٠- في جـ فلا.

أكله في مقصعه ولم يهرب ، واذا سرقه أو خطفه هرب به، فعل من سرق شيئاً من حرزه [1] ، وفيها ما يغالب الرجل على مافي يده، ويأخذ منه ، ويخطفه من بين يديه ولا يخافه ولا يهابه لما فيه من الجرأة ، وفي بعضها من الجرأة والشجاعة مايقتل الحية العظيمة ، والعقرب وعنده من الفطنة ، وعلمه بما فيهما من السم القاتل، أنه اذا قاتلهما يضع إحدى يديه على أنفه صيانة من نفس الحية ولسع العقرب ، فانه مقتله ، فاذا أكلها ترك من الحية رأسها ومن العقرب ذنبها لمكان السم فيهما[2] ، وفي ذكر[3] السنانير ما يكوم [4] الواحد الآخر متى أراد ذلك منه غير[5] اكراه ، كما ذلك موجود في الخنازير والحمير [6] ومن عادة [7] الهر أن يحتاط في دفن رجيعه ، وإخفاء رائحته لئلا يشمه الفأر فيهرب ، وفي طبعه أنه يألف الدار لا رب الدار، فانه ربما رحل أهله فلا يتبعهم وان هو حمل الى دار غير الدار التي رُبِيَ فيها لايقيم، وربما هرب منها الى الدار الأولى ، فأما يهتدي اليها وأما يضيع ويبقى متردداً ، أما وحشياً، وأما مأخوذاً وأما مقتولاً ، وهو يؤثر على نفسه وذلك أن الأنثى يلقى اليها الشيء وهي جائعة فتدعو أولادها اليه وربما حملته اليهم من المكان البعيد، ولا تشاركهم [8] فيه وفي طبعه أنه لا يأكل الحار ولا الحامض، ومتى دهن أنفه بدهن الورد مات سريعاً وجميع ما ذكرناه في طباع الأهلي ، وأما الوحشي فيصيده الكلب ، وغيره فيربى ويعلم الصيد فيصيد ، وهو

١- الحرز : ما يحفظ به الشيء.
٢- الزيادة من ب ، جـ .
٣- في جـ ذكور.
٤- يكوم : اي يعلوه.
٥- في ب ، جـ بغير.
٦- في جـ الحمر.
٧- في جـ عادات .
٨- في ب تشاركها .

في جميع الصور، شرس الأخلاق جلده يشبه الذئب وربما سفد الثعلب الأنثى من هذا النوع فتأتي بولد لايشبه أحدهما (١) .

فصـــــل :-

ويشبه الهر من الحيوان دابة الزباد (٢) وهذه الدابة في قدر الهر وصورته وذنبه، واذنيه ، لايغادر شيئاً منه ، الا أنه أطول خطماً وذنباً ، وأكبر جثة ، وله وبر الى السواد ماهو ، وربما كان انمر ، وقد يوجد في جسدها رائحة المسك ويجلب من بلاد السند (٣) واليمن ، والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللزج زعر الرائحة /٣٥ظ وله زفرة يخالطها طيب كطيب المسك ، وتوجد في ارفاغه (٤) وما يلي بواطن أفخاذه، وباطن ذنبه وحوالى دبره فيحك من هذه المواضع بملعقة فضة أو بدرهم رقيق الحرف (٥) وبعضهم يقول: إن الزباد في هذا الحيوان في ضروع كهيئة العيون ، ومثل الادهان الجامدة ترشح من مسام الجلد ، وذكر أنه يفتح عينيه ويعصر منها ، ومن عجائب (٦) ما يحكى أن بالرانج (٧) سنانير لها أجنحة كأجنحة الخفاش من آذانها الى آذانها .

١- في ب ، جـ واحد منهما .
٢- الزباد بفتح الزاي ، من اكلات اللحوم من فصيلة السنانير اسمها العلمي Viveria
٣- السند تقع بين الهند وكرمان وسجستان ، معجم البلدان ١٦٦/٣ .
٤- الرفغ : اصول الفخذين.
٥- الحرف : الحافة.
٦- في جـ اعجب .
٧- ربما راونج وهي من قرى نيسابور، معجم البلدان ٨٩١/٢.

الوصف والتشبيه :-

من رسالة لبعض الأندلسيين [١] يصفه :- هر نبيل ، ينتهي من القطاط الى أشرف قبيل له رأس كجمع الكف ، واذنان قد قامتا على صف ذواتا لطافة ودقة ، وسباطة ورقة يقيمهما عند التشوف ، ويضجعهما عند التخوف ، ومقلة كأنها مقتطعة من المجزع [٢] ، وكأن ناظرها من عيون الباقلاء [٣] منتزع ، قد استطال الشعر حول أشداقه ، وفوق آماقه ، كأبر مغروزة على العيون، وقد حددت اطرافها[٤] القيون [٥] له ناب كحد المطرد ، ولسان كظهر المبرد ، وأنف أخنس وعنق [٦] أوْقَص ، وخلق سوي غير منتقص ، أهرت الشدقين ، مُوشى الساعدين والساقين ملَمْلَم اليدين والرجلين [٧] يرجّل بهما وَبْره ترجيل ذوي [٨] الهمم لما تشعث من اللحى ،ينفض بضربه الغبار [٩] ويميط ما علق به من الادبار، ثم يجلوه بلسانه جلاء الصقيل للحسام، والحمام للأجسام، فينقى قفاه، ويواري اذاه ، و يقعي الأسد اذا جلس ، ويثب وثبة الدببة [١٠] اذا اختلس ، له ظهر شديد وذنب مديد تارة يهزه هزّ السمْهري المثقف وتارة يلويه ليّ الصولج المعقف يعب على الماء حيث يلفه

١- نسبها النويري في نهاية الارب الى أبي جعفر عمر الأوسي الاندلسي المعروف بابن صاحب الصلاة ، ونسبت ايضاً الى أبي نصر الفتح بن خاقان ، راجع نهاية الأرب ٢٨٥/٩ .

٢- المجزع : الملون.

٣- في نهاية الأرب العيون البابلية.

٤- في نهاية الأرب احكمت برد اطرافها.

٥- القين: الحداد.

٦- وردت (الى) قبل كلمة عنق وهي زائدة .

٧- في ب الرجلين واليدين.

٨- في الأصل ذو.

٩- في نهاية الأرب وما لصق به من الغبار.

١٠- النهاية : النمر.

ويدني منه فاه ولا يبلغه من لسانه رشاء ودلوا يعلم بها إن كان ملحاً أو حلواً [1] ، يحمي داره حماية ويحرسها حراسة الرقيب ، فان رأى فيها كلباً صار عليه البا ، وصعّر خده وعظّم قده حتى يصير أنفه من حماه ان يطرق ، وغيره على حجابه ان يخرق ، وان رأى فيه هراً /٣٦و وجف اليه مكفهراً ودافعه بالساعد الأسد ، ونازعه منازعة الخصم الألد وابرز [2] برثنه لمبادرته وجوشنه [3] لمصادرته ، ثم تسلل اليه لواذا ، واستحوذ عليه وشد عليه شدة ، وضمه من غير مورد[4] فينسل[5] وبره نسالاً ، وأرسل دمه ارسالاً بأنياب عضل [6] أمضى من النصل ، ومخلب كمنقار الصقر درب الاقناص ، والعقر ، قفر [7] قرنه ممزق الاهاب مستبعراً في الذهاب ، قد أفلت من بين أظفار وأنياب ورضي من الغنيمة بالاياب هذا وهو بحاله [8] دون جنة وتقاتله بلا سيوف ولا أسنة ، وانما جنّته متنه ، وشفاره أظفاره ، وسنانه أسنانه ، اذا سمعت منه [9] الفأرة مغاء [10] لم تستطع له اصغاء ، وتصدعت قلوبها من الحذر ، وتفرق جمعها [11] شذر مذر تهجع العيون وهو ساهر ، وتستتر الشخوص وهو ظاهر ، ويرى من عينيه نيرين وضّاحين تخالهما في الظلام مصباحين ، يسوق [12] الأركان ويطوف بكل مكان ويحكي في ضجعته السرار تمنياً ، وقضيب الخيزران تثنياً يغط اذا نام ويتمطى اذا قام

١- في نهاية الأرب وردت الزيادة الآتية (ويعلم به ان كان الماء ملحاً أو حلواً فتسمع للماء خضخضة من كرعه وترى اللسان نضنضة من جرعه).

٢- في نهاية الأرب وردت الزيادة الآتية (فاذا اطال مفاوضته وادام مراوضته ابرز براثنه...).

٣- الجوشن : الصدر.

٤- في النهاية : مودة.

٥- في النهاية: فانسل.

٦- العضل : المعوجة.

٧- في النهاية فيبصر.

٨- في النهاية يخاتله.

٩- في ب له.

١٠- المغاء : الذي يصدره القط.

١١- في النهاية وتفرقت جموعها.

١٢- يسوق : يشم .

ويستقبل الرياح بشمه ، ويجعل الاستدلال أكبر همه ، ويمكن [1] للفأر حيث يجدلها عبثاً أو يعلم لها لبثاً أو يسمع لها صيا [2] ، أو يلمح من شياطينها ريباً، فيلصق بالأرض ، وينطوي بعضه في بعض حتى يستوي منه الطول والعرض فاذا تشوفت الفأرة من جحرها، وأشرفت بصدرها ونحرها دب اليها دبيب الصل [3] وامتد اليها امتداد الظل ثم وثب في الحين عليها وساق الحين اليها، فاثخنها جراحاً ولم يعطها براحاً وان كان جرداً مسنا لم يضع [[4]] عليه سنا وان كان درصا [5] صغيراً فغر عليه فاه ، وقبض مترفقاً على قفاه يزداد منه منتهياً وبه تلهياً، ثم يتلاعب به تلاعب الفرسان بالاعنة والأبطال بالأسنة فاذا أوجعه عضاً ، وأوعبه رضاً أجهز في الفور/٣٦ظ [عليه] [6] وعمد بالأكل اليه فازدرد منه أطيب طعمه واعتقده أهنأ نعمة ، ثم أظهر بالالتعاق شكره وأعمل في غير فكره فيرجع الى حيث اثاره وتبع فيه آثاره راجياً أن يجد في رباعه ثانياً من اتباعه فيلحقه بصاحبه في الردى حتى يفني جميع العدى ، وربما انحرف عن هذه العوائد ، والتقط فتات الموائد بلا غاية [7] في الاحتماء وبروراً[8] بالنعماء فماله على خصالـه [9] ثمن ، ولا جاء بمثاله زمن [10] .

١- في ب يكمن .
٢- صيا: صاح.
٣- الصل : نوع من الحيات.
٤- الزيادة من ب .
٥- في الأصل ب ، درساً ، والدرص : ولد الفأر.
٦- الزيادة يقتضيها السياق.
٧- في ب بلاغا.
٨- في نهاية الارب برا .
٩- النص ساقط من جـ ، نهاية الأرب ٩/٢٨٥-٢٩١.
١٠- في ب متناهس .

وقال آخر يصف هراً :-

وخَبعَشٍ فـــــي مشيه مُتناهِش (١)

خطفُ المؤخر كامـــلُ التصديرِ

مما اعـــر معـــراً اغظف ضيغم

عن كل اعضل كالسنـــان هصور

متسربلاً ثوب الدجــــى أو عبشه

شببت على مكتنيه بالتنميــــر

وقال ابن طباطبا العلوي (٢) *، وقد تضارف يصف هرة :-*

فتنتني بظلمــــة وضيـــاء

اذ تبدت (٣) بالعـــاج والابنوس

تتلفى الظـــلام مـــن مقلتيها (٤)

بشعاع يحكي شعاع الشمــوس

ذات دلّ قصيــــرة كلمـــا قا

مت تهادت طويلـــة في الجلوس

١- في ب مناهش

٢- محمد بن احمد بن محمد بن أحمد العلوي شاعر مجيد وعالم بالأدب والعروض ت٣٢٢ هـ ، معجم الأدباء ٦/٢٨٤، معجم الشعراء ص ٤٢٧.

٣- في الديوان اذا بدت لي.

٤- في ب بمقلتيها.

لم تزل تسبغ الوضـــــوء وتنقي

كل عضو لهـــــــا من التجنيس

دأبها ساعـــــة الطهـــارة دفن

العنبر الرطب في الحنوط اليبيس (١)

وقال أبو بكر الصنوبري (٢) من أبيات وذكر الجرذان :

زاد هَمّي بهـــــــن اورق تركي

السبالين (٣) انمرُ الجلبـــــابِ

ليثُ غابٍ خَلْقا وخُلُقا فمــن عاينه

[قال] (٤) انه ليـــــــث غاب

قنفذ في إزِ براره (٥) وهو ذئـــب

في افترارِ وجه (٦) في انسيـــاب

ناصب طرفـــــــه ازاء الزوايا

وازاء السقـــوف والأبواب /٣٧و

١-الديوان ص ٦٧.

٢- أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي شاعر أحب الزهر والطبيعة ت ٣٣٤ هـ ، فوات الوفيات ١١١/١.

٣- طرف الشارب.

٤- الزيادة من ب .

٥- في الديوان ازئبزارة وهو انتفاش الشعر.

٦- في الديوان اغترار وحيه .

ينقضي الظفر حين يظفر في الحر

ب والا فظفـــــره في قـــــراب

يسحب الصيد في اقـــل مـــن اللمـ

ح ولو كان صيده في السحاب [1]

(غاسل وجهه بـاإحدى يديـــــــــه

مستعيـــــن في غسلـه باللعـــاب

ويعي الصوت اذا يعي فـــي طـوى

وهو يرنو اذا رنا من شهاب) [2]

ثم تطرق فقـــال :-

قَـــرطُوه وقَلـــــــــــدوه وعالـــــو

ه أخيـــراً وأولاً بالخضـــــــــاب

فهو طــــــورا يبدو بنحر عـــروس

وهو طوراً يمشـــــي على عنّـــاب

حبذا ذاك صاحبا فهو في الصحـ

ـــة أوفى من سائر الأحبـــاب [3]

١- الديوان ص ٤٥٢.

٢- غير مذكورة في الديوان ، والقصيدة ساقطة من جـ .

٣- ذكرها النويري في نهاية الارب ٢٩٣/٩ وهي ساقطة من جـ.



الباب الثالث

في طبائع الحيوان الوحشي

ولنجعل أول [١] ما نبدأ به في الذكر [٢] لشرفه وعظمه ، وجلالته عند الملوك (هو الفيل) .

القول في طبائع [٣] الفيل

زعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان أن الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها [٤] ، وبعضها يسكن الماء ، وبعضها لا يسكنه ، وزعم آخرون ان الفيلة ضربان فيل، وزندفيل [٥] ، وهما كالبخث والعراب ، والبقر والجواميس والبراذين والخيل ، والفأر والجرذان والنمل والذر ، وبعضهم يقول : الفيل الذكر والزند فيل الانثى ، وهذا النوع لا يتلاقح الا في بلاده ، ومعادنه ومغارس [٦] اعراقه وان صار أهلياً ، وهو اذا اغتلم أشبه الجمل [٧] في ترك الماء ، والعلف حتى ينظم ايطلاه [٨] ، ويتورم رأسه ، ولم يكن لسواسه غير الهرب منه ، وربما صار وحشياً ، وجهل جهلاً شديداً ، والفيل ينزو اذا مضى له من العمر خمس سنين ، وأقل من ذلك قليلاً، وزمان نزوه الربيع ، والانثى تحمل سنتين واذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها /٣٧ظ وهي تفذ ولا تُتئم ، ولا ينزو الذكر عليها اذا وضعت الا بعد ثلاث سنين ، ولا ينزو الا على فيلة واحدة ، وله عليها غيرة شديدة ،

١- ساقطة من ب ، جـ.
٢- في ب ما نبداء في الذكر الفيل.
٣- في جـ طباع.
٤- راجع الحيوان ١٣٠/٤ .
٥- نفس المصدر ١٧٦/٧ .
٦- في الأصل ومغار.
٧- في الأصل بالجمل.
٨- في الأصل ايطلاوه.

واذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها في الماء لأنها تلد قائمة اذ لا فواصل لقوائمها فتبرك، والذكر بعد ذلك يحرسها وولدها من الحيات وذلك لعداوة أصلية بينهما ، ووضع ذكر الفيل شبيه بوضعه في الفرس لكنه صغير عند جنبه وهو في الفرس العتيق صغير أيضاً، وانثيا الفيل داخله ببدنه (1) قريباً من كليته ، ولذلك يسفد سريعاً كالطير، لان كونها (2) داخلاً وقريباً من القلب فتنضح (3) المني بسرعة ، ويقال ان الفيل يحقد سريعاً (4) كالجمل (5) ويحفظ الشيء الذي (6) يكرهه على القيم عليه حتى يقابله عند تمكنه (7) منه وربما قتله ، وزعم الهند ان لسانه مقلوبة ولولا ذلك لتكلم وهو صغير (8) ، ويجعلون نابيه قرنيه يخرجان مستنبطين حتى يخرقا الحنك (9) (وعلم ذلك من تشريحه) (10) ويوجد فيها(11) الاعقف والمستقيم ، قال المسعودي(12) : وربما بلغ الناب منها خمسين

١- في جـ داخل بدنه.

٢- في جـ كونهما.

٣- يتضح .

٤- ساقطة من ب ، جـ.

٥- في جـ كما يحقد الجمل.

٦- ساقطة من ب ، جـ.

٧-في الأصل محكنه، ويقصد: انه يتحين الفرصة للانتنقام من الذي يكرهه على فعل معين.

٨- راجع الحيوان ٣١/١ ، عيون الأخبار ٨٣/٢.

٩- في جـ هو صغير الحنك.

١٠- ساقطة من ب .

١١- في ب فيهما .

١٢- علي بن الحسين بن علي هو من ذرية عبدالله بن مسعود وله مؤلفات قيمة ت ٣٤٦هـ ، فوات الوفيات ٤٥/٢ ، اللسان الميزان ٢٢٤/٤.

ومئة (منّ) [1] ذلك ، والفيل يحمل [بهما] [2] على الجدار الوثيق البنيان فيلقيه على الأرض وقد فتح به محمود بن سبكتكين [3] مدينة الطاق ، وهي من أعظم الحصون التي ببلاد سجستان [4] فانه جعل نابيه تحت بابها فاقتلعه، وهو أسرع الحيوان الوحشي انساً بالناس وسرعة الانس دليل على حسن الطباع واعتدال [5] الاخلاط [6] ودماثة الأخلاق ، وخرطومه من غضروف ، وهو أنفه ويده [7] التي يوصل بها الطعام [8] الى فيه ، ويقاتل بها وبه يصيح ، وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبي وينزل منه منزلة عنقه ، وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجر من منابتها ، وفي طبع الفيل ، أنه اذا سمع صوت الخنزير ارتاع ونفر ، واعتراه الفزع والجزع ، واذا ورد الغدران والأنهار للشرب وكان الماء صافياً ، فهو أبداً يثيره ويكدره كالخيل لأنها ترى صورتها على سطح الماء /٣٨و فيتوهم أنه غيرها فينفر منه ، وهو قليل الاحتمال للشتاء ، والبرد، ويعوم ويسير منغمساً ماعدا خرطومه ، لأنه منه يتنفس ولا يقدر على السباحة لثقل جثته ، وفيه من الفهم أنه يقبل التأديب ، ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب ، وفيه من الأخلاق أنه يقاتل بعضه بعضاً

١- المن : وحدة وزن تساوي رطلين.

٢- الزيادة من ب .

٣- محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين تولى زمام الأمر بعد موت أبيه يمين الدولة ت ٤٢٢هـ وفيات ١٧٥/٥.

٤- راجع معجم البلدان ٤٩٠/٢٣.

٥- في جـ الاعتدال .

٦- ساقطة من جـ ، ويقصد باعتدال الاخلاط توفق الامزجة الأربعة.

٧- في جـ يداه.

٨- في ب ، جـ يوصل الطعام بها.

قتالاً شديداً ، والمقهور يخضع للقاهر ويخاف من سطوته ، ويقال: أنه يصاد باللهو والطرب واللعب والزينة وريح الطيب والنساء يصدنه بذلك ، وربما احتيل على صيده ، بأن يترقب حالة سكونه، وهدوئه وذلك أنه لاينام الا معتمداً على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا مفاصل لها لكنها كالاساطين المصمتة ، والسواري [1] الوثيقة ، والصيادون يأتون الشجرة التي غالب أوقاته يعتمد عليها فيضعّفون أصلها فاذا أتى على عادته اليها ليعتمد عليها ، إنكسرت فسقط ، وبقي عاجزاً لا يقدر لنفسه بشيء فيصيدونه كيف شاءوا ، والهند تعظم الفيل وتشرفه ، لما إجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه [2] وعظم صورته وبديع منظره ، وطول خرطومه ، وسعة اذنه وطول عمره [3] ، وثقل حمله وخفة وطئه فانه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته، وللهند طيب يجمعونه من جباه الفيلة ورؤوسها ، فانها اذا اغتلمت عرقت هذه الأماكن منها عرقاً كأنه المسك ويستعملونه [4] لظهور الشبق في الرجال والنساء ، ويزعمون أنه يشجع القلب ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام ، والفيل يشب الى [تمام] [5] مئة وستين سنة ، ويعمر مائتي سنة وأكثر، وحكى أرسطو أن فيلاً ظهر عمره أربعمائة[6] سنة ، وحكى بعض المؤرخين أن فيلاً سجد لا برويز، ثم سجد للمعتضد ، وبينهما الزمان الذي ذكره أرسطو ، واعتبر ذلك بالوسم ، وهذا الحيوان يعتريه من الأمراض /٣٨ظ وجع المفاصل لطول قيامه وثقل جثته لأنه لا يضطجع [والله اعلم] [7] .

١- في الأصل السوادي .
٢- في ب شأنه .
٣- في ب ، جـ عموده .
٤- في جـ يستعملون .
٥- الزيادة من ب .
٦- طباع الحيوان ص ٣٢٨ .
٧- الزيادة من ب .

الوصف والتشبيه :-

قال رؤبة بن العجاج (١) *يصفه من ارجوزة :-*

أجردُ كالحصن طويـــــــــل النابين

مشرق اللحي صغير الفقميـــــــن

عليه اذنان كفضــــــــل الثوبين (٢)

وقال ابن طباطبا العلوي :-

أعجِبْ بفيلٍ آنس وحشـــــــــي

بهيمـــــة فـي فطنـــة (٣) الانسي

يفهم مـــــــن سائسه الهندي (٤)

غيب معـاني رمـــزه الخفـــــي

مثل السدلى (٥) المـوثق المبنـــي

(يطـــــوف كالمزدجر المنهي) (٦)

١- رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة التميمي وهو راجز مشهور ويعتمد عليه علماء النحو واللغة على شعره كشواهد ت ١٤٥هـ . راجع الشعر والشعراء ٥٩٤/٢ ، وفيات ٣٠٣/٢.

٢- غير موجودة في ديوانه ، الحيوان ٧٩/٧ ، ديوان المعاني ٢٩٦/٢.

٣- في الديوان صقة.

٤- في الديوان السندي.

٥- الكلمة فارسية ومعناها (ثلاثة بيوت في بيت) محقق الديوان.

٦- الزيادة من ب ، الاشطر ٥-١٢ مختلفة الترتيب فالصدر عجز وبالعكس.

منزه (1) في خلقـــه الســوي

عــن لين مشي ركـــــب المطيّ

ذي ذنب مطول ثـــــــوري

في مثل ردف الجمـــــل البختي

منخفض الصوت طويل العَي

يرنو بطــــرف منــه شــادي (2)

في قبح وجه منه خنزيـــري

خرطومـــــه كجعبة التـــركي

كالدلو اذ يهوى الى القِرى(3)

يصب فـــــــي مُصَهرج مطوي

ناباه في هولهمـا المخشـــي

كمثل قرني ناطــــح طوري (4)

اذنـــاه في صبغهما الفضي

كطيلساني ولـــدى ذمـــــي

1- في الأصل ، ب منزها.

2- نسبة الى الشادن وهو ولد الظبي.

3-القرى : مهبط الماء من علو.

4- في الاصل طودي .

سائسه عليه ذو رقـــــــــــي

منتصب منـــــــــه على كرســـي

يطيعه في أمــــره المـأتي (١)

كطاعـــة القَرقُور (٢) للنوتـــــي (٣)

وقال على بن جريح الرومي يصفه :-

واعطل عبدالنــاس حـامل مخطم

بـــه حِجَز طـورأ وطـورأ بـــه فغم

يقلب جثماناً عظيمـــا ... موثقـا

يهد بركنيــه الجبـــال اذا زحــــم

ويسطو بخرطوم يطاوع امــــره

ومشتبهـات مـــا اصاب (٤) بها حطم

ولست ترى بأساً يقوم لبأســـه

اذا أعمل النابين في الناس أو صدم (٥)

١- في النهاية المأبي.

٢- القرقور: السفينة العظيمة.

٣- في ب ، النوكي ، النوني : ربان السفينة ، راجع الديوان ١١٢.

٤- في ب م لمصاب.

٥- النص في ديوان المعاني ١٣٥/٢.

وقال عبدالكريم النهشلي يصفه :-

وأضخم هندي النجـــــار تعده

ملـوك بني ساسـان [إنْ] [1] نابهـا الدهر

من الورق لا من ضربة الورق مرتعي

اصاخ ولا من ورده الخمس العشر[2] /٣٩ و

يجيء كطودٍ جائل فـــوق أربـــع

مُضبـــرة [3] لُمّــت كمــــا لمت الصخــر

له فخــــــــذان كـالكثيبين لبّـدا

وصدر كمـــا اوفى مـــن الهضبـة الصدر

ووجه بـــه أنف كراووق [4] خمـــرة

ينـال بـــه مـــا تدرك الانامــل [5] العشــر

وجبّان [6] لا يروى القليب صداهمــا

ولو أنــــــه بالقـــا ع منهــرت حضـر

١- الزيادة من ب .

٢- البيت ساقط من نهاية الارب.

٣- المضبرة : المجتمعة.

٤- راووق : الاناء الذي يوضع فيه الشرب.

٥- من ب والنهاية الانمل.

٦- جبّان : مثنى جب ويريد به خرطومه وفمه.

واذن كنصف البــــــرد تسمعه الندا

خفيـا وطـــــرف ينفض العيب مــــزور

ونابان شقا لايريد سواهمـــــــــــا

قنــــاتين سمراوين طعنهمـــــــا نثـــر

له لون مابين الصباح وليلـــــــــــه

اذا نطق العصفور أو صَوّت (١) الصقر (٢)

ولأبـي بكـر الارجانـي (٣) يصفـه من ابيات يصف فيها مجلس ممدوحه (شعــــرا)(٤) [فقال] (٥) :-

والفيل فـــــــي ذيلِ السّماط له

زجل يهال لـــــه الفتى ذعـــرا

في موقف الحجاب يؤمــــــر أو

ينهى فيمــضي النهـــــي والأمرا

اذنان كالترســـــــين تحتهمــا

نابان كالرمحين ان كســـــرا

١- في الأصل صوب ، في ب غرت .

٢- القصيدة ساقطة من جـ ، العمدة ٢٩٧/٢ ، نهاية الارب ٣٠٩/٩.

٣- أحمد بن محمد بن الحسين ، شاعر وفقيه من أهـــل اصبهـان ت٥٤٤ هـ ، راجع وفيات ١٥١/١ ، طبقات الشافعية ١١٠/١.

٤- ساقطة من ب .

٥- الزيادة من ب .

يعلو لــــــه فيالّه ظهــــــــــرا [١]

فيظل مثل من اعتلى قصـــــــرا [٢]

القول في طبائع الكركدن[٣]

وتسميه الهند البوشان ، ويسمى أيضاً الحمار الهندي وهو عدو الزبرقان الفيل ، ومعادنه بلاد الهند والنوبة والبجة وهو دون الجاموس ، ويقال : انه متولد بين [٤] الفرس والفيلة ، وله ضلف واحد، وقرن واحد عظيم على أنفه فلا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه، وهذا القرن مصمت قوي الأصل حاد الرأس مرهفه يقاتل به الفيل فلا تفد معه ناباه ، ويقال : أنه اذا نشر رؤي في داخله صورة بياض في سواد كصورة انسان ودابــة وسمكة ، وما ذلك وأهل الصين يتخذون منه المناطق ، ويغالون في ثمنه ، ويقال أن حمل الانثى من هذا / ٣٩ظ النوع كأيام حمل الانثى من الفيلة ، والأنثى تأكل ولدها ، ولا يسلم منها الا القليل ، والولد يخرج قوياً ثابت الأسنان والقرن قوي الحافر، وقد زعم أنه اذا كان في بطن امه ، وقارب الوضع يخرج رأسه مـــــن فرجها، ويرعى من أطراف الشجر ما يقوم به ثم يرجع به وقد أنكر الجاحظ هذا القول ، وجعله ضرباً من الخرافات [٥] ، ويزعم الهند أنه اذا كان في ناحية من البلاد لايقربها حيوان أصلاً ، ويكون بينها وبينه من البعد مئة فرسخ من أربع جهاته هيبة له وهرباً منه ، وليس في الحيوان ذي

١- في الديوان قصراً.
٢- ساقطة من جـ ، الابيات في الديوان ص ١٧٠.
٣- اسمه العلمي Rhinoceros
٤- في جـ بين .
٥- الحيوان ١٢٥/٧.

القرن ما هو مشقوق الضلف غيره ، وهو يجتر كما يجتر البقر والغنم والابل ويأكل الحشيش ، ويقال : انه شديد العداوة للإنسان حتى أنه اذا شم رائحته أو سمع صوته جدّ في طلبه فاذا أدركه قتله ، وان لم ينتفع به لأنه لا يأكل اللحم.

القول في طبع [١] الزرافة

والزرافة في كلام العرب الجماعة [٢] لأنها اجتمع فيها صفات لكثير من الحيوان وهي عنق الجمل وجلد النمر ، وقرن الظبي ، واسنان البقر ، ورأس الابل زعم بعض [٣] المتكلمين في طبائع الحيوان أنها متولدة بين حيوانات ، وقال أن السبب في ذلك إجتماع الوحوش ، والدواب [٤] في حمارة القيظ على شرائع المياه فتتسافد[٥] فيلقح منها ما يلقح ويمتنع منها ما يمتنع ، فربما سفد الأنثى من الحيوان ذكور كثيرة فيختلط مياهها فيجيء منها خلق مختلفة الصور والألوان والأشكال والفرس تسمي الزرافة (اشتر كاو بلنك) [٦] وتأويل اشتر بالفارسية [٧] بعير ، وكاو بقرة ، و بلنك الضبع وهذا كما رأيت موافق لما ذهبت اليه العرب من كونها مركبة الخلق من حيوانات شتى ، والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول أنه جهل شديد لا يصدر عمن لديه تحصيل لأن اللّه تعالى يخلق ما يشاء على ما يشاء وهو [٨] نوع من /٤٠و الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير، وما يحقق ذلك

١- في ب طبائع .
٢- راجع تهذيب اللغة ، ١٩٢/١٣.
٣- ساقطة من جـ.
٤- ساقطة من جـ.
٥- في الأصل فيتسادوا .
٦- Persian-English Dictionary P.63.
٧- ساقطة من ب ،، جـ.
٨- راجع رأيه في تسافد الانواع المختلفة ، الحيوان ٢٤٣/٧.

أنه يلد مثله وقد شوهد، وهي طويلة اليدين والعنق جداً حتى تكون في مجموعها عشرة أذرع وأكثر ، قصيرة الرجلين جداً ، وليس [لها] (١) ركب ، وانما الركب ليديها كسائر البهائم واذا أكلت مما على الأرض تفحجت لقصر عنقها عن يديها، ومن عادتها أنها تقدم عند المشي اليد اليمنى والرجل اليسرى ، بخلاف ذوات الأربع ، فانها كلها تقدم [اليد] (٢) اليمنى ، والرجل اليمنى، وفي طبعها التآلف والتودد ، والتأنس بأهلها وهي تجتر وتبعر.

الوصف والتشبيه :-

قال ابن حمديس يصفها :-

ونَوبية فـــي الخلقِ فيهـــا خلائق
متى ما ترقّ العين فيهــــا تسفّل
اذا ما اسمها ألقاه في السمع ذاكـــر
رأى الطرف منها (٣) ما عنـــاه بمقول
لهـا فخذا قرم (٤) واظلاف مـرهب (٥)
وناظرتا (٦) رئم وهامــــــة ايّل

١- الزيـــادة مـــن جـ .
٢- الزيـــادة مـــن جـ .
٣- فـــي الديـــوان منــه .
٤- القرم : الفحل من الجمال .
٥- مـرهب : الثـور الكبيـر.
٦- فـــي الأصـــل ناظـــرا .

كأن الخطوط البيض والصفر اشبهت

على جسمها ترصيـــع عاج بصندل

ودائمة الاقعاء في أصـــــل خلقها

اذا قابلت ادبارها عين مقبـــــل

تلفّت أحياناً بعين كحيلــــــــة

وجيد على طـــول اللواء المضلل

وتنفض رأســاً في الزمـام كأنمـا

تريك له هاو على السحـــب معتلي

وعـرف رقيق الشعر تحسب نبتـه

اذا الريح هزته ذوائب سنبـــــل

وتحسبهـا من مشيهـا ان تبخترت

تزف الى بعل عروساً وتنجـــلي

فكم منشد قول امرئ القيس عندهـا

« أفاطم مهلاً بعض هـذا التدلل »(١)

١- القصيدة في الديوان ص ٣٨٠.

وقال أبو على بن رشيق (1) يصفها وذكر ممدوحة :

واتاك من كسب الملوك زرافة

شتى الصفات لكونها (2) اثناء

جمعت محاسن ما حكت فتناسبت

في خلقها وتنافت الاعضاء/٤٠ظ

تحثها (3) بين الخوافق نسبة

بادٍ عليها الكبر والخيلاء

وتمد جيداً في الهواء يزينها

فكأنه تحت اللواء لواء

حطّت مآخرها واشرف صدرها

حتى الثرى لو لمت الاجزاء

وتخيرت دون الملابس حلة

عيّت بصنعة مثلها صنعاء

لوناً كلون الذبل الا أنه

حلّى وجزع بعضه الجلاء

١- الحسن بن رشيق القيرواني اديب ونقّادة وشاعر له ديوان شعر ت ٤٦٢ هـ وفيات ٨٥/٢ ، انباه الرواة ٢٩٨/١.

٢- في النهاية للونها.

٣- في الأصل تحسبها.

أو مثلما صدئت صفائح جوشن [1]

وجرى على حافاتهن جلاء

نعم التَجافيف [2] التي قد درعت [3]

من جلدها لو كان فيه وقاء [4]

ومن أبيات للفقيه عمارة اليمني ، وصف فيها داراً جاء منها في وصف تصاويرها وذكر الزرافة :-

وبها زرافات كأن رقابها

في الطول الويةً تؤم العسكرا

نوبية المنشا تريك من المها

روقا ومن بزل المهاري مشفرا

جبلت على الاقعاء من اعجابها

فتخالها للتيه تمشي القهقرى [5]

١- جوشن : الصدر ، الدرع.

٢- التجافيف : لباس من حديد يوضع على الفرس في الحرب.

٣- في العمدة ادرعت به.

٤- العمدة ٢٩٧/٢ ، الديوان ص ١٧ ، وهي ساقطة من جـ.

٥- الابيات في نهاية الارب ٣١٩/٩ وهي ساقطة من جـ.

وقال أبو على بن رشيق :-

ومجنونة أبـــــداً لم تكـــــن

مذللة الظهــر للراكـــــــب

قد اتصل الجيد من ظهرهـــــا

بمثل السنــــــام بلا غـارب

ملمعـــــة مثلمـــــا ... لمعت

بحناء ومشي يـــــد الكاعـب

كأن الجواري كنّفهـــــــا

تخلج مـن كــــل جانــــب (١)

القول في طبائع البقر الوحشية

وهذا النوع أربعة وهي المها والايل واليحمور والثيتل وتعد كلها من الجواري وهذا الاسم يقع على الذئب والثعلب ، وابن آوى ، والسمع ، وبقر الوحش وحمرة(٢)، والغزلان ، والأرانب ، لأنها كلها تشرب الماء في الصيف ، اذا ظفرت به واذا عدمته صبرت عنه واجترأت /٤١و باستنشاق النسيم الى أن تجده ، وقال ابن أبي الأشعث في كتابه الذي وضعه في طبائع الحيوان البقر والاراوي (٣) واليحامير(٤)

١- العمدة ٢٩٧/٢ ، الديوان ص ٣٠.

٢- في جـ حميرة.

٣- الاروية من جنس الضأن وتسمى الضأن الجبلي.

٤- في جـ و اليحاميم.

والظباء وجميع هذا النوع ليس بأرضي خالص ، ولا [١] ينبغي أن يسمى الحيوان الهوائي الأرضي [٢] لأنه خفيف الحركة متململ العدو على الأرض لأنه حرارة الهواء ليست فيه ذاتية ، ولا برودة الأرض كذلك ، الا أن برودتها غالبة لحر الهواء، لأنها فيه [٣] أكثر ، ولما كان كذلك صار بينه وبين الطائر ممازجة ومناسبة ما وذلك أنه اذا [٤] أراد العدو انتصب في وقفته ، وطلب مهب الريح ثم استنشقها استنشاق الطائر حال طيرانه ، ثم يزج نفسه مستقبلاً للريح ، وربما أخافه مخيف ، وكانت الريح تجيء من جهته فيحمل نفسه على الجهة التي فيها المخيف ، وأيضاً فانه يؤثر الهواء صيفاً وشتاء ولا يستتر منه ميلا اليه ومحبة فيه .

فأما المها فيقال ان من طباعها الشبق والشهوة ، واذا حملت الانثى هربت من الذكر خوفاً من عبثه بها وهي حامل ، والذكر لفرط شهوته يركب ذكراً آخر ، واذا ركب واحد منهما شم رائحة الماء الباقون فيثبون عليه بعد.

والبقر الوحشية أشبه شيء بالمعزى [٥] الأهلية ، ولذلك تسمى نعاجاً ، وقرونها صلاب جداً تمنع بها عن نفسها ، واولادها كلاب الصيد، والسباع التي تطبق بها ويقال : ان أول من طارد البقر الوحشية على الخيل ربيعة بن نزار بن معد ، وأنه لما كدها لجأت منه الى ضالة فاستترت منه بها فرقّ لها ورجع عنها [٦].

١- ساقطة من جـ.

٢- راجع الحيوان لابن ابي الأشعث ص ٤٨٠-٤٨١.

٣- في الاصل فيها.

٤- في جـ ان.

٥- في جـ بالمعز.

٦- احد اجداد العرب من نسله بنو اسد ، وغزة ، ووائل ، راجع جمهرة انساب العرب ص ٢٩٢، المعارف لابن قتيبة ص ٩٢٢.

الوصف والتشبيه :-

كاتب أندلسي يصف بقراً وحشية في رسالة طردية:- عن لنا سرب نعاج يمشين رَهوا [1] كمشي العذارى، ويَنثنين زَهوا تثني السكارى ، تخلّج [2] بالكافور جلودها ، وتضمخ بالمسك قوائمها وخدودها ، وكأنما لبست الدّمقس سربالاً واتخذت السندس سروالاً [3] /٤١ظ.

من كل مُهضَمةِ الحشا وحشيـــــة

تحمي مَداريها دماءُ جلودهـــــــا

وكأنما اقــــــلام حبـــــر كتبت

بمداد عينيها طروس خدودهـــا [4]

فأرسلنا أول الخيل على آخرها ، وخلّيناها واياها، فمضت مضيّ السهام وهوتْ هوى السّمام ، فمالت في أسرابها يميناً وشمالا ، فكأنما أهدت لاجالها اجالا فمن مُتقٍ بروقه [5] وكابٍ اتاه حتفه من فوقهِ [6] .

وقال الأخطل [7] يصف ثوراً وذكر وادياً :-

فما به غيرُ موشيً اكارعــــــــه

اذا أحس بشخص ماثل [8] مثــلا

١- رهوا : السيـــــر السهــــــل .

٢- اي يتمايلن يمينا وشمالا كالسكارى .

٣- النص في نهايـــة الارب ٣٢٢/٩ .

٤- النص في نهايـــة الارب ٣٢٣/٩ .

٥- البــــــروق : القــــرن .

٦- النص في نهايـــة الارب ٣٢٣/٩ .

٧- غياث بن غوث وهو شاعر فحل له ديوان شعر (ت ٩٢ هـ) راجع الشعر والشعراء ١٨٩/٢، المؤلف والمختلف ص٢١.

٨- في الديوان نابي.

كأن عطـــــــــارة باتت تطيف به

حتى تسربل مـاء الـــــورس وانتقلا

كأنه ساجـــــــــد مـن نفح ديمته

مقدس [١] قــام تحت الليــل فابتهلا

يلقى [٢] التراب برد فيه وكلكلـــــه

كما استَماز رئيس المُقنب[٣] الثقلا[٤]

وقال أيضاً يصفه من ابيات :

او مقفر خاضبُ الاطلاق جاد لــــــــه

غيث يظاهر في مَيْثاء [٥] مِبكـار [٦]

فبات الى [٧] جنــــب أرْطأة [٨] تكفئـه

ريح شماليـــــة [٩] هبت بأمطـــــار

١- في الديوان مسبح .

٢- في الديوان ينفى.

٣- الجمع من الخيل دون المائة.

٤- في الديوان الكفلا ، الابيات في الديوان ص ٣٤٢-٣٤٤.

٥- الميثاء : الأرض السهلة.

٦- المبكار : الأرض التي باكرها المطر.

٧- في الديوان في

٨- الأرطأة : الشجرة الكبيرة تكفئه : تقلبه.

٩- في الديوان شامية.

اذا أراد بـــــــه [1] التّنْغِيص أرّقـــه

سيل يدب بهـــــدم الترب مـــوار

حتى اذا انجـــاب عنه الليـل وانكشفـــت

سماؤه على أديم مصحر عــــــار

آنسن اصوات [2] قناص[3] احس بهم [4]

كالجن يهفون من جرم وانمـــار [5]

فأنصـا ع كـــالكوكب الدري يتبعـــــه [6]

غضبان يخلط من معج واحضار[7]

وقال عدي بن الرقاع [8] يصف ثورين يعدوان :-

يتعـــــاوران مـــــن الغبـــــار ملاءة

بيضاء محكمة هما نسجاهـــــــا

١- في الديوان بها.

٢- في الديوان صوت .

٣- في الديوان قنيص .

٤- في الديوان اذا احس.

٥- جرم ، وانمار قبيلتان مشهورتان بالصيد.

٦- في ميعته والميعة اول العدد.

٧- الديوان ص ٧٦.

٨- عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع وهو شاعر فحل وهو معاصر لجرير وقد تهاجى معه وكان مداحاً للوليد، راجع الاغاني ٧٩/٨ ، ٢٧٢/٨.

تطوى اذا وردا مكانا جَاسيــا [١]

واذا السنابـك أسهلت نشرها [٢] /٤٢و

والوصف البديع لسرعة عدوه قول الطرماح[٣] *يصف ثوراً* :

يبدو وتضمـــــره البلاد كأنـــــه

سيف على شــرف يســـــل ويغمد [٤]

وأما الايل فإن أصحاب البحث عن طبائع الحيوان يقولون أن ذكره من عصب لا لحم فيه ولا غضروف، ولا عظم ، وان قرنه مصمت لا تجويف فيه ، والانثى تقلق لنزو الذكر قلقاً شديداً ، ولهذا لا تثبت لنزوه الا في الفرط [٥] مرة واحدة ، واذا حملت لا تضع الا على السبل ، والطرق لهرب السباع من الجادة المسلوكة ، واذا وضعت أكلت الجعدة [٦] لاصلاح لبنها ، وهي تحب الكينونة في القمر ، وتأتي بولدها الى أماكن الماء ، وتعرّفه المواضع [٧] التي ينبغي أن يهرب اليها اذا احتاج الى الهرب [٨] ، وهي صخور فيها صدوع ، وتجويفات ، ليس لها مدخل واحد، وتقف على ذلك المدخل وتقاتل بجهدها كل حيوان يطلب ضرر ولدها ، والايل يسمن جداً ، فاذا سمن اختفى في موضع لا يعرف خوفاً أن يصاد

١- الجاسية : الأرض الصلبة.
٢- البيتان في الايضاح ٢/٣٠٤.
٣- الطرماح بن حكيم بن الحكم شاعر هجاء عاصر الكميت ١٢٥ هـ الشعر والشعراء ٢/٥٨٥ ، الاغاني ١٢/٣٥.
٤- الديوان ص ١٤٦ .
٥- الفرط : الحين.
٦- الجعدة : وهي حشيشة تنبت على شاطئ الانهار ، راجع اللسان مادة جعد.
٧- في ب الاماكن.
٨- في جـ التي تهرب اليها اذا احتاجت الى الهرب.

لسمنـه ، وهو مولع باكل الحيات يطلبها في كل موضع فاذا انجحرت منه أخذ في فمه ماء ثم نفخه [١] في الجحر فتخرج له ذنبها فيأكلها حتى ينتهي الى رأسها فيتركه خوفاً من السم ، وربما لسعته فتسيل دموعه الى نقرتين تحت محاجر عينيه ، يدخل الاصبع فيهما ، فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع يتخذ ترياقا [٢] لسم الحيات ، وهو البادزهر الحيواني [٣] ، واذا لسعته أكل السراطين فيبرأ ، وكذلك يأكل التفاح الحامض إن كان زمانه ، أو ورق شجره فيبرأ [٤] ، ولا تنبت له القرون الا بعد أن يمضي عليه سنتان من عمره واذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين ، وفي الثالثة يتشعب ، ولا تزال الشعب في زيادة الى تمام ست سنين ، وحينئذ يكونان كالشجرتين على رأسه ثم بعد ذلك (يلقي قرونه في كل مرة ثم تنبت ، واذا نبتا له تعرض بهما للشمس ليصلبا واذا صارا كالشجرتين منعاه الاحضار ، فلا يكاد) [٥] يفلت اذا طردته الخيل وهو اذا القاهما انجحر حتى ينبتا/٤٢ظ لأنهما آلته وليس له سلاح غيرهما يدافع بهما عن نفسه كالترس للجبان لأنه لا ينطح بهما الا اذا صلحا لذلك زعم [٦] أرسطو : أن هذا النوع يُصاد بالصفير والغناء ، فهو ينام مادام يسمع ذلك ، والصيادون يشغلونه بالتطريب ويأتون اليه من خلفه فاذا رأوه مسترخية أُذناه وثبوا عليه ، وان لم يكن فليس لهم[٧] اليه سبيل [٨] واذا اشتد عليه [٩] العطش من أكل الحيات أتى غدير الماء ، واشتمه

١- في جـ مجه .
٢- في الاصل ذرياقا وما اثبتناه هو الصحيح والترياق : ما يتخذ لدفع ضرر السموم.
٣- وهو حجر خفيف هش يتولد من الايل ، راجع صبح الأعشى ١١٦/٢ .
٤- ساقطة من ب .
٥- ساقطة من جـ.
٦- في جـ و زعم.
٧- في الاصل لهما .
٨- راجع طباع الحيوان ص ٣٨٦.
٩- في جـ واذا غلبه.

ثم انصرف عنه يفعل ذلك أربعة ايام ، ثم يشرب في اليوم الخامس ، وإنما يمتنع عن شرب الماء لخوفه على نفسه من سريان السم في الجسد [1] مع الماء .

الوصف والتشبيه :-

شاعر يصفه يصد عن الماء مع حاجته اليه ويذكر محبوبته:-

هَجرتـــــــــــك لا قِلىً مني ولكن

رأيتُ بقاء ودك في الصـــــــــدود

كهجرِ الظامئات [2] المـــــــاء لمّا

تَيقن المنايا [3] في الـــــــورود

تذوب [4] نفوسها ظمـــــأ وتخشى

هلاكا[5] فهي تنظر مـــــن بعيد [6]

وقال آخر في مثــــل ذلك :-

وما ظامئات طال في القيظ ظمؤهــا

فجاءت وفي الأحشاء غلى المراجـل

١- في جـ الجسد كله .

٢- في أمالي الزجاجي الحائمات.

٣- في أمالي الزجاجي رأت ان المنية.

٤- في الأمالي تفيض.

٥- في الأمالي حماما .

٦- الابيات في امالي الزجاجي ص ٢٤٧ ونهاية الارب ٣٢٥/٩ وهي ساقطة من جـ.

فلما رأين المـــاء عذباً وقـــد اتـت
اليه رأين المـــــــوت لون المناهل

فولت ولم تشفِ صداها وقد طـــوت
حشاها (1) على وخز الافاعي القواتل

باعظم من شوقي اليـــك وحسـرتي
عليك ولـــــم التذ منك بطائل (2)

وأما اليَحْمور (3) :- ويسمى اليامور، فان قرونه كقرون الايل الا أنها أصغر وهو يلقيها في كل سنة ، وهي صامتة (4) لا تجويف فيها، ولونه الى الحمرة، وهو أسرع من الايل.

وأما الثَّيْتَل(5) :- فينعت ببقر بني اسرائيل ، وهو لايعرف بالشام ولا بالعراق ولا بالحجاز ، وإنما يوجد في غور بيسان (6) ، وبنواحي مصر ، ولونه في لون الأصفر من البقر، ودونه بقليل ، لكنه أطول وجهاً منها ، وقرونه كقرون الغزلان الا أنها أجفى ، ولسرعة حضره لا يكاد يلحقه /٤٣و الا الفرس الجواد .

القول في طبائع الحمار الوحشي

ويسمى العير، والفرا (7) وهو لا ينزو الا اذا بلغ ثلاثين شهراً ، ويوصف بشدة الغيرة وهو يحمي عانته (8) الدهر كله ، ويضرب فيها كضربه لو أصاب اناثاً

١- في ب حشا.
٢- ساقطة من جـ النص في نهاية الارب ٣٢٥/٩.
٣- اسمه العلمي Cervus Capreolus
٤- يقصد انها مصمتة.
٥- وهو نوع من الظباء Bubalus Buselaphus
٦- يقع قريباً من طبرية في فلسطين.
٧- الفراء راجع اللسان مادة خراء .
٨- العانة : القطيع .

من غيرها [١] ويقال ان الأنثى اذا ولدت جحشاً كدم الذكر قضيبه [٢] فالاناث تعمل الحيلة في الهرب به عنه حتى يسلم وهذا حتى لا يكون في العانة ذكر غيره [٣] ، وحكى الجاحظ : ان أبا الأخضر[٤] ذكر عن فحل العانة أنه يستبهم مواضع الذرء ويجهلها ، وان الولد لم يجيء منه عن طلب ، ولكن النطفة البريئة عن الاسقام انتجت . وذكر أن نزوه على الاناث من شكل نزوه على الذكر من نوعه ، وانما ذلك على قدر ما يحضره من الشبق لانه لا يلتفت الى دبر من قبل [٥] ، ولا الى ما يلقح مما لا يلقح [٦] ، فلا هو يريد الولد ، ولا يعزل ويقال : ان الحمار الوحشي يعمر مائتي سنة وأكثر ، وكلما بلغ مائة سنة صارت له مبولة ثانية ، وشوهد منها ما له ثلاث مباول وأربع ، وهو كشكل المصير المحشو بين المبولة والمبولة ، حتى كأن بينهما حاجزاً مشدوداً[٧] ومعادنه بلاد النوبة[٨] وزغاوة[٩] ويوجد منها[١٠] ما يكون مسنة معمدة[١١] ببياض وسواد مستطيلان [١٢] فيما استطال من اعضائه ، ومستديران فيما استدار بأصح قسمة ، وأحسن ترتيب .

١- في جـ من غيره.
٢- راجع المصايد والمطارد ١٥٧.
٣- في جـ غيره ذكر.
٤- في الحيوان ابو الاخزر الحمّاني.
٥- في جـ من قبل او دبر.
٦- راجع الحيوان ١٩٥/١.
٧- في الأصل مسدود.
٨- تقع قريباً من مدينة اسوان في مصر.
٩- زغاوة : قبيلة من السودان ويراد بها المكان الذي تسكنه هذه القبيلة.
١٠- في جـ منه.
١١- في جـ معتمدة .
١٢- في جـ يستطيلان.

ومن الحمر[١] الوحشية صنف يسمى الاخدري ، وهي أطول الحمر[٢] عمراً، ويقال : أنه من نتاج الاخدر، وهو فرس لاردشير بن بابك افلت من خيله فصار وحشياً فحمي عدة عانات فضرب فيها فجاءت أولاده منها اعظم من سائر الحمر[٣] وأحسن وخرجت اعمارها عن أعمار الخيل ، وفي هذه الحكاية نظر لذوي الفكر لأنه لا يكون على نوعين مختلفين من الحيوان حيوان يشبه أحدهما، وانما يكون ممتزجاً كالبغل بين الحمار والفرس ، والسمع بين الضبع والذئب ، وحكى القولين أبو على بن رشيق في كتاب العمدة [٤] .

الوصف والتشبيه :-

قال الشماخ [٥] من أبيات يصف عيرا في غابة /٤٣ظ :-

فواجهها قـــــوارب فاتلأبت [٦]

له مثل القنـــــــــــا المتأودات

يعضّ على ذوات الضغن منهـــا

كما عض الثقاف [٧] على القنـاة

١- في جـ الحمير.
٢- راجع العمدة ٢/٢٣٣.
٣- في جـ الحمير .
٤- راجع العمدة ٢/٢٣٣ .
٥- الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان شاعر فحل له ديوان شعر ت ٢٢ هـ ، طبقات الجمعي ص ١٠٣ ، الاغاني ٩/١٥٦.
٦- اتلأبت : اقامت صدورها ورؤسها .
٧- الثقاف : خشبة أو حديدة تسوى بها الرماح.

وهن يثرن بالمعزاء [1] .. نقعـــا [2]

ترى منــه لهن... سرادقـــات [3]

وقال عبدالكريم النهشلي يصف حماراً اخدرياً :-

واضرح صلصال لاخدر ينتمـــي

امين الفصوص لم يدمث [4] له ظهر

كـأن العيون الكحل صيغت بجلـــده

فنافس فيها فهـــي مسطورة حزر

تولع منه الجلد حتى كأنمـــا صبـا

حا و ليلاً فيه حظهمـــــا قدر

كـأن الجمارة الصلبة قدرت فجـاءت

لها وفقاً حوافره الحفــــــــر

اذا احتال واستولى بــــه ردیانه

توالى صغير منه ترجيعه زمـــر [5]

ومن رسالة كتبـها[أبـو] [6] الفرج الببغاء يصف فيها اتانا معمدة ببياض وسواد كان صاحب اليمن اهداها لبختيار [7] :- واما الاتان الناطقة ، في كمال

١- المعزاء : الأرض الغليظة .

٢- النقع : الغبار .

٣- الديوان ص ٦٩.

٤- دمث : اي لان ومرس .

٥- ساقطة من جـ .

٦- الزيادة من ب .

٧- عز الدولة بختيار بن بويه أحد سلاطين العراق في العصر البويهي ت ٣٦٧ هـ ، يتيمة الدهر٢/٤ .

الصنعة ، بافصح لسان فان الزمان لاطف مولانا أيده الله تعالى منها بأنفس مَذْخُور، واعجب مرئي، واغرب موشى ، وافخر مركوب ، وأشرف محبوب، واعجز موجود وأبهى مخدود ، كأنما وسمها الكمال بنهايته ، والحظها الفلك بعنايته، فصاغها من ليله ونهاره، وحلاها بنجومه واقماره ، ونقشها ببدائع آثاره ، ورمقها بنواظر سعوده ، وجعلها أحد جدوده ، ذات اهاب مسيّر ، وفراء مُحبَّر ، وذنب مشجروشوى[1] مُسور[2] ووجه مرجج ورأس متوج ، تكتفه اذنان كأنهما زجان[3] ، سبجية [4] الانصاف ، بلورية الاطراف جامعة شيتها بالترتيب ، بين زمن الشبيبة والمشيب ، فهي قيد الابصار /٤٤و وامد الانكار ونهاية الاعتبار غني عن الحلي عطلها مزرية بالزهر حللها [واحدة] [5] جنسها وعالم نفسها صنعة المنشىء الحكيم وتقدير العزيزالعليم [6].

القول في طبائع الوعل

وهو التيس الجبلي ، والانثى تسمى اروية ، وهي شاة الوحش [7] وفي طباع هذا النوع أنه يأوي الأماكن الوعرة الخشنة ، ولا يزال مجتمعاً ، فاذا كان وقت الولادة تفرق ، واذا اجتمع في ضرع الانثى لبن إمتصه والذكر اذا ضعف عن النزو أكل البلوط ، فتقوى شهوته ، ومتى لم يجد الأنثى انتزع المني بفيه

١- شوى : اليدان والرجلان.
٢- مسور: محاط مثل السوار.
٣- الزجان : الحديدة التي توضع في اسفل الرمح.
٤- السبجية : بردة من صوف فيها السواد والبياض.
٥- الزيادة من ب .
٦- الرسالة ساقطة من جـ ، راجع نهاية الارب ٣٢٧/٩.
٧- في جـ شاء والوحش.

بالامتصاص ، وذلك اذا جدّ به الشبق، وفي طبعه انه اذا أصابه جرح طلب الخضرة على الحجارة فيمتصها ويجعلها على الجرح ، فيبرأ، واذا أحس بقناص وهو في مكانه المرتفع استلقى على ظهره ثم يزج نفسه فينحدر ويكون قرناه وهما من رأسه الى عجزه يقيانه ما يخشى من الحجارة، ويسرعان به لملوستهما [1] على (........)[2] ، وفي طبعه الحنو على ولده ، والبر بوالديه[3] ، واما الحنو فانه اذا صيد شيء من سخاله تبعته امه ورضيت بأن تكون معه في الشرك واما البر بوالديه ، فانه يختلف اليهما بما يأكلانه ، واذا عجزا من الأكل مضغ لهما وأطعمهما ، ويقال أن في قرنيه ثقبين يتنفس بهما فمتى سدا هلك سريعاً .

الوصف والتشبيه :-

قال الشماخ يصف محبوبة له تسمى اروى :-

وما اروى وان كرمـــــت علينا

بـــادنى مـــن موقّفـــه حَرُونِ [4]

تطيف بها الرماة وتنفتهـــــم

باوعال معقفة القـــــــرون [5]

وقال الصاحب بن عباد [6] :-

واعين [7] كالذّرى [8] في سفلاته

سواد واعلى ظاهـــر اللون واضح

١- في جـ لملوستهما .
٢- الكلمة غير واضحة.
٣- في جـ بوالدته.
٤- الحرون من الدواب : التي اذا استدرجتها وقفت فلم تبرح.
٥- الديوان ص ٣١٩ وهي ساقطة من جـ.
٦- اسماعيل بن عباد بن عباس كاتب وأديب شارك في أنواع الفنون ت ٣٨٥هـ وفيات ٢٢٨/١ ، يتيمة الدهر ١٦٩/٣ .
٧- الاعين: واسع العين.
٨- الذرى: يريد به الكثرة.

موقّف [1] انصــاف اليدين كأنــه

اذا راح يجري بالصريحة رامـح [2]

وما أطرف قول أبي الطيب المتنبي/٤٤ظ :-

واوفت [3] الغدر [4] من الاوعـــال

مرتديــــــات بغيّ الضّــال [5]

نواخس الاطراف [6] للاكفـال [7]

يكدن ينفذن مـــــن الاطال [8]

لهـــا لحى سود بلا سبـــال [9]

يصلحن [10] للاضحـاك لا الاجـلال

كل اثيث [11] نيته [12] متعال [13]

لم يغد [14] بالمســك ولا الغوالى [15]

يرضى من الادهان بالابوال [16]

١- موقّف : الوقف : السوار من عاج.

٢- الديوان / المستدرك ص ٢٠.

٣- اوفت : اشرفت.

٤- الغدر : الوعول الضخمة.

٥- الضّال : الشجر الذي تصنع منه.

٦- يريد الاطراف: القرون.

٧- الاكفال : العجز.

٨- الاطال : الخواصر.

٩- السبال : ما احاط بالشفة العليا من الشعر.

١٠- في الديوان تصلح.

١١- الاثيث من الشعر : الكثير الملتف.

١٢- في الديوان نيتها.

١٣- المتغال: المنتن.

١٤- في الديوان تغد .

١٥- الغوالي: نوع من الطيب.

١٦- الابيات في الديوان ٣/٣١٨.

القول في طبائع الظباء

وهي الوان تختلف بحسب مواضعها، فصنف منها يسمى الارام والوانها بيض ومساكنها الرمل، وهي أشدها حضراً، وصنف يسمى العفر والوانها حمر، وصنف منها يسمى الأدم وهي تسكن الجبال، وفي هذا النوع من أسرار الطبيعة أنه ما يرى ذا روح الا ويعلم ما يريد منه من خير أو شر، واذا فقد الماء استنشق الهواء فاعتاض به عنه، واذا (طلب لم يجهد نفسه في حضره من أول وهلة واذا)[1] رأى طالبه قد قرب منه زاد في الحضر حتى يفوت الطالب، وهو يخضم[2] الحنضل حتى يرى ماؤه يسيل من شدقيه، ويرد البحر فيشرب من الماء الاجاج كما تغمس الشاة لحييها في الماء العذب لطلب النوى المنقع فيه وهو لا يدخل كناسه الا مستديراً يستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وله نومتان في مكنسين، مكنس الضحى [3]، ومكنس العشي [4]، واذا اسن الضبي ونبت لقرونه شعب نتج واذا هزل ابيض وهو (شيج) [5] النساء لا يسمح بالمشي فاذا أراد فأنما النقز [6] والوثب، ورفع القوائم معاً كما يفعل الغراب فهو أبداً يحجل كما يحجل المقيد، وليس له حضر في الجبال، ويصاد بنار توقد له فيذهل لها لا سيما اذا أضيف الى ذلك تحريك أجراس، فانه ينخذل، ويرقد ويصاد بالعطش الشديد بأن يجعلوا بينه وبين الماء فينخذل، ولا يبقى به حراك البتة، وبين الظباء والحجل الفة، ومحبة والحذاق في الصيد يصيدون بعضها ببعض، ويوصف بحدة البصر، ويسمى باليونانية اسماً معناه النظارة والبصرة.

١- ساقطة من جـ.
٢- يخضم : يأكل.
٣- في جـ في الضحى.
٤- في جـ العشاء.
٥- لم اتمكن من معرفة ما يقصد بها.
٦- النقز : اذا وثب الظبي في عدوه.

فصـــــل :-

ويلحق بهذا النوع /٤٥و غزال المسك [١] ولونه أسود ويشبه ما تقدم في القد، ودقة القوائم وافتراق الاظلاف ، وانتصاب القرون ، وانعطافها غير أن لكل واحد منها نابين خفيفين أبيضين خارجين من فيه في فكه الاسفل قائمين في وجهه كنابي الخنزير كل واحد منهما دون الفتر على هيئة ناب الفيل ويكون بالتبت [٢] وبالهند ، ويقال ان الغزلان تسافر من التبت الى الهند بعد أن يرعى من حشيش التبت وهو غير طيب فيلقى ذلك المسك بالهند فيكون رديئاً ، وترعى حشيش الهند الطيب ويعقد منه مسكاً ، وتأتي بلاد التبت فتلقيه فيكون جيداً ، والمسك فضل دموي يجتمع من جسدها الى سررها في وقت من السنة معروف بمنزلة المواد التي تنصب الى الأعضاء ، وهذه السرر جعلها الله تعالى[٣] معدناً للمسك فهي تثمره كل سنة بمنزلة الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين فاذا حصل هذا الدم في السرر ورمت وعظمت فتمرض لها الظبي وتألم حتى تتكامل فاذا بلغ حككته باظلافها وتمرغت في التراب فتسقط في تلك المفاوز والبراري فيخرج الجلابون فيأخذونه ، ويقال أن أهل التبت يضربون لها أوتاداً في البرية تحك بها اذا المتها السرر فتنقطع ، وتسقط ، فاذا سقطت عن الظبي كان في ذلك اقامته وصحته ، فانتشرت حينئذ في المراعي .. وورود الماء ، (ومنها ما يموت لشدة ألمه) [٤] .

الوصف والتشبيه :-

قد ينبغي أن نعلم أن هذا قليل جداً لأن الشعراء نقلوا محاسن الغزال الى الغزل، وشرحوا بها حال من جذبه الحل وهزل ، والصفة التي يصفون بها الظبي ،

١- وهو نوع من الايايل.
٢- التبت : منطقة بين الهند والصين.
٣- ساقطة من جـ.
٤- ساقطة من جـ.

وصفوا بها الجارية والغلام ، وصرفوا الحقيقة الى المجاز فيما أرادوه من الكلام .

قـــــال بعضهم :ـ

فما معزل تعطو بجيـــــــد كأنه
عـــــان بأيدي الصارمين صقيـــــلُ

هظيم الحشى مغضوضة الطرف
عالها بذات الاراك مرتع ومقيل /٤٥ظ

اذا نظرت من نحوه أو تفرســـت
دعاهـــــا احمر المقلتـــــين كحيل

بأحسن منها حين قالت صرمتنـا
وانت صَروم للحبـــــال وَصُول (١)

وقال ذو الرمة وذكر محبوبته :ـ

ذكرتك إنْ مرت بنـــــا أُم شَادِن
أمـــــام المطايـــــا تَشرأب وتسنح

من المؤلفات الرمـــل ادماء صرة
شعـــــاع الضحى في متنهـا يتوضح

هي الشّبه أعطافا وجيـــدا ومقلة
ومية ابهى بعد منها واملـــــح (٢)

١- الأبيات ساقطة من جـ..
٢- الديوان ١١٩٨/٢ وهي ساقطة من جـ.

وقال أبو الطيب المتنبي من طردية وذكر منزلاً للصيد :-

ومنزل ليس لها (١) بمنـــــــــزل

ولا لغير العاديـــــــــات الهطـل

بذي الخزمى ذَفـــــر(٢) القرنفـــل

محلّ ملحوش (٣) لـــــــم يحلل

عنّ لنا فيــه مراعي (٤) معـــــــزل

مُحيّن (٥) النفس بعيد الموئل (٦)

اعناه حسن الجيد عن لبس الحـلي

وعاده العُري عــــــــن التفضل

كأنـــه مضمخٌ (٧) .... بصــندل (٨)

معترضا بمثـل قـــرن الايـل (٩)

وقـــــال *آخــــــــر* :-

وحَالية بالحسن والجيـــــد عـاطل

ومكحولة العينين لـــم تكتحل قط

١- في الديوان لنا.
٢- الذفر : الذكي الرائحة .
٣- يريد (من الوحش) فحذف النون.
٤- مراعي الظبي.
٥- مفعّل من الحين.
٦- الموئل : المنجى.
٧- مضمخ : مطلي.
٨- الصندل : نوع من الطيب.
٩- الابيات في الديوان ٣/٢١٠ وهي ساقطة من جـ.

على رأسها من قرنها الجعـــد وفرة

وفي خدهـا من صدغها شاهد سبط

تجللها من غبـــرة الجلـــــــد فروة

وتجمعـها من بيض اباطها مـــــرط

وقد ادمجت بالشحم حتى كأنمـــــا

ملأتها من فرط ما اندمجت قمط [1]

القول في طبائع الأرنب

يقول أصحاب الكلام فـي طبائـع الحيوان: ان قضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم ، والآخر عصب ، وربما ركبت الانثى الذكر حين السفاد لما فيها من الشبق ، وتسفد وهي حبلى وهي قليلة الادرار على ولدها /٤٦و ويزعمون انه يكون شهرين ذكراً وشهرين انثى ، وكنت أستبعد هذا واقول انه ضرب من الخرافات حتى وقفت عند مطالعتي للكتاب الذي وضعه ابن الأثير [2] في التاريخ ، وسماه الكامل ، على حكاية أوقفتني على الاعراف بين الانكار والاعتراف ، ذكر في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وفيها اصطاد صديق لنا أرنباً فرآه وله انثيان ، وذكر وفرج فلما شقوا بطنه وجدوا فيه خريقين [3] ، فان كان ما زعموا من أنه تارة يكون ذكراً وتارة يكون انثى ، والا فتكون الأرانب

١- الأبيات ساقطة من جـ ، وهي في نهاية الارب ٣٣٤/٩.

٢- عزالدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم عالم ومؤرخ له كتاب الكامل في التاريخ وقد طبع عدة مرات (ت ٦٣٠هـ) وفيات ٣٤٨/٣ ، شذرات الذهب ١٣٧/٥ .

٣- يريد به شقين صغيرين.

كالخنثى في بني آدم يكون لأحدهما فرج الرجل، وفرج الأنثى [١] ، ثم اعقب هذه الحكاية بما هو أعجب منها قال كنت بالجزيرة ، ولنا جار له بنت اسمها صفية ، فبقيت كذلك نحو خمسة عشر سنة فاذا قد طلع لها ذكر رجل وثبت لها لحية فكان لها فرج امرأة ، وذكر رجل [٢] ، والأرانب [٣] تنام مفتوحة العين ، وربما جاء القناص اليها حتى يأخذها من جهة وجهها ، وهي [نائمة] [٤] لا تبصر وسبب ذلك حجاجي عينيها لا يلتقيان فهي فاتحة لهما في النوم واليقظة ، ويقال : ان الأرانب[٥] اذا رأت البحر ماتت ، ولذلك لا توجد في الساحل، (وهذا هذيان فان المشاهد غير ذلك) [٦] ، وتزعم العربان [٧] أن الجن تهرب منها لموضع حيضها قالوا: وهي تحيض كالمرأة ، وتأكل اللحم وغيره وتجتر وتبعر ، وفي باطن اشداقها شعر ، وكذلك تحك رجليها ، وليس شيء قصير اليدين أسرع منها حضراً، ولقصرهما يخف عليها الصعود (والتوقل) [٨] وهي تطئ الأرض على زمعاتها [٩] ، وهي آخر قوائمها مغالطة للطالب حتى لا يعرف أثرها الا أن الكلب الفاره والقانص الحاذق لايخفى عليهما ذلك لأنها لا تفعل ذلك الا في السهل الذي يثبت فيه الأثر ، وربما مشت في الثلج فتعفى اثرها بكثرة الترداد فيه واذا قربت من

١- الكامل (طبعة بيروت) ٤٦٧/١٢ .

٢- الكامل ٤٦٧/١٢ .

٣- في ب الارنب.

٤- الزيادة من ب ، جـ.

٥- في ب الارنب.

٦- ساقطة من ب ، جـ.

٧- في ب العرب .

٨- ساقطة من جـ والتوقل : الاسراع في الصعود.

٩- الزمعة : الشعرة المدلاة في مؤخرة رجل الأرنب.

الموضع الذي [١] تريد أن تجثم فيه ، وثبت اليه وثباً .

الوصف والتشبيه :-

بعض الشعراء يذكر روضه/٤٦ظ

وخَيفاء [٢] القى الليث فيها ذراعــــه
فَسِرتُ وسار كـــــل ماش ومضرم

تمشي بها الدَرماء [٣] تسحب قصبها
كأن بطـن حبلى ذلت او نين متئم [٤]

وهذان البيتان من أبيات المعاني

ومن رسالة لبعض الاندلسيين يصف جماعة أرانب : افراد اخوان كأنهن اولاد غزلان ، بين رواغ ينعطف انعطاف البره [٥] ووثاب يجتمع اجتماع الكره حاك القصب[٦] ازاره ، وصاغ التبر طوقه ، وسواره ، قد علل بالعنبر بطنه وجلل بالكافور متنه كأنما تضمخ بعبير، وتلفع في حرير ينام بعيني ساهر ويفوت بجناحي طائر ، قصير اليدين طويل الساقين ، هاتان في الصعود تنجده ، وتانك عند الوثوب تؤيده [٧] .

١- في الاصل التي.
٢- خيفاء : اذا كانت احدى العينين سوداء كحلاء والاخرى زرقاء.
٣- الدرماء : الأرنب.
٤- البيت في اللسان مادة درم.
٥- البره : الخلخال.
٦- في الاصل المعصب.
٧- ساقط من جـ ، نهاية الارب ٩/٣٣٦.

القول في طبائع القرد

وهذا الحيوان عند المتكلمين في الطبائع ، مركب من انسان وبهيمة، وهو تدريج الطبيعة من البهيمة الى الانسان وهو يحاكي [الانسان] (١) بصورته وفعاله جميعاً ، وله اضراس كأضراسه، وثنايا عليا كما له ، ويثني يديه ورجليه كالانسان، وللقردة (٢) فرج مثل فرج (٣) المرأة ، والذكر (٤) شبيه بذكر الكلاب وأجواف القرود شبيهة بجوف الانسان ، ولذلك يستغني المشرحون بتشريح القرد عن تشريح الانسان ، وله صدر كصدر الانسان عريض ، وظهر مثل ظهره في مقابل صدره، ومن شبهه بالانسان في سائر حالاته بأنه يضحك ، ويطرف (٥) ، ويقعي، ويحكي، ويتناول الشيء بيده ، وله أصابع خمسة مفصلة الى أنامل ، وأظفار ، ويقبل التلقين ، ويأنس للأنس (٦) الشديد ، ويمشي على أربع مشيه الطبيعي ، ويمشي على اثنتين حيناً يسيراً ولشفر عينيه السفليين أهداب وليس لشيء من الحيوان ذلك سواه والانسان واذا سقط في الماء غرق مثل الانسان الذي لايحسن السباحة ، ويأخذ نفسه بالزواج ، والغيرة على الأواج ، وهما خصلتان كريمتان من مفاخر الانسان على سائر الحيوان ، وهو أيضاً يقمل واذا قمل تفلا ويرمي /٤٧و بالقمل الى فيه ويأكله ، واذا الحّ به الشبق استمنى بفيه ، والانثى تلد قروداً عديدة نحو العشرة واكثر كما تلد الخنزيرة ، وتحمل بعض اولادها كما تحمل المرأة ، وقال من سبر حال هذا الحيوان ان الطائفة من القرود اذا أرادت النوم ينام الواحد في

١- الزيادة من جـ .

٢- في جـ وللقرود .

٣- في ب كفرج .

٤- في ب ، جـ وللذكر .

٥- في الأصل ويطرق .

٦- في جـ الانس .

جنب الآخر حتى يكونوا سطراً واحداً ، فاذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الأيمن فيمشي وراء ظهورها حتى يقعد من وراء الاقصى من الطرف الأيسر فاذا قعد صاح فنهض الذي كان يليه، وفعل فعله، يكون هذا من الطائفة الليل كله ، فيبيت في أرض ويصبح في أخرى ، وفيه من قبول التأديب والتعليم والاخفاء به على أحد ، ولقد درب قرد ليزيد (بن معاوية) (١) على ركوب (٢) (وحشـــي)(٣) وسابق به الخيل ، وفيه يقول شاعر (٤) وقد سبق باتان ركبها فرسا :-

مَنْ مُبلِغ القـــــرد الذي سبقت بـــه

جياد (٥) أمير المؤمنـــــين أتان

تَمسّك (٦) ابا قيس بفضل عنانها (٧)

فليس عليها ان هلكت ضمـــــان

والعامة تقول : (القرد قبيح لكنه (٨) مليح) (٩) ، يشيرون الى خفة روحه وكيسه ، وحكى المسعودي في كتاب المروج (١٠) ان القرود من أماكن كثيرة من المعمورة عدّ منها وادى نخلة وهو بين الجند (١١) ، وبلاد زبيد ، قال : وفي هذا

١- ساقطة من ب ، جـ.
٢- في جـ الحمار.
٣- ساقطة من جـ .
٤- في ب وفيه يقول يزيد...
٥- في ب جوادا.
٦- في جـ تغلق.
٧- في ب ، جـ زمامها.
٨- في ب ولكنه.
٩- المثل في الحيوان ٩٩/٤
١٠- مروج الذهب وقد طبع بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.
١١- في الأصل الجبل والصحيح في مروج الذهب ، الجَنَد وهي بلد بين تعز وعدن.

الوادي عمائر كثيرة ، ومصبات للمياه ، وبقعته بين جبلين ، وفي كل جبل منها طائفة من القرود يسوقها هزر(والهزر القرد العظيم المقدم منها) [١] قال : ولهم مجالس يجتمع فيها خلق عظيم كثير منهم فيسمع لهم حديث ومخاطبات، والاناث في ناحية عن الذكور ، والرئيس متميز عن المرؤوس ، وربما سمعهم من لايعلم أنهم قرود فظن [٢] أنهم ناس يتحدثون وباليمن قرود كثيرة في نواحٍ متعددة منها، في ذفار [٣] من بلاد صنعاء في برار وجبال [٤] كأنها السحب ، وتكون القرود بأرض النوبة ، واعلى بلاد الاحابيش [٥] وهذا الضرب من القرود حسن الصورة خفيف الروح ذو وجه مدور /٤٧ظ وذنب مستطيل سريع الفهم لما يرشد اليه ، ومنها بخلجان نهر الزانج [٦] ، وبحر الصين ، وبلاد المهراج [٧] وفي ناحية الشمال نحو أرض بلاد الصقالبة اجام وغياض فيها ضروب من القرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه والاغلب عليها صور الناس واشكالهم ، ولها شعور، وربما وقع في النادر منها اذا احتيل عليه فاصطيد ، فيكون في نهاية الفهم والدراية ، الا أنه لا لسان له يعرفه عما في نفسه ، ولكنه يفهم كلما يخاطب بالاشارة ، من النواحي التي بها القرود ، جبل موسى المطل على مدينة سبتة [٨] من بلاد المغرب ، والقرود التي [٩] فيها [١٠] قباح الوجوه [١١] جداً ، عظام الجثث وجوهها [١٢] وجوه

١- ساقطة من جـ.
٢- في ب فيظن.
٣- منطقة قريبة من صنعاء.
٤- راجع مروج الذهب ١/١٩٧-١٩٨ (الطبعة الثالثة).
٥- يقصد بلاد الحبشة.
٦- جزيرة في بلاد الهند.
٧- وقد ذكرها ابو الفداء ضمن جزائر بحر الشرق ، تقويم البلدان ٣٦٨.
٨- إحدى مدن المملكة المغربية.
٩- في جـ الذي .
١٠- في ب فيه.
١١- في ب ، جـ الصور.
١٢- في جـ تشبه وجوهها وجوه .

الكلاب لها خطوم ، وليس لها أذناب ، واخلاقها صعبة لا تكاد تتطلب(فيها ما) [١] تعلّم الا بعد جهد.

القول في طبائع النعام

وانما ذكرناه مع ذوات الأربع من الوحوش ، وان كان ذا جناح لأنه عند المتكلمين في طبائع الحيوان ليس بطائر ، وان كان يبيض وله جناح وريش ويعدون الخفاش طيراً وان كان يحبل ويلد وله اذنان بارزتان وليس له [ريش] [٢] لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله : (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني) [٣] وهم يسمون الدجاجة طيراً ، وان كانت لا تطير ، والنعامة تسمى بالفارسية (اشترمرغ) [٤] وتأويل اشتر: جمل، وتأويل مرغ [٥] : طائر، فكأنهم قالوا جمل طائر ، ولما وجد هذا الاسم ظن الناس انها نتاج ما بين الابل والطير ، وبهذا اجري عليها في قولهم : قيل للظليم احمل قال انا طائر ، قيل له: فطر قال : انا جمل ، ومما أكد عندهم القول بالتوكيد انهم رأوا فيه من الجمل المنسم ، والوظيف [٦] والعنق والكرش ، والخف، والخرالة ومن الطير الريش والجناح ، والمنقار، والبيض ، ويشبه النعام بالابل، تسمى الانثى منها قلوصا ، وفي طبع النعامة انها تحضن أربعين بيضة أو ثلاثين بيضة ، ومن أعاجيبها انه تضع بيضها طولاً حتى لو مد عليها خيط لما وجد /٤٨و لشيء منها خروج عن

١- ساقطة من ب .
٢- الزيادة من ب ، جـ.
٣- المائدة آية ١١٠.
٤- في ب ، جـ اشترموك والأصل هو الصحيح راجـع Persian-English Dictionary.
٥- في جـ موك.
٦- الوظيف : لكل ذي اربع ما فوق الرّسغ الى مفصل الساق.

الآخر ثم يعطي كل بيضة منها نصيبها(من الحضن اذ كان بدنها لايشمل على عدد بيضها) [1] ، وهي تخرج لطلب الطعم فتمر ببيض نعامة أخرى فتحضنه، وتنسى بيضها، ولعلها ان تصاد فلا ترجع اليه فيهلك ، ولهذا توصف بالموق والحمق ، ويضرب المثل بها في ذلك ، وعلى هذا ينشد قول ابن هرمة :-

واني [2] وتركي ندى الاكرمـــين

وقدحي بكفي زندا شماحـــــا [3]

كتاركةٍ بيضها ... بالعـــــراء

ومُلبسةٍ بيض أخرى جناحــــا [4]

ويقال : انها تقسم بيضها اثلاثاً منه ما تحضنه ، ومنه ما تجعل صفاره [5] غذاء ومنه ما تفتحه وتتركه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفنه دود [6] فتغذي به فراخها اذا خرجت ، وهو من الحيوان الذي يتراوح ، ويعاقب الذكر الأنثى في الحضن ، وهـــو لا يأنس بالابل ولا بالطير مع مشاركته لهما ، وكل ذي رجلين اذا انكسرت له احداهما استعان في نهوضه وحركته بالباقية ما خلا النعامة فانها تبقى في مكانها جاثمة حتى تهلك جوعاً، قال الشاعر واصفاً هذه الحالة :-

إذا انكسرت رجل النعامة لـم تجد

على اختها نهضا ولا بأستها حبوا

١- ساقطــــة مــــن ب.
٢- فـــي ب ، جـ فــــاني.
٣- وهو الزند الذي لايوري.
٤- الـــــــديوان ص٨١.
٥- فـــي جـ منقــــاره.
٦- فـــــي ب ، جـ دواب.

ويقال : إن الحيوان الوحشي ما لم يعرف الانسان لا ينفر منه اذا رآه ما خلا النعام فانه شارد أبداً وبه يضرب المثل في الشرود، وعظامه ، وان كانت عظيمة وشديد العدو بها لامخ فيها، ولا مجرى بها وتزعم العرب أن الظليم اصلم [1] وانه لما كان كذلك عوض عن السمع بالشم فهو يعرف بانفه مالا يحتاج معه الى السمع فربما كان على بعد فشم رائحة القناص على أكثر من غلوة ، والعرب تضرب به المثل في شدة حاسة الشم قال الشاعر :-

فهو يشـــم اشتمـــــام الهَيقِ [2]

ولآخــــــــــر :-

اشم من هيق واهدى من جمـــل [3] / ٤٨ظ

و[فسر] [4] بعض المعتنين بتفسير أمثال العرب قولهم (احمق من النعامة)[5] ان من حمقها اذا أدركها القانص أدخلت رأسها في كثيب رمل تقدر انها قد اختفت منه ، وهو قوي الصبر من الماء شديد العدو واشد ما يكون عدواً اذا استقبل الريح ، وكلما كان أشد لعصوفها كان أشد حضراً ، وهو في عدوه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح ، وهو يبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فيميعه بحر قانصته حتى يصير كالماء ، ويبتلع الجمر حتى ينفذه الى جوفه فيكون جوفه هو العامل في اطفائه ، ولا يكون الجمر هو العامل في احراقه ، وفي ذلك اعجوبتان احدهما التغذي بما لا يغذو ، والآخر الاستمراء والهضم ، وهذا غير

١- الصلم : مقطوع الاذن من الأصل.
٢- في الحيوان (مازال يشم اشتمام الهيق) ١٣٣/٤ .
٣- نسبه في الحيوان الى الراجز يحيى بن نيجم بن زمعة ، الحيوان ١٣٣/٤ .
٤- الزيادة من جـ.
٥- جمهرة الامثال٣٩٤/١.

منكر لأن السمندل [1] وهو على مازعم بعضهم دابة توجد ببلاد الهند ، وبلاد السند دون الثعلب خلنجية [2] اللون ، حمراء العين ، ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل اذا اتسخت القيت [3] في النار المتأججة فيزول منه الزهم [4] ، ولا تحترق وببلاد الترك[جرذان] [5] تسلخ جلودها، وتتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت غسلت بالنار بأن يلقى فيها ولا تحترق ، وزعم آخرون [6] ان السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ ، وفيه من الخاصية ان يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ريشه ، ويعمل من جلده مناديل العمر فكما أن خاصية هذا الحيوان في ظاهره كانت خاصية النعام في باطنه ، والباطن كله من الحيوان انعم من الظاهر وقد حكى أبو عبيد البكري [7] في كتاب المسالك والممالك [8] لما ذكر قابس ان بعض أهل البادية دخل على أميرها بطائر على قدر الحمامة ذكر أصحابه أنهم لم يروه قبل ولا عهدوه ، وكان فيه من كل لون ، وهو أحمر المنقار فأمر بقص جناحيه ، وان يرسل في مصره فلما كان الليل أوقد بين يدي الأمير مشعل فلما رآه الطائر قصده واراد الطلوع [9] اليه ، فلم يستطع النهوض فما زال يجهد نفسه حتى صعد اليه واستوى في وسطه وجعل/٤٩و يتفلّى فيه كما يفعل الطائر

١- السمندل : من صنف الضفدعيات المذنبة تعيش في الماء وعلى اليابس ، واذا دخلت النار افرزت مادة تطفيء النار ، واسمه العلمي .Salamandra

٢-الخلنج شجرة تتخذ من خشبة الأواني ويراد بها لون هذا الخشب .

٣- في ب غسلت .

٤- الزهم : الريح النتنة.

٥- الزيادة من ب .

٦- ورد الزعم في الامتاع والمؤانسة ١٨٢/١ .

٧- عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي مؤرخ وعالم بالأدب ، ت ٤٨٧ هـ راجع طبقات الاطباء ٨٤/٣ بغية الوعاة ٤٩/٢ .

٨- طبع قسم منه في الجزائر مطبعة الحكومة سنة ١٨٥٧م بأسم (المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب).

٩- في ب ، جـ الصعود.

في الشمس ، فلما قضى وطره منه نزل [1] ، والنعام يصاد بالنار كما يصاد سائر الوحش فانه اذا رآها دهش لها واعتراه فكر [2] فيها فيقف وقوف حيرة فيتمكن منه الصائد حينئذ [3]

الوصف والتشبيه :-

قال بعض آل بني طالب شعراً [4] :-

قد البس الليل حتى ينثني خلقـــــا

واركب الهول بالغُر الغرانيـــق[5]

وانتحي لنعـــــام الدّو [6] سلهبـــة

كأنها بعض أحجار المجانيـــق

تسدى الرياح بها ثوبـــــا وتلحمــه

كما تلبس من نسج الخَداريق [7]

كأنما ريشها والريـــح... تغرقـــــه

أسمـــال راهبة شيبت بتشقيـــق

١- راجع (المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب). أبو عبيد البكري ص ١٨ ، وكذلك ذكره ياقوت معجم البلدان ٤/٤ .
٢- في ب فكره.
٣- الزيادة من ب.
٤- نسبها النويري الي الحماني ، نهاية الارب ٣٤١/٩.
٥- الغرنوق : الشاب الناعم.
٦- الدو: الفلاة.
٧- في المصايد الاخانيق ، والخداريق : العنكبوت.

كأنها حين هزت رأسهـــــــا فرقـا

سود الرجـــال تعادى بالمزاريــق

كأن اعناقها وهنـــــــا اذا خفقـت

بها البلاقع ادقال [1] الزواريــق[2]

[فما استلذ بلحظ العين ناظرهـــــــا

حتى تغصص اعلاهــن بالريق] [3]

وقال ذو الرمة من قصيدته المذهبة وذكر ناقة :-

اذاك ام حاصب بالشيء مرتعـــــــه

ابــو ثلاثين أمسى وهـــــــــو منقلــب

شَخْتُ الجُزَارَةِ [4] مثل البيت سائــره

من المسوح جِذب [5] شوقب [6] خَشِبُ [7]

١- الدقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع.

٢- الأبيات في المصايد ص٢٢٣ نهاية الارب ص ٣٤١/٩.

٣- الزيادة من ب .

٤- شخت الجزارة : دقيق القوائم.

٥- جذب : ضخم.

٦- شوقب : طويل.

٧- خشب : غليظ.

كأن رجليه مِسمـــا كان [1] من عشـــر

صُقبان [2] لم يتقشر عنهما [3] النجــب [4]

هجنّع [5] راجع في ســـوداء مخملـــه

من القضـــائف اعلى ثوبـــــــــه الهدب

تبرى [6] له صعلة [7] خرجاخاضعـــة

فـــالخرق دون بنـــــــات البيض منتهب

كأنها دلو بئر جد مَاتِحهــــــــــا [8]

حتى اذا ما رآهـــــا خانه [9] الكَرَب [10]

لايدخران من الايـغال [11] باقيـــــة

حتى تكــــاد تَفِرُّ عنهمــــــــا الاهــب

فكل ما هبطا في شاؤ [12] شوطهمـــا

من الأماكـــــــــن مفعول بــــه العجب

١- السماكين : عوران يمسك بهما البيت.
٢- في المصايد صبقان والصبقان : طويلان.
٣- في الاصل عنهم.
٤- النجب : اللحاء.
٥- هجنع : يريد به الحبشي.
٦- تبرى له : أي تعرض للظليم.
٧- صقلة : نعامة صغيرة الرأس.
٨- المائح : الذي يستقي منه.
٩- في المصايد خانها.
١٠- الكرب : عقد الحبل.
١١- في ب الانعام .
١٢- الشاؤ : الطلق.

لا يأمنان سباع الجو [1] او بــــــردا

ان اظلما دون اطفال لهم لجب [2]

جاءت من البيض زعر الالباس لهــــا

الا الدهــاس [3] وام بـــــــرة واب

كأنما فلقت عنهــــــا ببلقعــــــــة

جماجـــم يبّس او حنظـل خرب [4]

حتى يفيض [5] عن عوج معطفــــــــه

كأنها شامل ابشارهـــا [6] الجـرب

اشداقها [7] كصدوع النبــــع في قلل

مثل الدحاريج لم ينبت لها الزغــب

كأن اعناقهـــــــا كرات سائغـــة [8]

طارت لفائقه او هيشر[9] سلب [10]

١- في الديوان الأرض .

٢- اللجب : الصوت .

٣- الدهاس : الرمل اللين السهل .

٤- خرب : يابس .

٥- في المصايد مما تفيض : أي مما تكسر .

٦-ابشارها : جلودها .

٧- في ب اصداغها .

٨- السائغة من الرحل ما استرق منه .

٩- الهيشر : شجرة خشنة لها ثمرة فيها شوك .

١٠- القصيدة في الديوان ١/١١٤.



الباب الثالث

« في ذكر الحيوان الأهلي »

ومجموعه يسميه ابن ابي الأشعث : الحي المملوك الذي يدبره العقل والطبيعة معاً ، وهو ينقسم الى ما يؤكل [فقط] (١) ، والى ما يركب [فقط] (٢) ، والى ما يركب ويؤكل (٣) معاً (٤) ، ومن اجل هذه المنافع ملك ، ولتدبير العقل له قرب مزاجه من مزاج الانسان وانما الفرق بينهما ان العقل يدبر الانسان من ذاته ومن خارج [ذاته] (٥) ونجعل بدء قولنا في الحيوان المركوب اهم ما تقدم الكلام فيه(٦).

القول في طبائع الفرس

وانما بدأنا به لانه قريب من الاعتدال الخالص ، واحسن ذوات الاربع صورة وافضل من سائرها ، واشبهها بالانسان لما يوجد فيه من الكرم ، وشرف النفس وعلو الهمة ، وتزعم العرب : انه كان وحشياً ، واول من ذلل صعبه وركبه اسماعيل (عليه السلام) (٧) وهو جنسان : عتيق وهو المسمى فرساً ، وهجين وهو المسمى بِرْذَونا ، والفرق بينهما ان عظم البرذون اغلظ من عظم الفرس وامتن (٨) وعظم الفرس اصلب واثقل من عظم البرذون ، والبرذون احمل من الفرس ، والفرس اسرع من البرذون ، والعتيق بمنزلة الغزال ، والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد منهما نفس تليق بفعله وآلات مواتية له ، وفي طبع الفرس الزهور والخيلاء/ ٥٠ و

١- الزيادة من ب ، جـ .

٢- الزيادة من ب ، جـ .

٣- العبارة في ب ، جـ وهو ينقسم الى ما يركب فقط ، والى ما يؤكل فقط والى ما يركب ويؤكل .

٤- ساقطة من ب ، جـ .

٥- الزيادة من ب ، جـ .

٦- راجع الحيوان لابن ابي الاشعث و ٤٢٠ وما بعدها .

٧- راجع كتاب الاوائل ص ٣٢٥ .

٨- ساقطة من جـ .

والعجب والسرور بنفسه ، والمحبة لصاحبه ، ومن اخلاقه الدالة على كرمه ، وشرف نفسه ، ومن شرفها انه لا يأكل بقية من علف غيره ، وعلو همته ، كما حكى[1] المؤرخون ان اشقر مروان [2] كان سائسه لا يدخل عليه الا بأذن ، وهو انه يحرك له المخلاة فان حمحم دخل ، وان دخل ولم يحمحم شد عليه ، وناهيك لهذا الخلق في علو الهمة ، والانثى من الخيل ذات شبق شديد لشدة شبقها [3] تطيع الفحل من غير نوعها ، ويقال : انه متى اشتد شبقها ، وقص من عرفها سكن عنها ، والذكر يشتد به الشبق ويزسد حتى يوثر ان يؤتى لفرط شهوته وقصر آلته عن الوفاء بتسكين ما يجد ، وربما اقتتل الفحلان بسبب الانثى ، حتى تكون لمن يغلب منهما ، ويقال ان الاناث تمتليء في اوان السفاد ريحاً ، واذا اصابتها ذه الآفة يركض بها ركضاً متتابعاً ، ولا يؤخذ بها لا الى الغرب ، ولا الى الشرق ، بل الى الشمال والجنوب حتى يخرج من ارحامها ، كما يخرج عند ولادتها ، وهي في زمان السفاد تطاطئ رؤوسها وتحرك اذنابها ، ويسيل من قبلها شيء شبيه بالمني غير انه رقيق ، واذا تودقت[4] الرمكة ، وافرطت وكان بها هزال من [5] ضعف او علة [6] ، ولم تمكّن ان ينزى عليها لتلك العلة انزى عليها بغل لأنه لا يلقحها [7] وهو بالغ[8] اقصى شقائها وغاية شهوتها بالذي معه من الطول والغلظ فيسكن ذلك عنها ، والذكر يكون مع ثلاث اناث او اكثر ، واذا دنى ذكر [9] آخر من الانثى التي

١- في جـ وحكي .

٢- اشقر مروان وهو من خيول بني امية ، وقد سمي بأشقر مروان لأن الخليفة مروان بن محمد ملكه فسمي باسمه ، راجع ثمار القلوب ص ٣٥٩ .

٣- ساقطة من ب .

٤- الودق : الحرص على طلب الفحل .

٥- في ب ، جـ او .

٦- في ب ، جـ من علة .

٧- في الاصل يلحقها ، وما اثبتناه هو الصحيح عن ب .

٨- في ب ، جـ يبلغ .

٩- في الاصل ذكرا .

اختارها قاتله وطرده ، والطمث يعرض للإناث لكنه اقل من طمث النساء ، والذي ينزو اذا تمت له سنتان ، وكذلك الاناث ، والاناث تحمل احد عشر شهراً وتضع في الثاني عشر وهي تضع ولداً واحداً ، وربما وضعت في النادر اثنين ، والذكر ينزو الى تمام اربعين سنة ، وربما عمر الى التسعين ، والانثى تأنف من نزو الحمار عليها فاذا اريد ذلك منها اخذت (١) / ٥٠ ظ بعرفها فتذل وتسكن (٢) ، وكذلك الفحل(٣) يأنف من ان ينزو على اخته (٤) او على امه ، وقد حكي : انه اريد ان يحمل على رمكة ولد(٥) لها ، يريدون بذلك العتق فأنف فسترت (٦) بثوب فنزى عليها فلما رفع الثوب وراَها مرّ بحضر(٧) حتى رمى نفسه في بعض الاودية فهلك ، والخيل قد ترى الاحلام ، وتحتلم كبني آدم ، وذلك لفرط الشهوة فيها ، ومتى خلت الانثى او هلكت ، وكان لها فلو ارضعته الاناث وربته ، واذا لم يكن فيها لبن(٩) يرضع(١٠) عطفت(١١) عليه العواقر وتعاهدته ، ولكنه يهلك اذ ليس فيها لبن ، وربما ضل الفلو عن امه فرضع من غيرها ، فاذا فعل ذلك ماتت امه ، ويعتري الفرس داء شبيه بالكلب ، وعلامته استرخاء في اذنيه الى ناحية عرفه ، وامتناعه من العلف وليس لهذا الداء علاج الا الكسن ، وفي طبع الفرس انه لا يشرب الماء الا كدراً حتى انه يرد الماء وهو صاف فيضربه بيده حتى يكدره ، ويبين عكره ، وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان ، ويرى فيه خيالاً له ولغيره فيحاماه ويأباه ، وذلك لفزعه مما يراه ، ويوصف بحدة البصر حتى ان بعض المغالين فيه يقولــون (١٢) :

١- في ب ، جـ .
٢- في جـ تستكين .
٣- الزيادة من جـ .
٤- في ب وعلى .
٥- في الاصل ولدا .
٦- في ب ، جـ فلما سترت .
٧- في ب ، جـ سريعاً .
٨- في ب ، جـ القى .
٩- ساقطة من ب ، جـ .
١٠- في ب ، جـ ما يرضع .
١١- في جـ عطف .
١٢- في ب ، جـ يقول .

لو اجري بالفرس[١] في يوم ضباب من شوط بعيد[٢] ، واعترضت بين يديه شعره ، لوقف عندها ولم[٣] يتعد [٤] حدها [٥] ، وفي، وفي طبعه انه اذا وطيء على اثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ، وخرج الدخان من جلده ، واذا وطئته الانثى وهي حامل ازلقت .

فصـــــل :-

والعلامات الجامعة للنجابة في الفرس ما ذكره ايوب بن القرية وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال : القصير الثلاث الصافي الثلاث ، الطويل الثلاث الرحب الثلاث ، فقال : صفهن ، فقال : اما الثلاث الصافية ، فالاديم ، والعينان[٦] والحافر [٧] ، واما الثلاث القصار ، فالعسب[٨] ، والساق، والظهر ، واما الثلاث الطوال فالانف ، والعنق ، والذراع ، واما الثلاث الرحبة فالجوف /٥١ و والمنخر والجبهة ، وقد جمع بعض الشعراء هذه الاوصاف [٩] [في قوله] [١٠] :-

وقد اغتدى قبل ضوء الصباح

وورد القطا في الغطاط الحثاث

بصافي الثلاث عريض الثلاث

قصيـــر الثلاث طـــويل الثلاث

١- في جـ الفرس .
٢- في جـ من شوط بعيد يوم الضباب .
٣- ساقطة من جـ .
٤- ساقطة من جـ .
٥- ساقطة من جـ .
٦- في جـ والعينان والاديم .
٧- في جـ والحوافر .
٨- في جـ فالعسيب .
٩- في ب ، جـ وقد جمع هذه الاوصاف بعض ..
١٠- الزيادة من جـ .

واهدى عمرو بن العاص ثلاثين [1] فرساً من خيل مصر ، فعرضت عليه وعنده عتبة بن سنان[2] بن يزيد [3] الحارثي ، فقال له : معاوية كيف ترى هذا يا ابا سفيان[4] فان عمراً اطنب[5] في وصفها ، فقال : اراها يا امير المؤمنين كما وصفت انها لسامية [6] العيون لاحقة البطون مصغية الآذان قراء الاسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر ، وقعها نحليل ، ورفعها تعليل ، فهي[7] ان طلبات سبقت ، وان طلبت لحقت قال معاوية :- اصرفها الى دارك فان بنا عنها غنى وبفتيانك اليها حاجة [8] ، وهذه الخلال قلما توجد في جواد ، ولو بذل فيه سواد العين ، وسويداء القلب[9] .

وقد قال ابو الطيب المتنبي مؤيداً لما قلت [10] :-

وما الخيل الا كالصديق قليلة
وان كثرت في غبن من لا يجرب
واذا لم [11] يشاهد غير حسن شياتها
واعضائها فالحسن عنك مغيب [12]

١- في ب ثلاثون .
٢- في زهر الاداب سنان .
٣- في ب زيد .
٤- في زهر الاداب هدايا ابا سعيد .
٥- في زهر الاداب فان اخاك عمرا قد اطنب .
٦- في زهر الاداب وانها لمخيلة وانها لسامية .
٧- في زهر الاداب فهذه .
٨- النص في زهر الاداب ١/٣٠٦.
٩- في النص ب ، جـ الفؤاد .
١٠- في ب حيث يقول .
١١- في ب ، ما .
١٢- الديوان ١/١٨٠ .

ووصف اعرابي [1] *فرساً اجرى في حلبة فقال :* لما ارسلت الخيل جاءوا بشيطان في اشطان ، فأرسلوه ، فلمع البرق واستهل الودق فكان اقرب الخيل [2] اليه نقع عينه من بعد عليه [3] .

ووصف محمد بن الحسين بن الحروف فرساً فقال : هو حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقي العصب يبصر باذنيه ويتبع ويتبوع [4] ، بيديه ، ويدخل برجليه)[5] ، وكتب عبد الله بن طاهر[6] مع فرس اهداه الى المأمون ، (وقد بعث الى امير المؤمنين فرساً يلحق الارانب في الصعداء ، ويجاوز الظباء في الاستواء ويسبق في الحدود جري الماء) [7] ان عطف / ٥١ ظ جار وان ارسل طار وان حبس صفن ، وان استوقف قطن ، وان رعى أبن فهو كما قال تأبط شراً [8]

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي
بمنخرق [9] من شدة المتدارك [10] [11]

ووصف آخر فرساً ، فقال : واذا هبط قعى كأنه محلول من قول ابي بكر بن دريد يصف فرساً :-

اذا جرى لم يعلق الطرف به
ولم يجعل لونه ولم يحط
مثل دعاء مستجاب ان علا
او كقضاء نازل اذا هبط

١- في الاصل اعرابياً .
٢- في ب الخلق .
٣- في زهر الاداب ٣٠٧/١ .
٤- في الاصل يتبع ، والتبوع : ابعاد خطو الفرس في جريه .
٥- زهر الاداب ٣٠٥/١ .
٦- عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي من اشهر الولاة في العصر العباسي ت ٢٣٠ هـ ، تاريخ بغداد ٤٨٣/٩ ، الكامل ١٣/٧ .
٧- زهر الاداب ٣٠٤/١ .
٨- ثابت بن جابر بن سفيان وهو شاعر فحل اشتهر بشدة عوده ، مات مقتولاً سنة ٨٠ ق.هـ ، الشعر والشعراء ٣١٢/١ ، الرسالة المتطرفة ١١٦ .
٩- منخرق الرياح : مهبها .
١٠- البيت في زهر الاداب ٣٠٥/١ .
١١- ساقطة من جـ .

ووصف آخر فرساً ، فقال : اسيل الخد حسن القدر (١) لقد سبق الطرف ويستغرق الوصف وقال محمد بن عبد الملك لصديق له ابلغ لي برذونا ، وثيق اليدين سالم الاذنين ذكي العينين ، يأنف من تحريك الرجلين ، وساير شبيب بن شيبة(٢) علي بن هشام فأستبطأه فقال له : انت على جواد ان تركته سار وان ضربته طار وانا على معرف ان تركته وقف وان شربته قطف (٣) وقال بعض الشعراء يصف فرساً سبق حلبة فقال (٤) :

جاء كلمع البرق جاش ناظـــره

يرسب اولاه ويطفــو آخـــره

فما يمس الارض منه حافره (٥)

وقال ابو عبادة البحتري :-

كالهيـــل المبنـــي الا انـــه

في الحسن جــــاء كصورة في هيكـــل

جدلان ينقض عذرة (٦) في غرة

يقف (٧) تسيل حجولها (٨) في جندل (٩)

١- في زهر الاداب حسن القد اسيل الخد .

٢- شبيب بن شبيبة بن عبد الله وكان منادماً للخلفاء ت ١٧٠ هـ ، راجع : تهذيب التهذيب ٣٠٧/٤ ، ثمار القلوب ص٢٢ .

٣- الزيادة من ب .

٤- ساقطة من ب .

٥- نسبها النويري الى العباس بن مرداس ، نهاية الارب ٥٦/١٠ ، ديوان المعاني لم ينسبها ، ديوان المعاني ١٠٨/٢ .

٦- العذرة : الشعر على كاهل الفرس .

٧- اليقق : شدة البياض .

٨- حجول : البياض في قوائم الفرس .

٩- الجندي : الصخر العظيم .

صافي الاديم كما عنيت له

لصفاء نقبته [1] مـدارس صيقل [2]

هزج الصهيل في نفحـاته

فبرات معبد [3] في الثقيل الاول [4]

وقال ابو الفرج الببغاء :-

ان لاح قلت أدمية ام هيكل ؟

أو عَنّ قلت أسابح ام جدال[5] ؟

تتخاذل الالحاظ في ادراكـه

ويحار فيـــه الناظر المتـــأمل

فكأنه في اللطف منهم ثـاقب

وكأنه في الحسن حظ مقبـل [6]

وقال محمد بن هاني الاندلسي [7] :-

عرفت بساعة سبقها لأنها

علقت بها الرهان عيون

١- في الاصل لعينيه ، وما ثبت من ب والديوان ، والنقية اللون .
٢- مداوس : الصقيلة ، الصقيل : جلاء السيوف .
٣- معبد بن وهب من المغنين في العصر الاموي ت ١٢٦ هـ ، الاغاني ٤٧/١ .
٤- الثقيل الاول : نوع من النغم .
٥- الاجدل : الصقر .
٦- الابيات ساقطة من جـ وهي من نهاية الارب ٥٨/١ .
٧- محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الازدي الاندلسي شاعر مشهور يتصف شعره بشيء من الفلسفة ت ٣٦٢ هـ ، راجع الاحاطة ٢١٢/٢٠ ، وفيات ٤٢١/٣ .

واجل علم البرق فيها انها

مرت بجانحيته وهي ظنون (١)

ولآخـــــــر(٢) :-

منع القوائم ان تمس بها الثرى

فكأنه في جريه متعلق / ٥٢ و

وكـــأن اربعــــة تراهن طرفـــه

فيكاد يسبقه الى ما يرمق (٣)

وقال عبد الجبار بن محمد بن حمد يس الصقلي :-

ومجرر (٤) في الارض ذيل عسيبه

حمل الزبرجد منــــه جسم عقيق

يجري فلمع (٥) البرق في اثـــاره

مـــن كثـــرة الكبوات غيـــر مفيق

ويكاد يخرج سرعــــة مـــن ظلـــه

لوكان يرغب في قران صديق (٦)

١- الديوان ص ٣٥٣ .

٢- في ب وقال آخر .

٣- البيتان ساقطان من جـ .

٤- في الاصل ومجرد .

٥- في الديوان ولمع .

٦- في الديوان رقيق ، راجع الديوان ص ٣٢٩ .

وقـــــال ابو الفتح كشـــــاجم :-

مـــاء تدفق طاعـــة وسلاســـــة

فاذا استدر الحضر فيــه فنـــار

واذا عطفت به على نــاورده [1]

لتديــــره فكأنـــــه بركــــار [2]

قصــرت قلادة نحـــره وعــذاره

والرسغ وهـي مـن العتيق فصـــار

يرد الضماضح غير ثان سنبكا

ويـــرود طـــرفك خلفـــه فيحـار

لو لم تكن للخيل نسبـــة خلقـــه

حاكته [3] من اشكالها الاطيار [4]

وقال ابو الفضل الميكالي [5] :-

خير ما استظرف الفوارس طرف

كـــل طرف بحسنـــه [6] مبهوت

هو فوق الجبـال وعلى وفي السهـ

ل نعام [7] وفي المعابر حوت [8]

١- في ب نامرده ، وناورده : لفظ معرب بمعنى القتال ، ويراد به اللجام .
٢- آلة رسم الدوائر .
٣- في ب ، والديوان خالته .
٤- راجع الديوان ص ٢٢٠ .
٥- عبيد الله بن احمد شاعر وناثر ولقد وردت بعض اشعاره في يتيمة الدهر ، راجع يتيمة الدهر ٣٥٤/٤ ، فوات الوفيات ٥٢/٢ .
٦- في يتيمة الدهر لحسنه .
٧- في اليتيمة : عقاب .
٨- راجع يتيمة الدهر ١٨٧/٢ وهي ساقطة من جـ .

ولآخـــــــر (١) :-

فوق طرف كالطرف في سرعة الـ

شد كالقلب قلبــه في الذكـــاء

ما تراه (٢) العيون لا خيالا

وهو مثل الخيال في انطواء (٣)

وقال ابو بكر الصنوبري (٤) :-

طرف نأت سمــاؤه عن ارضـــه

ومـــا نـــــــأى كاهلـــه عن الكفــل

ذو اربع من اربع مـــن القبـــو

ل والدبـــــــور والجنـــوب والشمـــــــل

وهـو اذا اعلمهـــا القى لهـــا

فـــوق الـــــــذي تطلبـــه مـــن العمــل

كالبرق ان اومض او كالرعد ان

اجلب او صوب الحيا اذا احتفل(٥) /٥٣ ظ

وقال ابو الطيب المتنبي ، ناهيك به وصفاً للخيل والحرب :-

يعلم وجه كـــــل ســـابحة

اربعها قبل طرفها تصــــــــــــــل

١- في ب وقال آخر ، وقد نسبها النويري في نهاية الارب لعلي بن الجهم وقد اعتمد جامع ديوانه على نهاية الارب .

٢- في نهاية الارب لا .

٣- نهاية الارب ١٠/٥٥ وهي ساقطة من جـ .

٤- نسبت هذه الابيات في نسخة الاصل الى المتنبي ، والابيات التي بعدها نسبها الى الصنوبري ، والصحيح ما ذكرناه وقد اعتمد جامع الديوان على نهاية الارب في ذكره للقصيدة .

٥- نهاية الارب ١٠ /٦٠ وهي ساقطة من جـ .

ان ادبـــرت لا قبيـــل لهـــــا

او اقبلت قلت مـــا لهـــا كفل (١)

وقــــال ايضاً :-

وجرداً (٢) مددنا اذانها (٣) القنـا

فبتن خفافـــا يتبعن العواليـــا

تماشى بأيد كلمـــا وافت الصفـــا

نقشن به صدر البـــزاة حوافيـــا

وتنظر من سود صوادق في الدجى

يرين بعيدان الشواخص كما هيا

وتنصت(٤) للجرس الخفي سوامعـاً

يخلف مناجـات الضمير تناديـــا

تجاذب فرسان الصبـــاح اعنـــة

كأن على الاعناق منها افاعيـــاً

طرائف في ذم الخيل بالهزل والعجز عن الحركة :

كتب بعضهم الى صديق له :-

ما فعلت حجرك تلك التي

افضل من فارسها الراجل

١- في الديوان يقبلهم .

٢- في الديوان لا تقليل والتليل : العنق .

٣- ديوان المتنبي ٢١٣/٣ - ٢١٤ وهي ساقطة من جـ .

٤- الجرد : الخيل قصيرة الشعر .

عهدي بها تبكي وتشكو الضنا

لما احتشاه البدن الناحل

وهي تغنيني غناء ضبة

غايتها وجدان ما تأكل

يا رب لا اقوى على كل ذا

موت وإلاّ فرج ... عاجل [1]

ولآخر (2) :-

يا نصر حجرك ابلى الجوع جدتها

واصبحت شبحاً تشكو تجافيكا

اذا رأت تبنة قالت مجاهرة

يا تبن لي حسرة ما تنقضي فيكا

ترجوه طوراً وتبكي منه آيسة

حتى اذا عرضت باتت تغنيكا

هذي فدتك حالي قد علمت بها

فكم يكون الجفا افديك افديكا [3]

وقال *آخر* :-

اعطيتني شهباً ملهوبةً (4)

تذكر نمرود بن كنعان

١- الابيات في نهاية الارب ٦٥/١٠ .

٢- في ب وقال آخر .

٣- ساقطة من جـ وهي في نهاية الارب ٦٥/١٠ .

٤- مهلوبة : مستأصل شعر الذنب .

سفينة الحشر الـــى عدوهـــا
اسبق من اشقر مروان /٥٤و

كـــــأنني منهـــا علـــى زورق
بلا مجـــاذيف[١] وسكــــان

فانظر الى حجري ترى شهرة
اخبارها جامع سفيــــان [٢]

وقـــــال آخر :-

حلمتني فـــوق معـــرف زمـــن
ليس (الذي رحله)[٣] بنفـا ع

جلد على اعظم ... مخلخلة [٤]
فليس يمشـــي الا بدفـــــا ع

كـــأنني اذا علـــوت صهوتـــه
ركبت منـــه سرير فقـــا ع [٥]

وانشدت لزهير بن محمد الصعيدي [٦] :-

وفرس علـــــى المســـــا
وي كلهــــــا محتويـــــة

فمــــــا مساوئهـــــا لمن
عددهــــــا مستويـــــة[٧]

١- ساقطة من ب.
٢- جامع سفيان : كتاب سفيان الثوري والابيات ساقطة من جـ وهي في نهاية الارب ٦٦/١٠ .
٣- في الاصل (له رجله) وما اثبتناه عن ب ، ونهاية الارب .
٤- في نهاية الارب محلّلة .
٥- الأبيات في نهاية الارب ٦٦/١٠ .
٦- ابو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى شاعر مشهور مفتن (ت٦٥٦ هـ) ، راجع الوفيات ٣٣٢/٢ ، النجوم ٦٢/٧ .
٧- في الديوان منتهية .

يا قبحا ... مقبلة (١)
وقبحـهــــــا موليــــة
راكبهـا في خجلـــة
كـــــأنه في معصيــــة
مستقبحـاً ركوبهـــا
مثل ركوب المعصية (٢)

وللقاضي برهان الدين ابن الفقيه نصر (٣) :-
لصاحب الاحبــاش برذونـــة
بعيدة العهد من القرط (٤)
اذا رأت خيلاً علـــى مــــربط
تقول سبحانك يــا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت
كأنهـا تكتب بالقبطي (٥)

القول في طبائع البغل

وقال اصحاب الكلام في طبائع الحيوان : البغل مركب من الفرس والحمار ومركب(٦) من فساد بينهما(٧) ولما كان ممتزجاً بينهما صار له صلابة الحمار ، وعظم آلات الخيل ، وكذلك شجيحة ، مولد بين نهيق الحمار ، وصهيل الفرس ،

١- في ب مولية .
٢- راجع الديوان ص٣٩٥ كما ان هناك اختلافاً في ترتيب الابيات .
٣- البرهان بن الفقيه نصر ، من شعراء مصر وقد ولي الخراج في الصعيد ، راجع حسن المحاضرة ٥٦٦/١ .
٤- القرط : نوع من النبات تاكله الدواب .
٥- نهاية الارب ٦٧/١٠ .
٦- في جـ ومتولد .
٧- راجع كون الحيوان لارسطو ٩٢ - ٩٣ .

وقال الجاحظ (البغل يخرج بين حيوانين [يلدان حيوانين مثلهما][1] و [2] يعيش نتاجهما ، ويبقى بقائهما وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم [3] ، ولا يبقى للبغلة ولد ، وليست بعاقر[4] ، وخرج اطول عمراً من ابويه [5] واصبر على الافعال من طرفيه كأبن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال فانه يكون نتاجهما اخبث نتاجاً من البغل ، وافسد اعراقاً من السمع ، واكثر عيوباً من العسبار وشر الطبائع [6] ما تجاذبته الاعراق المتضادة والاخلاق المتعادية ، والعناصر المتباعدة /٥٤ظ ويقال : ان اول من انتجها قارون وقيل افريدون احد ملوك الفرس .

وقال الشاعر في كون البغل مركباً جامعاً لخلقي الفرس والحمار :-

البغل فيه لمن يمـــــــارسه

صبر الحمار وقوة الفرس [7]

وقال ابن رشيق في ذمه (لميله في الطبائع الى امه دون ابيه) [8] :-

اوصيكم بالبغل شراً فانه

من العير في سوء الطباع قريب

١- الزيادة من ب ، وفي جـ يلدن مثلهما .

٢- في ب ثم .

٣- راجع الحيوان ١٠٣/١ .

٤- راجع عن مسألة عقم البغل ، كون الحيوان ٨٩ - ٩٥ .

٥- في الاصل ابوه .

٦- في جـ الطباع .

٧- محاضرات الادباء ٦٣٣/٤ .

٨- ساقطة من جـ .

وكيف يجنى البغل يوماً بحالة

يسرو فيه للحمار نصيب (١)

والبغل يوصف برداءة الخلق والتلون لأجل التركيب ، وينشد على طريق المثـــل :-

خُلـــــق جديـــد كلـــوم

مثل اخلاق البغـــال (٢)

ومن اخلاق البغال الألف لكل دابة ، ويذكر بالهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة (٣) ، ويقول اصحاب الكلام في الطبائع ان ابوال اناث البغال تنقية لأجسادها كما تنقى النساء [بدم](٤) الطمث .

مخايل النجابة في هذا النوع :-

قال بعضهم : (اذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق تجده في نجابتها مشرقة الهادي تجده [في](٥) طاعتها مجعدة الجوف تجده في صبرهـــا) (٦) ، والاحسن في مدحها قول عبد الرحمن بن عباس (٧) بن ربيعة (٨) لحارث بن عبد المطلب جواباً لصفوان بن عمرو بن الاهتم ، وقد أنكر عليه ركوب البغل (٩) : انه يطأطيء عن خيلاء الخيل ، وارتفع عن ذلة العيـــر ، وخير الأمور أوسطها (١٠) ، ولقي أحمد بن زيد ، محمد بن الحسن علي بغل ، فقال اجرى الله

١- الديوان ص ٣٨ .

٢- راجع الامتاع والمؤانسة ١٨٧/١ .

٣- البيت لابن حازم الباهلي ، راجع القول في البغال ص ٤٨ .

٤- الزيادة من ب .

٥- الزيادة من ب .

٦- القول لابن كناسة (محمد بن عبد الله) ، راجع القول في البغال ص ١٩ .

٧- في القول في البغال عياش .

٨- ساقطة من ب .

٩- في جـ الخيل .

١٠- النص في القول في البغال ص ١٩ .

تعالى البغال فان اخلاقها ذميمة وافعالها لئيمة ، وخزيها دائم وسبقها قائم ، فقال له محمد : هي مع ذلك مراكب الملوك في اسفارها ، وقعد الصعاليك في قضاء [1] واطارها مع احتمالها للاثقال [2] ، وصبرها على طول الابغال والاناث منها احمد اثرا ، ولذلك [3] يقال [4] فيه نظماً [5] .

[عليك بالبغلة دون البغل
وانهـــا جامعة للشمل] [6]
مركب قاض وامــام عدل
وعـــــالم [7] وسيد كهــل
يصلح في الوحل وغير الوحل / ٥٥و [8]

وقال آخر : –

عزمت على ذم البعير موفقـا
وان ليس في المركوب اجمع من بغل
وليس له بذخ الخيول وكبرها
ولا ذلة العير الضعيف عـن الــرحل

---

(١) في الاصل فضي .
(٢) في الاصل احمالها الاتقال .
(٣) الزيادة من ب ، جـ .
(٤) في ب قيل .
(٥) ساقطة من ب .
(٦) الزيادة من ب ، جـ .
(٧) في القول في البغال تاجر .
(٨) النص في البغال ، ص ١١٥ .

وفي البغل من كل الامور موافق

ومركب قاض أو شيوخ ذوي الفضل] (١)

وساير عبد الحميد الكاتب (٢) ، مروان بن الجعدي (٣)

على بغلة ، فقالت له : طالت صحبة هذه الدابة لك فقال من بركة الدابة طول صحبتها ، فقال : صفها فقال : همتها امامها وسوطها أمامها ، وماضربت قط الا ظلماً (٤) .

الوصف والتشبيه : -

[من رسالة لبعض الكتاب : قد اخترت لسيدي بغلة وثيقة الخلق لطيفة الخرط رشيقة القد موصوفة (٥) اليد ميمونة الطير مشرفة العنق كريمة النجار حمدة الآثار .

إن ادبرت قلت لا قبل لها

وأن اقبلت مالها كفل

لم يطر العسيب بقوائمها ، ولم يعلق الذم محاسنها قد جمعت الى حسن القميص سلامة الفصوص ، فسميت قيد الاوابر ، وقرة عين المشاهد تزري في انطلاقها بالبروق في اعتلافها] (٦) .

من رسالة الوزير ابي القسم على بن الحسين المعري (٧) يصف بغلة : بغلة تحل من فضائل البغال وسطا ، وتنال من محاسن الدواب انها قد استكملت مايراد

(١) الزيادة من ب .
(٢) عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، اديب وكاتب مشهور ، ت ١٣٢ ، راجع ثمار القلوب ص ١٩٦ ، وفيات ٢٢٨/٣ .
(٣) في لاصل الجندي ، مروان بن محمد بن مروان ، ت ١٣٢ هـ آخر ملوك بني امية ، راجع الكامل ١٥٨/٥ .
(٤) في جـ ذكر ابيات البحتري التي ستأتي ، والنص في نهاية الابر ٨٧/١٠ .
(٥) وصف سيره : اجاد .
(٦) الزيادة من ب .
(٧) علي بن الحسين بن محمد ، ولاه المسترشد قضاء القضاة وناب في الوزارة (ت ٥٤٣ هـ) النجوم الزاهرة ٢٨٢/٥ .

للسروجيات من خفة الاحلام ، ومايراد لحاملات الثقل (١) من وثاقة الاجسام أبعد جرياناً من السيل ، وأجود احضاراً من الخيل وأوطأ مهاداً من الليل ، وقد جمع فيها من المحاسن ما تعم فضيلتها ، بل تبد قبيلتها وتشمل اسرتها بل تعمر عمارتها حتى لاتقيم للخيل وزناً ، الابقدر ما تنل به أرحامها ، ولاتعتد للضيف ولا اعوج الا ما تراعى به واصرها ، والا ما يربّها من عقوق الخؤولة ، والأمومة وينزها على اطراح حقوق الابوة والعمومة فيه أحق من القول فيها : -

جاءت به مُعْتجراً (٢) ببرده
سفواء (٣) تروي (٤) بنسج وحده
تقدح قيس كلها من زنده (٥)

ولم يذكر احد من الشعراء وصفاً لبغل أجود من أبي عبادة البحتري قال :-

واقب (٦) نهد للصواهل شطره
يـــــوم الفخــــــار وللشّـــــجٍّ(٧)
وخرق يتيه (٨) على أبيه ويدعي
عصبية لبني الضُبيب (٩) واعوج (١٠)

١- في ب الاثقال .
٢- في الاصل معجزاً ، والاعتجار اللف .
٣- نجلة سفواء : خفيفة .
٤- في ب تحذي .
٥- الاشطر وردت في القول في البغال ص ٣٩ ونسبها في اللسان الى مدرك بن رجاء الفقمي .
٦- في الاصل واقبت ، والاقب : الضامر البطن .
٧- الشج : صوت البغال .
٨- في الاصل : بنية .
٩- الضبيب : فرس حسان بن حنظلة الطائي .
١٠- اعوج : فرس بني هلال .

مثل المذّرع [١] جاء بين عمومة

في غافق [٢] وخؤوله للخزرج

طرائف في ذم البغال : المثل المضروب في ذلك ببغلة أبي دلامة [٣] ، وأهل الأدب ينسبون اليه ابياتاً ساقطة يصف فيها عيوب بغلته ، اخترت منها [٤] :

أبعد الخيل اركبها كرامـــا

ويعد الفر من محضر البغــال

رزقت بغيلة شوهاء فيها [٥]

عيوباً ليس في المقال /٥٥ ظ

وانـي ان ركبت آذيت نفسي

بضـــرب باليمين وبالشمـــال

برر فليس تبرح قدر شهـــر

وقلّ لها على ذاك احتيالي [٦]

وتضرط أربعين اذا وقفنـــا

على أهل المجالس والمـــوالي

فتقطع منطقي وتحول بيني

وبين كلامهم ممـــا تـــوالـي

---

(١) المذرع : من كانت امه اشرف من ابيه .

(٢) غافق : قبيلة من الازد لا تبلغ مرتبة الخزرج في الشرف .

(٣) هو زند بن الجون الاسدي شاعر ظريف كان يستلطفــه الخلفــاء (ت ١٦١هـ) راجـع الاغـاني (دار الكتب) ٢٣٥/١٠ ، بغداد ٤٨٨/٨ .

(٤) في ب اخترت ما حسن منها .

(٥) في الاصل شهواد فيها .

(٦) في ب احتمال .

ويدبرها ظهرها من مسح كف
ويهزل في البــراقع والجلال
ويخفى لو تمر على الحشايــا
ولو تمشي على دهش الرمال
اذا استعجلتهــا راثت وبــالت
وقامت ساعـــة عند المبــال
وكانت قارحا[1] ايــام كسرى
وتذكر تبعــاً عند النصـــال
وقد ولــدت ونعمـــــان صبي
وآخر عمرها لهلاك مـالي [2]

القول في طبـــائع الحمار لأهلي

قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شيء ينزو الى [3] غير نوعه ، ويأتي فيه شبيهه الا الحمار ، وهو ينزو اذا مضى له ثلاثون شهراً ، ولا يولد له قبل ان يتم له ثلاث سنين ونصف ، قالوا : هذا النوع صنفان صنف جاس عاس [4] يصلح[5] لحمل الاثقال ، والاخر لدن دمث [6] أحرّ وايبس من نفس الفرس فتراه كبير الشعب[7] ، والحركة بمنزلة النار المتوقدة لا يهدأ اضطرامها ، فهذا يصلح أن يرفه للركوب في قضاء الأوطار والحاجات ، واجود الحمير المصرية ، وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدون فيها من الفراهة ،

---

(١) القارح : الذي شق نابه .
(٢) القول فبي البغال ص ١٠٠ وكذلك ثمار القلوب ص ٣٦١ ، الا ان هناك اختلافاً في ترتيب الابيات وكثير من الكلمات .
(٣) في ب في .
(٤) الزيادة من ب ، جـ وفي الاصل عاش .
(٥) في جـ وهو يصلح .
(٦) في ب كومت .
(٧) في ب الشغب .

وسرعة الحضر ، والمجابة ويتغالون في أثمانها [١] بحسب فراهتها حتى بيع[٢] منها في بعض السنين حمار بمئة دينار ، وعشرة دنانير ، وكان صاحبه يسمع أذان المغرب[٣] بالقاهرة فيركبه ويسوقه ويلحقها بمصر ، وبينهما ثلاثة أميال ، ومن عادة الحمار أنه اذا شم رائحة الأسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه / ٥٦ له يريد بذلك الفرار منه .

قال حبيب بن أوس الطائي في أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن .... وقد هجاه [وحيث يقول] :[٤]

أقدمت ويلك من هجوي علي خطر
والعير تقدم من خوف على الاسد[٥]

وفي الحمار داء الحلاق [٦] كالخنزير ، وبعض أصحاب الحديث في الطبائع ينكر ذلك ويقول الحلاق[٧] داء يصيب قضيب الحمار يقال له حلق الحمار يحلق حلقاً اذا احمرّ قضيبه وتقشّر فان لم يخص والا [٨] مات وقال قطرب [٩] الحلاق في الاناث اذا اصابها ذلك ، ويوصف بالهداية لانه لايضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ، ولا يخطئه و فان ضل راكبه الطريق هداه وحمله على المحجة ، ويوصف

---

(١) في ب ثمنها .
(٢) في ب يبيع .
(٣) في ب ، جـ الاذان بالعشاء المغرب .
(٤) الزيادة من جـ .
(٥) الديوان ٣٥١/٤ .
(٦) في ب الخلاق .
(٧) راجع الحيوان ٣١٦/٥ .
(٨) ساقطة من ب ، جـ ، راجع اللسان مادة (حلق) .
(٩) محمد بن المستنير بن احمد ، وهو نحوي من اهل البصرة وهو عالم باللغة والادب وكان معتزلياً ت ٢٠٦ هـ ، راجع الفهرست ص ٥٨ ، تاريخ بغداد ٢٩٨/٣ .

بحدة حاسة السمع بحيث انه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه [فيحذر] (١) منه ، وان بعد مثواه ، وهذا الحيوان يحس بالبرد ، ويؤذيه أكثر من غيره ، ولهذا لا يوجد في بلاد موغلة في الشمال ، وبلاد الصقالبة ، ويعتريه (مرض في(٢) الدماغ) مثل (٣) الزكام (٤) يعرض له (٥) لبرد دماغه ، ويسيل من منخريه بلغم كثير حار ، فان انحط الى الرئة مات والظريف العجيب اذا نهق أضر بالكلب حتى يقال ان نهيقه يحدث بالكلب مغصاً ، ولذلك يطول نباحه .

الوصف والتشبيه : -

وللناس في مدحه وذمه اقوال متباينة بحسب الاغراض في الحب والبغض أما المدح ، قال (٦) الرقاشي :- (٧)

لما (٨) قيل له : إنك تكثر ركوب الحمير ، قال : لانها اكثر مرفقاً قيل له : وما ذلك قال : لانها تستدل بالمكان علي اختلاف الزمان ، وهي اقل المراكب داء ، وأيسر دواء(٩) واسلمها صريعاً واحفظها مهوى ، واقربها مرتقى ، واقلها جماحاً ، وأشهرها فارها ، يزهي به راكبه ، وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصداً (١٠)

---

(١) الزيادة من ب ، جـ .
(٢) ساقطة من جـ .
(٣) ساقطة من جـ .
(٤) في جـ كالزكام .
(٥) ساقطة من جـ .
(٦) في ب فان .
(٧) الفضل بن عبد الصمد شاعر مجيد من اهل البصرة ت ٢٠٠ هـ ، تاريخ بغداد ١٤٥/١٢ ، فوات الوفيات ٢٥١/٢ .
(٨) ساقطة من جـ .
(٩) ساقطة من ب.
(١٠) النص في العقد الفريد ٢٢٩/٦ ، ونهاية الارب ٩٧/١٠ وهناك اختلاف في ترتيب العبارات وهناك اختلاف ايضاً في استعمال الكلمات .

(وإنْ اسرف في ثمنه) (١)

وأما الذم فان اعرابية سُئلت عنه فقالت لعنه الله لا يذكي ولا يزكي إنْ اطلقته ولّى ، وإنْ ربطته أدلى ، عظيم الحرارة بطيء في الغارة لا تُرقى به الدماء ، ولا تُمهر به النساء ولا يحلب في الاناء وقال / ٥٦ ظ جرير بن عبد الحميد : - لا يركب الحمار فانه إن كان فارها أتعب يديك وان كان بليداً أتعب رجليك (٢) .

وكتب الوزير أبو القسم علي بن الحسين المعري (٣) رسالة يرد فيها علي من عاب حماراً ، وكيف يعاب الحمار ، وله نسب في الصالحين عريق ، ومجد (٤) في الأولين وريق وباتخاذ المكرمين الى البتول ، وابن البتول (٥) صلى الله عليه وسلم(٦) مطية ، وبأنه كان للعزير (٧) عليه السلام ايه ، وقد اختير للمطهمة بعلا(٨) ، وارتضي لها قريناً (٩) وشكلاً ، أم كيف يذم ، واعلى أمد الجواد كان اثاره ، واشرف مقام العرب للمعرب شق العبارة (١٠) ، ومن محاسن الأوصاف فيه [قول] (١١) احمد بن طاهر (١٢) من أبيات : -

شية كأن الشمس فيها أشرقت

واضاء فيها البدر عند تمامه

---

(١) ساقطة من ب .
(٢) العقد الفريد ٦/٢٢٩ .
(٣) في ب المغربي .
(٤) في ب المحتد .
(٥) في الاصل الرسول .
(٦) في ب صلى الله عليهما .
(٧) في الاصل العزيز .
(٨) في الاصل بغلاً .
(٩) في الاصل فرسا .
(١٠) النص ساقطة من جـ .
(١١) الزيادة من ب .
(١٢) احمد بن طيفور الخراساني من الكتاب البلغاء ت ٢٨ هـ ، تاريخ بغداد ٤/٢١١ ، معجم الادباء ١/١٥٢ .

وكأنه من تحت راكبـــه ..... اذا

مـــا لاح برق لاح تحت غمامـــه

ظهر كجري المـــاء لين ركوبـه

في حـــالتي اتعابـه وجماحـــه

سفهت يداه على الثرى فتلاعبت

في جريــــه بسهولـــه واكـامـه

عن حافر كالصخر الا أنـــــه ..

أقوى وأصلب منه في استحكامه

ما الخيزران اذا انثنت اعطافـه

في لين معطفـــه ولين عظامــــه

عنق يطول بهـــا فضول عنانـــه

ومحزم يغتـــال فضل حزامــــه

وكأنـــه بالـريح منتعـــل ومـــــا

جري الريـــــاح كجريه ودوامـــه

أخذ المحاسن آمنـــا مـــن عيبه

وحوى الكمال مبّرأً من ذامـه [1]

ولأبي *القسم علي بن الحسن الباخرزي* [2] *من أبيات يرثي بها حماراً* : –

يواري باجواف السباع مُهَملّج

متى أتذكر قوته اتســـــــــخط

---

(١) النص ساقط من جـ وهو في نهارية الارب ١٠/٩٧ – ٩٨ .

(٢) احمد بن الحسين الباخرزي ، اديب وشاعر له كتاب دمية القصر وعصرة اهل العصر ت ٤٦٧ هـ راجع معجم الادباء ٥/١٢٢ .

مسـرة محـزون وقـرة نـاظر
وجمال أعيـاء وراحـة ممتط
وجـواب آفـاق وعـدة راجـل
وحلية إصْطَبل وزينة مربط / ٥٧و
[يخاف الطريق الوعر وطأة رجلة
ويعلو الصبا عن جريه المتوسط
اناف به طـول الثـوى فعذاره (١)
بعيد المراقي سامح المتنوط] (٢)
له ذنب ضـاف بـه سد فرجـه
كما استرسلت أهداب برد نخطط
واسنانـه كـالدر شتتهـا البلى
وقد كن اشباهـاً كعقد مسمط (٣)
علـى متنـه جلد يـروق رواؤه
ولا كـالد يبقى النسيج المخيط
يحاكي بترجيع النهاق (٤) فريده
توافق بالا كان اوتـار مـربوط (٥)
وينصب اذناً لم تفتهـا لطافـه
سوى انها بالشنف(٦) لم تنقرط(٧)

ثم خرج الى التعزية فيه لمن أصيب ، وعمل هذه الابيات بسببه .

١- في ب بعذاره واثبت من الديوان .

٢- الزيادة من ب .

٣- في الاصل منمط .

٤- في الديوان النهيق .

٥- في ب ويربط في الديوان بوبط .

٦- الشنف : ما يلبس في اعلى الاذن .

٧- الديوان ص ٤٠٩ ، نسخة المتحف العراقي (١٣٠٤) .

ولآخـــــر:-

لا تَنظرنَّ الى هزال حمـاري
وانظر الى مجراه في الاخطار
متوقد جعل الذكـــاء إمامــه
فكأنما هو شعلـــة من نـــار
عادت عليه الريح عند هبوبها
فكأنـه ريح البـور يبـــاري [١]

والمثل يضرب في الحمير المهزولة بحمار طياب [٢] كما يضرب المثل في ذلك ببغلة أبي دلامة ، وللناس فيه أشعار كثيرة ، الجيد منها شعراً [٣] :-

وحمـــــار بكت عليـــــه الحمير
دق حتى به الريـا ح تطـــير
كـــان فيمـــا مضى يسير بضعف
وهو اليـوم واقف لا يســـير
كيف يمشي وليس يعلن شيئاً [٤]
وهو شيخ من الحمير كبيـــر

---

(١) نهاية الأرب ١٠/٩٨ .
(٢) وهو حمار هزيل كان لأحد السقاة يضرب به المثل ، راجع ثمار القلوب ص ٣٦٦ .
(٣) ساقطة من جـ .
(٤) في نهاية الأرب وليس شيء يراه .

لمح [1] القت مــرة فتغنى

بحنين وفــي الفــؤاد زفيـر

ليس لي منك يا ظلوم تعير

انا عبد الهواء وأنت أمير [2]

ولخالد الكاتب [3]:

وقائل إنّ حمـــــاري غدا

يمشي اذا صـوّب او اصعـدا

فقلت لكن حمــــــاري اذا

حثثتــــــه لا يلحق المقعـدا

يستعذب الضرب فان زدته

كـان من اللذة ان يــرقدا [4]

القـــول فـــي الأبـــل

وهذا النوع ينقسم [5] ثلاث اصنـاف عرابـي ، ويمـانـي ، وبُخْتـي /٥٧ ظ فاليماني هـو النجيب وينزل منها منزلة العتيق من الخيل ، والعرابـي كالبرذون ، والبختي كالبغل ، ويقال البخت ضأن الابل وهو متولدة عن مني العرابي فقط فان مني البختي ينجب فكأنه حصل له نصف بلية البغل ، فاما النجيب فزعم من حكي

---

(١) في ثمار القلوب عامين .

(٢) ثمار القلوب ص ٣٦٧ ، نهاية الارب ٩٩/١٠ .

(٣) خالد بن يزيد البغدادي وهو من شعراء الغزل وهو معاصر لأبي تمام له شعر رقيق ت ٢٦٢ هـ ، تاريخ بغداد ٣٠٨/٨ ، فوات الوفيات ١٤٩/١ .

(٤) الابيات في نهاية الأرب ٩٩/١٠ .

(٥) ساقطة من جـ .

قول الجاحظ [١] ان في الابل ماهو وحشي ، وانه يسكن ارض وبار [٢] وهي غير مسكونة [٣] ، وقالوا ربما ندّ الجمل في الهياج فيحمله ما يعرض له منه على أن يأتي أرض عمان فيضرب في أدنى هجمة من الابل ، فالمهربة من ذلك النتاج ، وتسمى الابل الوحشية (الجوش) ويقولون : انها بغايا ابل عاد وثمود ، ومن أهلكه الله من العرب العاربة ، واما البخت منها ماهو مثل البراذين ، ومنها يجمز جمزاً [٤] ، ويرقل ارقالاً [٥] والجمز في الابل كالخبب في الخيل ، وحكى ابو هلال العسكري[٦] في كتاب الاوائل[٧] ان أول من ريضت له الابل على الجمز ، أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، لما حجت ، وقال الجاحظ : اذا ضربت الفوالج[٨] في العراب جاءت هذه الجوامز والبخت الكريمة [٩] ، وفي البخت ماله سنامان في طول ظهره كالسرج ، ولبعضها سنامان في عرض ظهره احدهما ذات اليمين والآخر ذات الشمال ، وقد يشق عن سنان البعير ويكشط جلده ، ثم يجتث من أصله ، كما يفعل بعض الناس ذلك [١٠] بالكباش في قطع آلياتها اذا عظمت وعجزت عن النهوض بها ، ويقول أصحاب السير[١٢] لطبائع الحيوان أنه ليس شيء من الفحول مثل الجمل عند الهياج للسفاد [١٣] من الازدياد ، وسوء الخلق وهجران المرعى ، وترك الماء حتى ينظم ايطلاوه ، ويتورم رأسه ، ويكون

---

(١) في ب من حكى الجاحظ قوله .
(٢) وبار وهي مكان قريب من صنعاء اهلك الله فيه عاد وثمود .
(٣) الحيوان ١/١٥٤ .
(٤) الجمز : العدو والاسراع .
(٥) الارقال : الاسراع .
(٦) الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري عالم بالادب ت ٣٩٥ هـ .
(٧) حققه محمد السيد الوكيل ونشر في المدينة المنورة ١٩٦٦ م ، ولم اعثر فيه على هذا القول .
(٨) الفوالج نوع من الابل .
(٩) الحيوان ١/١٣٨ .
(١٠) في ب التحام ، في جـ الصنام .
(١١) ساقطة من جـ .
(١٢) في ب الكلام ، في جـ طبائع .
(١٣) ذكر ارسطو ان الجمل صعب الخلق اذا كان اول السفاد ، طباع الحيوان ص ٢٨٧ ، وكذلك الحيوان ٤/٥٤ .

كذلك أياماً كثيرة (١) ، وهو في هذا الوقت لايدع انساناً ، ولاجملاً يدنو منه ، ولو حمل على ظهره حينئذ مع امتناعه عن الطعم ثلاثة أضعاف تحمله ، وهو لاينزو الا مرة واحدة يقيم فيها النهار أجمع ينزل فيها مراراً / ٥٨ وكثيرة يجيء منها ولد واحد ويخلو في البراري حالة النزو ولا يدنو منه أحد غير راعية الملازم له ، وذكره صلب جداً ، ألا أنه من عصب ، والانثى تحمل اثنى عشر شهراً ، وتلقح اذا مضى(٢) عليها ثلاث سنين ، وكذلك الذكر ينزو في هذه المدة ولا ينزو عليها الا بعد ان تضع بسنة (٣) ، وفيه من كريم الطباع أنه لاينزو على أمهاته (٤) ولاأخواته ، ومتى حمل على أن يفعل حقد على أن يفعل حقد على من يلزمه (٥) ذلك حتى يقتله، وليس في الحيوان من يحقد حقده ، ومن حقده أنه يرصد من (٦) حقد عليه الفرصة والخلوة لينتقم منه ، فأذا أصاب ذلك لم يبق عليه ، وفي طبعه الاهتداء ، والغيرة ، والصولة ، والصبر على الحمل الثقيل ، ويقال : إن البعير اذا صعب وخافته رعاته، استعانوا (٧) عليه فبرّكوه ، وعقلوه حتى يكومه (٨) فحل آخر ، فاذا فعل ذلك ذل ، والابل تميل الى شرب الماء الكدر الغليظ وهو الماء النمير ، فهي أبداً اذا وردت من مياه الأنهار حركتها بأرجلها حتى تتكدر وهي من عشاق الشمس ولهذا تري أبداً تضور اليها من أي جهة كانت من المشرق أوالمغرب ، ويعتري الجمل من الامراض داء الكلب ، فاذا اصابه ذلك(٩) نحر ولم يؤكل لحمه ، [والجمل يكون سنامه مثل

---

(١) في ب ، جـ الايام الكثيرة .

(٢) في جـ مضت .

(٣) في ب الى السنة .

(٤) راجع الامتاع والمؤانسة ٢/٣١ .

(٥) في ب ، جـ الزمه .

(٦) في ب ، جـ يترصد لمن .

(٧) في الاصل فاستعانوا .

(٨) في ب يلومه ، يكومه : يعلوه .

(٩) ساقطة من جـ .

الهدف فيكشط عنه جلده ويجتث من أصله بالشفار ثم يعاد [عليه] [١] ويداوي فيبر] [٢] ومن عجيب حاله أنه يقبض على أم غيلان [٣] ، والسمر وعليها شكوك كصياصي البقر فيستمريء بها ويجعلها ثلطاً ولا يقوى على هضم الشعير المنقع وهو يتعرف على النبات المسموم بالشم مرة واحدة عند رعيه ، فيجتنبه ولايغلط الا في البيش وحده ، ويعيش على مازعم أرسطو ثلاثين سنة في الغالب وقد رأى منها ماعاش مائة سنة [٤] ، ومن عجيب ماذهبت عليه العرب في الابل أنهم كانوا اذا أصاب ابيهم العر[٥] ، [كووا] [٦] السليم ليذهب العر على السقيم ، فهم سقموا الصحيح من غير ان يبروءا السقيم ،وكانوا اذا كثرت ابل زحدهم ، فبلغت الالف فقأوا عين الفحل[٧] ، فإن زادت على الألف فقأوا عينه الاخرى ، ويزعمون أن الفقأ يطرد عينهم [٨] العين .

الوصف والتشبيه :-

حُكي عن بعض المعظمين من شأنها [٩] ، ما اقتنعت العرب ما لا [١٠] خيراص من الابل ، ان حملت أثقلت ، وان سارت /٥٨ ظ : ابعدت ، وان حلبت اردت ، وان انحرت اشبعت ، وما أظرف قول القائل : -

جَمالٌ معيشة الساعي
جِمالٌ تدمن الحركة

---

(١) الزيادة من ب .
(٢) الزيادة من ب ، جـ .
(٣) ام غيلان : شجر السَمر ، والسمر نوع من الشجر صغار الورق قصار الشوك .
(٤) البيش : نبت ببلاد الهند سام جداً .
(٥) راجع طباع الحيوان ص ٣٢٨ .
(٦) العر مرض يصيب الابل .
(٧) الزيادة من ب .
(٨) راجع اللسان مادة فقأ .
(٩) في ب عنها .
(١٠) ساقطة من جـ والعبارة وقيل لم يخلق الله .

اذابركت ببــاب الــدار

القت برجلهــا البركـــة

وصف سيرها ، قال ذو الرمة يصف ناقة : –

كــــأن راكبهـــــا يهـــــوي بمنُخَــــرقٍ

مـــن الجنوب اذا ماركبهـــا نصبوا

تشكو الخشاش (١) ومجرى النستعين (٢) كما

ان المريض الى عواده الوصب (٣) (٤)

وقال بشامة بن الغدير(٥) يصف (ناقة اجدها السير) (٦) :

كأن يديهـــا (٧) اذا أرْقلت

وقد حــــرن ثـــم اهتدين السبيلا

يدا سابح جدّ في عومه (٨)

وقد شــــارف المـــوت الا قليلا

اذا اقبلت قلت (٩) مشحونة

اطاعت (١٠) لها الريح قلعا جَفولا

---

(١) الخشاش : حلقة تجعل في انف البعير .
(٢) النسعة : ما صغر من سيور الاديم .
(٣) الوصب كثير الوجع ، الابيات في الديوان ص ٨ – ٩ (اوربا) .
(٤) الزيادة من ب .
(٥) وهو خال زهير بن ابي سلمى ، وكان رجلاً موسراً وشاعراً مجيداً ، راجع اخباره في الاغاني ٣١٢/١٠ .
(٦) ساقطة من ب .
(٧) في ب ايديها .
(٨) في ب خر في غمرة .
(٩) الزيادة من ب .
(١٠) في الاصل وقد اطاعت .

اذا ادبرت قلت مذعورة
من الربْدِ تتبع هَيقا (١) ذَمُولا (٢)

وقال مسلم بن الوليد :-

الى الأمام تهادانا بأرجلنـــــا
خلق من الريح في أشباح ظلمــان
كأن افلاتها والدهر (٣) يأخذها
افلات صادرة عن قوس مرنان(٤)

وقال آخر (٥) (وهو ابن المعتز) (٦) :-

خوص نَواجٍ اذا حث الحداة بها
حسبت أرجلها قُدّام ايديها

[وقال ابن المعتز] (٧) :-

وقفت بها عيشا تطير بزجرهـــا
ويأمرهـــا وهـي الزمــــام فترفل

طلوبٌ برجليها يديها كما اقتضت
يد الخصم حقا عند آخر بطل (٨)

---

(١) الهيق : ذكر النعام .
(٢) الدخول : السريع ، الابيات في نهاية الارب ١١٦/١٠ وهي ساقطة من جـ .
(٣) في الديوان والفجر .
(٤) في الديوان قوس حسبان ، البيتان في شرح ديوان صريع الغواني ص ١٢٦ .
(٥) ساقطة من ب .
(٦) الزيادة من ب .
(٧) البيتان في ديوان المعاني ١٢٦/٢ ، وهما ساقطان من جـ .
(٨) الزيادة من ب .

والطريف المطبوع قول من قال [من ابيات] (١) :-

فَسَلَــي البيداء عن رجــل
يخصم الــريح بثعبــان (٢)

يريد بالريح الناقة وبالثعبان الزمام ، ومن وصفها عقيب السير والسرى وقطعها البيداء ارقالا ونفحا في البر ، قال سالم الخاسر (٣) من ابيات :-

وكأنهن مــن الكلال اهلــة
أو مثلهن عــواطف الاقــواس
قود طواها ماطوت من مَهْمه
نأى الصبا (٤) ومناهج ادراس

وقال ابو تمام (حبيب بن آوس الطائي) (٥) :-

وبدّلها السُرى بالجهل حلما
وقـدّ أديمهــا قــدّ الاديم
بدت كالبدر في ليــل بهيم
وآبت مثل عرجون قديم (٦)

ممــا وصف من ضمورها قول الخطيم الجزري (٧) واجــاد كـل الاجـادة

---

(١) الزيادة من ب .
(٢) نسبت في ديوان المعاني الى ابن المعتز ، ديوان المعاني ١٢٦/٢ .
(٣) وهو سلم (سالم) الخاسر ابو عمرو ، يقال انه مولى ابي بكر الصديق ، شاعر مشور ت ١٨٦ ، راجع الاغاني (دار الثقافة بيروت) ٢١٤/١١ ، معجم الادباء ٢٣٦/١١ .
(٤) في ب الصدى .
(٥) ساقطة من ب .
(٦) البيت غير موجود في الديوان ، راجع الديوان ٥٣٣/٤ وهي ساقطة من جـ .
(٧) في الاصل الحطيم .

(وقال) [1] .

قد خمرت كأنها وخينها

وشاء عروس حال منها على خصر[2]

وقال ابن دريد [3] في مقصورته : -

خُوص [4] كأشباح الحنايـــا ضمر

يرعفن [5] بالامشاج [6] من جذب البرا [7]

يرسبن في بحر الدجى وفي الضحى

يطفـون فـــي الآل [8] اذا الآل طفـــا [9]

وقال عبد الله بن المعتز : -

ترنوبناظرةٍ كأن حجابهـــــا

وقب [10] اناف بشاهق لم يحلل

وكأن مسقطها اذا ماغرست

اثـــــار مسقط ســـاجد متبتل

---

(١) ساقطة من ب والعبارة فيها واجاد كل الاجادة وهو .

(٢) البيت في نهاية الارب ١١٥/١٠ ساقطة من جـ .

(٣) محمد بن الحسن بن دريد الازدي من أئمة اللغة ت ١٣٢ هـ ، راجع تاريخ بغداد ١٩٥/٢ ، وفيات ٣٢٣/٤ .

(٤) الخوص : الابل الغائرة من الهزال .

(٥) يرعفن : من الرعاف وهو تقـدم الدم .

(٦) الامشاج : المخاط الذي يسيل من انوفها المتغير اللون .

(٧) الآل : ما يراه الانسان في الهاجر اول النهار وآخره وهو يختلف عن السراب .

(٨) راجع شرح المقصورة ، التبريزي ، تحقيق د. سامي الدهان ص ٨٤ وهي ساقطة من جـ .

(٩) في الاصل وقبا .

(١٠) في ب يحتل .

وكأن اثـــار النسوع بدمهـــا

مسرى الاســاود في كثيب اهيـــل

ويشد حاديها بحبل (١) كامل

كعسيب نخل خوصه لم ينخل (٢)

وعلى اثر ذكر السقط والمتبرك ، فأحسن ما وقع في ذلك :–

اذا بركت جرت على نقيانهـــا

مجافيـــه صلبـــاً كقنطـرة الجسر

كأن يديها حين تجري صفورها

طريدان والرجلان (كالبتا وفر) (٣)

وعلى اثر ذكر الذئب فما أحسن ما وصفه أبو نؤاس حيث قال : –

تثنى على الحاذين ذا خصل

تَعْماله الشذران والخطر (٤)

امـــا اذا رفعتـــه شـــامذة

فتقول رنّق فوقهـــا نسر (٥)

أما اذا وضعتـــه خافضــــة

فتقول ارخي خلفها ستر(٦)

---

(١) راجع ديوان المعاني ١٢٢/٢ وهي ساقطة من جـ .

(٢) الابيات ساقطة من جـ ، لم اقف على مراده من هذه الكلمة .

(٣) الحاذين مثنى الحاذ وهو ظاهر الفخذ ، نعماله : عمله ذا خصل : اراد به ذنبها ، الشذران اراد به تحركه .

(٤) الشامذة : الناقة التي تشيل ذنبها نشاطاً ، رفق : خفق بجناحيه .

(٥) الابيات ساقطة من جـ ، راجع الديوان (دار الصادر) ص٣٢٦ .

(٦) في ب حيث قال .

وقد تطرق الشريف البياضي في قوله[1] :-

نوق تراهـــا كـــالسفيـ

ن اذا رأيت الآل بحرا /٥٩ ظ

كتب الوَجا [2] بدمائها

في مهـــرق البيداء سطـــرا

لا يشتكين مـن اللغوب

اذا لا يعـــرفن زجـــرا

[وير من سبق ظلالهن

اذا المطـــي حســـرا [3]

فكـــأن ارجلهن تطـ

ـلب عنـد ايديهن وتـــرا] [4]

القول في طبائع البقر

قال اصحاب الكلام في طبائع [الحيوان] [5] : الفحل من هذا النوع ينزو اذا تمت له سنة من عمره ، وهو الغالب ، وقد ينزو لعشرة أشهر ، وهو كثير المني ، ومتى توقدت شهوته ولم يخص لم يذل قبل ولم يستكن ، ولم يصح جسمه ، والبقرة اذا ولدت تحدر لبنها من يومها ولا يوجد لها لبن قبل أن تضع ، وكل اناث الحيوان ارق صوتاً واحد من ذكورها الا البقر ، فان الانثى افخم وأجهر من الذكر ، وقرونها اقوى ، وهي تقلق لضرب الذكر [6] ، وتمشي[7] تحته ولا سيما اذا أخطأ المجرى لصلابة ذكره ، وهي اذا اشتاقت الى السفاد تصعب وتنفر حتى لا يقوى

---

(١) في ب حيث قال .
(٢) الوَجا : حفاء البعير .
(٣) البيت غير موجود في نهاية الارب .
(٤) الزيادة من ب ، والابيات في نهاية الارب .
(٥) الزيادة من جـ .
(٦) اي اذا علاها .
(٧) في جـ وتنثني .

الرعاة عليها ، وتركب الذكور وتقف بين ايديها ، واذا نزى عليها بقيت عشرين يومـاً ، وطلبت النزو مرة أخرى وهي تحمل تسعة أشهر ، وضع في العاشر ، فان وضعت قبل هذا الوقت لا يعيش ولدها وربما وضعت اثنين ، واذا مات ولدها أو ذبح لا يسكن خوارها ، ولا يدر لبنها ولذلك :

[الرعاة] [١] يسلخون جلد ولدها ويحشونه ، ويعملون له قوائم تقف عليها بازائها لتدر [له] [٢] وتسكن ، ويسمى هذا المثال (البو) ، وفي طبع الذكر توفر الشهوة والاغتلام ، فاذا صعب وامتنع كذلك على الرعاة ربطوا ركبته اليمنى بحبل صوف فيذل وينقاد ، والانثى اذا كان ولدها معها منعت منه السبا ع بقرونها اشد منع حتي تنجيه ، أو تهلك دونه ، والبقر يحب الماء الصافي ويختاره بضد مايريده الخيل [٣] والابل ، وهي من الحيوان الذي يكون له قائد يتولى الحراسة والايراد والاصدار ، وهي من اقاطيعها تتألف فاذا جاء وقت هيجانها اقتتلت قتالاً شديداً ان الواحد منها يريد ان يكون المستولى عليها ويقول ارباب الفلاحة : ان البقر تعرف الشتاء الشديد وتنذر[٤] به أهل القرية وذلك انها تربض على جنبها [٥] اليمنى ، وتديم شم الأرض ، والثور والهرمتى /٦٠و لطخ منخريهما بدهن الورد هلك الهر وصرع الثور .

فصـــــل : -

وبأرض مصر [بناحية دمياط] [٦] بقر يسمى [بقر] [٧] الخَيْس، ، وهي بقر رقاق طوال الرقاب قرونها كالأهلة ، وبينها وبين سواها كمـا بين الغــزال والغنـم[٨] وفيها نفور ووحشية لا ينتفع بشيد منها غير اللبن وما يكون منه [وهي

١- الزيادة من ب ، جـ .
٢- الزيادة من ب ، جـ .
٣- في الاصل الجمل .
٤- في ب ، جـ فتنذر به .
٥- في ب ، جـ جنوبها .
٦- الزيادة من جـ .
٧- الزياقد من جـ .
٨- في جـ والعنز .

وان كانت وحشية فانها مملوكة ، ولها رعاة لكنها لاتعلف ، ومأواها حيث يكون العشب والماء دائماً ولهذا توجد الا في جزائر بحر تنيسي ، ورعاتها يسمون الاناث منها بأسماء متى دعيت بها الى الحلب أجابت ، اذا ولدت الانثى وخفيت على راعيها مكان ولدها في حلقها جرساً وترصدها عند رجوعها من الرعي لتسقي ولدها فيستدل بحس الجرس على مكانه فاذا وقع به حمله الى خصمه وارتبطه عنده فيغدو بعد ذلك الى الرعي ويروح اليه ، وتؤنس الفحول منها وتستعمل في السواقي ولكن بعد عناء وتعب شديد وممارسة لنفورها وعدم قبولها العلف لأنها لم تعرفه ، ولم تألفه فهم يجمعونها فتذل وتظطر للانقياد والأكل][1] ، وقال المسعودي : - رأيت بالري[2] نوعاً من البقر يبرك كما تبرك الابل [3] وتثور بحملها كما تثور ، والغالب عليه حمرةالحدق ، وسائر البقر ينفر منه ، وحكى ابن منقذ[4] في كتابه أزهار الانهار عن المدائني [5] كأعراف الخيل ، قال ابن منقذ : وأظنها الابقار التي توجد فيها الراجم وسمعت من يقول انها ابقار عمالة في بلاد يقال لها خم وتافة وبلجستان وهي ملونة بيض وسود وبلق ، والبراجم [6] تكون في رؤوس أذنابها وهي الكبار على كتفها وهي الصغار ، وسمعت من يقول : انها أبقار تخرج من الصين تلد وترضع ، وكانت العرب اذا أوردوا البقر فلم تشرب أما للكدر واما لقلته ضربوا الثور فيقتحم الماء لأن البقر تتبعه كما يتبع الشَوْل [7] الفحل .

١- الزيادة من جـ .

٢- مدينة بناها المهدي اثناء خلافة المنصور ، معجم البلدان ٢/٨٩٥ اوربا .

٣- النص في مروج الذهب (نوعا من البقر كما تبول الخيل ...) ١/٣٣٢ .

٤- اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ وهو اكابر بني منقذ ، وهو عالم بالادب والتاريخ وله عدة مصنفات ت ٥٨٤ هـ ، البداية والنهاية ١٢/٣٣١ (دار السعادة) ، معجم الادباء ٥/٦٧ اوربا .

٥- علي بن محمد بن عبد الله راوية ومؤرخ ت ٢٢٥ هـ ، راجع : تاريخ بغداد ١٢/٥٤ .

٦- البراجم : المفاصل .

٧- الشول : النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها .

قال شاعرهم في ذلك :-

هجوني اذا هجرت جبال سلمى

كضرب الثور للبقر الظماء [1]

وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد الثيران [عن] الماء حتى تهلك الأرض عطشاً ، *وقال شاعرهم في ذلك :*

لكا الثور والجني يضرب وجهه [3]

وماذنبه ان كانت الجن ظالمة [4]

الوصف والتشبيه : -

قال أحمد بن علوية الاصفهاني [5] *: -*

ياحبذا مخضها ورائبها

وحبذا في الرجال صاحبها

عجولة سمحة مباركـــة

ميمونــة طفّحُ .... محالبها

تقبل للحلب كلما دعيت

ورامهـــا للحلاب حالبهـــا

١- ينسب الى عوف بن الخرع ، البلدان ١/١٨ .

٢- الزيادة يقتضيها السياق .

٣- في ب رأسه .

٤- ينسب الى يحيى بن منصور الذهلي ، الحيوان ١/١٩ .

٥. كاتب واديب وشاعر ، وكان صاحب لغة ، راجع معجم الشعراء ٤/٧٢ طبعة دار المأمون ، بغية الوعاة/ ٣٣٦ .

فتية سنهـا ...... مهذبـــة

معنف في الندى عائبها /٦٠ظ

كأنهـــا لعبـــة مُزّينـــــة

تطير بهـا عجبـا ملاعبهـــا

كــأن البانهــا جنى عسل

يلذهــا في الانــاء شاربهـــا

عروس باقورة [1] اذا برزت

من بين احبالهــا ترائبهـــا

كأنها هضبـــة اذا انتسبت

اوبكرة قد أنـاف [2] غاربهـــا

تزهـــى بروقين كاللجين اذا

مسهمـــا بالبنـــان طالبهـــا

لو أنهـــا مهرة لمـــا عدمت

من ان يضم السرور راكبها [3]

وأنشدنا الأديب الفاضل شمس الدين محمد الموصلي [4] (عرف بابن الجاووش) لنفسه وقد سألته أن يعمل في ذلك عملة حسنة فقال [5] : -

للّـــه عجلـــــة خَيْس

صفـــــــــــراء ذات دلال

١- باقورة : جماعة من البقر .

٢- اناف : ارتفع واشرف .

٣- نهاية الارب ١٠/١٢٣ ، ساقطة من جـ .

٤- محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي وهو صاحب نظم رقيق ونكت (ت ٦٠٨ هـ) ، الوافي ٣/٥١ ، فوات الوفيات ٢/٣٨٣ .

٥- الزيادة من جـ .

تريك عينـــــي مهـــاة
من تحـــت قرنـــي غـــزال
قد ســـــربلت بأصيـــل
وتـــوجــــتبهــــــــلال[1]

القول في طبائع الجاموس

وهو حيوان هندي ، والفرس تجعله ضأن البقر ، وتسميه (كلوميس) [2] كأنهم قالوا ضأن بقري لانهم وجدوا فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور لان الكباش ضربت في البقر فجاءت الجواميس [3] .

قال الجاحظ : يزعم أن كل حيوان يلد حيواناً مثله لايخلو أجناسه من المعز والضأن ، فالجواميس عندهم ضأن البقر [4] والبخت عندهم [5] ضأن الابل والبراذين ضأن الخيل ، والجاموس شجيع شديد البأس [6] [وهو مع ذلك أجزع خلق من عضّ جرجسه وبعوضة واشدّ هرباً منها الى الماء] [7] وهو يمشي الى الأسد رخي البال رابط الجأش ، ثابت الجنان ، ويقال : ان سبب اخراجها من معادنها هو ان الطريق الذي بين انطاكيه [8] ومصيصة [9] كانت مسبعة فشكي ذلك الى الوليد بن عبد الملك فحمل منها [10] أربعة آلاف جاموس وجاموسة مما كان

١- نهاية الارب ١٠/١٢٣ ، ساقطة من جـ .
٢- في جـ كاوميس في ب كاوميش .
٣- في جـ بالجواميس .
٤- ذكر الجاحظ : ان الجواميس بقر اقرب الى الحق من قول من زعم ان الجواميس ضأن البقر ، الحيوان ٢/١٨٢ .
٥- ساقطة من جـ .
٦- في ب شديد البأس شجيع .
٧- الزيادة من ب ، جـ .
٨- وهي من ثغور الشام المهمة ، معجم البلدان ١/٣٨٣ اوربا .
٩- المصيصة : تقع بين انطاكية وبلاد الروم ، معجم البلدان ٤/٥٥٨ اوربا .
١٠- في ب ، جـ مجفل .

الحجاج بن يوسف بعث به لما فتح بلاط الزط [١] (ومن أرض الزط) [٢] على يد محمد بن القاسم[٣] وجعل الفي جاموس وجاموسة في اجام كسكر لما بنى /٦١و واسط فهربت السباع حتى مابقي [٤] منها شيء ، وذكر الجاحظ : ان [المعتصم][٥] أبرز للأسد جاموستين فغلباه ثم أبرز له جاموسة ومعها ولد فغلبته وحمت ولدها ومنعته ، ثم أبرز له جاموساً واحداً فواثبه الأسد ثم أدبر عنه [٦] هذا الحيوان على غلظه وقَدامته [٧] ذكى اذا رأى راعية الاسد صاح بأناثه يافلانةبأسماء جعلها لها[٨] اعلاماً على كل واحدة منها فتخرج اليه من الجواميس التي في الاجام حتى يلقيها علي الزسد فتضع رؤوسها على الأرض وتمشي اليه ، فاذا وثب على أحداهن قصدته بقرنيها فيقعان في جوفه فتقتله لوقته وفي طبع هذا الحيوان كثير[٩] الحنين لوطنه [١٠] الذي يؤخذ منه فمتى هرب لايعدوه ، ويقال انه لا ينام أصلاً[١١] لشدة حراسته لنفسه وأولاده ، واذا اجتمعت ضربت دائرة وتجعل رؤوسها الى خارج تلك الدائرة وأذنابها الى داخلها ، والرعاة والأولاد من داخل فتكون الدائرة كأنها مدينة سورها صياحيها [١٢] والذكور منها [١٣] يناطح ذكراً آخر فأن غلب احدهما الآخر دخل المغلوب جمة [١٤] وأقام فيها حتى يعلم من نفسه أنه قد قوى ثم يخرج يطلب ذلك الجاموس الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه والغالب عليه القيام في الماء الى خرطومه ، ولهذا يجعله بعض المتكلمين في طبائع

١- الزط : نهر قديم من انهار البطيحة ، معجم البلدان ٢/٩٣٠ اوربا .
٢- ساقطة من ب .
٣- في ب القسم .
٤- في الاصل لا بقاء منها .
٥- الزيادة من ب ، جـ .
٦- الحيوان ٧/١٣١ .
٧- القدامة : الثقل .
٨- في جـ قد جعلا اعلاما .
٩- في جـ كثرة .
١٠- في ب لعطفه .
١١- ساقطة من جـ .
١٢- الصياحي : قرون البقر .
١٣- ساقطة من جـ .
١٤- في ب الاجمة .

الحيوان مائياً أرضياً لسكناه الآجام . والغدران (وانما يفعل ذلك هرباً من البعوض لأنه ينفذ جلده مع غلظه بخرطومه) (١)

الوصف والتشبيه : -

قال الوزير أبو القسم علي بن الحسين المعري (٢) *من رسالة :-*

وأما الجواميس فرسلها أقوى الالبان ، وأغذاءها ، ومسارحها افره المسارح ، وأعلاها لانها أبداً خائضة في الغدران الصافية ومستظهرة بالأسلحة العادية ، ولها من الرئاسة في العين الرائعة والعوامل النافعة ، ما للبخت على العراب [و](٣) من القوة والصلابة ، والشدة والنجابة ما للإبل الصلاب في الليوث العادية والسباع الضارية ، ولها حق لكافة الجنس /٦١ظ الذي تولت الرئاسة عليه والعمادة فيه ، لانها القت بالأنيس ، ولم تضجر ، وتوفرت على الخاصة فلم تقفر ، ولعلها لو تدبرت تلك البراري ، وظهرت الى تلك الصحارى لما أشتغلت العرب من السوائح والبوارح الا بها ، ولا اتخذت أمثلة الزجر والعيافة الا منها ، ولكنها تكرمت على ذلك العيش المتيسر ، واجتنت الاخبار في تخير ذلك البؤس المستمر ، واذا كانت البقر تضرب مشاهدتها فألا للسنين المقبلة ، وينطق بذلك آيات القرآن المنزلة ويفسر على ذلك [ما] (٤) يرد منها في الأحلام الصادقة حتى كأن مندلائل النبوة الصادقة فهذه بمثل ذلك أجدى ، وبالتبرك عند مشاهدتها والتيمن بملاحظتها اولى وأشبه (٥) .

١- ساقطة من ب ، جـ .

٢- في ب الحسن المصري وقد مرت ترجمته .

٣- الزيادة من جـ .

٤- الزيادة يقتضيها السياق .

٥- ساقطة من جـ .

وقال بعضهم من أبيات : -

وأمـــا الجواميس فهي التي
تفـــوق جميـــع ذوات الحلب
كـــأن المُلمِ باخلاقهــــــا
الـــم بملىء العـوادي السرب
مُنيم الرعـــاة على امنهـــا
ويســـرح في كــل عبء اشب
ويلقى الاسود بمثل الحرا ب
فتلقى الاسود بهن الحرب (١)

القول في طبائع الضأن

فصل الناس ما بين الضأن والمعز ، فقالوا اذا ارتعت الضأنية والماعزة ينبت ما تأكله الضأنية ، ولم ينبت ما تأكله الماعزة ، لان الظأنية تقرض ما تأكله بأسنانها والماعزة تجذب بأسنانها (٢) من أصله ، وقال أرسطو : الضأن رديء الشكل قليل العقل (٣) ، ومن قلة عقله ان يكون في البراري في حضائر فاذا نزل الشتاء ، وكثر المطر يخرج منها الى الفضاء والهواء ، ويظن أن ذلك ينجيه من المطر ، فأذا أصابه المطر خارجاً عن الحضيرة لا يبرح عن مكانه ، ولا يزول حتى يهلك ولا يكاد يتحرك إن لن تأت الرعاة اليه فتقدم ذكوره فاذا تقدمت تبعتها الانـــاث ، وهي أكسل وأقل حركة من المعز ، والمعز يدنو من الناس ، ويحس بالبرد أكثر من الضأن ، واذا سمعت الرعد رمت ما في بطونها من ساعتها /٦٢و وهي

١- ساقطة من جـ .

٢- ساقطة من جـ .

٣- راجع طباع الحيوان ص ٣٨٢ .

تسمن من الماء ، ولهذا الرعاة يطعمونها الملح بعد كل خمسة أيام اذا كان صيفاً تشتد رغبتها في شرب الماء ، وهي اذا سمعت دوياً في المكان الذي يجمعها فيه التفت بعضها على بعض من الخوف ، ومتى أسقيت في الخريف الماء الذي يصيبه ريح الشمال كان اوفق لها من الذي تصيبه ريح الجنوب وهي تهزل من التعب والطرف ، ومن الرعايات (١) فيما فضل الله به الضأن على الماعز ، إن الله تعالى جعل الضأن مستورة العورة من قبله ومن دبره ، والماعز بالضد من ذلك ويلحق بالضأن داء يسمى المجرى وهي أن تشرب الماء ولاتروى ، وذلك من متأفه ، [قالوا] (٢) ومن فضيلة الكباش انها تناقف وتناطح الناس يرهنون على قتالها كما يرهنون على سباق الخيل ، وقد جعل الله تعالى النماء والبركة ، والعدد في الضأن ، وهي لاتلد في السنة الا مرة واحدة وتفذ ولاتتئم .

فصـــــل : -

ويقال : في هذا النوع أنه فيه ماهو وحشي (٣) ، ويسمى كبش الجبل وخلقته خلقة الكباش الأهلية ، وفي قدرها ، وشكلها جلداً ، وصوفاً ووجهاً الا أن قرونه جفاة جداً ،

الوصف والتشبيه : -

لم أجد في هذا النوع الا رسالة كتبها أبو الخطاب الصابي الى الحسين ابن صبره جواباً عن بقعة وردت عليه في وصل حمل اهداه اليه :- وصلت رقعتك ففضتها عن خط مشرق ، ولفظ موفق وعبارة وصيية (٤) ومعان غريبة واتساع في البلاغة يعجز عنه عبد الحميد في كتابته وسُحيان (٥) في خطاباته (٦) وذكرت فيها حملاً جعلته بصفتك جملاً ، وكان كالمعيدي اسمع به ولا أراه ، وحضر فرأيت كبشاً متقادم الميلاد من نتاج قوم عاد قد افنته الدهور وتعاقبت عليه العصور فظننته

١- في جـ الدعامات .
٢- الزيادة من جـ .
٣- العبارة في جـ (ويقال ان في هذا النوع ما هو وحشي) .
٤- في الاصل مغيبة .
٥- في زهر الآداب وقس وسحبان .
٦- وردت في زهر الاداب الزيادة وتصرف بين جد امضى من القدر ، وهزل من نسيج السحر وتقلب وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ، الا ان الفعل قصر عن القول .

أحد الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته وحفظ بهما جنس الغنم لذريته ، صغر عن الكبر ولطف في القدر فبانت دمامته وتقاصرت قامته وعاد نحيلاً ضئيلاً [١] بالياً هزيلاً باديء السقام عادي العظام جامعاً للمعايب مشتملاً على المثالب /٦٢ظ يعجب العاقل من حلول الروح فيه لأنه عظم مجلّد ، وصوف ملبّد ، لا توجد فوق عظامه سلباً ، ولا تلقى اليد منه الا خشباً ، لو القي للسبع لأباه أو طرح للذئب لعافه وقلاه ، وقد أطال للكلأ فقده وبعد المرعى عهده لم ير القّت [٢] الا نائماً ، ولا الشعير الا حالماً ، وقد خيرتني بين أن اقتنيه فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه فيكون خصب الشهر[٣] ، فملت الى استبقائه لما تعلمه [٤] من محبتي في التوفير ورغبتي في التشهير ، وجمعي للولد وادخاري لغد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للغناء ، لأنه ليس بانثى فيحمل ، ولابفتى فينسل ولابصحيح فيرعى ، ولا بسليم فيبقى ، فملت الى الثاني من رأيك وعلمت بالآخر من قوليك [٥] ، وقلت : اذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأُلقمهُ رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشدني وقد أضرمت النار ، وحددّت الشفار ، وشمر الجزار : -

اعيذها نظرات منك صادقة

ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

[وقال] [٦] : وما الفائدة لك من ذبحي : وانما كما قيل :

لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت ليس لي لحم يصلح للأكل ، فإن الدهر أكل لحمي ، ولا جلدي يصلح للدبغ ، فإن الايام مزقت أديمي ، ولا صوف

١- في ب ضئيلاً نحيلاً .

٢- القت : نبات تأكله الدواب .

٣- في ب الرحل .

٤- في ب تعرفة .

٥- في الاصل قولك .

٦- الزيادة يقتضيها السياق وهي واردة ايضاً في زهر الآداب .

يصلح للغزل ، فأن [1] الحوادث قد [2]حصّت [3] وبري ، وان أردتني للوقود فكف بعر أدفء من ناري ، ولن تفي حرارة برائحة قتاري [4] ، ولم يبق الا أن تطالبني بذهل[5] أو بيني وبينك دم ، فوجدته صادقاً في مقالته ناصحاً في شورته ، ولم أعلم أي أموره اعجب ؟ أمن مما طلته الدهر على البقاء ؟ أ من صبره على الضر والبلاء ، أم من قدرتك عليه مع أعواز مثله ؟ أم من اتحافك الصديق ينفذ في المعز والضأن وكل حمل ثمين ، وكبش بطين مجلوب اليك ، وموقوف عليك بقول فيه ، فلايرد ، وترفده فلا تصد ، وكانت هديتك هذا الذي كأنه انشر / ٦٣و من القبور أو اقيم عند النفخ في الصور ، فما كنت مهدياً ، لو أنك رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب ما كنت تهدي الا كلباً أجرب [أو] [6] قرداً أحدب[7] .

وللمريمي في هذا المعنى :-

ليت شعري عن الخروف الهزيل

الك الذنب فيه أم للوكيـــــل ؟

جاءني في الزنبيل حيا وقد شد

(....) [8] قضى في الزبيل [9]

لــــم أجد فيــه غير جلد وعظم

وذنيب لـــــه دقيق طويـــل

١- في ب لان .

٢- الزيادة من ب .

٣- حصت : حلقت .

٤- القتار : رائحة اللحم المشوي .

٥- بذهل : بثأر .

٦- الزيادة من ب .

٧- راجع زهر الاداب ٥٤٧/١ ، والنص ساقط من جـ .

٨- لم أتمكن من قراءة الكلمة .

٩- البيت غير موجود في نهاية الارب .

ما أراني أراه يصلح اذا اصبح

رسماً على رسوم الطلــــول

لا لشــــيء ولا لطبــــــخ ولا بيـ

ع ولا بر صـــاحب وخليــــل

اعجف لو مطفل نـــال منــــه

لغدا تائبا عن التطفيل] (١)

القول في طبائع المعز

روى الجاحظ في كتاب الحيوان له ، أحاديث كثيرة نوهت بقدرها وفخمت من أمرها (٢) منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القحة في أهل الخيل والخباء في أهل الابل ، والسكينة في أهل الغنم ، ومما ذكره في فضلها أنه كان في الانبياء من رعي الغنم ، ولم يرع أحد منهم الابل ، وعدّ منهم سعيباً ، وداود ، وموسى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غنم (٣) خديجة ، وروى أن رجلاً دعى ابا ذر لطعام ، فلما أكل قال الحمد لله الذي اطعمنا الحمير والبسنا الحرير ، وانه رأى عندهم شاة ، فقال لصاحب المنزل هذه لك قال : نعم ، قال : اطب مرامها واغسل رغامها ، فانها من دواب الجنة ، وهي صفوة الله تعالى من البهائم، ومن بركتها أن أمرؤ القيس وصفتها في قوله (٤) :

اذا لم تكن ابل فمـــعزى (٥)

كأن قرون جلتهــــا العصــــيّ

١- الزيادة من ب ، والنص في نهاية الارب ١٠/١٣٠ .

٢- راجع الحيوان ٥/٤٨١ .

٣- في ب ، جـ غنيمات .

٤- في ب ، في شعره فقال .

٥- في ب بمعرى .

فتملأ بيتنا (١) أقطاً وسمناً (٢)

وحسبك من غنى شـــــــبع وروى (٣)

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ، والشاة تحمل بعد أن ينزى عليها ثلاث مرات أو اربع مرات(٤) ، وان وقع مطر بعد النزو نقض حملها ، وهي تحمل خمسة أشهر وتضع مرة واحدة في السنة ، فان كانت ترعى في اماكن دافئة وكان مرعاها مخصباً تضع مرتين في السنة ، ومنها ما تضع اناثاً ، ومنها ما تضع ذكوراً ، وذلك يعرض من قبل الاماكن ايضاً ، ومنها ما يفذ ويتئم ، وماتضع ثلاثاً أو اربعاً ، وفي طبع الشاة (٥) انها من الذئب أشد فرقاً من الاسد ، وان كانت تعلم أن الاسد يأكلها ، ومن شدة (٦) فرقها منه (٧) ، لو رأت الاسد والنمر ، والنسر(٨) لما عبئت بها ولاخافتها ، وليس ذلك من تجربة ولا لان /٦٣ظ منظر الذئب اشنع ، وأهيب لكن لمافطرت عليه ، ومن شأنها اذا ظفر بها الأسد ما نعته عن نفسها حتى ربما اضطرت الاسد الى أن يجرها الى عرصته فأما الذئب اذا اخذها عدت معه حتى لا يكون عليه مؤونة والتيس من شدة الغلمة التي فيه لايعرض للنعجة من الضـأن ، وكذلك الكبش من الضأن لايعرض للشاة حتى كان ذلك عن موادعة بينهما فلهذا لا يقع بين (٩) هذين الجنسين المتقاربين تلاقح ونتاج البتة كما يقع بين البخاتي والعراب ، وبين الخيل والبراذين ، والخيل ، والحمير ، وفي الماعز ما

١- في الديوان فتوسع اهلها .

٢- الاقط : شيء يصنع منه اللبن المخيض على هيئة الجبن .

٣- الابيات في الديوان ص ١٣٦ .

٤- راجع طباع الحيوان ص ٢٩٣ .

٥- في جـ الشاء .

٦- في جـ ولشدة .

٧- ساقطة من جـ .

٨- في جـ والببر .

٩- وردت في الاصل لا يقع النفار بين هذين ... وكلمة النفار لا مكان في السياق .

يعلم التعليم والتلقين ، والحكاية ، وتسمى بمصر لفرط ما يصدر عن [1] ذلك (أبا العجب) [2] ، وقال ارسطو : والمعز كالضأن في البله ، وذلك انها لاتنبعث الا اذا أخذ الراعي [3] بناحية واحد مهما فأن لم يفعل وقفت كأنها تائهة لا تهتدي الى طريق ، والذكر من هذا النوع كالكلب يفرح ببوله فيرده في خيشومه ، وهو من أحر البول وأنتنه ، والمثل يضرب بنتن رائحة التيوس ، والعجب من نتن ريحة مع تخلخل شعره ، وبرودة جلده وجفوف[4] عرق .... بدنه ونتنه في الصيف كنتنه في الشتاء ، وقال الجاحظ وذكر كل شيء اتم حسناً من اناثه خلا هذا النوع [5] .

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الشعراء فيها [6] :-

راحت اصيلانا كأن ضروعها
دلاء وفيها وائد القرن ليلب

له رعثان كالسوف وغبرة
شريح ولون كالوديلة مذهب

وعينا احم المقلتين وعصمة
تثنى وصلها دان من الظلف مكتب

اذا واجه من محرف الضأن اربلت
عطاها كما يعطوني ذرى الضأن فرهب

ترى ضيفنا يأتي [7] يبيت بغبطة
وضيف ابن قيس جائع يتوجب [8]/ ٦٤و

١- في ب وبمصر ابو العجب .
٢- ساقطة من ب .
٣- راجع طباع الحيوان ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .
٤- في الاصل طفوف ، في ب خصوف .
٥- ساقطة من جـ ، راجع الحيوان ٤٧٢/٥ .
٦- الزيادة من ب .
٧- في ب ثرى ضيقنا فيها بيت .
٨- نسبها في محاضرات الادباء ال مخارق بن شهاب المازني ٦٦١/٤ .

طرائف من الوصف بالهزال ، والمشهور مما وقع في ذلك ما وصف به الحمدوني [1] شاة اهداها له أبو محمد سعيد بن أحمد [2] جاء منها شعراً [3] : –

أسعيد قــد أعطيتني اضحيــــة

مكثت عندكـم زمانــا لا تطعـم

نِضوْاً تغامزت [4] الكلاب بها وقد

نذرت عليهــا كي تموت فتؤلــم

واذا الملأ ضحكوا بها قــالت لهم

لا تهزؤا بي وارحموني ترحموا

مـــــرت علي فقـــامت لــم تَــرُمْ

عنـــه وغنت والمــــدامع تسجم

وقف الهــوى حيث أنت فليس لــي

متـــأخر عنـــه ولا متقـدم [5]

وقال آخر [6] :–

ابا سعيد لنا في شأنك العبر

جاءت وما ان لها بول ولا بعر

١– اسماعيل بن ابراهيم بن حمودية وكان وجده حمودية صاحب الزنادقة ، فوات الوفيات ١/٢٤ .

٢– اسمه في زهر الاداب ابو محمد سعيد بن احمد خوسنداذ .

٣– ساقطة من ب .

٤– في الاصل فنازت .

٥– راجع زهر الاداب ١/٥٤٩ ، فوات الوفيات ١/٢٥ ، وهي ساقطة من جـ .

٦– في ب وقال ايضاً فيها .

وكيف تبعر شـــاة عندكم مكثت

طعامها الأبيضان الشمس والقمر

لو أنها أبصرت في نومها علفا

غنت لــــــه ودموع العين تنهمـــر

يا مانعي لذة الدنيا بمـا رحبت

اني ليقنعني من وجهك النظر (١)

ولآخـــــــــر(٢) :-

لسعيد شويهـــــــة

سلّهـــــا الضرّ والعجف

وقد تغنت وأبصرت

رجلا حــــــــاملا علف

بابي مــــن بكفـــه

برء دائي مــن الـــدنف

فأتاهـا مطعمــــا

فـــــــأتته لتعتـــلف

فتـــولى وأقبـــلت

تتغنـــــى مـــن الأسف

ليته لــــم يكن وقف

عذب القلب وانصرف (٣)

١- الابيات للحمدوني ، راجع زهر الآداب ٥٤٩/١ ، فوات الوفيات ٣٤/١ ، وهي ساقطة من جـ .
٢- في ب وقال فيها .
٣- الأبيات للحمدوني ، راجع زهر الآداب ٥٠٠/١ ، فوات الوفيات ٣٥/١ ، وهي ساقطة من جـ .



الباب الرابع

في طبائع الحشرات والهوام

ويسمي مجموعها ابن ابي الأشعث الحيوان الأرضي[١] لأنه لا يمكنه مفارقتها الى الهواء ، ولا الى الماء وهو منجحر[٢] فيها ويركن في بطنها ، وان سعى على الأرض [٣] لا يضطر [الى] [٤] شرب الماء ولا يحتاج الى شم النسيم ما دام لابثا في بطنها ، لأنه يغتذي منها ، وان كان متنفسا فتنفسه من البخارات التي تتولد في أجحرته [٥] ، وهذا البخار قريب /٦٤ظ من طبيعة الماء وهو ابرد الحيوان مزاجاً ، واثبته واشده ذعراً ، واستيحاشاً وخوفاً من الناس وضروبه: الافاعي والحيات ، والجرذان ، البرية والأهلية ، والخلد ، واليربوع والضب ، والحرذون ، والقنفذ ، والعقرب ، والخنفساء ، والوزغ ، والنمل ، وضروب غير ذلك وانما ينبغي ان نبدأ به من أشهرها وأضرها [٦] .

القول في طبائع الحيات

وانما بدأنا بها لانها تنزل منزلة السباع من هذه الاصناف اذ هي آكلة [٧] للحم ، ومن ذوات الانياب ، وما فيها من العداوة للأنس ، وسميت حية لانها تحوت[٨] اي اجتمعت ، ويطلق على الذكر والانثى ، يقال حية ذكر ، وحية انثى وهي أصناف كثيرة لا تحصى وشرها الافاعي ، ومساكنها الرمال والجبال ، ويضرب المثل فيها بأفاعي سجستان ومن التهويل في أمرها ، ما حكاه ابن شبرمة : ان أفعى منها نهشت غلاما في رجله فانصدعت جبهته ، ويحكى ان

١- راجع الحيوان لابن ابي الأشعث ص ٤٩٥ وما بعدها.

٢- في ح ينجحر.

٣- في جـ على ظهرها

٤- الزيادة من جـ.

٥- في جـ حجرته.

٦- لقد لخصت هذه المقدمة من كتاب الحيوان لابن ابي الأشعث .

٧- في جـ تأكل.

٨- في الأصل حوت ، وتحوّى أي تجمع واستدار ، راجع لسان العرب مادة(حوا).

شبيب بن شيبة دخل على المنصور فقال يا شبيب أدخلت سجستان فانه بلغني انها محواة أي كثيرة الحيات قال : نعم يا أمير المؤمنين ، وقد دخلتها ، قال : فصف لي افاعيها ، فقال : هي دقاق الاعناق صغار الاذناب مفلطحة الرؤوس رقش برش كأنما كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف قال ارسطو : وليست الافعى من الحيوان الذي يلد حيواناً مثله وان خرج من بطنها اولاد (١) انما ذلك لتكسر البيض بتلويها وتجمعها في بطنها فيتوهم من رأى ذلك انها تلد ، وليس الأمر كذلك ، ومن الأفاعي ما تتسافد بأفواهها ، فاذا اعطى الذكر الأنثى وقع كالمغشي عليه فتعمد الانثى الى مواضع مذاكيره فتقطعها نهشاً فيموت من ساعته فاذا بلغ بيضها لم يكن له مخرج لضيق مكان الولادة فتبقى في بطنها حتى تخرج الأولاد فتشقه ويخرجن وتموت الأم من ساعتها /٦٥و فيكون طلبها للولد هلاكاً لها وللذكر ، وذكرها (٢) يسمى الافعوان يأتيها ايام الصراف ، فيصوت (٣) بها فتأتيه ، وبيض الحيات مستطيل اكدر اللون ، وأخضر واصفر واسود واشقر وارقط ، وفي بعضه نمش ولمع ولم يعرف السبب في اختلاف ذلك ، واما داخله فشيء أسمج من الصديد واقذر ، وهو في جوفها منضد طولاً على خيط واحد ، وليس للحيات سفاد معروف (٤) ينتهي الى عمله وليس عند الناس في ذلك الا الذي يروى عن ملاقاة الحيات والتواء كل واحد منهما على صاحبه [حتى] (٥) كأنهما زوج خيزران مقلود (٦) ، والحية مشقوقة اللسان ، ولذلك (٧) يظن

١- ذكر أرسطو: (وهي تبيض اولا في جوفها بيضا ثم يصير هناك حيوانا قبل ان تولد) راجع طبائع الحيوان ص ١٠٢.

٢- في الأصل ذكر.

٣- في الأصل فيفر.

٤- راجع الحيوان ٤/١٧٣.

٥- الزيادة من جـ.

٦- من قلد أي جمع .

٧- في الأصل كذلك.

بعض الناس ان لها لسانين وهي واسعة الشّجر [١] ، ولها خطم [٢] ، ولذلك [٣] ينفذ نابها ، فلو [٤] كان لرأس الحية عظم لكان أشد لعظها ولكن جلد ينطبق على عظمين مستطيلين ، وتوصف بالنهم والشره لانها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد ، ومن شأنها انها اذا ابتلعت شيئاً فيه عظم أتت جرم شجرة أو حجراً شاخصاً فتنطوي عليه انطواء شديداً فيقظم حتى يصير رفاتا ، ومن عاداتها انها اذا [٥] نهشت انقلبت فيتوهم انها فعلت ذلك لتفرغ سمها ، وليس الأمركذلك ، وانما في نابها عضل فاذا عضت استغرق ادخال الناب كله ، وهو أعضل ، فيه شبه بالشص فاذا انقلبت كان أسهل لنزعه ، واسلس لسلّه ، وفي طبعها انها اذا لم تجد طعماً تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل ، وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل الا لحم الشيء الحي ، وربما بقيت أربعة أشهر في الشتاء صابرة على الجوع لا تغتذي بشيء البتة ، وهي اذا هرمت صغرت في بدنها واقنعها النسيم ولم تشتهي الطعام ومن عجيب أمرها انها لا تطلب الماء ولا تريده لغلبة الأرضية عليها ولهذا تصبر على [٦] الغذاء مدة طويلة لأن حرارتها [لا][٧] تسرع بتحليل مادتها لقلة الحرارة وغلط المادة وهي لا تضبط نفسها عن الشراب اذا شمته لما في طبعها من الشوق اليه اذا وجدته /٦٥ظ شربت منه حتى تسكر، وربما كان السكر سبب حتفها ، لأنها اذا سكرت خدرت [٨] . والذكر من الحيات لا يقيم في الموضع الواحد وانما تقيم الانثى على بيضها بقدر ما يخرج فراخها وتقوم على الكسب ثم تخرج سائرة فمتى وجدت جحراً دخلته واثقة بأن ذلك الساكن فيه بين أمرين اما أن يقيم فيصير طعاماً ، واما ان يهرب فيصير الجحر لها ، ولهذا يضرب بها المثل في الظلم فيقال : أظلم من حية [٩] ، وعين

١- الشجر : مفرج الفم .
٢- الخطم : المقدم من كل دابة .
٣- في الأصل كذلك .
٤- في ج ولو .
٥- الزيادة من ج .
٦- في ب عن .
٧- الزيادة من ب .
٨- في الأصل حذت .
٩- راجع الحيوان ١٤٩/٤.

الحية لا تدور في رأسها [1] ، وكذلك عين الجرد كأنها مسمار مضروب وعينها لا تنطبق ، وان قلعت عادت [2] وكذلك نابها ان قلع عاد بعد ثلاثة ايام وكذلك ذنبها ان قطع عاد ، وفي طبعها انها تهرب من الرجل العريان ، وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب بها ، وباللبن ، ومتى ضربت بالقصب الفارسي ماتت وان ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت ، وتذبح حتى تغري اوداجها فتبقى اياماً لا تموت ، ويقال[3] : انها لا تموت حتف انفها الا أن تقتل او تصاد فتبقى في جوف الحواوين تذللها الأيدي وتكره على الطعم في غير أرضها حتى تموت او تحملها السيول في الشتاء وزمن الزمهرير فتموت اذا صردت ، والحية تسلخ كل عام قشراً عن جلدها في اوان الربيع والخريف ، وتبتدئ بالسلخ من عيونها ثم من رؤوسها ويتم سلخها في يوم وليلة ، واذا هرمت وارتخى جسمها ، وعجزت عن سلخه ادخلت نفسها بين عودين أو في صدع ضيق حتى تنسلخ ثم تأتي الى عين ماء فتنغمس [4] فيه فيشتد بذلك لحمها ، ويعود الى قوته وشدته ، وليس في الأرض شيء مثل جسم الحية الا والحية أقوى منه بدنا اضعافا [5] ، ومن قوتها انها اذا دخل [6] صدرها في حجر أو صدع لم [يستطع] [7] اقوى الناس – وقد قبض على ذنبها بكلتا يديه – ان يخرجها لشدة اعتمادها وتعاون اجزائها ، وليست بذات قوائم [وانما تنساب على بطنها وليست] [8] لها اظفار ومخاليب واضلاف تتشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت في يدي الجاذب لها وانما اشتدت فقر ظهرها هذه الشدة لكثرة اضلاعها فان لها /٦٦و ثلاثين ضلعاً ، وليست بذات قوائم ، وانما

١- راجع الحيوان ١١٣/٤.
٢- راجع الحيوان ١٤٣/٤.
٣- راجع القول في الحيوان ١١٨/٤.
٤- في الأصل فتغمس.
٥- في الأصل : صعقا.
٦- في ب ادخلت .
٧- الزيادة من ب .
٨- الزيادة من ب .

تنساب على بطنها فهي تدافع اجزاءها وتعاونها في حركة الكل من ذات نفسها دليل على افراط قوة بدنها ، وذلك مشاهد في صعودها وسعيها خلف الرجل الشديد الحضر وعند هربها منه حتى تفوت وتسبق وهي تعيش في الماء ان صارت فيه (وتعيش في البر بعد أن يطول مكثها في الماء وصارت مائية) [1] ، ومن اصناف الحيات ماهو ازعر [2] وذلك الغالب وفيها ما هو ازب ذو شعر ، ومنها ذوات قرون ، وارسطو [3] يقول : انما تجعل ذوات قرون على طريق المجاز والاستعارة ، وانما ذلك الذي يظهر بروز شي جاس في رؤوسها شبيه بالقرون ، ومنها ماهو أحمر ، ومنها صنف يسمى الشجاع يواثب الانسان ويقوم على ذنبه ، وربما طار العصفور فيظنه غصنا [او عودا منصوبا] [4] ليستريح عليه من كثرة الطيران فاذا[5] استوى عليه ابتلعته ، ومنها ما يسمى الاسود وهو اذا كان مع الافاعي في جونة [6] وجاع يبتلعها وبلعه لها قبل رؤوسها ومتى رام ذلك من غير جهة الرأس عضته فقتلته ، وأشر ما يوجد من هذا الصنف بمصر في أرض الزرع وهي أرض سوداء اذا نزل عنها النيل تصدعت وتشققت شقوقاً عظيمة لما يستولي عليها من اليبس ، وهذا الصنف يعظم جداً فاذا رأى الانسان قصده فان كان في الانسان يقظة أخذ حذره منه وقاتله ان كان معه سلاح وهو في قتاله كالشجاع المراوغ المخاتل ، أو لاعب الشطرنج يقصد من مقاتله جهة فاذا رآه قد اشتغل بحفظها منه نهشه في غيرها ، ونهشه والكفن في الحين الذي يفوت طبق الجفن على الجفن [7] ، ومن أصنافها ما يسمى اصلة وهو عظيم جداً وله وجه كوجه الانسان ، ويقال انه يصير كذلك اذا مرت عليه الوف السنين ، يقتل بالنظر [8] ،

١- العبارة غير مستقيمة وتستقيم على هذا الشكل (وتعيش في البر وبعد أن يطول مكثها في الماء صارت مائية).
٢- ازعر : قليل الشعر.
٣- ماذكره ارسطو (إنما تلك التي ظن قروناً نتوء جاس في رؤوسها شبيه بالقرون) طباع الحيوان ص٦٠.
٤- الزيادة من ب .
٥- في الاصل فاستوى.
٦- الجونة : الخابية المطلية بالقار.
٧- أي انه أسرع من طرفة عين.
٨- ربما يكون ذلك مبالغة لا يقبلها العقل.

ومن عجائب ما حكاه المؤرخون أنه اخرج من خزائن المستنصر بالله /٦٦ظ
العبيدي [١] بيضة محلاة بالذهب فجعل الناس يتعجبون من تحليتها فاستخبروا [٢]
المستنصر عنها فقال انها بيضة حية كان بعض الملوك أهداها لجدي القائم بأمر
الله تعالى [٣] .

الوصف والتشبيه :-

ومن الأوصاف المهولة قول بعض الاعراب :-

وحَنَشٍ يُردي الـــــورى بالحس
موكل تبرحـــــات النفس
ينفر عن مأواه كل جنـــــس
ذي هامة مثل ســراه الترس
وقامة مثـــــل قضيب الغرس
وعين فتخاء ونـــاب نمس
او تسعة مطفورة بجلـــــس
وجلدة شبيهـــــة بطرس
طليته بالجص او بالـــــوَرس
ثم رقمت فوقـــه بالنقس
يلين لــــو أمكن للمجــس
لكنه يقتل قبـــل اللمس [٤]

وقال آخر [في ذلك] [٥] :-

أفعى زَحُوف الليل مِطراق البكـــر
داهية قد صغرت مــن الكبر

١- وهو معد بن علي ، من خلفاء الدولة الفاطمية (العبيدية) (ت ٤٨٧ هـ) وفيات ٥//٢٢٩ ، النجوم الزاهرة ٣/٥.
٢- في ب فاستخبر.
٣- ساقطة من ب ، جـ ، نهاية الارب ١٣٧/١٠.
٤- ساقطة من جـ.
٥- الزيادة من ب الابيات في الحيوان منسوبة الى خلف الأحمر.

صِلُ صفا لا ينطوي مـــن القصر

طويلة الاطراق من غيـــر خفر

كأنما قد ذهبت بها الفكـــــــر

شقت لها العينان طولاً فـي شفر

مهروتة الشدقين حـــــولاء النظر

تفتر عن عوج حداد كالابـــــر

جاء بها الطوفان ايام [1] زجـر [2]

وقال آخر من ابيات :-

فاذا بداهية كأن حَفيفهـــــا

بين النمام حفيف ليـــــث خادرِ

شرزا [3] مسخرة الجفون كأنما

ترنو الينــــــا من قليب غائر

صِلٌ يعرّفها الزمانُ فاصبحـت

دونَ الذرا عِ وفوقَ شِبرِ الشـــابرِ

فاذا رأيت ، رأيت خَوْط أَراكـة

واذا فرعت فرعـــــت قرني قادر

صُما لو نفخت ثَبيراً نفخـــــة

لانساحَ او لهـوى هَوي الطائر [4]

جُعلتْ حِماما للنفوسِ وايـــــة

للسائلين وغَيْـــرة للناظـــــر [5]

١- في ب ابان.

٢- راجع الحيوان ٢٨٦/٤ ساقطة من جـ .

٣- الصحيح انها شزرا .

٤- في الأصل طائر.

٥- ساقطة من جـ.

وقال النابغة الجعدي [1] :-

افعى به تَسطـــــو اكف الدهر
على ذوي الكيـــد واهـــلِ المكرِ
تُري المنايا حيث ســـار تسري
عيناه حمراوان ذات طمـــر [2]
كأنه مكتحل ..... بجمـــر
ذو هامة منحوتة مـن صخـــر/٦٧و
وجلدة مسلوخـــة من نمر
وخَطفَةٍ مخلوقةٍ مـــن نسر
وذو فم رحب شديـــد الفغر
انيابه مثل ظُفـور الصقـــر
له خطوط عدلت فـــي الظهر
ســـود كأن خططت بحبر
انفاسه في سَبـــراتِ القَرِّ
يُحدث في الحـــر [3] شديد الوَغْرِ
يَعْدم وجه الأرضِ حُسن الدهـــرِ
كأنهـــا ما بُلـــت ... بقطرِ [4]

وقال آخر يصف حية وبالغ في التهويل :-

لا ينبت العشب في وادٍ تكـــون به
ولا يجاورها وحشٌ ولا شجـــرُ

١- قيس بن عبدالله بن عدس شاعر اشتهر في الجاهلية والاسلام (ت ٥٠ هـ) الاغاني(دار الثقافة) ٣/٥ طبقات فحول الشعراء ص ٢٦.
٢- الطمر قذف العين بقذاها.
٣- في ب الجو.
٤- غير موجودة في ديوانه .

جَرداء سافكة الانيـاب ذابلــــــة
يَنْبو من اليَبس عن يافوخها الحجرُ
لو شُرّحتْ بالمُدى ما مسهـا بلـــل
ولو تَكنفهـــــا الحاوون ما قدروا
قد جاهدوها [1] فما قام الرُفاة لها
وخَاتلوها فما نالـــوا [2] ولا ظَفِرو
يكبو لها الورل العـادي اذا نفخت
جبنا و يهرب عنها الحيـة الذكر [3]

وقال خلف الأحمر [4] من أبيات :-
كائنمـا لبست باعلى جسمهـــــا
بردا من الاثواب انهجــه [5] البلى
في عينها قَبل [6] وفي خَيْشومهـا
فَطسٌ وفي انيابها مِثلُ المُـدى [7]
وقال أشجع السلمي [8] :-
وحَنش كحلَقــةِ الســـــوارِ
غايته شِبـر مــــن الاشبــــارِ
كأنه قضيـــــــبُ ماءٍ جــار
يَفْتَر عن مَثلِ تَلظـي النـــار [9]

١- في الأصل : قدها هدوها.
٢- في الأصل فما ابوا .
٣- الأبيات في الحيوان ٦/٣٠٩ ، ساقطة من جـ.
٤- خلف بن حيان ، أبو محرّز وهو راوية للشعر وكان شاعراً أيضاً (ت: ١٨٠هـ) ، الفهرست ٥٥ ، الشعر والشعراء ٢/٧٨٩.
٥- انهجه : اتلفه.
٦- أي في عينيها حول.
٧- البيتان في نهاية الارب ١٠/١٤٣ ساقطة من جـ.
٨- اشجع بن عمر السلَمي : شاعر فحل عاصر بشار ومدح البرامكة (ت: ١٩٥ هـ) الشعر والشعراء ٢/٨٨١ ، تاريخ بغداد ٥/٧/٤ .
٩- البيتان في نهاية الارب ١٠/١٤٥.

وقال آخر وأجاد :-

أرقم كالدرع فيه وشْـــــــم

منمنم الظهــــــــــر واللبـــان

يزحف كالسيل مــــن قِلاع

كــأن عينيه كوكبـــــــــان

يهمش ما مَسّ مــــن نبات

ويجذب النفس بالعنـــــان (١)

كــأن ألحاظـــه فضـــا

ليـــس لخلـــق به يــــدان (٢)

قال عبدالله بن المعتز :-

انعت رقشـــاء لا يحيى لديغهـــــا

لو قدهـــا السيف لم يعلق بـه بلل

تلقي ، اذا انسلخت في الأرض جلدتها

كــأنه (٣) كُم دِرعٍ قدّه بطـــل (٤)

وقال أبو نصر عبدالعزيز بن بنانه وأجاد كل الاجادة :-

اذا عرّس الســارون في بطن دابـــق

فسر وتعوّذ من شرار الطوائق (٥)

ففي الهضبة الحمراء ان كنت ساريـــا

اغيبر يأوي في صدوع الشـواهق

١- الابيات في نهاية الارب ١٤٤/١٠ ساقطة من جـ.

٢- البيت غير موجود في نهاية الارب ، وهي ساقطة من جـ.

٣- في ب كأنها.

٤- الابيات في ديوان المعاني ١٤٥/٢.

٥- في ب الطوارق.

[سالم ركبان الطريق نهـــــــاره
الى اللّيل محنو لاحدى البوائق] (١)

يقصر عن يافوخـــــه حين تنطوي
حقيبة مملوء من السّـــــم زاهق

كأن بقايا ما سدى مــــــن قميصه
على متنه اقواف برد سبـــــارق

يبادره الحارون اذ يبصروا بــــــه
تسارق عيناه لحظ (٢) المشـــــارق

ودون الذي يرجون من سقطاتـــــه
حفيظه مسنون (٣) اللحاظ مـراحق

يطول اذا ماطلته الكيـــــد سـادر
جرى اذا ما بدهته في الحقائـق (٤)

ولم أقف فيما طالعت على أظرف ولا أطرب ، ولا أعجب ، ولا أغرب من قول أبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الأندلسي يصف حبابا (٥) رآه في روض معشب شعراً :-

مثل الحباب بمنحـــــــاه ذؤابـــة
خَفاقّة حيـــــــث الثريا أكفال

وانساب ثـــانٍ معطفيه كأنـــــــه
هَيمانُ نشوان هنــــــاك مذال (٦)

١- الزيادة من ب .
٢- في ب بنان .
٣- في ب مشبوب .
٤- الابيات في الديوان ٥٩٤/١ ساقطة من جـ.
٥- الحباب : الحية.
٦- المذال : الطويل.

اوطل اسمـــــــــر باللوى متأطر (١)

عطفت جنوب منه وشمـــــــال

فلم ادرِ هل يزهى فتخـــطرُ نحوه

ام لاعبت أعطافه الجَريال (٢)

بيدِ الهجيزةِ منـــــــه سَوطٌ خافق

وبساقِ ليلــــة صَرْصَرَ خلخال

رُزت عليه حَبْرة مُوشيــــــــــة

بمقتله اخت لهـــــــا أسمال

مزق كما ينقد في يوم الوغـــــى

عن لُبتي مُستلـــــم (٣) سرِبال

ألقى به منها هُنالــــــك درعه

بطل وجرد سيفه مختـــال (٤)

القول في طبائع الورل (٥)

قال عبداللطيف البغدادي في كتاب الحيوان له ، الورل ، والضب والحرباء وشَحْمة الأرض [والوزغ] (٦) كلها متقاربة متناسبة في الخلق (٧) ، فاما الورل/٦٨و وهو الحرذون ، فزعم أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: انه ليس في الحيوان أكثر سفادا منه ولا أبطأ فيه (٨) ، وهو الطف بدناً من الضب ، وأقوى براثا منه ،

١- متأطر: متثن.
٢- الجريال : الخمرة.
٣- مستلم : لابس الدرع.
٤- الديوان ص ١١١ ساقطة من جـ.
٥- من فصيلة الزواحف من رتبة العظايا يعيش في الرمال والصحارى أو على الشواطئ اسمه العلمي Varao-nus
٦- الزيادة من ب .
٧- ذكر ذلك الجاحظ في كتابه ، راجع الحيوان.
٨- ذكره الجاحظ الورد مع حيوانات أخرى عدها مبطئة في السفاد، راجع الحيوان ٥/٢١٨.

وربما خرش بينهما فيغلب [1] الورل الضب فيقتله [2] لكنه اذا قتله لا يأكله كما تفعل الحية ، وهو لا يتخذ بيتاً لنفسه [3] ، ولا يحفر اتقاء لبراثنه ، بل يخرج الضب من جحره صاغراً ويستولي عليه ، وان كان أقوى براثناً [4] منه لكن الظلم يمنعه من الحفر ، ولهذا يضرب المثل به في الظلم كما يضرب بالحية ، فكلما يلقى ذو جحر من الحية يلقى مثله من الورل ويكفي من ظلمه انه يغتصب الحية جحرها ، ويبتلعها ، وربما قتل فوجد في بطنه الحية العظيمة ، وهو لا يبتلعها حتى يَشْدَخ رأسها ، ويقال : انه يقاتل الضب على معنى الصائدِ والطالبِ ، والضب يقاتله على معنى الحَرِجِ ، والجاحظ يقول : الحرذون غير الورل وصفته [5] انه دويبة تكون بناحية مصر مليحة موشاة بالوان [6] كثيرة ونقط ، لها كف ككف الانسان مقسومة اصابعها الى الأنامل.

وأما الضب فيقال : ان له نِزكين [7] ، وللضبة فرجين ، كما للورل والحرذون ويحكى أن ابا حيّة [8] سئل عن ذكر [9] الضب فزعم انه كلسان [10] الحية أصل واحد وله فرعان ، والضبة اذا أرادت أن تخرج بيضها حفرت في الأرض أدْحِياً ، ثم رمت البيض [11] فيه ، وطَمّته [12] بالتراب وتعاهدته كل يوم حتى يخرج وذلك في أربعين يوماً ، وهي تبيض سبعين بيضة ، وأكثر ، وبيضه [13]

١- في ب فيقتل.
٢- ساقطة من ب ، جـ.
٣- في ب لنفسه بيتا.
٤- في جميع النسخ براثن.
٥- في ب ووصفه .
٦- راجع القول في الحيوان ٦/٥٨ .
٧- النزك : وهو العضو التناسلي الذكري للضب.
٨- في ب ابو حيه.
٩- في ب اير.
١٠- راجع الحيوان ٦/٥٧ .
١١- في ب ، جـ بالبيض.
١٢- في ب طمت .
١٣- في الأصل و بيضها.

شبيه ببيض الحمام ، ويخرج الحسْلُ (١) وهو الفرخ من البيضة مطيقاً للكسب ، والضب يخرج من جحـــره (٢) كليل البصر فيجلوه بالتحديق في الشمس(٣) ، وهو يغتذي بالنسيم ويعيش ببرد الهواء ، وذلك عند الهرم ، وقلة (٤) الرطوبات ونقص الحـرارات ، وبينه وبين العقارب مودة وهو يهبها في جحره لتلدغ(٥) المتحرش بــه(٦) اذا ادخل يده لأخذه (٧) ، وقد أُعطي في ذنبه من القوة نحو ما اعطيت العقارب في حمتها فربما ضرب به الحية فقطعها ، ولا يتخذ جحره الا في كرية جبلية /٦٨ظ خوفاً من السيل والحافر ، وكذلك توجد براثنه ناقصة كليلة ، لحفره(٨) في الصلابة وفي طبعه النسيان ، وعدم الهداية ، وبه يضرب المثل في الحيرة ، ولذلك يتخذ جحره عند اكمة أو صخرة لئلا يضل عنه اذا خرج يطلب الطعم منه ، ويوصف بالعقوق وبه يضرب المثل (٩) في ذلك لأنه يأكل حسوله ، وهو اذا أراد أكلها وقف لها من جحره في موضع من منفذه الى خارج ، فاذا أحكم بدأ فأكل منها حتى يشبع ، وقد اشار بعض الشعراء الى هذا في قوله يهجو:

اكلت بنيك اكل الضـــــب حتى
تركـــت بنيك ليس لهم عديد (١٠)

وبعض المتكلمين في طبائع الحيوان ينكر ذلك ، وانما الضبة اذا دفنت بيضها يحفر عنها الظربان والثعلب فيأكلها ، والضب طويل العمر وهو من هذه الجهة مناسب للحيات والافاعي ، ومن مناسبته لها انه اذا هرم وعجز عن الحركة

١- في الأصل الجسد ، والحسل ولد الضب .
٢- في ب ، جـ للشمس .
٣- في جميع النسخ وقت وهو خطأ وما اثبتناه هو الصحيح ويتفق مع السياق.
٤- في ب للسمع ، في جـ لتلسع.
٥- ساقطة من ب ، جـ.
٦- في ب ادخل يده بجحره ليأخذه.
٧- في ب ، جـ لذلك.
٨- في الأصل يحفرها.
٩- يقال : اعق من الضب ، راجع الامثال للميداني ٢/٤٥ .
١٠- قاله العملس بن عقيل لابيه عقيل بن علّفه ، راجع الحيوان ١/١٩٧ .

يبلع بالنسيم ، وغني به عن الطعم والشرب ، وفي طبعه أنه يرجع في قيئه ، ويأكل بعره ، وهو طويل الذماء بعد الذبح وهشم الرأس ، ويقال أنه يمكث (1) بعد الذبح ليلة ثم يقرب من النار فيتحرك.

قال (2) بعض الشعراء يصفه وذكر أرضاً (3)

ترى ضبها مطلعا رأســـــــــه
كما مَدّ سَاعـــــــــده الاقطعُ
له ظاهـــــــــرٌ مثل بُرد الوشي
ويُظن كما حَسر الاصلـــــــعُ
هو الضب ما مـــــــــد سكّانه
فان ضمه فهو الضفـــــد ع (4)

وأما الحرباء (5) :-

فدويبة اكبر من العظاية (6) ، اغيبر ما كان فرخا ثم يصفر (7) ، وهو يأوى الجحر (8) ، ولهذا جعلـــت (9) [له] (10) الاصابع والاظفار لنبش التراب ، ويكون لونه أسود كالتمساح ، وأصفر كسام وابرص ومختلط الألوان ، كالفهد وهو في الشمس كثير التلون ، فاذا انتقل الى الظل قل تلونه ، واذا قارب الموت أو مات اصفر ، وهو أبدا يطلب الشمس فحين تبدو نحّا بوجهه اليها حتى اذا أرمَضت

١- في ينرك .
٢- الزيادة من ب .
٣- الزيادة من جـ.
٤- الأبيات منسوبة للحماني راجع ديوان المعاني ١٤٧/٢ وكذلك نهاية الارب ١٥٨/١٠ .
٥- الحرباء من رتبة العظايا كثيرة تغير اللون اسمها العلمي Chomaelen.
٦- راجع الحيوان ٣٦٣/٦.
٧- في ب يصفن.
٨- في جـ الحجرة.
٩- في جـ فلهذا .
١٠- الزيادة من جـ .

الأرض علا رأس شجرة وما يجري مجراها، وذلك عند انتصاف /٦٩و فاذا زالت وصارت على رأسه في قبة (١) الفلك وغاب عنه جرمها فلا يراه اصابه مثل الجنون فلا يزال طالباً لها (٢) لا يفتر الى أن يتصوب الى جهة المغرب ، فيرجع بوجهه اليها مستقبلاً لها لا ينحرف عنها الى أن تغيب ، فاذا غابت ذهب يطلب معاشه ليله كله الى ان يصبح ، حتى ان طائفة من المتكلمين في طبائع الحيوان يقول : انه مجوسي ، ولسانه طويل جداً مقدار ذراع ، وذلك دليل على أنه يكون مطّوباً في حلقه ، وهو يبلغ به ما بعد عنه من الذباب (٣) ، والانثى من هذا تسمى ام حبين (٤) ، وتوصف بالحزم مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من خوط (٥) حتى يمسك بالأخرى خوطا (٦) آخر (٧) [بيده الأخرى] (٨) وفيه يقال :-

أنّى اتيح له (٩) حربـــــــاء تُنْضبِه

لا يُرسِل الساقَ الا ممسكاً ساقا (١٠)

وكتب بعض الفضلاء الى بعض أصدقائه رسالة يحثه فيها على الحزم والانفة والتغرب عن وطنه اذا نبا عنه :- اعجزت في الاباء عن خلق الحرباء ، ادلى لسانا كالرشاء ، يبلغ به ما يشاء ، وناط همته بالشمس ، مع بعدها عن اللمس وانف من ضيق الوجار (١١) ، ففرخ في الأشجار وسئم (١٢) العيش المَسخُوط ،

١- في ب زالت على ظهره ورأسه في قبة ... في جـ زالت وصارت في قبة الفلك...
٢- في جـ فلا يفتر ولا يزال طالبا لها.
٣- في ب الذبان.
٤- جنس من العظاء اسمها العلمي Agame
٥- في الأصل خطبوط ، والخوط الغصن.
٦- في الأصل خطوط .
٧- ساقطة من جـ.
٨- الزيادة من ب .
٩- في ديوان المعاني لها .
١٠- قاله ابو داود الايادي ، راجع ديوان المعاني ١٤٦/١.
١١- الوجار : سرب الضبع .
١٢- في الأصل ، ب سائم .

فاستبدل خَوْطا بخوط فهو كالخطيب على الغصن الرطيب (١) .

وإنَّ صوابَ الرأي والحَزم لامرئ (٢)

اذا بلَغته أنْ لا يَتحـــــــــولا (٣)

الوصف والتشبيه :-

لم يأت أحد من الشعراء في وصف هذا الحيوان بمثل ما أتى به ذو الرمة:-

كأنّ يَدي حربائهـــــا مُتشمَساً

يَدا مُجرم يستغفرُ اللهَ تائــــبُ (٤)

وقال أيضا [في] ذلك (٥) :-

اذا جعل الحرباء يَبيَضُ لونـــهُ

ويحضر من لَفحِ الهجيــرِ غَباغبِه (٦)

ويَشبح (٧) بالكفين شَبْحاً كأنــه

أخو فجره عالى به الجذع صَالبه (٨)

وقال أيضا يصفه ويذكر (٩) هاجره :-

يصلي بها الحرباء للشمس مَاثلا

على الجِذع (١٠) الا أنــــه لا يكبرُ

١- النص في نهاية الارب ١٠/١٦٠.

٢- في ب ، جـ وان دلول الحزم والرأي.

٣- النص في نهاية الارب ١٠/١٦٠.

٤- الديوان ١/٢٠٣ ساقط من جـ.

٥- الزيادة من ب .

٦- الغباغب : جلد اسفل الحلق.

٧- يشبح : يمد.

٨- الديوان ٢/٨٤٥ ساقط من جـ.

٩- في ب وذكر.

١٠- في الديوان الجذل .

اذا حوّل الظلِ العشـــــــي رأيته

حَنيفا وفي وقت (١) الضحى يَتنصرُ (٢)

وأما العظايــــة (٣) :-

وتسمى شحمة الأرض ، وشحمة الرمل ، وهي أنواع كثيرة منها الأبيض ، والأحمر ، والأخضر ، وكلها منقطات بالسواد (٤) ، وهذه الألوان بحسب مساكنها فان منها مايسكن الرمال (٥) ، و [منها] (٦) ما يسكن قريباً (٧) من الماء والعشب وما يألف الناس ، وقال ارسطو العظاية تبقى في جحرها زمن الشتاء أربعة أشهر لا تطعم شيئاً ، وفي طبعها محبة الشمس وتتصلب (٨) فيها ، ومن خرافات الحكايات ان السموم لما فرقت على الحيوان المسموم احتبست العظاية عند التفرقة ، حتى نفد السم وأخذ كل حيوان قسطه على قدر السبق والبكور ، فلم يكن لهــا فيه نصيب ، داخلها من الحسرة والكرب ما جعلها تسكن في المزابل والخرابات وفي طبعها انها تمشي سريعاً ثم تقف كالمتحير ، ويقال : ان ذلك لما تعرض لها من التفكر والأسف على ما فاتها منه.

وأما الوزغ (٩) :-

وتسمى سام ابرص ، فذكر أصحاب الاثار : انه أصم ، وادعوا أن السبب في صممه وفي برصه ان الدواب كلها حين القي ابراهيم عليه السلام في نار النمرود (١٠) كانت تطفئ عنه ، وان هذا كان ينفخ عليه فصم وبرص (١١) وفي طبعه

١- في الديوان قرن .

٢- الديوان ٢/٦٣١ ساقطة من جـ.

٣- وهي رتبة خاصة تشمل انواع العظايا مثل الحرذون، الحرباء ، الضب ...

٤- في جـ بسواد.

٥- في جـ الرمل .

٦- الزيادة من جـ .

٧- ساقطة من جـ .

٨- في ب ، جـ لتتصلب.

٩- دويبة من نوع العظايا من فصيلة الزحافات.

١٠- في الأصل نمرود.

١١- راجع الحيوان ٤/٦٩.

أنه لا يدخل شيئاً [1] فيه زعفران ، والحيات تألفه كما تألف العقارب والخنافس ، وهو يطاعمها ويزاقها ، وهو يقبل اللقاح بفيه [2] ، ويبيض كما تبيض الحيات ، وزعم زرادشت [3] ان سام ابرص من ذوات السموم ، ونصيبه من السم نصيب مقتصد لا يكمل بان يقتل [4] ، ومتى دبر سام ابرص جاء منه سم قاتل ، وفي تركيبه [انه] [5] اذا قتل ووضع على جحر حية هربت منه ولم تأوه وهو يقيم في جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لايطعم شيئا [6] البتة.

القول في طبائع القنفذ

وهو صنفان قنفذ ويكون بأرض مصر في قدر الفأر ، ودلدل[7] ويكون بأرض الشام والعراق في قدر الكلب القلطي ، والفرق بينهما كالفرق بين الفأر والجرذ ، والذر والنمل /٧٠و ويقول الباحثون عن طبائع الحيوان انه يسفد قائماً وظهر الانثى لاصق بظهر الذكر ، والانثى تبيض خمس بيضات ، وليس هو ببيض بالحقيقة بل هو على صورة البيض ، تشبه اللحم ، وفي طبعه انه يجعل في جحره بابين أحدهما من جهة الجنوب ، والآخر الشمال ، فاذا هب الريح الجنوب سدّ باب جهتها ، وفتح باب جهة الشمال ، واذا هبت الشمال سدّ باب جهتها وفتح باب جهة الجنوب ، وبصره في الليل أكثر من النهار ، ويستأنس في البيوت ويختفي اياماً حتى يؤنس منه ويعود يظهر [8] (ولا يدري أين كان) [9] وقد الهم أنه متى جاع

١- راجع الحيوان شيء ، وفي ب ، جـ بيتا .
٢- في ب فيه.
٣- زرادشت بن بورشب ، ويقال انه نبي ظهر في زمن الملك كشتاسف بن لهراسب ، راجع الملل والنحل ، الشهرستاني ٦٥/٢ ط ١٩٤٨م.
٤- راجع الحيوان ٢٩٦/٤.
٥- الزيادة من ب .
٦- في الأصل شيء.
٧- القنفذ فصيلة قائمة بذاته ، وهو من رتبة اكلات الحشرات ، اما الدلدل فله فصيلة قائمة بذاته تسمى فصيلة النيص من رتبة القواضم اسمه العلمي Hystrix.
٨-في ب ، جـ ثم يظهر.
٩- ساقطة من جـ.

صعد الكرمة منكسا وقطع العناقيد ورمى بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق ، وان كان له فراخ تمرغ على الباقي فيشتك [1] في شوكه بعد تفريطه من عوده ، وذهب به الى فراخه ، وهو لا يظهر الا ليلاً ، ولذلك يشبه بالنمام والماحل وقال عبدة بن الطيب وذكر نمامين :-

قومٌ اذا دَمَس الظـــــلامُ عليهم
حَدَجوا قَنافذ بالنميمةِ تَمـــرغُ [2]

وهو مولع بأكل الأفاعي ، ولا يبالي أي موضع قبض من الأفعى ان قبض على رأسها أو على قفاها فذلك من أسهل الوجوه ، وان قبض على وسطها أو على ذنبها [جذب] [3] ما قبض عليه واستدار وتجمع ونفخ سائر بدنه فمتى فتحت فاها لتعض شيئاً منه تلقاها شوكه الذي في جسده فهي تهرب منه ، وطلبه لها ، وحرصه عليها على حسب هربها منها وضعفها عنه ، واذا صادفت الأفعى مراق بطنه حتى لدغته [4] أكل الصعتر البري فيبرأ .

والدُلدُل اذا رأى ما يكرهه إنتفض فتخرج منه شوك كالمداري تجرح ما تصيبه ، وزعم اصحاب الكلام في الطبائع ان شوكه شعر وانما لما غلط البخار واشتد [5] غلطه ، وغلب عليه اليبس عند صعوده من السام صار شوكاً .

الوصف والتشبيه :-

قال الأمير شمس الدين أبو المعالي قابوس بن وشمكير [6] من رسالة كتبها الى بعض اصدقائه وقد اهدى له دلدلاً : قد / ٧٠ظ اتحفتك يا سيدي بعِلْقِ نفيس وتُحفة رئيس ، يعجب المتأمل من أحواله ويحار الناعتُ [7] في أوصافه واعماله ،

١- في ب ، جـ فشكه.
٢- البيت في الحيوان ١٦٨/٤، حدج : الهودج ، مزع : اسرع.
٣- الزيادة من ب وفي جـ جبذ.
٤- في جـ فلدغته.
٥- في الأصل اشتدت .
٦- شمس المعالي قابوس وشمكير بن زيار ملك من ملوك الديلم ت ٤٠٣ هـ ، يتيمة الدهر ٥٩/٤.
٧- في الأصل الباعث.

ويتلبد المعتبر في اياته ، ويكّل الناظر في معجزاته ، فما يدري ببديهة النظر والـفؤاد ، أمِنَ الحيوان هو أو الجماد ؟ حتى اذا أمعن مُتدبره النظر في تعظمه والفحص عن أكمل شروطه علم أنه كمّي ، سلاحه في حضنه ، ورامٍ سهامه في ضِمْنه [1] ، ومقاتل رماحه على ظهره ، ومخاتل سره خلاف جهره ، يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من دبر الخيـف [2] متى جمع أطرافه وضم اليه اصوافه حسبته رابية ناتية ، أو قلعة بادية [3] وهو أمضى من الأجل ، وأرجى من بني ثعل [4] ان رأته الاراقم رأت حتفَ انفها ، او عاينته الاسَاوِدُ ايقنت بفناء جنسها ، صُعلوكُ ليلٍ لا يَحْجم عن دامسهِ ، وفارسُ ظلام لا يخاف من حَنادسِه[5]، فيه من الضب مَثَل ، ومن الفأر شكل ، ومن الورل نَسب ، ومن الدُلْدُل سَبَب ، ومن أوابدِه أنه يَسْوَدُ اذا [هرم] [6] وشَابَ ، ويصير كأكبر ما يكون من الكلابِ [7].

وقال أبو محمد اليزيدي[8] *يذكر قنفذاً رآه فأطعمه وسقاه:-*

وطارقِ ليلٍ جاءنا بعـــــــد هَجْعةٍ
من الليلِ الا [ما] [9] تحدثَ سامرُ

قَريناه صَفْو الزادِ حين رأيتـــــــه
وقد جاء خِفاق الحسى وهو سادر [10]

١- الضمن : الوعاء.
٢- الخيف : الجلد الذي فوق الضرع.
٣- في الأصل ثابتة.
٤- بنو ثعل بطن كبير من طيء فيهم العدد وهم ينتسبون الى ثعل بن عمرو بن الغوث ، راجع انساب العرق ، تحقيق عبدالسلام هارون ص ٤٠١.
٥- الحندس : الظلمة .
٦- الزيادة من ب .
٧- النص في نهاية الارب ١٠/١٦٤، وهو ساقط من جـ .
٨- يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي عالم باللغة والأدب (ت ٢٠٢ هـ) ، راجع معجم الادباء ٢٠/٣٠ (دار المأمون) ، بغية الوعاة ٢/٣٤٠.
٩- الزيادة من ب .
١٠- سادر : متحير.

جميل المُحيا في الرَضـــا فاذا اتى

حمته من الضَيمِ الرماح الشــواجر

ولستَ تراه واضعاً لسلاحــــــــــه

مدى الدهر موتورا ولا هـو واتر [1]

وقال آخر من ابيات يرثيه فيها ويصفه [2] :-

عجبت لــه من شبْهم [3] مُتحصــن

نبيل من السّرد[4] المضاعف يَمرقُ

وأنى اهتدى سهم المنية نحــــوه

وفي كل عضو منه سهـــم مُفوق

ولو كان كف الدهر يستخشن الردى

لكان بكف الدهر لا يتعلق [5] /٧١و

وقال أبو بكر الخوارزمي [6] يصفه :-

ومُدجج وسِلاحه مـــن نفســـــــه

شاكي الدوابرِ أعزل الاقبـــــالِ

يُمسي ويصبح لــــم يفـــارقْ بيته

ولقد سَرى عدداً مــن الاميـــالِ

١- الأبيات في نهاية الارب ١٠/١٦٥، وهي ساقط من جـ .

٢- في جـ العبارة (وقال بعضهم يرثي قنفذاً وصفه وأجاد).

٣- الشبهم : ذكر القنفذ.

٤- السرد : الدرع .

٥- الابيات في نهاية الارب ١٠/٩٦٥ وهي ساقطة من جـ .

٦- محمد بن العباس الخوارزمي أحد الشعراء والعلماء في اللغة والأنساب (ت ٣٨٣ هـ) ، راجع وفيات ٤/٤٠٠ ، الوافي ٣/١٩١.

وتراه يكمن [1] بعضه في بعضه
فتطيش [2] عنه اسهم الاهوالِ
عيناه مثل النقطتين وخطمه
يحكي ثدي رضاعة الاطفالِ
وكأن اقلاما غَرزن بظهره
مَسّ المداد رؤوسها ببلال
تتهارب الحياتُ حين يَريْنَهُ
هرب اللصوص رأت سَوادَ الوالي
فكأنه الخنزير الا جِلده
وصياحه وتقاربُ الاوصالِ [3]

القول في طباع [ابن] [4]عرس

وهذا الحيوان مَليح الصور [5] موثق الخلق جديد النفس شجيع [6] فطن ويوجد في منازل أهل مصر ، قال عبداللطيف البغدادي : وأظنه الحيوان المسمى بالدلق ، وانما يختلف وبره ولونه [7] بحسب البلاد ، وفي طبعه أنه يسرق ما وجد من ذهب أو فضة وان وجد حبوباً خلطها ، وهو عدو الفأر ويقتله ، ويقال ان عداوته له أشد من عداوة السنور ، وخوف الفأر منه أشد من خوفه من السنور كما أن

١- في الأصل يكمر .
٢- في الأصل فبطس .
٣- الابيات في نهاية الارب ١٠/١٦٦ وهي ساقطة من جـ .
٤- الزيادة من جـ ، ب ، وهو من الضواري الصغيرة الحجم من فصيلة السراعيب وهو أصغر افراد المجموعة Mustela Vulgaris.
٥- في جـ مليح الصورة.
٦- في الأصل شجع .
٧- في جـ يختلف لونه ووبره ، والدلق حيوان من فصيلة السراعيب ، أكبر من ابن عرس Martes Faina.

خوف الدجاج من ابن آوى أشد من خوفها من الثعلب ، وقد حكي : من فطنته ماهو شبيه بالخرافات ان رجلاً صاد فرخاً منها فحبسه في قفص بحيث تراه امه فلمّا رأته ذهبت ثم جاءت وفي فمها دينار فالقته بين يدي الرجل كأنها تفدي ولدهـا ، فلم يتناوله ، وتركه مكانه فذهبت [1] وعادت بدينار آخر حتى بلغت من العدد خمساً ، فلما رأت انه لا يضمّها [2] اليه ذهبت وعادت بخرقة كانت صرة للدنانير ، تريه انه لم يبق شيء ، فلم يكترث بما فعلت فلما رأت ذلك منه عمدت الى دينار منه فأخذته وعادت الى جحرها /٧١ظ فخشي ان تفعل ذلك بالباقي ، فبادر الى الدنانير ، وأخذها وأطلق لها ولدها .

القول في طبائع الفأر

أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون[3] : جميع ما يقع عليه اسم الفأر : فأر البيت ويسمى الجرذ [4] ، والزباب [5] ، والخلد [6] ، واليربوع [7] ، وفأرة البيش [8] ، وفأرة المسك [9] ، وفأرة الابل [10] ، : فأما فأرة البيت فصنوان ، جرذان وفأر ، وهما كالجواميس والبقر ، والبُخت والعراب ، والفأر [من الحيوان] [11] الذي جمع [12] له حاسة الشم والبصر ، وليس في الحيوان أفسد منه لا يبقي على شيء من جليل[13] ولا حقير الا أهلكه واتلفه ، لايقصر فعله عما

١- في الأصل فذهب.
٢- أي لا يأخذها.
٣- ذكر الجاحظ هذه الأنواع ٥/٢٦٠ ، ٥/٣٠٠.
٤- وهو فصيلة برأسها وهي الفصيلة الجرذية اسمه العلمي Mos.
٥- وهي قريبة الشبه بالفأر في الظاهر الا أنها ليست من رتبة الفأر ولا فصيلته ، والزبابة من رتبة اكلات الحشرات اسمه العلمي Crocidura.
٦- والخلد فصيلة قائمة بنفسها وهي من القواضم اسمه العلمي Spalax.
٧- وهو من فصيلة الجرذ قصير اليدين طويل الرجلين اسمه العلمي Jacculus Dipus.
٨- وهو من فصيلة الزباب ، رتبة اكلات الحشرات.
٩- وهو حيوان مائي من فصيلة السراعيب اسمه العلمي Museus Sorex.
١٠- وهي ليست بفأر حقيقة كما سيأتي.
١١- الزيادة من جـ.
١٢- أي انه يستخدم هذه الحواس.
١٣- في جـ خطير.

فعلته ريح قوم [١] عاد ، ويكفيه ما يحكى عن شدة رأيه وتدبيره في الشيء الذي يأكله ويحسوه أنه يأتي القارورة الضيقة فيحتال حتى يدخل طرف ذنبه [٢] في عنقها ، فكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع في القارورة شيئاً ، ويضرب به المثل في السرقة والنسيان والحذر ، ويبلغ الفأر من حذره واحتياطه أنه يسكن السقوف وربما فاجأه السنور ، وهو يريد أن يعبر بيته والسنور في الأرض ، وهو [٣] في السقف ولو شاء أن يدخل بيته لم يكن للسنور عليه سبيلاً[٤]، ويشير اليه السنور بيساره كالقائل له ارجع ، فاذا رجع اولى اليه بيمينه كالقائل له : عد فيعود ، وانما يطلب بذلك أن يعيي أو ينزلق ، فلا يفعل معه ذلك الى ثلاث مرات حتى يسقط الى الأرض فيثب عليه ، وفي طبع الجرد البري أنه لا يحفر بيته على قارعة الطريق ويتجنب الخفض والوطأ خوفا من الحافر [٥] أن يهدم عليه بيتـه ، وحكى الجاحظ أن اناسا انكروا ان يخلق الفأر في أرحام اناثها من اصلاب ذكورها ، ولكن من أرحام بعض الأرض كطينة القاطول [٦] فأن أهلها يزعمون انهم رأوا الفأر ولم يتم خلقه بعد وان عينيها لتُبصّان ثم لايَرِيمون [٧]حتى يتم خلقها وتشتد حركتها [٨] ، وكذلك يتولد بأرض مصر اذا انكشف ماء النيل عنها /٧٢و.

واما الزباب : فأصم يكون في الرمل والعرب تضرب به المثل في السرقة فيقولون اسرق من زبابة [٩] ، ولم أقف على أكثر مما ذكرت من أمره .

١- ساقطة من جـ .
٢- في جـ طرف كنبه.
٣- أي الفأر .
٤- في الأصل سبيل واثبتناه هو الصحيح.
٥- في جـ الجواد.
٦- نهر كان في موضع سامراء قبل أن تقمر ، راجع معجم البلدان ١٦/٤.
٧- بص : برق ، يريم : يبرح.
٨- راجع هذا القول في الحيوان ٣٤٨/٥.
٩- مجمع الأمثال ٣٥٣/١.

وأما الخلد : فأعمى اصم لا يعرف ما يريبه الاّ بالشم الا أن عينيه [1] كاملتان لكن الجفن ملتحم على الناظر [2] لا ينشق ، وانما خلق كذا لأنه يتنفس في البخار الغليظ والأرض له كالماء للسمك ، وغذاؤه من باطن الأرض ، الرطوبات والورق ، وليس له على ظهر الأرض قوة ، ولا نشاط ، ولا حيلة بل يبقى مطروحاً كالميت حتى يخطفه جارح أو يموت ، ولما لم يكن له بصر عوض عنه بحدة حاسة السمع فيقال أنه يحس بالوطء الخفي ، ومتى أحسّ بذلك جعل يحفر في الأرض، ويتحيّل [3] عليه حتى يصاد [4] ، بان يجعل في باب جحره قملة فاذا سمعها ، وأحس بها خرج اليها ليأخذها فيصاد ، وفي طبعه أنه متى شم رائحة طيبة هرب، وهو [5] يحب رائحة الكراث والبصل ، وربما صيد بهما فأنه متى شمهما خرج اليهما ، ومن دأبه طول الكد ، ودوام الحفر للانفاق والأسراب سواء انتفع بها أو لم ينتفع ، وفي تركيبه انه لايفرط في الطلب ، ولا يقصر فيها ، ولا يخطئ الوقت الذي يظهر فيه ، ولا يغلط في المقدار.

وأما اليربوع : فحيوان طويل الرجلين قصير اليدين جداً وله ذنب كذنب الجرد بيّن [6] يرفعه صعدا في طرفه شبه الفوّارة ، لونه لون الغزال ، قال اصحاب الكلام في طبائع الحيوان كل دابة حشاها اللّه تعالى خبثاً فهي قصيرة اليدين [7] لأنها اذا خافت شيئاً لاذت بالصعود ، فلا يلحقها شيء ، وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقابل الماء ، وهو يؤثر النسيم ويكره البخار ، فتراه أبداً يتخذ جحره في نسز من الأرض ثم يحفر [8] بيته ويفتح له أربعة [9]

١- في جـ عينه.
٢- أي العين .
٣- في جـ يحتال.
٤- الصيده .
٥- في الأصل وهي.
٦- ساقطة من ب ، جـ .
٧- ذكر هذا القول في الحيوان ٦/٢٨٦.
٨- في ب يفتح بيته.
٩- ساقطة من ب .

أبواب على مهب الرياح الأربعة [١] ، وتسمى النَافقاء والقَاصعاء والدَّمَاء والرّاهطاء[٢] ، فاذا طلب من إحدى هذه الكُوى نافق أي خرج من النافقاء ، وان طلب من النافقَاء قَصَعَ اي خرج من القَاصِعاء ، وفي طبعه [٣] أنه يطأ /٧٢ظ على زَمعاته في السهل والأرض اللينة كي لا يعرف اثر وطئه كما يفعل الأرنب ، وهو يجتر ويبعر ، وله كرش وأسنان واضراس في الفك الأعلى والأسفل وهو من الحيوان الذي له رئيس ينقاد اليه واذا كان فيها يكون من بينها في مكان مشرف أو على صخرة ينظر منه الى الطريق في كل ناحية ، فان رأى ما يخافه عليها صر [٤] بأسنانه وصوت ، فاذا سمعته انصرفت الى أجحرتها ، وان اغفل ذلك ، ورأت ما يخافه قبل أن يراه قتلته لتضييعه الحزم ، وغفلته ، وينصب [٥] غيره واذا أرادت الخروج من جحرها تطلب المعاش ، خرج الرئيس أولاً يشرف فان لم ير ما يخافه صرّ لها وصوت فتخرج ولليربوع من الفأرة ولد يسمى القُرَيب .

وأما فأرة البيش : فدويبة تشبه الفأرة ، وليس بفأرة ، ولكن هكذا تسمى وتكون في الغِياض والرياض وهي تتخللها طلباً لمنابت السموم ليأكلها فلا يضر بها وكثيراً ما تطلب البيش وهو سم قاتل .

وأما فأرة المسك : فزعم الجاحظ : انها دويبة تكون ببلاد تبت تصاد لنَوافِجها [٦] وسُررها ، فاذا صيدت عصبت سرتها بعصاب ، وهي مدلاة فيتجمع فيها دمها فاذا حكم ذلك ذبحت ، وما أكثر من يأكلها ، فاذا ماتت قورت السرة التي عصبت ثم تدفن في الشعير حينا حتى يستحيل ذلك الدم المختنق هناك الجامد بعد موتها مسكاً ذكياً بعد أن كان لا يرام سنا [٧] ، ورأيت في بعض

١- في ب الأربع .
٢- راجع الحيوان ٣٧٦/٥ ، المخصص ٩٢/٨.
٣- في ب ، جـ طباعة.
٤- في الأصل ضرب .
٥- في ب ، جـ يصبن .
٦- النافجة : الوعاء .
٧ - راجع الحيوان ٣٠١/٥.

المجاميع [ان هذه الدابة] [1] توجد ببلاد الزانج ، وتحمل الى بلاد السند وان المسك يخرج من خصيتي ذكرانها بالعصر ، ومن ضروع اناثها بالحلب ، ورأيت في مجموع آخر : الفأر الفارسي أطيب ريحا من كل طيب ، وربما ضاهى ريح المسك وهو جرد اشقر شعره الى الصفرة [وهو] [2] سديد كحيل العينين طويل الأذنين ، قصير الذنب.

وأما فارة الابل : فليست بحيوان ، وانما هي رائحة تسطع من الابل عند صدورها من الورود وهو يكون من طيب المرعى وقال الراعي [3] وغيره يصف ابلا شعـــرا /٧٣و :-

لها فأرة ذفـــــــراء كل عشية

كما فتق الكافور بالمسك فاتقــــه

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الاعراب :-

عَجّل بعض [4] النـاسِ بالعِقابِ

لعامراتِ البيـــــــتِ بالخرابِ

كُحلِ العيون وُقْصِ [5] الرقـابِ

مُجرراتِ فضل الاذنـــــــابِ

مثل مداري الكتـــــاب [6]

١- الزيادة من ب ، جـ.

٢- الزيادة من جـ .

٣- عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري وهو شاعر فحل وقد عاصر جريراً والفرزدق وهجاه جرير هجاء مراً (ت ٩٠هـ) ، راجع الشعر والشعراء ٤١٥/١ ، طبقات الجمحي ص ٢٥٠.

٤- في ب رب الناس .

٥- الوقص : قصر العنق.

٦- الأبيات في الحيوان ٢٥٨/٥ ، ديوان المعاني ١٥١/٢، ونهاية الارب ١٦٨/١٠ وهي ساقطة من جـ وهناك اختلاف في ترتيب بعض الأشطر عما في نهاية الارب.

[*والظريف من قول ابي بكر الصنوبري* (١)

بالحُدبِ الظهور قُعس الرقـــــابِ

لدقاق الخرطـــــوم والاذنـــابِ

للطافِ آذانهـــــا ... والخراطيـ

ـم حدادُ الاظفارِ والأنيـــــابِ

خُلقت للفساد قـــــد خُلق الخلـ

ـق وللعبث والأذى والخـــــرابِ

ناقباتٍ في الأرضِ والسَقف والحا

ئط نقباً أعيا علـــى النقـابِ

اكلات كل المآكـــــــــلِ لاتَسـ

ـأمها شاربات كلَ الشـــــراب

آلفات قرض الثيـــــاب وقد يعـ

ـدل قرض القلوب قرض الثياب (٢)] (٣)

والطريف (٤) المطبوع ، الذي يدين بحسنه التابع والمتبوع قول القاضي المعروف بابن بصاقة (٥) يصف فأرة بيضاء (استظرفها فجعلها في قفص وأمر أن تطعم وتسقى ثم قال) (٦) :-

وفأرة بيضـــــاء لم تبتـــذل

يوما لاطعام (٧) السنانـــــير

١- في جـ أظرف ما قيل في الفأر قول ابي بكر الصنوبري.

٢- الديوان ص ٤٥١.

٣- الزيادة من ب ، جـ.

٤- ساقطة من جـ .

٥- نصرالله بن هبة الله بن عبدالباقي كاتب وشاعر (ت ٦٤٦) بدمشق راجع الطالع السعيد ص ٦٧٦ الدار المصرية ، حسن المحاضرة ١/٥٦٧.

٦- ساقطة من جـ.

٧- في جـ لاحوال.

اذ فأرة المسك سمعنا بهـــــا [١]

وهـــــذه فأرة كافــــــور [٢]

القول في طبائع العقرب

وهذا الحيوان أصناف منه الجرارة [٣] والطيارة [٤] ، وماله ذنب معقف ، ومنها السود والخضر والصفر ، وأصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون العقرب مائية الطباع ، ومن ذوات الذرو [٥] وكثرة الولد نسبة بالسمك [٦] والضب ، وعامة هذا النوع اذا حملت الانثى منه يكون حتفها في ولادها لأن اولادها اذا استوى خلقها أكلت بطنها وخرجت فتموت ، والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول: قد أخبرني من أثق به أنه رأى العقرب تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها [٧] ، وهي قدر القمل كبيرة [٨] والعقرب شر ما تكون اذا كانت حبلى ، ولها ثمانية أرجل لها أظلاف لاجل المشي وعيناها في ظهرها ، وهي من الحيوان الذي لايسبح ، ومن عجيب أمرها انها لا تضرب الميت ولا المغشي عليه ولا النائم ، الا أن يتحرك شيء من بدنه فعند ذلك تضربه وهي تأوي الى الخنافس وتسالمها ، وتصادق من الحيات كل أسود سالخ ، وربما لسعت فتموت [٩] ، وفيها ما يلسع بعضها بعضا فيموت الملسوع ومن /٧٣ظ شأنها اذا لسعت الانسان فرت فرار مسيء يخاف العقاب وقال الجاحظ في كتاب الحيوان : والعقارب تستخرج من بيوتها بالجراد لانها حريصة على أكله ، تشك [١٠] الجرادة في عود ثم تدخله الجحر فاذا عاينتها

١- في جـ به.
٢- الأبيات في نهاية الارب ١٠/١٦٩.
٣- نوع من العقارب الصفر Scoorpio.
٤- ذكرها الجاحظ ٢/٢٣٧ ، ٥/٤١٣ ، ٧/٤٠.
٥- الذرو : الذرية.
٦- في الأصل السمك.
٧- راجع القول في الحيوان ٥/٣٥٨.
٨- في ب كبير.
٩- في الأصل فيموت الملسوع وكلمة ملسوع لا معنى لها في هذا الموضع.
١٠- في الأصل تمسك .

العقرب تعلقت [١] بها ، ومتى ادخل الكراث في جحرها واخرج تبعته ، وما معها من نوعها ، وهي اذا خرجت من جحرها في طلب المطعم يكون لها نشاط وعزم تضرب كلما لقيته ، ولقيها من حيوان أو نبات نشبت فيه ابرتها ، وهذه الابرة مثقوبة فيها السم ، والعقارب القاتلة تكون في موضعين : بشهرزور [٢] وعسكر مُكْـرَم [٣] ، وهي جرارات ، وهذه العقارب تلسع فتقتل ، وربما تناثر من لسعته ، أو بعض لحمه ، واسترخى لايدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة اعدائه ، ومن طريف [٤] أمرها انها مع صغرها وقلتها ، وغزارتها تقتل الفيل والبعير بلسعتها [وبنصيبين عقارب قتالة يقال ان أصلها من شهرزور [٥] ، وان بعض الملوك حاصر نصيبين [٦] فأتى بالعقارب من شهرزور] ، ورمى بها في كيزان المجانيق الى البلد ، فأعطى القوم بأيديهم.

الوصف والتشبيه :-

(قال عبدالصمد بن المعذل يدعو بها على عدو له) [٧] :-

يارب ذي افك [٨] كثيـرخدعـــه
مستجهل الحلم خبيث مربعــه

يسري الى عرض الصديق قذعه [٩]
صبت عليه حين جمّت بدعــه

١- راجع الحيوان ٥/٣٥٩.
٢- وهو سهل واسع قريب من أربيل ، معجم البلدان ٣/٣٤٠.
٣- بلد من نواحي خوزستان ، معجم البلدان ٣/٦٧٦.
٤- في جـ عجيب .
٥- الزيادة من ب ، جـ .
٦- ساقطة من جـ .
٧- ساقطة من ب .
٨- ساقطة من ب .
٩- تدع : الفحش.

ذات ذنابى مُتْلَفُ من يلسعـــــه

تحفظــه طوراً وطـــــوراً ترفعـــه

اسود كالسبجة [1] فيه مبضعــه

ينظف منــه سمـــــه وسلعــــه [2]

تسرع فيه الحتف حين تشرعـــه

يبرز كالقرنين حــــين تطلعــــه

في مثل صدر السبت حين تقطعه

ما [3] تصنع الرقشاء ما قد تصنعه [4]

وقال السري الرفاء [5] :-

سارية في الظـــــــلام مُهدية

الـــــى النفوسِ الرَدى بـــــلا حَرَجِ

شائلة [6] في ذُنيبها حُمـــــة

كأنها سبجة مـــن السبـــــجِ [7]

وقال آخــــــر [8] :-

ومشرعة بالموت للطعن صعــدة

فلا قِرنَ ان نادته يومــاً يجيبها /٧٤و

١- السبج : خرز اسود.

٢- سلعه : نوع من السم.

٣- في ب لا.

٤- الديوان ص ١٢١-١٢٢ وهي ساقطة من جـ.

٥- أحمد بن السري الكندي شاعر وأديب سمي بالرفاء لانه كان يرفو الثياب (ت ٣٦٦ هـ) ، راجع يتيمة الدهر ١١٧/٢ ، وفيات ٣٥٩/٢.

٦- في الأصل شاريه.

٧- الديوان ص ٦٨ ساقطة من جـ.

٨- في ب قال ابن حمديس الصقلي.

مداخِلة في بعضها خلق بعضهــا
كجَوْشن عَظْمٍ ثَلّمته حُروبهـــــــــا

تُذيقك [مــن] [1] وَخز إبــــرة
اذا[2] لسعت ماذا [يلاقي][3] لسعيها[4]

اذا لم يكن لون البهارة لونهــــا
فمِنْ يرقان دب فيها شُحوبهـــــــا

لها سَوْرة خصّت بمنكر صورة [5]
ترى العين فيها كل شيء يُريبهـــــا

لهــا طعنة لا تَستَبين لناظـــــرٍ
ولا يرسل المُسبار[6] فيها طبيبهـــا

نسيت بها قيسا وذكرى طعينـه[7]
وقد دق معناهـــا وجــــــل ندوبها

تجيء كأم الشبِـــل غضبى تَوقدت
وقد تُوج اليافــــــوخ منها عَسِيبُها

عدو مع الانسان يعمـــــر بيتــه
فكيف يوالي رقدة يستطيبهــــــا

١- الزيادة من ب .
٢- في ب لسبت اي لدغت .
٣- الزيادة من ب .
٤- في ب لسبها ، والبيت في الديوان :
تذيق خفي السم من وخز ابرة اذا لسبت ماذا يلاقي لسيبها
٥- في الديوان بصورة ردة.
٦- المسبار: ما يسبر به الجرح.
٧- اي قيس بن الخطيم حيثن قال : طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر.

ولولا دفاع الله عنّا بلطفـــــه

لصبت بنا [1] الدنيا علينا خطوبهـا [2]

وقال آخر يصفها من أبيات :-

تحمل رمحاً ذا كعوب مشهـر [3]

فيه سِنـــان [4] بالحريـــق مستعر

أنّف تأنيفا على حين قـــدر

تَأنيف انف القوس [5] شُدت بالوتر [6]

وقال آخر [في ذلك أيضا] [7]

ونِضوة [8] تعرف باسم ولقـــب

مـــا بين هـــــــلال منتصب

موجودة معدومـة عند الطلـــب

تطعن [9] مـــــن لاقتـه من غير سبب

بخنجر تَسْتله عنـــــد الغضب

كأنه شعلة نار تلتهــــــــب [10]

١- في ب من.
٢- الديوان ص ٤٢ ، وهي ساقطة من جـ.
٣- في الأصل ما اشتهر.
٤ - في الأصل سنانان.
٥- أنف حدد وسوى وانف القوس طرفها .
٦- ديوان المعاني ١٤٦/٢ وهي ساقطة من جـ.
٧- الزيادة من ب .
٨- نضوة : ضعيفة.
٩- في ب بطعنه .
١٠- الأبيات في نهاية الارب ١٤٩/١٠ وهي اقطة من جـ.

القول في طبائع الخنفساء

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: ان الخنفساء تتولد من عفونة الأرض ومن فسادها ، ومن مادة لم يكن يجيء منها خيراً لأن الحمار لا يجيء منها فرس [1] وهذا النوع [هو] [2] اصناف منها الخنفس المعروف ، وهو اطول من الضب ذماء[3] فانه يشدغ ، فيسير ويمضي ، وبه يضرب المثل في اللجاج وليس له أحشاء وبينه وبين العقارب والضفدع صداقة ، ومنها الجُعل[4] وهو يتولد من اخثاء /٧٤ظ البقر وفي طبعه انه يموت اذا شم رائحة الطيب ، واذا دفن [في الورد][5] مات أيضاً ، واذا أُخرج منه ودفن في الروث عاش ، وله ستة أرجل وسنام مرتفع محدد جداً ، وهو يمشي الى الخلف وهو[6] مع هذه المشية يهتدي [7] الى بيته ، ويسمى الكَبَرْتل [8] ، وقال بعضهم : لا [9] يصير كبرتلا[10] حتى يصير له جناحان اذا وقع الى الأرض استتر بقشرة ولم ير منها شيء ،فاذا أراد الطيران تنفس فيظهران ، ومن عادته أنه يحرس النيام فمن قام منهم لقضاء حاجته تبعه ، وذلك من شهوته للغائط ، فانه قوته ، ومنها صنف يسمى حمار قبان وهو يتولد في الأماكن الندية [على ظهره شبه المجن ، ومنها صنف يسمى بنات وردان [11] وهي أيضاً تتولد في الأماكن الندية] [12] وأكثر ما يكون في الحمامات والسقايات [13] وفيها من الألوان الأسود ، والأصهب ،

١- القول في الحيوان لابن الاشعث ص ٤٧١

٢- الزيادة من ب .

٣- ذماء بقية الروح في المذبوح.

٤- في ب العمل ، وهو من فصيلة الخنافس رتبة مغمدة الاجنحة اسمه العلمي Aleachus.

٥- الزيادة من ب .

٦- في الأصل هذا .

٧- في ب مهند.

٨- في الأصل الكرمل.

٩- في ب لن.

١٠- في الأصل الكرمل.

١١- من فصيلة الخنافس من رتبة مستقيمة الاجنحة اسمه العلمي Blatta.

١٢- الزيادة من ب ، جـ.

١٣- في الاصل السقات .

والأبيض وهي [اذا] (١) تكونت وتسافدت ، باضت بيضاً مستطيلا ، وصفها بعض الشعراء فقال (٢) :

بنات وردان جنس ليس تبعته
خَلْق كنعتي في وصفي وتشبيهي
كمثل انصاف بُسر احمر (٣) تركت
من بعد تشقيقه أقْماعه فيه (٤)

ومنها الصراصر والجنادب (٥) ، وهذا الصنف معرى من الاجنحة له صوت بالليل لايفتر ويقعد منه اذا طلع الفجر ولا يعرف له مكان الا بتتبع صوته ، وأمكنة المواضع الندية وفيه الوان : الأسود وهو جندب الجبل والاكام السود (٦) ، والأورق(٧) وهوجندب الطلح ، والسمر والغضا والابيض وهو جندب الصحارى ، قال [السري الرفاء] (٨) يصف جندبة :-

وجُندبة (٩) تمشي بساق كأنها
على فخذ من عود منشار عرعر
حسلة تجلو الجناح كأنها
عروس تجلت في عِطاف مُعَنْبر(١٠)

[وأما الهوام فأول ما نبدأ منها] : (١١)

١- الزيادة من ب .
٢- العبارة في ب وقيل قفي وصفها.
٣- البسر : الرطب.
٤- البيتان في نهاية الارب ١٠/١٥٣.
٥- وهي من الحشرات القفازة المستقيمة الأجنحة اسمها العلمي Staurontus.
٦- الزيادة من ب ، جـ .
٧- الأورق : ما فيه سواد وبياض.
٨- الزيادة من ب ، جـ .
٩- في الأصل جنبدة.
١٠- الديوان ص ١٤٢.
١١- الزيادة من جـ .

« القول في طبائع القراد »

وهذا الحيوان أول ما يكون ، وهو لا يكاد يرى صفرا (قمامة ، ثم يصير حَمْنَانة) (١) ثم يصير حَلَمة (٢) ، وهو يخلق من عرق البعير ومن الوسخ والتلطخ/٧٥و بالثُّلط (٣) والأبوال كما يخلق القمل من عرق الانسان ، [والحلم يعرض لاذن الكلب أكثر مما يعرض للبعير] (٤) ومن طبع القراد ، أنه يسمع رغاء الابل من فراسخ فيقصدها، حتى أن اصحاب الابل (٥) يبعثون الى الماء من يصلح لابلهم الارشية (٦) وأدوات السقي ، فيبيت الرجال عند البئر ينتظرون مجيء الابل فيعرفون قربها منهم في جوف الليل بانبعاث القردان وسرعة حركتها ومرورها حول الرعاء ، فاذا رأوا ذلك منها نهضوا وتهيئوا للعمل ، ويقول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان (٧) : ان لكل حيوان قرادا يناسب مزاجه فللكلب قراد يخصه، وكذا البعير ، والفرس (٨) ، والبقر وانشد الجاحظ يصف قرادا :

الا ياعباد اللـــه هل لقبيلة
اذا ظهرت في الأرض جد مغيرها

فلا الدين فيها ولا هي تنتهـــي
ولا ذو سلاح من معدّ يضيرها (٩)

١- المخصص ١٢٢/٨.

٢- المخصص ١٢٢/٨.

٣- الثلط : الرجيع.

٤- الزيادة من ب ، جـ.

٥- في ب اصحاب القوم .

٦- الارشية : حبال الدلو .

٧- ساقطة من ب .

٨- ساقطة من ب .

٩- البيتان في الحيوان ٤٣٥/٥ وقد ذكر في ٢٨٨/٥ ان البيتين في وصف برغوث.

القول في طبائع النمل

وهذا الحيوان على ما ذهب اليه ابن أبي الأشعث : (لايتزاوج ولا يتوالد) [1] ولا يتلاقح ، وانما يسقط منه شيء حقير في الأرض ينمو بيضا ثم يتكون فيه وهو حيوان محتال يتفرق في طلب المعاش فاذا وجد شيئاً أنذر البا فيجئن ويحملن ، وكل واحد مجتهد في صلاح [2] العامة غير محتبس لشيء من الرزق دون صحبه، ويقال إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها ، ومن تحيّله في طلب الرزق انه ربما وضع بينه وبين ما يخاف عليه منه [حاجز] [3] يحجزه عنه من ماء أو شعر فيتسلق في الحائط ، ويمشي على جذع من السقف مسامت [4] لما حفظ ثم يلقي نفسه عليه ، وفي طبعه أنه يحتكر في زمن الصيف لزمن الشتاء ، وفي الاحتكار من الحيل ما انه اذا احتكر ما يخاف انباته قسمه نصفين ، ماخلا الكسفرة، فانه يقسمها ارباعاً [5] لما الهم ان كل نصف منها ينبت ، واذا خاف العفن على الحب اخرجه الى ظاهر الأرض /٧٥ظ ونشره ، وأكثر مايفعل ذلك ليلاً في القمر ، ويقال أن حياته ليست من قبل مأكله ولا قوامه ، وذلك أنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ، ولكنه مقطوع نصفين ، وانما قوته اذا قطع الحب استنشاق [6] ريحه لاغير وذلك يغذوه ويكفيه ، وهو يشم ما ليس له ريح مما لو وضعه الانسان على أنفه لم يجد [7] له ريحا (وله من حدة الشم ما لو أن رجل جرادة تكون) [8] منبوذة في موضع لم ير فيه ذر قط فلا يلبث أن يرى الذر اليها كالخيط الأسود المسدود ، ومن اسباب

١- راجع الحيوان لابن الاشعث ص ٤٧١ .
٢- في الاصل اصلاح.
٣- الزيادة من ب .
٤- أي يصير فوقه تماماً .
٥- في ب اربعا.
٦- في ب ، جـ اسيتنشا.
٧- في جـ لما وجد.
٨- في الأصل (له ريحا وان احدا ليشم كرجل جراد منبوذة....).

هلاك النملة نبات الاجنحة لها واذا صار النمل كذلك أحصبت العصافير ، وقد قال أبو العتاهية في ذلك :-

إذا استوتْ للنمل أجنحـــــــةٌ

حتى تَطير فقد دنا عَطَبـــه [1]

وهو يحفر قريتـه بقوائمـه لا بفيـه ، وقوائمه ست ، واذا حفرها [2] جعـل [فيــها] [3] تعاريج لئلا يجري اليها ماء المطر، وربما اتخذ قريته فوق قرية بسبب ذلك وانما يفعل ذلك خوفاً على ما يدخره من البلل، وليس في الحيوان ما يحمل ضعف ما يحمل ضعف بدنه مراراً غيره ، وعلى أنه لا يرضى باضعاف الأضعاف الا بعد انقطاع الانفاس ، حتى انه يتكلف حمل نوى التمر وهو لاينتفع بتلك النواية ، وانما على ذلك الحرص والشدة ، وفي هذا الحيوان ما يسمى الذر[4] وهو والنمل بمنزلة الزنابير والنحل ، في أن النحل أصغر جثة ، وأجود فهما ومعرفة [ومن اصنافه صنف يسمى نمل الأسد وسمي بذلك لأنه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل ، وزعم بعض المتكليمن في طبائع أنه متولد وأدعى ان اباه اكل لحما ، وامه اكلت نباتا فولداه ، ومما يستغرب في عظم خلقها، انه وجد في ذخائر ابي كاليجار سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه نملة في حلقها سلسلة تأكل كل يوم رطلين لحم بالبغدادي] [5]

الوصف والتشبيه :

قال ابراهيم بن سناه :-

غزاة يُولّى الليث عنهـــــــــن هاربا

وليست لهـــــا نبل حِداد ولا عَمَدْ

١- الديوان ص ٣٤.
٢- واذا حفر قريته.
٣- الزيادة من جـ.
٤- وهو النمل الصغير الأحمر اسمه العلمي Formica Rafa.
٥- الزيادة من ب ، جـ وابي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة . راجع اخباره في الكامل ٩/٣٧٧.

قصار الخطى حُمش [1] القـوائم ضمر

مسمرة لاتشتكي الاين والحـــرد [2]

وتعدو على الاقران في صولـــة الوغـى

نشاطا كمـا يعدو على صيـده الاسد

اذا فكرت طيب الهيـاج تنفســــت

تنفس ثكلى قـد اصيب لها ولد /٧٦و

كأكراد زنجـان مزيـــــد فضاضة

وتلك الصعاليك الغوائب فـي البلد [3]

وفيهن اجنــاس تشابهن صــــــورة

وباين في الهمات والـــلون والجلـد

فمنهن كُمت كالعنــاكب أرجــــــلا

وساع الخطى قد زان اجيادهـا الغيد

اذا [4] انتهرت طارت وان هي خلدت [5]

رأت ورد احواض المنايا مـن الرشـد

وسود خفاف الجسم لو عضّت الصفــا

رأيت الصفا من وقع اسنانها قــدد

يَفدِن علينا مفســــــدات جفاننــا

وازوادنا ابغض الينا بما وفـــد [6]

١- حمش : دقاق القوائم .

٢- الحرد : مرض يصيب الدابة .

٣- معنى البيت غير واضح ، وكذلك ورد في نهاية الارب .

٤- في ب ان .

٥- في ب بحلدت .

٦- الابيات في نهاية الارب ١٠/١٧٥ - ١٧٦ وهي ساقطة من جـ .

وقـــــال آخر :

وحَي أناخوا في المنازلِ (1) باللـــوى
فصاروا به (2) بعدَ القَطينِ (3) قَطينا

اذا اختلفوا في الدار ظلت كأنهـــا
تبدد فيها الريـح بزر قطـــــونا

لهم نظرة يسرى ويمنى اذا مشـــوا
كما مرّ مرعوب يخـــــاف كمينـا

ويمشون صفا في الديار كأنمـــا
يجرون خيطا في التـــراب مُبينا (4)

وفي كل بيـــــــت من بيوتي قرية
تضم صنوفا منهـــــــــم وفنونا

فيا من رأى بيتا يضيق بخمســــة
وفيه قريّات يسعن مئينـــــا (5)

وقال يحيى بن هذيل الأندلسي (6) *يصف نملة :-*

مخزومـــــــــة فــــي ثبح
كأنمــــا استقصي بالبخــــــت

إنما اخرهـــــــــــا نقطة
ساقطة مـــن قلم المفتـــــــــي

1- في ب بالمنازل .

2- في ب بها ، ساقطة من جـ .

3- في الديوان القطار .

4- المنين : الحبل الضعيف.

5- الأبيات في ديوان المعاني ٢/١٥٠.

6- يحيى بن هذيل بن عبدالملك الاندلسي من شعراء قرطبة (ت ٣٨٩هـ) راجع جنوة المقتبس ص ٣٥٨ (سلسلة من تراث الأندلس) ، تاريخ العلماء والرواة لابن الفرضي طبعة (١٩٥٤) ٢/١٩٣.

مشت على الأرض على أرجـــــل

تشبه شعر الطفـــــل في النبت

لا تسمـــــــــع الاذن لها موقعا

فـــي الأرض [1] مسّا ولا مرّت

مكدودة ليس لهـــــــــــا راحة

ولا تقطع الايـــــام بالصمت

سبحان من يعلم تسبيحهــــــــا

ووزنها من زنـة البخــــت [2]

القول في طبائع القمل

قال المتكلمون في طبائع الحيوان : القمل يتولد من العرق والوسخ [3] اذا أصاب ثوباً ، أو ريشا ، أو شعرا حتى يصير المكان عفنا، ويكون في الرأس الاسود الشعر أسود ، وفي الرأس الأبيض الشعر أبيض ، وفي الرأس الأحمر الشعر – أما شقرة واما من خضاب بحناء – أحمر، ومتى نصل الشعر [4] يغير الى لونه ، والقمل من الحيوان الذي اناثه اكبر [5] من ذكوره ، ويقال : ان ذكور القمل الصيبان ، ويقال انها بيضها ، والقمل يسرع [6] الى الدجاج والحمام ، اذا لم يغسل ، ويعرض للقرود أيضاً ، واما قملة النسر [7] وهي التي تكون في بلاد الجبل ، وتسمى بالفارسية دده [8] ، وانها اذا عضت قتلت ، وهي أكبر من

١– في ب أرض .

٢– الأبيات ساقطة من جـ.

٣– القول في الحيوان ٥/٣٧١.

٤– نصل الشعر اي تغير لونه.

٥– في ب ، جـ اعظم .

٦– في ب اسرع .

٧– راجع الحيوان ٥/٣٩٨.

٨– معنى هذه الكلمة اسم جميع الضواري راجع : Persian-English Dictionary, .505.

القملة، وأكثر ما تكون بمهرجان قــذق [١] ، ومع صغر جسمها، فانها تفسخ [٢] جسم الانســـان في أقــل من الاشارة باليد، وهي تعضّ لا تلسع ، وانمـــا سميت قملة النسر لان النسر اذا سقط بتلك الأرض فـــي بعض الأزمنة تسقط منـــه قملـــة فيستحيل الى هذا الخبث ،

قـــال أبو نؤاس فـــي رجل[٣] يتفلى [٤] في الشمس[٥] :-

للقمل حول أبي العـــــلاء مَصارعٌ

مِنْ بين مقتول وبين عَقيــــــــــر

وكأنهن اذا علون قميصـــــــه

فَذٌ وتَوْأمُ سِمسم مقشـــــــور [٦]

١- منطقة تقع عن يمين القاصد من العراق الى حلوان ، راجع معجم البلدان ٤//٦٩٨.

٢- في جـ تفتح.

٣- وهو أبو العلاء العقيلي.

٤- في جـ يفتلي.

٥- الزيادة من ب ، جـ اما في الأصل فالعبارة (وقد قيل) .

٦- نسبها في الحيوان لبعض العقيليين ، راجع الحيوان ٥/٣٧٩.

الباب الخامس

في طبائع سباع الطير وكلابها

ومجموع هذا النوع عند ابن أبي الأشعث ناري [لان] (1) طبيعته حارة يابسة ، وهو غضوب حقود غاضب قاتل يغتذي بالدم واللحم ، ويطير في جو السماء ، ويتجاوز في طيرانه البخار والهواء الذي هو حار رطب ، ويعلو الى هواء حار يابس ، وانما تم له هذا الغلو الى هذا الهواء من الجو لأن له نفساً مزاجها كمزاجه (2) فهي تتحرك النار، وهو ليس بذي شي ، ولا لبث في الصحارى ، ولا في الشطوط لبعده عن المزاج الرطب ولا هو مما يجتمع خيطاً (3) كما يطير بعض الطير ويتزاوج عند الشبق وتفارق الذكور الاناث /77و عند زواله للشره (4) الذي في كل واحد منهما (5) وقوة الغضب ما يفترس بعضه بعضا ، ولغلبة المزاج الناري على طبيعته (6) صار فيه ذكاء وسرعة حركة ، وختل وقلة وفاء (7) ، وانواعه تنحصر في أربعة وهي العقاب والبازي والصقر والشاهين وتنعت بالجوارح والسباع والضواري ، والكواسر والمضرحيات (8) والاحرار والعتاق ، وذوات المنسر (9) من الطيرذكورها أصغر أجساماً والطف اقدادا من اناثها واقل جمالاً، وذوات المناقير بالعكس من ذلك ، وتسمى البغات (10) ، والذي نبدأ به بالذكر من الجوارح :-

---

1- الزيادة من ب.

2- اي ان مزاجه حار يابس.

3- اي يطير مصطفا .

4- في الاصل البشرة ، في ب للسرة.

5- في الاصل منها .

6- في جـ طبعه.

7- هذه المقدمة ملخصة عن كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث ٤٧٤-٤٧٥ .

8- المضرحي: وهو النسر العتيق الذي يضرب البياض ، مخصص ١٤٤/٨ .

9- المنسر: منقار الجوار.

10- البغات : كل طائر ليس من جوارح الطير.

القول في طبائع العقاب

وهذا الصنف يؤنث ولا يذكر ويسمى العنقاء على ما ذهب اليه أهل اللغة وبهذا القول فسر قول أبي العلاء المعري :-

أرى العنقاءَ تكبر أنْ تُصادا

فعاند من تُطيق له عنادا [١]

ولا خلاف عند أهل اللغة في ذلك ، وهذا الصنف ينقسم الى قسمين: عقاب ، وزُمجّ .

فأما العقاب فأن فيها من الألوان السود والخَوخِية ، والصُقع [٢] والسُفع[٣]، والبيض والشقر ، ومنها ما يأوي الجبال ، ومنها ما يأوى [الى] [٤] الصحارى ، ومنها ما يأوى الغياض ومنها مايأوى حول المدن ، ويقال ان ذكورها من طير آخر لطيف الجرم لا يساوي شيئاً ، والعقاب يبيض في الاغلب ثلاث بيضات ، ويحضنها ثلاثين يوماً ، وما عداه من الجوارح يبيض بيضتين في كل سنة ، ويحضن عشرين يوماً ، واذا خرجت الفراخ تلقي واحداً منها لانها يثقل عليها طعم الثلاث وتربيتها، وذلك لقلة صبرها وشرهها ، والفرخ الذي تلقيه يعطف عليه طير آخر [٥] يسمى كاسر العظام [٦] فيربيه [٧] ، ومن عادة هذا الطائر أن يزق كل فرخ ضائع بعد التوفر على فراخه، وفي طبع الذكر أنه يمتحن انثاه هل هي محافظة له أو مواتية لغيره من غير جنسه بأن يصوب بصر فرخه الى شعاع الشمس ، فأن ثبت عليه تحقق انهما فرخاه فامسكهما /٧٧ظ وان لم يصبر عليه وناء عنه ضرب الانثى كما يضرب الرجل المرأة الزانية ، وطردها من وكره ورمى

١- راجع شرح سقط ٢/٥٥٣.

٢- الاصقع : ما كان على رأسه بياض .

٣- السفعة : السواد ليس بالكثير .

٤- الزيادة من ب.

٥- ساقطة من جـ .

٦- نوع من العقبان البحرية عرف بهذا الاسم لأنه بعد أن يأكل لحم الحيوانات يحلق بالعظام ثم يرمي بها على الصخر فتتكسر فيستخرج مخها إسمها العلمي Gypaetus Barlatus

٧- راجع طباع الحيوان ص ٤١٦ .

بالفرخين ، وهي تربي فراخها الى أن تقوى على الطيران فتخرجها ، وتنفيها عن مواضعها ، ومن عقوقها لفراخها انها لا تحمل على نفسها في الكسب عليها ، ومتى كان الذكر والأنثى في مكان مجتمعين لايدعان غيرهما من جنسهما يأويان قريباً [١] ، ولا يصيد فيه [٢] ، وهي اذا صادت شيئاً لا تحمله على الفور الى مكانها بل تنقله من موضع الى موضع ، ولا تجلس الا على الأماكن المرتفعة لأنها لا تستقتل من الأرض الا ببطؤ وعسر ، واذا ما صادت الأرانب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار ، وهي أشد الجوارح جرأة ، واقواها حركة الى الغضب واسرعها اقداماً ، وانسبها مزاجاً ، وكذلك هي احدها وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران فهي ان شاءت كانت فوق كل شيء ، وان شاءت كانت بقرب كل شيء ، تتغذى بالعراق ، وتتعشى باليمن ، وريشها الذي عليها فروتها في الشتاء وجنسها في الصيف ، وربما صادت حمر الوحش ، وذلك انها اذا نظرت الحمار رمت نفسها في الماء حتى يبتل جناحها [٣] ثم تتمرغ في التراب ثم تطير حتى تقع على هامة الحمار ثم تصفق على عينيه بأجنحتها فتملأها تراباً ، فلا [٤] يبصر حيث يذهب فيؤخذ ، وهي مولعة بصيد الحيات ، وولوعها بها كولوع الحيات بالفأر ، وفي طبعها قبل أن تدرب ، ان لا تراوغ صيداً ولا تعنى في طلبه ، ولا تزال موفية على شرف عال ، فاذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً انقضت عليه فتتركه لها وتنجو بنفسها[٥] ، ومتى جاعت لم يمتنع عنها الذئب ، وهي شديدة [٦] الخوف من الانسان وتنظر اليه بفرق [٧] منه ، ويقال : انها اذا شاخت وثقل جناحها ، واظلم بصرها التمست غديراً ، فاذا وجدته حلقت طائرة في الهواء ثم تقع من خالق [٨] في ذلك الغدير وتنغمس فيه مراراً فيصح جسمها ويقوى بصرها ، ويعود ريشها ناشئاً الى حالته الأولى، ومتى ثقلت عن /٧٨و النهوض ،

١- في الأصل منه .
٢- أي في ذلك الموضع .
٣- في ب جناحاها.
٤- في الأصل ولا.
٥- في جميع النسخ بنفسه ، وما اثبتناه هو الصحيح حيث ان الضمير يعود على سباع الطير.
٦- في ب شدة.
٧- اي بخوف منه.
٨- اي من مكان شاهق.

وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ، ونقلتها من مكان الى مكان لطلب الصيد ، وتعولها الى أن تموت ، ومن عجيب أمرها أنها اذا اشتكت كبدها من رفع الارانب والثعالب في الهواء أكلت اكبادها فتبرئ ، وهي تأكل الحيات الا رؤوسها ، والطير الا قلوبها ويدل على هذا [1] *قول امرئ القيس* :-

كأنّ قلوب الطير ، رطبـــا ويابسا
لدى وكرها العُناب والحَشفُ البالي [2]

ومنقارها الاعلى يعظم ويعقف حتى يكون ذلك سبب هلاكها لأنها لا تنال به الطعم حينئذ :-

فصــــل :-

أول من صادها [3] أهل المغرب ، وانما رغّبهم فيها مارأوا من شدة أسرها وعظم سلاحها ، ويحكى أن قيصر أهدى الى كسرى عقابا [4] ، وكتب اليه :- علمها فأنها تعمل عملاً أكثر من الصقور التي اعجبتك ، فأمر بها فأرسلت على ظبي عرض لها فقدته فأعجبته [5] ما رأى منها ، وجوعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته ، فقال كسرى : غزانا قيصر في بلادنا بغير جيش [6] ، ثم أهدى [لقيصر] [7] نمراً وكتب اليه: قد بعثت اليك ما تقتل به الظباء ، وما قرب منها من الوحش، وكتم ما صنعت العقاب عنه فأعجب به قيصر اذ وافقت صفته ما وصف ، فغفل عنه يوماً فافترس بعض فتيانه فقال : صادنا كسرى فان كنا صدناه فلا بأس ، فلما بلغ ذلك كسرى قال : أنا أبو ساسان [8] . وصفة المحمود منها وثاقة الخلق ، ثبوت الأركان، وحمرة اللون ، وغؤور الحماليق ، وان

١- في ب ذلك .
٢- الديوان ص ٣٨.
٣- في ب ، جـ اول من صاد بها.
٤- ساقطة من ب .
٥- في الاصل فاعجب.
٦- راجع المصايد والمطارد ص٩٩.
٧- الزيادة من ب .
٨- راجع المصايد والمطارد ص٩٩.

تكون صقعاء ، عجزاء على عكوتها بياض واجودها ما جلبت من سرت [١] وجبال المغرب [٢] .

الوصف والتشبيه :-

قال امرؤ [٣] القيس يصف [٤] شدة[٥] أسرها من ابيات ذكر فيها فرساً :-

كأنها حين فاض الماء واحتفلت [٦]
صَقعاء لاح لها بالمَرحة الذيب

فأبصرت شخصه من فوق [٧] مَرْقبه [٨]
ودون موقعه [٩] منها شَناخِيب[١٠]

فاقبلت نحوه في الجو كاسرة
نحيبها من هواء الجو تصويب/٧٨ظ

فأدركته فنالته ..... مخالبها
فانسلّ من تحتها والدف [١١] مثقوب

لأمثلها من ذوات الجو طائرة [١٢]
ولا كهذا الذي بالأرض[١٣] مطلوب [١٤]

١- وهي مدينة تقع بين برقة وطرابلس الغرب ، راجع معجم البلدان ٦٨/٣.
٢- راجع المصايد والمطارد ص٩٦.
٣- في الاصل . ب امرىء ، وما اثبتناه هو الصحيح.
٤- في جـ ولقد نعتها امرؤ القيس.
٥- في الاصل شدها .
٦- اي اجتهدت في العدو.
٧- في الديوان رأس .
٨- في جـ منقبه .
٩- في الديوان موقعها .
١٠- شناخيب : اعالي الجبال.
١١- الدف : الجنب .
١٢- في الديوان ويلمها من هواء الجو طالبه.
١٣- في جـ و الديوان في الأرض .
١٤- البيت ساقط من ب .

يلوذ بالصخـــر منها بعدما قطرت [١]

منها ومنه على العقب الشـآنيب [٢]

ثم استغاث بدحل [٣] وهـــي تحفره

وباللسان وبالشدقـــين تتريب [٤]

فظلّ منحجرا منها [٥] .... يراصدها

ويرقب الليل إن العيش [٦] محبوب

حبت عليه ولـم تصب مـــــن

إن الشقـــاء علـى الاشقين مصبوب

كالدلو بُتّت عراها وهي مثقلـــــة

ارجامها ودم منها وتكريـــــب [٧]

وقال آخر من بني [٨] هذيل :-

ولله فَتْخاء [٩] الجناحين لقـــوة [١٠]

توسد فرخيها لحـــــوم الارانب

كأن قلوب الطير في جـــوف وكرها

نوى القَسبِ تلقى عند بعض المآدب

١- في الديوان فترت .

٢- الشؤبوب : دفعة من المطر.

٣- الدحل: هوت ومدخل في الأرض.

٤- التتريب : من التراب.

٥- في ب عنها.

٦- في الديوان ويرقب العيش ان العيش .

٧- النص في الديوان ص ٢٢٦.

٨- ساقطة من ب .

٩- الفتخاء اللين الجناح.

١٠- اللقوة : العقاب سميت بذلك لسعة اشداقها.

فخالت غزالاً جاثمـــاً بصرت بـه

لدى سَمُرات [١] عند ادماء شـــارب

فمـــــرت على بدء فاعنت بعضها

فخرت على الرجلين اخيب خائب [٢]

وقال أبو الفتح كشاجم :-

يـا ربما أغدو مـــــــع الاذانِ

والنجم قـــــــد رنّق كالوسنـانِ

والليـــــــــل كالمُنهزم الجبانِ

بلقوة موثّقةُ الأركـــــــــــانِ

غرثى [٣] وكم تشبع مـــــن غرثان

كأنمـــــا تضمـــــر بالرهـان

كريمة النجر من العقبـــــــان

تفلّ حـــــــد السيف والسنـانِ

بمخلب يَهتـك دستبـــــــان [٤]

اشبه معطـــــــوف بصولجـان

ومنسر مــــــن الدمــــاء قاني

كأنه فـــــــي رؤيـــــة العنـان

سنانــــــه تلـــوى على دستـان

ومقلة طَحـــــــاّرة الاجفـانِ [٥]

١- السمرة : من شجر الطلح.

٢- النص في المصايد ص١٠٠.

٣- غرثى : جائعة.

٤- الدستبان : كلمة فارسية وهي الرباط من الجلد يوضع على اليد ويمسك به الباز.

٥- البيت ساقط من الديوان .

كأنما صيغت من العقبـــــان

تضم صيــــــد الجأب والاتـــان

والطير فـــــي ربقتها عواني

لم تَألُ ان صـــــــادت بلا توانِ

ما عجزت عن عــــدة بنـاني

اكرم بها عونا على الضيفـان [1]

وقال أبو الفرج الببغاء :-

ما كل ذي [2] مخلـــــب وناب

من ســائر الجوارح [3] والكـلاب

بمدرك في الجد [4] والطـــلاب

أيسر ما يُدرك بالعقــــــابِ

شريفة الصنعة والانســـابِ

تطير من جناحهــــا في غابِ

وتستر الأرض عـــن السحـاب

وتحجب الشمــــس بلا حجاب

يظل منها الجـــو في اغتراب

مستوحشا للطير كالمـــرتاب

ذكية تنظر مـــــن شهاب

ذات جِران [5] واســـع الجلباب

١- الديوان ص ٤٧١ وهي ساقطة من جـ.

٢- في ب ذات .

٣- في ب الجارح .

٤- في ب الجو .

٥- الجران : مقدم العنق.

ومنكـــب ضخم أثيثٍ [1] راب

ومنسر موثق النصـــــــاب

وراحتي ليث ســـــرى غلاب

ينطت الى براثن صـــــلاب

مرهفة أمضى من الحـــراب

وكل ما حلّق في الضبـــاب

لملكها خاضعـــة الرقاب [2]

الصنف الثاني من العقاب : الزُمّج [3] :-

وأصحاب الكلام في البيزرة يعدونه من خفاف الجوارح [4] ، وذلك معروف[5] في عينيه وسرعة حركته ، وشدة وثبته ، ويصفونه بالغدر وقلة [الوفاء] [6] والألف لكافة [7] طبعه ، وقد يقبل الأدب ، ولكن بعد بطئ ، وهو شديد الأسر لقوة في نفسه وسلطان في جناحه ، ومن عادته أنه [8] يتلقف طائراً كما يتلقف البازي، ويصيد على وجه الأرض ، كما يصيد العقاب ، ويحمد من خلقه أن يكون لونه أحمراً ، وهذا اللون الذي لا يشك في فراهته ، ولا يحمد ماقرنص [9] وحشياً .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو الفرج الببغاء :-

١- الاثيث : الشيء الكثير والعظيم.

٢- الابيات في نهاية الارب ١٠/١٨٣ .

٣- من فصيلة الجوارح اسمه العلمي Acciperf Gentilis.

٤- راجع البيزرة ص١١٣ .

٥- في جـ معلوم .

٦- الزيادة من ب .

٧- في جـ وكثافة.

٨- في ب ، جـ ان .

٩- وهو الذي يؤخذ لكي يصاد بها.

يارب سرب آمن لم يُزعـــــــجِ
غاديته قبل الصبــــــاح الابلج
بزمج أدلَقُ حوش اهـــــوج (١)
مُضَبر (٢) المنكب صلب المنســج
ذي قصب عبل (٣) اصـم مدمـج
وجؤجؤ كالجوشن المـــــدرج
وعنق سام قويــــــــم اعوج
ومنسر اقنى فســـيح مسـرج
منخرق المدخل رحب المخـــرج
ومقلة تشــــــف عن فيروزج
ناظرة من لهب مؤجـــــــج
وهامه كالحجر المدملـــــج (٤)
ومخلب كالمِعولِ المُعـــــوّج (٥)

القول في طبائع البازي

وهذا النوع الثاني من الجوارح ، وينقسم الى خمسة أصناف :-

البازي ، والزرق /٧٩ظ والباشق ، والعفصي ، والبيدق ، والبازي احرها مزاجاً لأنه قليل الصبر على العطش ، ومأواه الشجر العادية الملتفة ، والظل الظليل

١- يريد انه سريع وقوي.
٢- الضبر : جلد يغشّى خشبا فيها تقرب الى الحصون لقتال اهلها.
٣- العبل : الضخم.
٤- المدملج الحجر الأملس.
٥- الابيات في نهاية الارب ١٠/١٨٤.

ومطرد المياه ، وهو لا يتخذ وكراً الا في شجرة لها شبكة (١) ذات شوك مختلفة الحجون (٢) يطلب بذلك السكن فلا يقع في شتاء ولا صيف على اغصانها وأطرافها ، واذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتاً ، وسقفه تسقيفاً لا يصل اليه منــــه(٣) مطر ولا ثلج اشفاقاً منه على نفسه من البرد والحر ، ولهذا اذا أخطأ صيده ، وكان في برية لا شجر فيها ولّى ممعنا حتى يلج كهفا من جبل أو جدارا من الأرض يسكن فيه ، ولذلك علق عليه الجرس ، كيما (٤) يدل على موضعه ان خفي ، وهو لا يطيق البرد ولا الحر لرقة جوانحه فسبيله في البرد أن تقترب منه النار ليدفئ ، أو تجعل كفيه في الشتاء وبر الثعالب ، واللبود ، وسبيله في الحر أن يجعل في بيت (٥) كنين (٦) من السموم ، باردا بالنسيم ، ويفرش له الريحان والخلاف (٧) وهو خفيف الجناح سريع الطيران ، يلف طيرانه كالتفاف الفاختة ، ويسهل عليه أن يزج نفسا صاعدا أو هابطا ، وينقلب على ظهره حتى يلتقف فريسته ، وسبيله أن يضرا على صيد الدراج ، والقبج ، اذا كان طويل المنسر ، واذا كان قصيرا فسبيله ان يضرا على طير الماء والحبرج (٨) ، والاناث من هذا الصنف أجرأ على عظام الطير من ذكورها .

قال أصحاب الكلام في البيزرة: ان الاناث من البزاة اذا كان وقت سفادها وهياجها يغشاهـا جميع أجنـاس الضواري كلهـا ، الزرق ، والشـاهين والصقر [وغيرها] (٩) وانها تبيض من كل طير يغشاها، ولهذا تجيء مختلفة الاخلاق من

١- ساقطة من ب .
٢- الجحن : انعطاف الشيء .
٣- ساقطة من ب .
٤- امعن : تباعدا عاديا.
٥- في جـ كيلا.
٦- في جـ في كن كنين.
٧- في ب في بيت سالما.
٨- نوع من الحباري.
٩- الزيادة من ب .

الجبن والجرأة ، والحب ، والغدر ، والذكاء ، والقوة ، والضعف ، والحسن ، والقبح ، والشراهة ، ولهذا البازي مايدرك ما بين العصفور الى التدرج (١) والكراكي ، والطيطوى ، وصفة الفاخر منه أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادهما ، وان تكونا مقبلتين على منسره حجاجتهما (٢) /٨٠و ممطلان عليهما ، ولا يكون وضعهما في جنبي رأسه كموضع عين الحمام ، والأزرق (٣) دون الاحمر العين والأصفر دونهما ، وسعة الاشداق دليل على قوة الافتراس ، ومن صفاته المحمودة: أن يكون طويل العنق عريض الصدر مابين المنكبين ، شديد الانخراط الى ذنبه ، وان يكون فخذاه طويلين مسرولين بريش وذراعيه قصيرين غليظين ، واشاجع (٤) كفيه عارية واصابعه متفرقة ، ولا تكون مجتمعة ككف الغراب ، ومخلبه اسود ، ومنسره رقيقاً ، وافخر الوانه الابيض ثم الأشهب وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم واما الاسود الظهر المنقّش الصدر بالسواد والبياض فهو يدل على الشدة والصلابة فان اتفق أن يكون هذا أحمر العين ، وكثيراً ما يتفق كان نهاية ، وهذا اللون في البزاة كالكُميت في الخيل لأنه يدل على الشدة ، والأحمر (من البزاة اخسها) (٥) لأنه كالسوسي من الخيل بعيد الفلاح، [وبعض الناس يقول: اشرف البزاة الطغرل ثم البازي التام ، وهو الذي قد وصفناه وذكرناه ، والطغرل لايعرفه غير الترك ، وهو عزيز جدا ، وربما وجد الواحد منها بعد الواحد فيغلب عليه الملوك ، ويكون في بلاد الخزر (٦) ومأواها فيما بين خوارزم الى أرمينية ، وهو يجمع صيد البازي والشاهين ، وقيل أنه لا يعقر بمخلبه شيئاً الا سمّه ، وكلما برأ جرحه انتقض (٧) ، فلهذا يحمل على دستبانات الوبر الوثيرة] (٨) .

١- طائر كالدراج صوته عذب.

٢- الحجاج : العظم الذي حول العينين في ب حجاجها.

٣- في ب الاورق.

٤- الاشاجع : رؤوس الاصابع.

٥- في جـ من هذا الصنف اخس.

٦- وهي بلاد الترك ، راجع معجم البلدان ٢/٤٣٦.

٧- انتقض : اي رجع .

٨- الزيادة من ب ، جـ ، الا انها في جـ مذكورة بعد قوله (واتخذته الملوك بعده....).

فصـــــــل :-

أول من صاد هذا الطائر اعني البازي لذريق أحد ملوك الروم الاول، وذلك أنه رأى بازياً اذا علا كتف ، واذا سفل خفق ، واذا اراد أن يسمو ذرق ، فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثير الدغل ، فاعجبته صورته ، فقال: هذا طائر له سلاح تتزين بمثله الملوك ، فأمر بجمع عدة من البزاة ، فجمعت وجعلت في مجلسه، فعرض لبعضها ايم [1] فوثب عليه فقتله ، فقال : ملك يغضب كما تغضب الملوك ثم أمر به فنصب على كندره [2] بين يديه ، وكان هناك ثعلب فمر به مجتازا فوثب عليه فما افلت منه الا جريحاً ، فقال : هذا جبار يمنع حماه ، ثم امر به فضري على الصيد ، واتخذته الملوك بعده [3] [والله اعلم بالصواب] [4] .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو نؤاس يصفه :-

قد اغتدى واللـــــــيل ذو دَواجٍ
ببازي الصيــــــدِ على ابتهاجِ
كضرغام [5] جاء .. من منهـــاج
البسه وَشيا بلا نســـــــاج
موشية الرياش كالدجـــــاج
منقـــــط ظاهـره بزاجٍ /٨٠ظ

١- أيم : الحية.
٢- كندرة البازي : مجثمه.
٣- راجع المصايد والمطارد ص ٤٩-٥٠ حيث ذكر هذه الامور.
٤- الزيادة من ب .
٥- في الأصل (كرر عامر) وما اثبتناه هو عن ب .

ومنســــــــــر أسرف باعوجاج

تخاله صَدْغَا على معنـــــاج (١)

زرفتـــــه اذ قام للبـــــــراج

في وجنة تبرق ، مثل العـــاج (٢)

وقال الناشيء ايضاً من مزدوجة :- (٣)

لما تَفرّى الليـــــــل عن اثباجه

وارتاح ضوء الصبح لانبلاجـــــه

غدوت ابغي الصيد من منهاجـــــه

بأقمرٍ ابـــــــدع فـــي نتاجه

ألبسهُ الخالقُ مـــــــن ديباجه

ثوبا كفى الصانع من نِساجـــه

حـــــال من الساق الى أوداجه

وَشيا يَحار الطــرفُ في اندراجه

في نَســــقٍ وفي.... انعواجــــه

وزان فَوْديــــــه الى حِجاجـه

بزينةٍ كَفتــــــــــه عزِ تاجـه

منسره يثنى على خِلاجــــــه (٤)

وظُفره يخبر عن علاجـــــــــه

لو استضاء المرأ في إدلاجــــه

بعينه كفته عن سراجـــــــه (٥)

١- في الاصل موشى وما اثبتناه عن ب.

٢- اي معطوف من غنج البعير والناقة عطفها .

٣- نمط من انماط الرجز استخدم في نظم المتون العلمية ، راجع العروض تهذيبه واعادة تكوينه ، جلال الحنفي ص ٥٥٥ .

٤- المخلوج : غير المستقيم .

٥- المصايد والمطارد ص ٦٧ .

ومن طردية لأبي فراس :-

جئـــت ببـاز حسنٍ اسبهرج [١]

دون العقاب وفـــــوق [٢] الزُمّج

زَيْنٌ لرائيهِ وفــــــــوق الزَيْنِ

يَنظرُ من نارين فـــــــي غَارينِ

كأنّ فوق صـــــدره ... والهادي

اثار مشـــــى الذَرِ في الرمادِ [٣]

ومن رسالة لأبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي يصف بازياً :-

طـائر يُستدل بظاهـر صفاته على كرم ذاته ، طـورا ينظر نـظر الخيلاء فـي عطفه [٤] كأنما يزهى به جبار ، وتارة يرمى نحو السماء بطرفه كأنما له هناك [٥] اعتبار ، واخلق به أن ينقض على قنيصه شهابا ، ويلوى به ذهابا ، ويحرقه توقدا والتهابا ، (وقد اقيم له) [٦] سايغ الذُنابى والجناح ، كفيلين [٧] في مطالبه بالنجـاح [٨] ، جيد [٩] العين وارثر حديد السمع والبصر يكاد يحس بما يجري ببال ، ويسري من خيـــال ، قد جمع ببين عزة ملك وطاعة مملوك ، فهو بما[١٠] يشتمل عليه من علو الهمة ، ويرجع اليه بمقتضى الخدمة ، مُؤهل لاحراز ما

١- الاسبهرج : نوع من الزمج ، راجع البيزرة ص ١١٣.

٢- في الأصل فويق.

٣- راجع يتيمة الدهر ١/٨٥ ساقطة من جـ.

٤- في ب عطفيه.

٥- في الأصل هنالك .

٦- في الديوان وقد بعثت به سايغ....

٧- في الديوان كفيلا.

٨- في الديوان بنبل النجاح.

٩- في ب جميل.

١٠- في الديوان لما .

تقتضيه شمائله ، وانجاز ما تعد به مخائله ، وخليق بمحكم [1] تأديبه وجودة تركيبه ان يكون له مثل له النجم قنصا ، أو اجرى بذكره البرق قصصا ، لاختطفه اسرع من لحظة ، واطوع من لفظة وانتسفه [2] /٨١ظ أمضى من سهم ، واسرع[3] من وهم [4] ، فقد اتسم بشرف جوهره ، وكرم عنصره لا يوجه مسفّرا الا غادر قنيصه معقرا ، وآب الى يد من ارسله مظفرا ، مورد المخلب والمنقار ، كأنما خضب [5] بحناء أو كرع [6] في عقار [7] .

وله من ابيات يمدح بها :-

طرد القنيض بكل قيـــــــد طريده

زجل [8] الجناح مورد الاظفـــــار

مُلتفــــــــــة أعطافــــهُ بجَيْرة [9]

مَكْحولةٍ أجفـانــــه بنُـــــــظارِ

يرمي به الأملُ القصير [10] فينثني

مَخضوبَ رائي الظفر والمنقار [11]

١- في الديوان ومزمع بحكم .

٢- انتسف : قلع .

٣- في ب والديوان واجرى .

٤- في الديوان : (من هم ، ويخدمك فيما يعود بأنسك ، وليبسطك نفسك من التهام الجهة سعادتك والاهتمام بجانب ارادتك) . ص ٥٤ تحقيق د. السيد مصطفى غازي ١٩٦٠ .

٥- في ب والديوان اختضب .

٦- في ب وكرع .

٧- النص في الدوان ص ٥٤ .

٨- زجل : صوّت .

٩- الجيرة : البرد الموشى .

١٠- في الديوان القصي .

١١- الديوان ٢٠٨ .

الصنف الثاني من البازي

وهو الزُرّق ، وهذا الصنف بازي لطيف الا أنَّ مزاجه أحرُ وأيْبَس ، ولذلك هو أشد جناحاً ، وأسرع طيراناً ، وأقوى اقداما ، وفيه خَتْل وخُبْث ، وذلك انه اذا ارسل على طائر طار من غير مطاردة ، ثم عطف عليه ، وأظهر الشدة بعد اللين وفي الوانه الابيض وخير الوانه الأسود الظهر الابيض الصدر ، الأحمر العين وصفة المحمود منه : اعدلها خلقاً واقلها ريضاً ، واثقلها حملا واحلاها دارجها شدقا وأوسعها عينا ، وأصغرها رأسا ، واصفاها حدقة ، وأطولها عنقا ، واقصرها خافية ، وأشدها لحما ، وخضرة رجلين وسعة مخلاب (١) ، وتعريا من اللحم (٢) وادواؤه وعلاجه كالبازي داء ودواء .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو نؤاس من ارجوزة طردية :-

وقد اغتدى بسَفرة مُعلقـــــــه

فيها الـــــذي تُريد مرفقـــه

مُبتكـــــراً يُزرق او زُرقـــــه

وصَفْتُه بَصفـــــة مُصــــدقه

كأن عينيــــه لحُســـن الحَدقه

نَرجسةٌ نابتـــــة فـــــي ورَقه

ذو مِننسر مخضــــــب معلقة

كأنه رَامِشتَـــه مخلقـــــه

في كف جود طفلـــــة او ملعقه

كـــم وزة صدنا بـــــه ولقلقه

سلاحه في لحمها مفرقــــه (٣)

١- في ب مخالب .

٢- راجع هذه الصفات في المصايد والمطارد ص ٥٦ .

٣- الابيات ساقطة من جـ ، وهي غير موجودة في ديوانه.

ومن طردية [لعبدالله] (1) بن المعتز :-

تمّ له قميص وشى سابـــــغ

ومنسر ماضي الشبّاه دافغ /81ظ

أعقف في حوض الدمـاء والغ

رســول زرق نجيب بالــــغ

تملا كفيه جناح فارغ (2)

[وقال الناشيء :-

يا قانصُ اعــد علينا

بزرق مَخْبـــــور

مُناهض للبـــازي (3)

مُغالــــبِ الصقور

لــــه جناح موشى (4)

مضاعف التَنْمِيـــــر

مظـاهر ببـــــردة

مبطن بحريـــــر

وكف سبـــع هصور

مُحَجـــن الاطفور

تقول فيه الخطـــا

طيـــف لذذت من صقور

ومنسر ذي انعطـــاف

كقرن ظبي غريـــر

1- الزيادة من جـ .

2- الديوان 2/461 .

3- في المصايد : من ابيض للبوازي.

4- في المصايد : ويتر.

في هامة كَلَّفتـــــــه
كالجندل المستديـــــر
وصدر باز طريـــــر
مُفَوف(١) التحبيـــــر
كأنه ثوب وشـــــي
معرج التسنيـــــر
له طنابيب هقـــــل
وعين صقـــــر ذعور
لـــــه بديهـة صوت
كنبذة مـــــن زمير
اذا استمرت لسمـــع
الغادي لشرب الخمور
الهته عن كـــــل نأي
يحكي بهم وزير] (٢)

الصنف الثالث من البازي

وهو الباشق ، وهذا الصنف وان كان معدودا في جنس البازي ، والزرق فانه أحر وأيبس ، ولغلبة هذا المزاج عليه هو هلع ، قلق ، ذعر ، يأنس وقتا ، ويستوحش وقتاً ، ونفسه قوية خائفة فاذا انس منه الصغير بلغ منه كل المراد ، وخير الباشق ما اخذ فرخا لم يلق من قوادمه (٣) ريشة واحدة ، متنه [دان ، وهو متى تم تأنيسه وجد منه باز] (٤) خفيف المحمل ، طريف الشمائل يليق بالملك ان

١- التفويف : التزين.
٢- الزيادة من ب والنص في المصايد والمطارد ص ٧٤-٧٥.
٣- في جـ قوائمه.
٤- الزيادة من ب ، جـ.

يخدمه وان يستخدمه لخفة محمله ، وحسن خلقه ، ولأنه [1] يصيد افخر ما يصيده البازي وهو الدارج والحمام والورشان [2] ، والشفنين ، [واصحاب الكلام في البيزرة يصفونه بالشبق] [3] ، ويقولون : ان الانثى اذا هاجت سقطت على شرف، وصفرت صفيراً حتى يسمع الذكر فيعرفها فيأتيها فاذا أحست به سكنت له فاذا سفدها حلق طائراً ثم يعود ، ولا يزال يسفدها ما دامت ساكنة له حتى ربما فعل خمسين مرة وأزيد ، فاذا ضجرت شدت عليه لتقتله فيطير محلقاً.

ومن طبعه انه اذا علق بما هو أشد منه واضطرب في يده لم يسهل عليه نقل كفه من موضع الى موضع ، وان قوى صيده عليه لم يفارقه أو يتلف احدهما فسبيله أن لا يرسل على كل ما طلب فيكون قد كلف مالا يطيق ، ومن صفاته المحمودة أن يكون صغيراً في المنظر ثقيلاً في الوزن [4] طويل الساقين قصير الفخذين عظيم السلاح بالنسبة الى جسمه.

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الشعراء فيه :-

اذا بارك الله فـــي طائر
فخص من الطير اسبهرقي [5]
له هامة كُللـــت باللجين
فسـال اللجين على المفـــرقِ
يقلب عينين في رأســـه
كأنهمـا نقطتـــــا زئبق

١- في ب وانه.
٢- نوع من الحمام سيأتي ذكره.
٣- الزيادة من ب ، جـ.
٤- في ب ، جـ الميزان .
٥- ذكر محقق الديوان ان اسبهرقي قد تكون تعريبا لـ (سبهركون) اللون الأزرق ، راجع الديوان ص ٣٦٤.

واشرب لونا له مذّهبـــــا
كلون الغزالة [1] في المشـرق /٨٢و
حمام الحمام وحتف القطا
وصاعقـــــــة القبح والعقعـــــق
واحنى عليـــــه الى ان يعو
د اليك مــــــن الوالـــــد المشفق
فأكرم به وبكـــــف الأميـ
ـر وبالدستبـــان اذا يلتـــــقي [2]

ولكاتب أندلسي يصفه من رسالة [3]

كأنما اكتمل بلهب او انتعل بذهب. ملتف في سبرة [4] ، وملتحف بحبرة ، من سيوفه منقاره ، ومن رماحه اظفاره ، ومن اللواتي تتنافس الملوك فيها تمسكها عجبا بها وتيها ، فهي على أيديها اية بادية ، ونعمة من الله نامية تبذل لك الجهد طرحا وتعيرك في نيل بغيتك جناحا، وتتفق معك في طلب الارزاق ، وتأتلف بك على اختلاف الخلق والاخلاق ثم يلوذ بك ليؤذي[5] من يرجوك ، ويفي لك وفاء لا يلزمه لك ابنك ولا أخوك [6] .

ثم ذكر [7] حمامة صادها : اختطفها اسرع من اللحظ ، ولا محيد لها عنه،

١- الغزالة : الشمس .
٢- الأبيات في ديوان كشاجم ص ٣٦٤ والمصايد والمطارد ص ٧٦ وهي ساقطة من جـ.
٣- العبارة في ب (ومن رسالة لكاتب اندلسي يصفه).
٤- السبر : الهيئة.
٥- من الاذى.
٦- النص في نهاية الارب ١٠/١٩٣ وهو ساقط من جـ.
٧- اي الكاتب الاندلسي .

وانحدر بها اعجل من اللفظ ، وكأنما هي منه ، ثم جعل يتناولها بمثل السبعين [1] ، ويدخلها في أضيق من التسعين [2] وكأن لها موتا عاجلاً ، وكــأن لـــــه قوتا حصلاً [3].

وقال آخــــــــر [4]

لما انجلى ضوء الصبــــاح وانفلق

غدوت في ثوب من الليــــل خَلَقْ

بطامحِ النظرة في كل افــــــق

بمقلة تصدقه اذا رمــــــــــق

كأنهـــــــــا نَرجســـــة بلا ورق

مُبارك [5] اذا رأى فقد رزق [6]

وقال أبو الفتح كشاجم :-

يسمو فيخفي في الهواء ويأتي [7]

عَجِلاً فينقـض انقضاض الطارق

وكـــــــأن جُؤجُؤ وريش جناحــه

خضبا بنقش الفتــاة العاتــق [8]

١- السبعين في بيان المراتب ، جعل رأس الابهام على الفصل الاسفل من باطن السبابة ، راجع بلوغ الارب ٣/٣٨١ .

٢- التسعين ان تجعل السبابة حلقة غير مجوفة ، بلوغ الارب ٣/٣٨١.

٣- النص في نهاية الارب ١٠/١٩٣ وهوساقط من جـ.

٤- نسبها في المصايد والمطارد الى بعض شعراء بني هاشم.

٥- في ب قبارك .

٦- الابيات في المصايد والمطارد ص ٧٦.

٧- في ب ، والديوان ينكفي.

٨- الفتاة العاتق التي في بداية ادراكها ولم تتزوج.

فكأنما سكن الهوى اعضاؤه

فاعارهن نحول جسم العاشق

ذا مقلة ذهبية في هامة

محفوفة من ريشها بحدائق

ومخالب مثل الأهلة ظالما

أدمين كف البازيار [1] الحاذق

واذا انبرى نحو الطريدة خلته

كالريح في الاسراع أو كالمارق[2] /٨٢ظ

واذا القطاة تخلفت من خوفه

لم يعد ان يهوى بها من خَالق [3]

الصنف الرابع من البازي

وهو العفصي [4] بالباشق كشبه الزرق بالبازي الا أنه اصغر الجوارح نفسا، واضعفها حيلة، واشدها ذعراً، وايبسها [5] مزاجاً، وربما صاد العصفور، وتركه وهرب لخوفه وحذره، وكل طائر حذر وخاف، مات فرقا، فأن [6] الدراج يخاف حتى يموت لان الخوف يتحرك فيه حتى لا يحس بجوع ولا عطش حتى يموت، من طبع هذا الطير [7] أنه يرصد الطير اوان [8] حضانه، فاذا طار من وكره خلفه فيه وكسر بيضه ونحّاه ورمى بالقشر، وباض مكانه وطار عنه،

١- البازيار : وهو صاحب الباز اي الذي يحمله على يده.

٢- في ب كالبارق، والمارق : السهم.

٣- النص في الديوان ص ٣٧٠ وهوساقط من جـ.

٤- وهو اقرب الى الجوارح الى البيدق وسيأتي ذكره.

٥- في ب، جـ وايبس .

٦- في ب لان .

٧- في ب، جـ الصنف.

٨- في ب، جـ .

فيحضنه صاحب الوكر فهو ابداً لا يحضن ، ولا يربي، ويتكل على غيره في تربية فراخه ، ولم أجد لأحد من الشعراء شيئاً في وصفه، فاثبته ، والظاهر أنهم لم يصفوه لأنه يشبه بالباشق ، فحملوا الصفة على الصفة واستغنوا [١] بأحدهما عن الأخرى .

الصنف الخامس من البازي

وهو البَيْدق [٢] ، ولا يصيد غير العصافير وقلما يندر، من نوعه ما يحصل به غنى ، وبعض من أهل هذا الشأن يجعل البيدق والعفصي اسمين موضوعين على مسمى واحد، ويزعم أن أهل مصر يسمون البيدق والعفصي ، فعلى هذا يكون البازي أربعة أصناف لا غير [٣] (ان شاء الله) [٤] .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو الفتح كشاجم يصفه من طردية :-

حسبي مـــــن البزاة والزرازقِ

ببيدق يصيـــــــد صيد الباشقِ

مؤدب مدرب .... الخَلائِــــــق

اصيد من معشوقة لعاشـــــقِ

يسبق في السرعة كل سابـــــق

ليس له في صيده من عائـــــق

ربيته وكنـــــــــت غير الواثق

إن الفرازين [٥] من البيـــادق [٦]

١- في جـ واشتغلوا.
٢- معنى البيدق الماشي راجلاً.
٣- الزيادة من ب ، جـ.
٤- ساقطة من ب ، جـ.
٥- الفرازين : الملكة في لعبة الشطرنج.
٦- الديوان ص ٣٦٦ ، وهي ساقطة من جـ.

القول في طبائع الصقر

وهو النوع الثالث من الجوارح ، وينقسم الى ثلاثة اقسام ، صقر وكونج [1] ويؤيؤ [2] / ٨٣و والعرب تسمّي كل طائر يصيد : صقرا ، ما خلا النسر والعقاب[3] ، وتسميه الاكدر والاجدل [4] ، وهو من الجوارح بمنزلة البغال [5] من الدواب ، لأنه اصبر على الشدة ، وأحمل لغليظ الغذاء ، وأحسن إلفاً ، واشد اقداما على حيلة الطير من الكراكي ، والحبارح [6] ، ومزاجه ابرد من سائر ما تقدم ذكره من الجوارح ، وأرطب ، وذلك معروف في ركوده وقلة [7] حركته ، وعدم [8] التفاف ريشه ، وبهذا السبب يضرى على الغزال والأرانب ولا يضرى على الطير لأنها تفوقه ، وفعله في صيده الانقضاض ، والصدم وهو غير صاف[9] بجناحيه [10] ، ولا خافق به ، ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي ، ويقول أصحاب الكلام في البيزرة انه أهدأ نفساً من البازي وأسرع انسا بالناس ، واكثرها رضا وقناعة ، وهو يغتذي بلحوم ذوات الأربع ، ولبرد مزاجه لا يقرب من المياه ، ويعافها ، ولو لم يجدها الدهر لما أرادها ، ومن أجل ذلك يوصف بالنجر ونتن الفم ، وفي طبعه أنه لا يركب الشجر ، ولا شوامخ الجبال ، ولا يأوي الا الى المقابر ، والكهوف ، وصدوع الجبال ، وفيه جبن ، ونفسه دون شدته ، ولذلك يضرب الغزال والأرنب ويهرب منه [11] ، ولا يكاد يعلق

١- بفتح الكاف وسكون الواو.

٢- بهمزتين .

٣- راجع المخصص ١٤٨/٨ .

٤- المخصص ١٤٩/٨ .

٥- سماها في المصايد والمطارد بغال الطير ص ٨٤ .

٦- في جـ الجوارح.

٧- في جـ وعدم .

٨- في جـ وقلة.

٩- صف جناحيه : أي بسطهما ولم يحركهما .

١٠- في ب ، جـ لجناحيه.

١١- في ب نفسه.

بفريسته فـاذا [فارقها] [1] عاد اليها منقضاً فيضربها، ويرقى هارباً ، وكل ما تقدم ذكره من الجوارح ينقى بالماء ويغتسل ، وهو ينقى بالتمعك في الرمل والتراب.

وصفاته المحمودة [2] :- أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة ، دامع العينين، تام المنسر طويل العنق ، والجناحين ، رحب الصدر، ممتلىء الزور ، عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين والذنب ، قريب القفدة [2] من الفقار [3] سبط الكف غليظ [4] الاصابع عظيمهما فيروزجها ، اسود اللسان ، وقال بعض ظرفاء الشعراء يصف المحمود منها في مزدوجة[طردية في قوله] [5]

اذا رأيت الصقر بين الصقـــــرين
له سواد سائل تحـــــت العينِ
منهـــرتُ الشدق عظيـم الحرفين [6]
ململم الهامة ضخــــــم الكفين
كأنما الجؤجؤ مثل الفهرين[7] /٨٣ظ
فأبتعه يا صـــــاح بنقد أو دين

فصـــــل :-

أول من صاد به وضراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كنده [8] فانه وقف يوماً على صياد وقد نصب شبكة للعصافير ، فانقض أكدر على عصفور منها قد

١- الزيادة من ب .
٢- راجع هذه الصفات ، المصايد والمطارد ص ٨٥.
٣- في جـ القفا.
٤- في جـ عريض .
٥- الزيادة من ب ، جـ. في جـ (في مزدوجة طردية) .
٦- حرف الرأس : شقاه.
٧- الفهر : الحجر الذي بحكم الكف .
٨- وهو أحد أجداد العرب المشهورين ، راجع جمهرة الأنساب ص ٤٢٥ .

علق فجعل يأكله ، والحارث يعجب ، فأمر فأتى به ، وقد اندق جناحاه فرمى به في كسر بيت ووكل به من يطعمه، فدربه حتى صار اذا أتاه اللحم ودعاه أجاب ثم صار يطعمه على اليد ثم صار يحمله لانسه به فبينما [1] هو حامله يوما اذ رأى حمامة فطار عن يده اليها فأخذها وأكلها ، فأمر الحارث باتخاذها [2] والتصيد بها فبينا هو يوما يسير اذ لاحت أرنب فطار الصقر اليها ، واخذها فلما رآه تعاقب بين الطيور والارانب ، ازداد الحارث به عجباً ، وفيه محبة واغتباطا [واتخذته العرب من بعده للصيد] [3]

الوصف والتشبيه :-

قال الناشيء يصفه من طردية :-

يارب صقر يفترس الصقورا
يُكسّر العقبان [4]والنسورا
يجتاب بُرداً فاخراً مطرورا
مشمرا عن ساقه محسورا
يضاعف الوشي بها .. التنميرا
معرجا فيه ومستديرا
كما نظم الكاتب السطورا
كأنه قد ملك التصويرا
لنفسه فأحسن التقديرا
كأن ساقيه اذا استثيرا
ساقا ظليم احكما تَضْبيرا
ذي هامة يرى لها تدويرا

١- في ب ، جـ فبينا .
٢- اي اتخاذ الصقور.
٣- الزيادة من ب ، جـ.
٤- في الاصل العقاب وما اثبتناه عن ب والمصايد.

كمـــــــا ادرت جندلا نفيرا

تسمع من داخلها صفيـــــــرا

يحكي من البراعـــــة الزميرا

ترى الاوز منـــــــه مستجيرا

يناكـــــر الضحضاح والغديرا (١)

وقال أبو الفتح كشاجم :-

غَدونا وطَرْفُ الليل (٢) وسنـان غائر

وقد نزل الاصباح والليلُ ســــائرُ

بأجدَلَ من حُمر الصقور.... مـؤدب

واكرم ماقرّبت (٣) منها الاحـامر (٤)

جريء على قتل الظباء واننــــــي

ليعجبني أن يكســـر الوحش طائر

قصير الذُنابى (٥) والقُدامى كأنهــا

قوادم نسر أو سيوف بواتــر /٨٤و

ورُقش منـــــــــه جُؤجُؤ وكأنه

اعادته إعجام الحروف الدفاتـــــر

وما زالت الاضمار (٦) حتى صنعتـه

وليس يجوز السبــق الا الضوَامــر

١- المصايد والمطارد ص ٨٥ ، البيزرة ١٧٨ وهناك اختلاف في ترتيب بعض الاشطر وهي ساقطة من جـ.

٢- في ب غدونا والنجم وسنان.

٣- في ب واكراما قربت منها ...

٤- احامر : جمع احمر.

٥- في الاصل الر-انا .

٦- في ب بالاقمار.

وتحمله منا أكفُ كريمـــــــــة

كما زهيـــــت بالخاطبين المنابـر

وعَنّ لنا من جانب السفح رَبربٌ [١]

على سنن تُستن منـــه الجـــاذر [٢]

فجلّى وحلّت عقدة السَيـــر فانتحى

لأولها اذا أمكنته الاواخــــــــــر

يحث جناحيه على حر وجهـــه [٣]

كما فصلت فوق الخدود المَعَاجِر [٤]

وما تم رجع الطرف حتى رأيتهـــا

مصرّعة تهوى اليها الخنـــاجر [٥]

الصنف الثاني من الصقر وهو الكَوْنَج

ويسمى بمصر السَقاوة [٦] ونسبته من الصقر كنسبة الزرق الى البازي الا أنه أحرّ منه ، ولذلك هو أخف منه جناحا ، واقل بخرا ، وهو يصيد الارنب [٧] ، ويعجز عن الغزال لصغره [٨] ، ويصيد اشياء من طير الماء ويدركها، وشدة نفسه اقل من شدة بدنه ، ولأجل ذلك هو أطول في البيوت لبثا واصبر على مقاساة الشقاء من الصقر.

١- الربرب القطيع من بقر الوحش.

٢- الجؤذر : ولد البقر الوحش.

٣- في الاصل حر وجهها وما اثبتناه من ب وهو الصحيح.

٤- اعتجر العمامة : أي لفها ، وفي الديوان المغافر وهو زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة.

٥- الديوان ص ٢١٤.

٦- ذكر في نهاية الارب اسمه في مصر والشام السقاوية ١٠/١٩٨.

٧- ساقطة من ب .

٨- أي لصغر الطائر.

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الشعراء :-

ان لم يكن صقر فعندي كَوْنَجُ
كأنَّ نقش ريشه المـــــدّرج
بُرد من الموشـــــى... او مُدَّبج
وكم به للطير قلب مزعـــــج
وكم قتيل بدم... مُضـــــرج
بمثله عنا الهموم تفــرج [1]

الصنف الثالث من الصقر وهو اليؤيؤ

ويسميه اهل مصر والشام الجَلم لخفة جناحيه وسرعتهما ، وهو طائر صغير قصير الذنب ومزاجه بالاضافة الى الباشق [2] بارد رطب ، لأنه اصبر منه نفساً واثقل حركة ، ويشرب الماء شرباً ضرورياً كما يشربه الباشق الا أنه ابخر ، ومزاجه بالنسبة الى الصقر حار يابس ، ولذلك هو أشجع منه لأنه يتعلق بما يفترسه ، ويصيد ما هو أجلّ منه مثل الدراج والطَيْطَوى [3] . واول ما يضرى على اللقلق /٨٤ظ ، ويقال إنّ اول من صاد به واتخذه للعب بهرام جور وذلك انـــه شاهد [4] [يوما] [5] يؤيوا يطارد قبرة ، ويراوغها ، ويرتفع معها ولم يزايلها الى أن صادها فاتخذه وصاد به .

١- النص في المصايد والمطارد ص ٩٢ ، هناك اختلاف في ترتيب بعض الاشطر ، نهاية الارب ١٩٨/١٠ وهي ساقطة من جـ .
٢- اي قياسا الى الباشق .
٣- سبق التعريف بها .
٤- في ب رأى .
٥- الزيادة من ب .

الوصف والتشبيه :-

قال عبدالله الناشيء :-

ويؤيؤ مُهذبٍ رشيـــــق

كأن عينيـــه لَدى التحقيق (١)

فصان مخروطان من عقيق (٢)

وقال أبو نؤاس :-

قد اغتدى والصبـــح في دِجَاه

كَطرة البرد (٣) على متنـــاه (٤)

بيؤيؤ يعجـــب مـــــن رآه

ما فــي اليآيئي يؤيؤ شـرْاوه (٥)

من سَفْعة طرّبهـــــا (٦) خداه

(ازرق لا تكذبـــــه عيناه) (٧)

فلو يرى القانص ما يـــــراه

فَدّاه بالــــــدم وقـــــد فـــدّاه

من بعد ما تذهب حَمْلاقــــاه

لا يؤسد (٨) المكاء منكبـــــاه

١- التحقيق : الامعان في النظر.

٢- النص في المصايد والمطارد ص ٩٢ ونهاية الارب ١٩٩/١ وهو ساقط من جـ.

٣- كطرد البرد: جانبيه.

٤- في الديوان علاماته.

٥- شراوه : مثله.

٦- طرّبها : شق بها .

٧- الشطر ساقط من ب ، وبعده اختلف ترتيب الاشطر فالصدر عجز وبالعكس.

٨- في الديوان يؤئل أي لا ينجى.

ولا جناحـــــاه (١) يكتنفاه

دون انتزاع السحر (٢) من حشاه

لو أكثر التسبيح مانجـــــاه

هو (٣) الذي خوّلناه اللـــــــه

تبارك الله الذي هـــــداه (٤)

وقال أبو الفرج الببغاء :-

ويُؤيؤ اوحى من القضـــــــاء

مُمتع الصــــــورة والاعضاءِ

ذي سَفعة في خـــــده سوداءِ

مُخبـــرة عـــــن همة بيضاءِ

ومُقلة صفـــــــت من الاقذاء

تَشف عن ياقوتة صفـــــراء

يلعـــــب منها في غدير ماء

بعيدة الطـــرح والانحـــــاء

يخبر في الأرض عن (٥) السماء

ألطفُ في الجـــــو من الهـواء

مباينا بالطبع للمـــكـــــاءِ

تباين العذر من الوفـــــاء (٦)

١- في الديوان ولا جناحان.

٢- السحر : الرئة.

٣- في الديوان ذاك .

٤- النص في الديوان ص ٦٨ وهو ساقط من جـ.

٥- الزيادة من ب .

٦- النص ساقط من جـ ، ولم اعثر عليها في مصدر آخر.

القول في طبائع الشاهين

وهذا النوع ثلاثة اصناف شاهين وأنيقي والقطامي ، فأما الشاهين فقال الاصمعي اسمه بالفارسية شوذانه فعربته العرب على الفاظ شتى سَوذانِق ، وسَودَنِيق ، وسَيْذنوق [١] . ويقول اصحاب الكلام في البيزرة الشاهين من جنس الصقر الا أنه أبرد منه وأيبس ، ومن أجل ذلك تكون حركته من العلو الى السفل شديدة وليس يحلّق في طلب الطير، وصيده طائراً على خط مستقيم [٢] ، [و] [٣] انما يحوم لثقل جناحيه حتى اذا سامت فريسته انقض عليها هاويا من علو/٨٥و فضربها ، وفارقها يطلب الصعود فان سقطت الى الأرض أخذها وان لم تسقط [٤] أعاد ضربها لتسقط ، وذلك دليل على جبنه [٥] وفتور نفسه ، وبرد مزاج قلبه وعلى كل حال فالشاهين أسرعها ، وأخفها ، وأشدها ضراوة على الصيد ، الاّ أنهم أعابوه [٦] بالاباق [٧] ، وربما يعتريه من الحرص حتى أنه [ربما] [٨] ضرب نفسه الأرض فمات ، ويقولون أن عظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ، ولذلك هو يضرب بصدره ، ويعلق بكفه ، وقال بعض حذاق أهل هذا الشأن [٩] ان الشاهين كأسمه يعني الميزان [١٠] لأنه لايحتمل أدنى حال [١١] من الشبع ، ولا أيسر حال من الجوع .

١- راجع المخصص ١٥٠/٨.
٢- يريد انه يطير بخط مستقيم فهو لا يرتفع كثيراً.
٣- الزيادة من جـ.
٤- في جـ والا عاد.
٥- في جـ خبثه.
٦- في ب ، جـ عابوه.
٧- راجع المصايد والمطارد ص ٧٩ ، شفاء الغليل ص ١٦٥والاباق: الهرب.
٨- الزيادة من ب ، جـ.
٩- في جـ الفن.
١٠- راجع المصايد والمطارد ص ٧٩ ، شفاء الغليل ص ١٦٥
١١- في جـ أدنى من حال الشبع.

والمحمود من صفاته :-

أن يكون عظيم الهامة واسع العينين حادهما تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتليء الزور ، عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب القفدة من الظهر قليل الريش لينه تام الخواقي ، رقيق الذنب ، اذا صلب جناحه [١] لم يفضل عنهما شيء منه فاذا كان كذلك فهو يقتل الكركي ولا يفوته صيد كبير ، وزعم أهل الاسكندرية أن السود منها هي المحمودة ، وان السواد أصل لونها ، وانما قلبته البرية فحال [٢] ويكون فيها الملمع .

فصـــــــل :-

ويقال : ان أول من صاد بها قسطنطين ملك عمورية ، حكي أنه خرج يوماً يتصيد بالبزاة حتى إنتهى الى خليج القسطنطينية ، وهو المسمى بحر بُنْطُس [٣] ، فخرج [٤] الى مرج بين الخليج والبحر فسيح [٥] فنظر الى شاهين ينكفىء على طير الماء فأعجبه مـــا رأى مـــن سرعته وضراوته والحاجة على صيده فأمر أن ينصب له حتى صيد ، ثم ريضت له بعد ذلك الشواهين ، وعلمت أن تحوم على رأسه اذا ركب فتضله من الشمس ، فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فاذا ركب وقعت حوله [٥] .

١- في ب ، جـ اذا صلب عليه جناحيه ، وفي ب إذا صلب عليه جناحاه.

٢- أي تحول.

٣- راجع معجم البلدان ١/٤٩٩.

٤- في جـ فعبر.

٥- ساقطة من جـ.

الوصف والتشبيه :-

قال الناشيء :-

هل لك يا قناصُ فـــــي شاهين

شوذانـــــــق مؤدبٍ أمينِ

جاء به السائس من رُزين /٨٥ظ

ضَرَّاهُ بالتحســـــين والتليينِ

حتى لأغنــاه عـــن ... التلقينِ

يكـــــاد للتثقيف والتمرينِ

يعرفُ معنى الوحي بالجفـــونِ

يظل من جناحه المزيـــــنِ

في قرْطَقٍ من خزهِ الثميـــنِ

يشبه فـــــي طرازه المصونِ

بُرد انو شـــروان أو شيرين [1]

مضاعف في النسج ذي غصونِ

(كدرع يزدجرد اوشرون [2]) [3]

أحوى مجاري الدمع والشؤونِ [4]

وافٍ كشطرِ الحاجـــب القرون

مُنعطف مثل انعطافِ النـــونِ

يُبدي اسمـــه معناه للعيون [5]

١- شيرين : محظية كسرى .

٢- في ب والمصايد شروين.

٣- الشطر ساقط من ب .

٤- في ب مكان هذا الشطر في الصدر وعجزه: (ذي منسر مؤلل مسنون).

٥- الأبيات في المصائد ص ٨٠ وهناك اختلاف في ترتيب الأشطر ونهاية الارب ٢٠٢/١٠ وهي ساقطة من جـ.

وقال أبو الفتح كشاجم :-

يـاربَّ اسراب مِـــن الكراكي
مُطعِمة (١) السكون في الحـراكِ

بعيـــدة المنـــال والادراك
كدْرٌ و بيضُ اللونِ كالافنـاكِ (٢)

تقصر عنها اسهم الاتـــراك
ذُعرن قبـــل لَغَطِ المكاك (٣)

وقبل تغريد الحمام البـــاكي
بغَاتِك يربى على الفتـــاكِ

مؤدب الاطـــلاق والامســاك
مُلملم الهامـــة كالمداكِ (٤)

مثـل الكمَي في السلاح الشاكي
ذي منسر ضخم لـــه شكاكِ

ومخلب بحده...فتــاك (٥)
للمجيب عن قلوبهـــا هتّاكِ

حتى اذا قلت لـــه درَاك
وحلّقت تسمـــو الى الافلاكِ

ممتدة الاعنـــاق والادراك
موقنـــة بعاجـلِ الهلاك

غادرها يهوي على الدِكـاك (٦)
أسرى بكفيه بـــلا فكاكِ

١- في ب ، جـ مطمعة .
٢- الفنك : نوع من حيوان الفراء.
٣- المكاكي : طائر من القنابر.
٤- المداك : حجر يسحق به الطين.
٥- في ب والديوان بتّاك.
٦- الدكة : ما استوى من الرمل.

يا غدوات الصيدِ ما أحـــــلاك
ومُنَّة الشاهـــين ما اقـــــــواكِ
لم تكذبي فراسةَ الافــــــلاكِ
اياك اعني ما دحـــا ايــــاكِ [1]

الصنف الثاني من الشاهين

وهو الانيقي ويسميه أهل العراق الكرّك ، وهذا الصنف دون الشاهين من القوة الا أن فيه سرعة تزيد على صيد العصافير ، قال بعض الشعراء يصفه بذلك[2] :-

غَنَيْتُ عن الجوارح بالانيقي [3]
بمثل الريحِ او لمــعِ البُــــــروقِ
أُصب به العصـــــــفور حتفاً
فأرميه بصخـــــــرة منجنيقِ [4]
تضمن اضياف كـــــــرام
ويحمل ما ينوب عن الحقوقِ /٨٦و
ويوسع رحالنا بمُطجَنـــــات
نرويها مـــن الراح العتيـــــقِ

الصنف الثالث من الشاهين

وهو القطامي ويسميه أهل العراق البهرجة[و] [5] ذكر العلماء بالصيد [6] أنه في طبع الشاهين ، والعرب تخالف ذلك وتسمي بعض الصقور القطامي والمُعْنون بالكلام في الجوارح يخالفوهم فيما ادعوه ، هذا قول كشاجم في كتاب

١- الديوان ص ٣٧٩ وهي ساقطة من جـ.
٢- ساقطة من جـ .
٣- في جـ بالانيق.
٤- الابيات في المصايد والمطارد ص ٨٢ ، نهاية الارب ٢٠٣/١٠.
٥- الزيادة يقتضيها السياق.
٦- في جـ وذكر أهل الصيد.

المصايد والمطارد [1] ، ولم أجد لأحد [2] من الشعراء [في] [3] وصفه شيئاً.

ويلحق بما ذكرنا من الجوارح ما ناسبها في الافتراس وأكل اللحم الحي وهو الصُرد [4] ويسمى الشَقْراق ، والاخْطَب ، والأخْيَل [5] ، (وذكر ابن قتيبة ان من اسمائه الواق) [6] ، وبعضهم يسميه باز [7] العصافير ، (وهو طائر مُولّع بسواد وبياض ضخم المنقار) [8] ، وفي طبعه شره وشراسة ، وسرقة لفراخ غيره ، ونفور من الناس ، يصيد الحيات ويغتذي باللحم ويأوي الأشجار ذوات الشوك ، وفي رؤوس القلاع ، حذراً [9] على نفسه ممن يصيده [10] وله من الحيل في صيد ما دونه من الطير كالعصفور ، والصَعْو [11] ، وغير ذلك من تغير صوته وحكاية كل صوت لذي جثة صغيرة ، فيدعوها ما تسمع منه الى التقرب ظنا منها انه [12] من جنسها ، فاذا اجتمعن اليه شد على بعضهن فأخذه وأكله ، له نقر شديد واذا نقر شيئاً أكله من ساعته.

١- راجع المصايد والمطارد ص ٨٣ .

٢- في الاصل احدا.

٣- الزيادة من ب ، جـ.

٤- طائر اعظم من العصفور، ابقع ضخم الرأس اسمه العلمي Lanius .

٥- راجع المخصص ١٥١/٨.

٦- راجع أدب الكاتب ابن قتيبة ص ١٦٣ .

٧- في الاصل باير.

٨- ساقطة من ب ، جـ.

٩- في الاصل جديدا وما اثبتناه من ب ، جـ.

١٠- في ب ممن يتصيده.

١١- طائر من صغار العصافير.

١٢- في الأصل انها.

والوصف والتشبيه :-

قال الناشيء يصفه ، ويصف صيده :-

لا شيء أحســـــن باقتناص مــن مرّد

يلهيك فـــي طَرَد منهـــــا عــن الطَرَدِ

مثل السُّماني[1] اذا ما ظل منتحبا [2]

لقتله طاويا منـــــه على حَمَـــــــــــدِ

ذي منسر كنواة القَسْب منعـــــوج [3]

عن مثـــــل سُم المعـــــي للطعم مُزدردِ

وهامة فخمة سَكـــــاء [4] مُدبجـــــــة

تبدو كطبخانـــــة أوفت على جـــــــردِ

اظفر كمسلاة .... معطفـــــــــــــة

اشد من لدغ حر النار في الجسدِ /٨٦ظ

عليه مــن برده وشي لــــــه كفف [5]

مثل الجوق [6] التي شدت مـــــن الزَرِدِ

مثل الدوابـــر [7] من تَرجيع واشمـــة

او كالسهاد يُرى في اجفـــان ذي سُهدِ

او كالكتــــــاب الذي أنضاه كاتبـــه

ونَاط منعرجا منــــــــــه بمطـــرد

١- السماني ، بوزن الحباري ، من الفصيلة الدجاجية ، ويطلق على عدة طيور من القواطع ذات المنقار الحاد.

٢- في الاصل منخنقا وما اثبتناه من ب.

٣- في ب متعرج.

٤- السك : الصم او انعدام الاذن.

٥- في جميع النسخ كخف والصحيح كفف ، وهو دارات تكون في الوشم.

٦- الجوق : ما استدار من الرجل.

٧- طائر من صغار العصافير.

اذا تَقنّص عصفـــــــورا فأورده

حوض المنية عـــــن أيدٍ وعــن جَلَدِ

رأيت مثلين ذا بالقهر يغلـــــب ذا

مُحكّما فيه حكم الليـــــث فـي النفدِ

فيستدل بما ابداه من عجـــــب

على مقــادير صنع الواحدِ الاحــدِ (١)

فصـــــل :ـ

وأما كلاب الطير وهي وان كانت سباعاً (٢) ، لكنها ليست انفسها كراما لاكلها الجيف ، وهي النسر والرخمة ، والحدأة ، والغراب ، ومجموعها عند ابن ابي الاشعث ناري أرضي ومزاجه حار بحسب زيادة كمية النار فيه على كمية الأرض ، وهو من اليبوسة في الغاية [القصوى] (٣) ، يأوي الجبال والاجراف ، وما كان من الأرض شامخا ، ويأكل (٤) اللحم ، والجيف ، ولا يفترس ، ولنجعل ما نبدأ بذكر من هذا النوع النسر .(٥)

القول في طبائع النسر

وهو ذو مِنْسر ، وليس بذي مخلب ، وانما له أظفار حِداد كالمخالب لان المخلب ما قنص به صاحبه ، كقبض الصقر والبازي ، وهو يسفد كما يسفد الديك، وزعم الفاحصون عن أخلاق الحيوان (٦) وطبائعها : ان الانثى من هذا الصنف

١- في ب الصمد ، الأبيات ساقطة من جـ.

٢- في الاصل شباها وما اثبتناه من ب ، جـ.

٣- الزيادة من جـ.

٤- في الاصل الاحزان وما اثبتناه عن ب ، جـ.

٥- في الاصل اكل وما اثبتناه من ب ، جـ.

٦- رأي ابن ابي الاشعث ملخص من كتابه الحيوان ص ٤٧٩ .

تبيض من نظر الذكر [1] اليها فتجري حركة الشهوة للسفاد منها مجرى السفاد[2] فتلتذ بذلك [3] وهي لاتحضن ، وانما تبيض في الأماكن العالية الصاحبة للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن ، وينسب النسر الى قلة المعرفة والكيس والفطنة ، ويوصف بحدة البصر حتى انه يرى الجيفة عن أربعمائة فرسخ ، وكذلك حاسة الشم الا أنه اذا شم الطيب مات لوقته ، وهو أشد الطير طيرانا ، وأقواها جناحاً ، حتى أنه يطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد وهو اذا وقع على جيفة (وعليها عقبان تأخرت بأسرها /٨٧و ولم تأكل ما دام يأكل منها ، وتخافه كل الجوارح ، ولا يقوم له شيء منها وهو شره ، نهم ، رَغيب فاذا سقط على الجيفة) [4] وتملّى منها لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات يرفع بها طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل تحت الريح ، وكل من اصابه بعد امتلائه ضربه ان شاء بعصى ، وان شاء بغيرها حتى ربما صاده الضعيف من الناس ، وفي طبعه ان الانثى تخاف على بيضها ، وفراخها من الخفاش فتفترش في وكرها ورق الدلب[5] لينفر منه ، وهو أشد الطير حزنا اذا فقد الانثى واذا فقدت الانثى الذكر امتنعت عن الطعم والحركة اياما ، ولزمت الوكر ، وربما قتلها الحزن عليها ، وهو أطول الطير عمراً ، حتى يقال أنه يعمر الف سنة ، ولم أجد لأحد من الشعراء وصفا فيه فاثبته ، لأنه لا يملك ، وان وقع من ذلك شيء فانما يقع في وصف الجيوش ، لأن من عاداتها ان تتبعها طمعا في مصارع القتلى.

القول في طبائع الرخم [6]

ويسميه العرب الأَنُوق [7] ، ويقال انه اسم للذكر ، وهو يشارك العقاب ، والنسر في ارتفاعه حين الطيران ، وصفته أنه طائر ضخم ابيض ، وربما خالط

١- في جـ الديك.
٢- في ب فتجري فيها حركة الشهوة للسفاد مجرى.
٣- هذه خرافة، كما انه سبق وان قال ان النسر كما يسفد الديك.
٤- ساقطة من ب.
٥- نبات عريض الورق شبيه بورق الكرم.
٦- من الطيور الجوارح الكبيرة النهارية الوحشية. Neophron Percon Pterus.
٧- راجع اللسان مادة انق .

لونه لون الانغماس [١] ، وهو النقط الصغار ، وهو زهم سهل يأكل الجيف ، ولا يصطاد ، وفي طبعه أنه لا يرضى من الجبال الا بالوحشي منها [٢] ، ومن الأماكن الا بأسحقها وابعدها عن مواضع اعدائه ، ثم من هذه الجبال في رؤوس هضابها، ثم من الهضاب في صُدوع صخورها ، ولذلك تضرب العرب المثل بامتناع بيضها فيقولون : اعز من بيض الانوق [٣] ، ويقال ان الانثى منه لا تمكن من نفسها غير ذكرها ، وانها لا تبيض من سفاد بل بالمذاقة [٤] ، كما يقال في الغربان ، وهي تبيض بيضة واحدة وربما أتأمت في النادر ، ومن عاداتها انها تحضن [٥] بيضها وتحمي فرخها ، وتحبه ، وتقول العرب في اكاذيبها ، قيل للرخمة :- ما أحمقك ؟ قالت وما حمقي ؟ وانا اقطع في أول القواطع [٦] ، وأرجع في أول الرواجع ، ولا أطير في التَحْسير [٧] ولا اغتر بالشَكير [٨] /٨٧ظ ولا اسقط على الحقير [٩] ، (ولم اجد لأحد من الشعراء في وصفها شيئا اذ الحال فيها كالحال في النسر) [١٠].

القول في طبائع الحدأة

والحدأة تبيض بيضتين ، وربما باضت ثلاثا ، وخرج منها ثلاثة افراخ وهي تحضن عشرين [١١] يوما ، ومن الوانها السود [١٢] والرُبد ، وقال [١٣] اصحاب

١- هكذا ورد في جميع النسخ ، وفي المخصص ، وربما خالط لونها الاختماس يعني النقط الصغار ، المخصص٨/١٦١.
٢- في الاصل منه وما اثبتناه هو الصحيح.
٣- مجمع الامثال ٢/٤٤.
٤- هذه من الخرافات.
٥- في الاصل تحمي وما اثبتناه من ب ، جـ.
٦- الطيور القواطع : وهي الطيور المهاجرة.
٧- التحسير : سقوط شعر الطائر.
٨- الشكير : اول ما ينبت الريش.
٩- راجع الحيوان ٣/٥١٩، مجمع الامثال ٢/٢٠٦.
١٠- ساقطة من جـ.
١١- في جـ عشرون وه خطأ .
١٢- في جـ السواد.
١٣- في جـ يقول.

الكلام في طبائع الحيوان الحدأة لا تصيد ، وانما تخطف ، وفي طبعها أنها تقف في الطيران وليس ذلك لغيرها من الكواسر وذكر [١] ابن وحشية [٢] : ان العقاب والحدأة يتبدّلان فيصير العقاب حدأة ، والحدأة عقابا ، ويقال : ان الحدأة أحسن الطير مُجاوَرة لما جاورها من الطير ، ولو ماتت جوعا ، ولا تعدو على فرخ ما جاورها ويزعم [٣] نَقَلَةُ الاخبار وحَمَلَةُ الاثار ان الحدأة من جوارح سليمان عليه السلام ، وانما امتنعت ان تملك أو تألف لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، ولو كانت الحدأة مما يصاد بها لما كان في الكواسر أحسن صيدا منها ، ولا أجلّ ثمنا ، وفي طبعها انها لا تخطف الا من يمنة من تخطف منه دون شماله ، حتى أن بعض الناس يقول عسري فلذلك لا يمكنها أن تأخذ من يسار انسان شيئاً ، وليس فيها لحم ، وانما هي عظام ، وعصب ، وجلد ، وريش.

القول في طبائع الغراب

وأصناف : الغداف ، والزاغ الاكحل ، والزاغ الأورق ، وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعه ، حتى هو في ذلك أعجب من الببغاء ، والغراب الابقع المورد ، والغراب الابقع الاغبر ، ورأيت غرابا ابيضَ أهداه متولي الاسكندرية الى السلطان الملك الظاهر [٤] صاحب مصر (رحمه الله) [٥] ، وقد حكي ان الغربان والعصافير والخطاف يكون في البلاد الشديدة البرد كذلك ، وكذلك اوبار ذوات الأربع وشعورها [تكون في تلك البلاد بيضا] [٦] وشعور الناس فيها ضاربة [٧]

١- في ب ، جـ ويزعم.

٢- أحمد بن علي بن قيس عالم بالنبات والسموم ٢٩٦ هـ راجع الفهرست ص ٣٧٢.

٣- في ب وزعم.

٤- الظاهر بيبرس العلائي له وقائع شديدة مع التتار والصليبيين (ت ٦٧٦ هـ) راجع فوات الوفيات ٨٥/١ ، النجوم الزاهرة ٩٤/٧.

٥- ساقطة من ب ، جـ.

٦- الزيادة من ب ، جـ.

٧- في ب مائلة.

الى البياض حتى الحواجب والأهداب ، وسائر [أنواع الغراب] [١] من ذوات المناقر لا من ذوات المناسر/٨٨و وهي من الطير القواطع في الشتاء ، الرواجع في الصيف ، وانما سميت قواطع لأنها تقطع الى الأماكن في وقت دون وقت ، وفصل دون فصل والطير التي تقيم بأرض شتاء وصيفا فهي الاوابد ، والغراب ليس بهيمة لمكان اكله الجيف ، وليس بسبع لعجره عن الصيد وفي طبعه عند السفاد ، (وهو يسفد مواجهة ، ولا يعاود الانثى اذا سفدها ابداً لقلة وفائه) [٢] ، والانثى تبيض اربع بيضات او [٣] خمسا ، واذا خرجت الفراخ من البيض وقويت أجنحتها طردتها ، والفرخ يخرج من البيضة قبيحاً جدا يكون حينئذ صغير الجرم عظيم[٤] الرأس والمنقار أجرد الجلد [٥] أسوده ، متفاوت ، فأبواه ينكرانه لذلك ويتركانه فيجعل اللّه قوته من الذباب والبعوض اللذين يكونان في عشه الى أن ينبت ويقوى ريشه فيعود اليه أبواه ، ويربيانه ، وعلى الأنثى الحضن ، وعلى الذكر أن يأتيها بالطعام ، وفي طبعه، أنه لا يتعاطى الصيد ، بل أن اصاب جيفة نال منها ، والا مات هزالاً أو يتقسم كما يتقسم بهائم الطير ، وضعافها ، والغراب الأسود يكون مثله في الزنوج فانهم شداد البأس وأردى الخلق تركيبا ومزاجاً ، كمن بردت بلاده فلم تنضجه الأرحام ، أو سخنت بلاده فأحرقته الأرحام ، والابقع يكون اختلاف تركيبه دليلاً على فساد مزاجه ، وهو الأم [٦] من الاسود وأضعف ، وفي الغراب حذر شديد وتناصر ، والغداف يقاتل البوم ، ويخطف بيضها في أنصاف النهار ويأكله لأنها حينئذ لا تبصر شيئا فاذا كان الليل شدت البوم على بيض الغداف [٧] فأكلته لأنها أقوى منه حينئذ ومن عجيب ما اودع في الغراب من الالهام ان الانسان اذا رام أن يأخذ افراخه حملت الانثى [٨] والذكر بأرجلهما

١- في الاصل ، جـ سائر ، والزيادة من ب .
٢- ساقطة من ب .
٣- في ب وخمسا.
٤- في ب كبير.
٥- في ب اللون .
٦- اي اكثر لؤما.
٧- في الاصل الغراب ، وما اثبتناه هو الصحيح من ب ، جـ.
٨- في الاصل حملت الذكر وما اثبتناه هو الصحيح من ب ، جـ.

حجارة ، وحلقا في الجو ، وطرحا الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه ، والعرب تتشاءم بالغراب ، ولهذا اشتقوا من اسمه الغربة /٨٨ظ والاغتراب والغريب ، ويرون أن صياحه اكثر اخبارا ، وان الزجر أعم فيه.

قال عنترة يصفه بذلك :-

ظَعَنَ الذين فِراقهم أتوقـــــعُ
وجـــــرى بينهمُ الغُرابُ الابقـــــعُ
حَرق [١] الجَناحِ لَحْيمي رأسه
جَلمان [٢] بالاخبارِ هش مُولعُ [٣]

ولما كان صافي العين حادها سموه مخافة الزجر والطّرة [٤] ، الاعور ، كما كنوا الاعمى بالبصير والغراب من الطير القواطع يأتي من حيث لا يبلغ حمام ، وذلك أن الثلج اذا طبق البلاد التي قطعت اليها خرجت منها نحو الصحارى ، والجبال ، والجزائر ، حتى تعود الى أماكنها من غير تدريب ولا تعليم ، فتقيم في الدفيء مدة ، ثم تعرف وقت انحسار الثلوج عن تلك البلاد فترجع فلا تغادر مساكنها الاولى[٥] التي كانت فيها وليس ذلك خفي عن أحد ، ويزهو الغراب ، وصحة بدنه ، وصفاء مقلته ، وحدة بصره يضرب المثل.

١- حرق الجناح : يتناثر ويتساقط.
٢- الجلم : شفرة المقص.
٣- الديوان ص ٢٦٢.
٤- الطيرة : التشاؤم.
٥- في ب ، جـ ممساقطها.

الوصف والتشبيه :-

وقد اولع الناس بذكر الغراب في أشعارهم ، وذموه بالتطير ، وادعوا أن نعيبه سبب البلى[1] والتغيير ، وأظرف ما قيل في ذلك قول الطرماح بن حكيم[2]:-

وجَرى بينهم غَدَاةَ تَحمّلوا
شَنَجُ النِسا أدمى الجَناح كأنه
من ذي الاثاربِ [3] شاحجٌ يتعبدُ
في الدارِ اثر الضاغين مُقيدُ [4]

وقال يوسف بن هارون الرمادي [5] الاندلسي :-

ايا حاتما ما انت حاتمُ طيء
وما أنت الا حاتمُ الحدثان
كأنهم من سرعة البين اودعوا
جناحيك واستحثثت للطيران [6]

ومن رسالة لبديع الزمان يذم فيها رجلاً:- ما اعرف لعمار [7] مثلا الا الغراب الابقع مذموما على أي جني وقع ، ان طار فقسم الضمير ، وان وقع فروعة النذير وان /٨٩و حجل فمشية الاسير وان شجح فصوت الحمير ، وان اكل فدبر البعير ، وان سرق فعلة الفقير [8] .

١- في الأصل البكى وما اثبتناه عن ب.
٢- الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيء شاعر هجاء عاصر الكميت الأسدي (ت ١٢٥هـ) الشعر والشعراء ٥٨٥/٢ ، الاغاني ٣٥/١٢.
٣- في الديوان الابارق ، والاثارب قلعة بين حلب وانطاكية ، معجم البلدان ١١٤/١ .
٤- الديوان ص ١٢٩ وهي ساقطة من جـ.
٥- ساقطة من ب وفي الأصل الزنادي وكذلك في نهاية الارب وما اثبتناه هو الصحيح اعتمادا على المصادر.
٦- يوسف ين هارون الرمادي ، شاعر اندلسي (ت ٣-٤هـ) وهو منسوب الى رمادة موضع في المغرب ، راجع جنوة المقتبس ص ٣٤٦ ، المصرب في اشعار أهل المغرب لابن وجيه ط ١٩٥٤ ص ٣-٤.
٧- الابيات في نهاية الارب ٢١٣/١٠٠ وهي ساقطة من جـ.
٨- في الاصل لعمان.

وقال أحمد بن فرج الجبائي :-

أمـــا الغُراب فمؤذنٌ بتغربٍ
وشكا فصدّق بالنـــوى او كذب

داجي القناعِ كأن في إظلامه
إظلام يـــوم تفـــرقٍ وتغرب [1]

ومقنّا الاطراف تحسب انهـــا
بدمائنا خضبت وان لم تخضب

ويحَ الهوى ملأ القلوب مخافة
حتى باغربةِ الفلاة ينعـــــب

فصـــــــل [2] :-

ذهب ابن أبي الأشعث : الى ان في الطير جوارح تسمى جوارح الماء وقال في مزاجها أنه ناري مائي [3] ، ولذلك هي تطير [4] في الجو فوق البخار ، ومرعاه الماء ، وما يتصيد منه ثم قال : وهذا النوع مزاجه معتدل في الحرارة والرطوبة على تساو في الكيفية ، (وزيادة في الماء بالكمية) [5] وزيادته في الرطوبة بحسب الكمية لا بحسب الكيفية، (وزيادة في الماء بالكمية) وزيادته في الرطوبة بحسب الكيفية ، ومن أشخاصه [6] ، زمّج الماء الذي يسمى [7] بمصر ، النورس[8] وهو يعلو في الجو ويزج نفسه على سطح الماء فيختلس منه السمكة بكفيه ، ولا يقع على الجيف ، ولا يتغذى بغير السمك ، ومن اشخاصه القرلي وهو طائر ابلق ببياض وسواد هفاف ، يتعلق غالباً فيزج نفسه فيختلس السمك بمنقار له طويل وهو غير محب للانس ، ولهذا لايفارق شطوط الأنهار ، ومعاشه من البق

١- البيتان في نهاية الارب ٢١٣/١٠.

٢- مادة هذا الفصل ملخصة عن كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث : ٤٧٨.

٣- في الاصل ، ب مائي ناري وما أثبتناه هو الصحيح عن جـ والحيوان لابن ابي الاشعث .

٤- في الاصل متى.

٥- هذه العبارة في الاصل مكررة.

٦- أي من امثلته.

٧- في جـ يسمونه.

٨- النورس طائر مائي من فصيلة النوارس متوسط الحجم يأكل الاسماك والجيف Larus .

والذبان ، ولا يزال مرفوعاً في البخار حتى يرى شيئاً من معاشه فيتدلى لأخذه ، ولم ير قط طائراً ولا واقفاً بل محدم ، وجناحاه في خلفهما لا يعرفان السكون أبدا بل يخفقان دائماً وبه يضرب المثل في الهلع من الشر والطمع في الخير فيقال : فلان كالقرلي ان رأى خيراً تدلى وان رأى شراً تعلّى ، ومن اشخاصه طائر يسمى السياف وهو شاهمرج صغير يختلس السمك (من سطح الماء) [1] ، والشاهات /٨٩ظ ، فيها دجليه [2] صغار و بحرية كبار ، ومنها الكافورية الزرق ، والصقرية الشهب ، وهي كلها تركب سطح الماء وتأخذ ما تفترسه منه وتبلعه بلعا ، وهي اذا نقلت الى المنازل افترست الهوام البرية ، وكل طائر امكنها بلعه.

الوصف والتشبيه :-

قال بعضهم من قصيدة يرثي بها شاهمرجا :-

ملك الطير لـــــه
فيها سنـــاء وافتخار
خلصت منهـــا له
اعراق صـــدق وبحار
كأن فـــي صورته
لون بياض واحمـــرار
كأن في الهامـــة يلمم
وفي الرحـــل انتشار
مكنس ما تـــوق ساق
شمـــر عنـــه الازرار [3]

١- ساقطة من جـ.

٢- في الاصل رحليه والدجليه نسبة الى نهر دجلة.

٣- النص ساقط من جـ.

الباب السادس

في ذكر بغاث خشاش[1] الطير [وطبائعها][2]

١- الخشاش : الشرار من كل شيء.
٢- الزيادة من ب ، جـ.

وأهم ما نجعل ابتدأنا بذكره الطير المترنم الذي يصدع القلوب بتغريده ويثير اشواقها بتغريده ، ويجدد رغبات المحبين في الأحباب بهديله ، ويصرف خواطرهم عن أن تشتغل عمن الفته وعديله وهو :-

- الحمـــــــام -

والعرب لا تطلق هذا الاســـم على الذي اصطلح الناس على تسميته بالحمام [التي] (١) وهي الدواجن في البيوت ، والبروج (٢) فانهم يسمون هذا النوع يماما والحمام عندهم كلما كان له (٣) طوق (٤) ، وقال الجاحظ : كل طائر يعرف بالزواج وحسن الصوت ، والهديل ، والدعاء ، والترجيع ، فهو حمام ، وان خالف بعضه بعضا في الصورة(٥) واللون والهديل(٦) ، فالقمري حمام ، والدُبسي حمام والفواخت حمام ، والورشان حمام ، والشّفنين حمام ، وكلها تبيض بيضتين ، فان باضت حينا ما ثلاث بيضات فسدت واحدة ، او اثنتان، وصحت واحدة ، وذكر بعضهم : ان الفواخت والشفانين تسفد وتبيض، ولها ثلاثة أشهر ، وتحمل أربعة عشر يوما(٧) ، [وتجلس على البيض أربعة عشر يوما ، وتصير لها أجنحة ، وتطير بعد أربعة عشر يوما] .(٨)

١- الزيـــادة مـــن ب ، جـ.
٢- فــــي جـ الابــــراج.
٣- فــــي ب كـــان ذا طوق.
٤- التهـــــــذيب ١٧/٤.
٥- راجع الحيوان ١٤٤/٣.
٦- راجع الحيوان ١٤٦/٣.
٧- الحيـــــوان ١٤٤/٣.
٨- الزيـــادة من ب ، جـ .

فأما القمري :-

فسمي لبياضه ، وحكاية صوته كما يضحك الانسان[1] ، والعرب تسمي ذكره ساق حر[2] لصياحه وحكاية [صوته] [3] ، ومن طبعه أنه شديد المودة والرحمة أما مودته ، فانه يعرج على فنن/٩٠و من افنان شجرة على كلها اعشاش لابناء جنسه يصايحها كل ، ولا يعتزل اعتزال الغراب ، وأما رحمته ، فانه يربي ولده ويعف عن انثاه مادام ولده صغيرا ، وهو يطاعم انثاه وتطاعمه ، ويظهر منه عليها وَلَّه ، وفيه من المروءة انه متى تزوج لا يبتغي بانثاه بديلاً ، وله اعتناء بنفسه واعجاب بها ، ومن عادته أنه يعمل عشه في طرف فنن دائم الاهتزاز احترازاً على فرخه بسعي اليه شيء من الحيوان الماشي فيقتله.

الوصف والتشبيه :-

قال أبو الفتح كشاجم يصفه من أبيات رثاه بها اولها:-

ومطوق من حسن صَنعةِ ربهِ

طوقين خلقهمـــا مـــن النّـــوار

لهفي على القمري لهفا دائما

يكوي الحشا بجوى كلذع النار [4]

لون الغمامة لونــه ومنــاسب

في خلقــه الاقلام بالمنقـــــار[5]

١- أي انه حينما يصوّت يشبه ضحك الانسان.

٢- راجع الحيوان ٣/٢٤٣.

٣- الزيادة من ب ، جـ.

٤-الزيادة من ب .

٥- في الديوان : لون القمامة والقمامة لونه ويناسب الاقلام بالمنقار

أما الدبسي :-

سمي بذلك للونه لأن الدبيسه حمرة بسواد [١] ، وهو اصناف (مصري وحجازي ، عراقي) [٢] ، وكلها متقارب[٣] ، لكن افخرها المصري ، ولونه الدكنة ، وفي طبع هذا الحيوان ساقطاً على وجه الأرض ، بل في الشتاء له مشتى ، وفي الصيف له مصيف ، ولا يعرف له وكر[٤].

وأما الورشان :-

فأصناف منها النّوبيّ وهو ورشان أسود حجازي ، الا أنه أشجى من الورشان صوتا ، ومزاجه بارد رطب بالنسبة الى الحجازيات ، وصوته بين اصواتها كصوت اليم على وجه العود ، والورشان المعروف ابرد وارطب منه [لذلك يعروه الصرع][٥] ، ويوصف بالحِنّة [٦] على اولاده حتى انه ربما قتل نفسه اذا رآها في يد القناص[٧].

الوصف والتشبيه :-

قال أبو بكر الصنوبري:-

أنا في نُزهتين من بُستاني

حيــــن أخلــو بـــه من وَرشانِ

١-راجع الديوان ص ٢٢٧-٢٢٨ ، وهي ساقطة من جـ.
٢- في ب ، جـ. المصري ، والحجازي ، والعراقي.
٣- في جـ متقارب.
٤- في الاصل ذكر وما اثبتناه عن ب ، جـ.
٥- الزيادة من ب ، جـ.
٦- في ب ، جـ بالحنو.
٧- في ب ، جـ الصياد.

طـــــائرٌ قلب من يغنيه اولى

منـــه عند الغناء بالطيـــــرانِ

مُسمع يودع السامعَ مـــاشا

عت ومـا لــم تَشأ مــن الالحـانِ

في رداء مــن سوسن وقميص

وَردته (١) عليه تُشرِ ببيانِ /٩٠ظ

قد تفشّى لون السماء قِراه (٢)

وترا ءى فـــي جيده الفرقدانِ (٣)

وأما الفواخت :-

فهي عراقية وليست بحجازية ، وفيها فصاحة وحسن صوت ، وصوتها في الحجازيات ، يشبه [صوت] (٤) المثلث ، وفي طبعها (٥) ، انها تـألف (٦) بالناس ، وتعشش (٧) في الدور ، والعرب تضرب بها المثل (٨) ، فان حكاية صوتها عندهم ، هذا اوان الرطب ، تقول ذلك، والنخل لم يطلع ، قال الشاعر :-

اكذب مـــــــــن فاختةٍ

تقول وسط الكـــــــــــرب

والطلعُ لــــــــم يبدُ لهـــا

هـذا أوان الرطـــــــــب (٩)

١- في الاصل زررته وما اثبتناه هو الصحيح عن ب .
٢- القرى : ضوء الشمس.
٣- الديوان ص ٤٩٨ وهي ساقطة من جـ.
٤- الزيادة من جـ.
٥- في الاصل صياحها وما اثبتناه هو الصحيح من ب ، جـ.
٦- في ب ، جـ تأنس .
٧- في الاصل تعيش وما اثبتناه هو الصحيح من ب ، جـ.
٨- في ب ، جـ تضرب المثل بها .
٩- مجمع الأمثال ١٦٧/٢ ، جمهرة الامثال ١٧٣/٢.

وهذا الحيوان يعمر ، وقد ظهر منه ما عاش خمسا وعشرين سنة ، وما عاش أربعين سنة على ما حكاه ارسطوطاليس (١) .

الوصف والتشبيه :-

مَـــررتُ بمِطرابِ الغـــداةِ كأنهـــا

تُعل مع الاشراق راحـــاً مفلفلا

مُنمـــرةٍ كَدراء تَحسِـــب انهـــا

تُجلل من جلِد السحابِ(٢) مفصلا

تُريك على البين طوقـــاً ممسكـــا

وطَرفا كمـــا ترنو الغزالة أكحلا

لها ذنبٌ وافي الجوانـــبِ مثل مـــا

تجرد (٣) طلعـــا او تُجرد منصلا

اذا حلقت في الجو خِلتَ صياحـها (٤)

برد صغيـــر او يحرك جلجلا (٥)

وأما الشّفنين :-

وهو الذي تسميه العامة يماما، وصوته في المترنم كصوت الرباب في الأوتـــار ، صوتا محزوناً جدا ، وهي متى اختلطت مع أصواتها حسنت ، وأما

١- في الأصل جـ ارسطو ، راجع طباع الحيوان ص٣٩٠.
٢- في ب السحابة.
٣- في ب والديوان تقشّر.
٤- في ب والديوان جناحها.
٥- الابيات في ديوان المعاني ١٣٨/٢ وهي ساقطة من جـ.

مفردا فلا لان الزمر[1] مستحسن مع الغناء ، وغير مستحسن وحده ، وفي طبعه أنه متى فقد انثاه لم يزل اعزبا يأوي الى بعض فراخه الى أن [2] يموت ، وكذلك الانثى اذا فقدت الذكر ، وفي تركيبه انه اذا سمن سقط ريشه ، وامتنع عن السفاد ، فهو لذلك لا يشبع نفسه ، وهو طائر ساكن جدا ويؤثر العزلة ، والنفور عن مواضع [3] الجماعات ، ولا يكثر الافراخ/٩١و وانما له بطن أو بطنان في العام ، ولا يرى الا في الصيف ، وهو في الشتاء ينجحر [4] في اعمال ، فلا [5] يظهر ، ومنه صنف يرى في الخريف خاصة ، وقد أُلهم الشفنين أنه يحترس من اعدائه بالسوسن يتخذه في وكره.

واليعتبط [6] :-

ويسمى بصوته ، وهو شريف في طيور الحجاز ، وحاله حال القمري مثلا بمثل الا أنه يختص بأشياء منها انه احر مزاجا منه ، واعلى صوتا ، وكأن القمري جمع حسنا وغناء واليعتبط بقي على [حاله] [7] وعلى الخلقة المعهودة من الرجال.

الوصف والتشبيه :-

قال (ابو الفتح) [8] :-

١- في جـ الزير.
٢- في جـ حتى يموت.
٣- في جـ موضع .
٤- في ب منجكر.
٥- في جـ ولا .
٦- في جميع النسخ التعتبط..
٧- الزيادة من ب ، جـ .
٨- ساقطة من ب ، جـ .

وناطقٍ لم يخشَ في النطق غَلَط

ما قال شيئاً قط الا يَغْتَبط (١)

وانما أوردت هذين البيتين ليعرف منهما اسم هذا الطائر فقط لئلا يصحف.

والنـــــوّاح :-

وهو طائر كالقمري، وحاله حاله (٢) الا أنه أحرّ منه مزاجاً، وارطب ، وادمث واشرف (٣) ويكون للأطيار الدمثة ملكا ، وهو [بصوته] (٤) يهيجها الى التصويت ، لأنه اشجاها صوتا ، وانعمها ، وجميعها تهوى استماع صوته وتؤثره ، وكأنه مخنث طيب الغناء يسره استماع غناء نفسه.

والقطـــــا :-

وهو نوعان (٥) كدري ، وجوني ، فالكدر غبر الالوان رقش الظهور والبطون، صفر الحلوق ، قصار الاذناب ، وهو الطف من الجوني.

والجونية سود بطون الاجنحة والقوادم ، ولبابها ابيض ، وفيه طوقان اصفر وأسود ، والظهر اغبر ارقط تعلوه صفرة ، وتسمى الجونية غتما (٦) ، لأنها لا

١- البيت في نهاية الارب ٢٦١/١٠ وهو غير موجود في الديوان.

٢- اي مثل حال القمري.

٣- في ب ، جـ اترف.

٤- الزيادة من ب .

٥- ذكر المعجم الزولوجي ان القطا على أربعة انواع هي الكدري، والحر، والقطا المطوق ، والصياح، ١٨٧/٥.

٦- الغتم : العجمة في النطق.

تفصح بصوتها ، اذا صوتت ، انما تغرغر بصوتها [1] في حلقها ، والكدرية فصيحة ، تنادي باسمها، ولهذا [2] يضرب المثل بها في الصدق ، قالوا: والقطاة لا تضع بيضها ابدا الا أفرادا، (وهي ثلاثة)[3] ، وفي طبعها انها اذا ارادت الماء ارتفعت من افاحيصها[4] اسرابا لا متفرقة عند طلوع الفجر الى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل فحينئذ تقع على الماء ، وتشرب نهلا ، والنهل/٩١ظ شرب الابلِ والغنم اول مرة ، فاذا شربت اقامت حول الماء متشاغلة الى مقدر ساعتين او ثلاث ، ثم تعود الى الماء ثانية ، وتوصف بالهداية ، والعرب تضرب المثل بها في ذلك ، وذلك انها تبيض في القفر ، وتستقي لاولادهامن البعد في الليل والنهار ، فتجيء في الظلماء ، وفي حواصلها الماء ، فاذا صارت حيال أولادها صاحت «قطا» فلم تخطء بلا علم ، ولا شجرة ، ولا علامة ، ولا دليل وقال ابو زياد الكلابي : ان القطا يطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة [5] ، وفوقها ، ودونها وهي تنهض من افاحيصها حين يطلع الفجر فترد الماء ضحى ، والذي ترد من عشرة ايام تنهض مع الاشراق ، وهو طلوع الشمس ، وتوصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها، والعرب تشبه مشي النساء الخفرات بمشيها [وتصفه به][6].

الوصف والتشبيه :-

قال اعرابي من أبيات :-

كأنها حين تهادى تهتلك   شمس وظل ذا بهذا يأتفك [7]

١- في ب ، جـ يصوت.
٢- في جـ ولذلك.
٣- ساقطة من ب ، جـ.
٤- في جـ يوما.
٥- الافحوص : العش اذا كان على الأرض .
٦- الزيادة من ب ، جـ .
٧- ساقطة من جـ .

ومعنى يأتفك يجئ ويذهب لأن ريش جناحها أسود وريش بدنها أبيض ، اذا خفقت بهما انقسم النظر الى السواد والبياض (1) ، وقال آخر(2) :-

أما القطاة فانـــي سوف انعتهـا

نعتاً يوافق منـها بعض مافيهـــا

سكاءُ (3) مخطوطة في ريشها طُرق

صُهبٌ (4) قَوادمها كُدرٌ خَوافيهـــا

مِنقارهــــا كَنواةِ القَشْبِ قلمها

بمبـرد حَذقِ الكَفيـــــن باريهـــا

تَمشي كمشي فتاة الحي مُسْرِعة

حذار قوم الى ستـــرٍ يواريهـــا

تسقي الفراخ بأفـــواهٍ مرفقـة

مثل القوارير شدت من اعاليها (5)

وقال ابو اسحاق بن خفاجة يصفها :-

ولرُب (6) طيار خفيفٍ قد جرى

فَشَلا بجـــار خلفـــه طيّــار

1- في ب الى البياض والسواد.

2- في جـ قال اعرابي ، ونسبها في نهاية الارب الى ابي فرج الاصفهاني.

3- في الاصل شكا وما اثبتناه من ب السك : صغر الاذن.

4- الصهب : الشقرة.

5- نسب كشاجم هذه الابيات الى الفضل بن عبدالرحمن الهاشمي المصايد ٢٧٨، وذكر الاستاذ عبدالسلام هارون ان هذه القصيدة من الشعر المتدافع راجع الحيوان ٥٧٩/٥ ، نهاية الارب ٢٦٢/١٠.

6- في الاصل وله طيار وما اثبتناه عن ب ، والديوان

من كل قاصرة الخطى مختالــة

مشي الفتــاة تجر فضل ازار/٩٢و

مخضوبة المنقـــار تحسب انها

كَرعـت علـــــى ظَمأ بكأس عقار

لا تستقر بها الاَداجي[١] خشية

مـن ليـــل ويل او نهـــار بـــوار [٢]

ومن الأوصاف الجامعة لمجموع هذا النوع قول بعض الاعراب :-

وقبلي [٣] ابكى كل من كان ذا هوى

هتوف البواكي والديار بلاقعِ

وَهن على الافلاق [٤] من كلِ جانب

نوائح ما تَخَضّلُ منها المدامع

مُزبرجة [٥] الاعناقِ نُمر ظُهورها

مُخطمة بالدر خضـــــر روائع

١- في الديوان الايادي.

٢- الديوان ٢٠٨.

٣- في الاصل قيل وما اثبتناه عن ب.

٤- الافلاق : جمع فلق ، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين.

٥- مزبرجه : مذهّبة.

ترى طُرراً بين الخوافي كأنهـــا

حواشي برد زَينّتها الوشـــــائع

ومن قطع الياقوت صيغت عيونها

خواضب بالحناء فيها الاصابع [1]

والجامع [2] لكل الأوصاف والتشبيهات لهـــذا النـــوع قول أبي الأسود الدؤلي [3] :

وساجعٍ في فروع الايكِ هيجني

لم ادر لم ناحَ مماتي ولم سجعا

اباكيا الفه من بعيد .... فرقته

ام جازعا للنوى من قبل ان يقعا

يدعو حمامته والطير هاجعة

فما هجعت له ليلى ولا هَجعـــا

موشحٌ سندساً خضراً مناكبه

ترى من المسك في أذياله لُمعـــا

١- الابيات في نهاية الارب ٢٦٥/١٠.

٢- في الاصل والجامعة وما اثبتناه من ب وهو مناسب لما ذكره بعد ذلك بقوله.. لهذا النوع قول.

٣- ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي ، وهو نحوي ، ولغوي ، وفقيه مشهور ت٦٩ هـ ، راجع الأغاني ٢٩٧/١٢، وفيات ٥٣٥/٢.

له من الآس طَوقٌ فوق لُبته

من البنفسج والخَيري قد جُمعـــا

كأنما غب في مسود غالية

وحل من تحته الكافور فانتفعـــا

كأن عينيه من حسن اصفرارهما

فصان من حجر الياقوت قد قُطعـا

كأن رجليه من حسن احمرارهما

مادق من شعب المرجان فاتسعـــا

شكى النوى فبكى خوف الاسى فرمى

بين الجوارح (١) من أوجاعه وجعـا

والريح تخفضه طورا وترفعه طورا

فمنخفضـا يدعو ومرتفعـا/٩٢ظ

كأنه راهب في رأس صومعة

يتلو الزبور ونجم الليل قد طلعـا (٢)

وقال أبو اللبانة (٣) :-

وعلى فروع الايك شادٍ يحتوي

طربي لا تحتويه الاظلـــعُ

١- في الجوانح.

٢- النص في نهاية الارب ١٠/٢٦٥ وهي ساقطة من جـ وكذلك من الديوان.

٣- محمد بن عيسى بن محمد اللخمي، وهو أديب وشاعر اندلسي له عدة ، راجع فوات الوفيات ٢/٥١٤ ، الوافي ٤/٢٩٧.

يَندى لـه رَطِبُ الهواء فيغتذي

ويظله ورق الغصون فيهجـــعُ

تَخِذَ الاراكَ اريكةً ... لمنامـــه

فله الى فيهـــا مضجـــــــع

حتى اذا ما هزه نفس الصّبا

والصبح هزل منه شدو مبـد ع

فكأنمـــــا تلك الاراكة منبــر

وكأنما فيها خطيب مصقع [1]

وهذه القطعة ، وان لم يكن فيها شيء من الوصف والتشبيه ، فحسن معاني ابياتها دعاني الى اثباتها ، وقال بعض الشعراء [2] يصف مطوقة :-

دعت فوق ساقٍ دعوة لو تناولت

بها الصُم من اعلى أبان[3] تَحدرا

تبكي بعين ليس تجري دموعها

ولكنهـــا تجري الدموع تكررا [4]

١- الابيات في نهاية الارب ٢٦٦/١٠ وهي ساقطة من جـ.

٢- في ب العرب .

٣- ابان : جبل.

٤- في ب تذكرا.

مُحلاة طوقٍ ليس تخشى انفصاله

اذاهم ان يَبلى تجدد آخـــــرا

لها وُشح دون التَراقي ودونهـا (١)

وصدرٍ كمعطوف البنفسج اخضرا

تُنازعها الوان شيء صقالهـــا

بدا لتلالئ الشمس فيه تَحَيْرا (٢)

وقال بعض الأندلسيين :-

وما شاَقني الا ابن ورَقاء هَاتف

على فَنن بين الجَزيرة والجــــسرِ

مُفَسْتَقُ طوقٍ لاَزوردي كَلكــــلٍ

مُوشى الطِلي أحوى القوادم والظهرِ

أدار على الياقوتِ اجفانَ لؤلـؤ

وصاغ على الاجفانِ طوقاً من التبرِ

حَديدُ شَبا المنقارِ داجٍ كأنـــه

شَبا قلم من فضة مدّ مـــــن حبرِ

توسد مــــن فــرع الاراك اريكة

ومال على طي الجناح مـــع النحرِ

١- في ب وفوقها.

٢- الابيات في نهاية الارب ٢٦٧/١٠ وهي ساقطة من جـ.

ولما رأى دمعي مُراقا أرابه

بكائي فاستولى على الغصن النّضرِ/٩٣و

وحثّ جناحيه وصفقَ طـــــائرا

فطـــــــار بقلبي حيث طارَ وما يدري [1]

القول في طبائع اليمام

وقد نقلنا عن العرب ان هذه التسمية واقعة على النوع الذي يسميه عامة الناس الحمام ، وهو أصناف مختلفة الاشكال ، والالوان وهي :- الروّاعب وهذا الصنف الوان كثيرة ، زعم الجاحظ أن الراعبي مولد بين ورشان ذكر وحمامة انثى [2] ، فأخذ من الأب الجثة ، ومن الام الصوت وفاته سرعة الطيران ، فلم يشبهها فيه ، وله في عظم البدن وكثرة الفراخ والهديل ، والقرقرة لابويه ، حتى صار ذلك سببا للزيادة في ثمنه ، وعلى الحرص على ايجاده [والرغبة فيه] [3].

والمراعيش : وهي تطير مرتفعة ، حتى تغيب عن النظر فترى في الجو كالنجم وفيها ما يبقى يوما وليلة.

والعَدّاد [4] : وهو طير ضخم قليل الطيران كثير الفراخ.

١- الابيات في نهاية الارب ٢٦٦/١٠ وهي ساقطة من جـ.

٢- الحيوان ١٣٧/١.

٣- الزيادة من ب .

٤- في الاصل الصعداء وما اثبتناه من ب ، جـ ونهاية الارب.

والمَيساق : وهو أضخم من العداد وانهل ، ثقيل الجسم لا يستطيع الطيران الا قليلا [١].

والشّداد : وهذا الصنف لا يلزم الطيران في الجو وله في جناحيه حتى يقال انه كسر بهما الجوز، ولا يأتي الغابة لبله فيه ، واصحاب الرغبات في تربية هذا الصنف يلقونه [٢] على البصريات [٣] ، فيخرج من بينهما حمام يسمى (المضرب) يجمع فيه هداية البصري وشدة الشداد يطير صعدا حتى يرى كالنجم ، وربما اقام الواحد منها قائماً على ذنبه يوما وليلة ، وفي ذنبه ثلاثون ريشة [٤].

والقلاّب [٥] : ويسميه العراقيون الملاّح [٦] ، والشقّاق وطيرانه تحويم.

والمنسوب : ويسميه العراقيون الهوادي ، والمصريون البصاري ، يعنون البصرية وهو بالنسبة الى ما قدمنا ذكره [٧] كالعتاق من الخيل الى ما عداها من البراذين وفيها العلوي وهو أسرع طيرانا ، والطف جرما، أحمر العين ،. مدور الرأس ، مشمر السوق الى أعلى الركبتين من الريش والناس يناضلون بالهوادي في السبق الى الغايات ، وطبعها الحرارة والرطوبة، وتسمى بالبصرة المذنبيات ،

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- الاصل لقوته وما اثبتناه من ب ، جـ ونهاية الارب.
٣- نسبة الى البصرة.
٤- الزيادة من ب ، جـ.
٥- في جـ الكلات .
٦- في الاصل الهوادي ، وما اثبتناه هو الصحيح من ب ، جـ ونهاية الارب.
٧- في ب الى هذه الانواع التي ذكرناها كالعتاق.

وقال الجاحظ وقد يباع الحمام منها بخمسمائة دينار [ولم يصل الى هذا الثمن شيء من الطير ، وتباع البيضة بخمسة دنانير] (١) والفرخ بعشرين ديناراً ، وفي طبعه أنه يطلب ذكره ولو أرسل من الف فرسخ يحمل/٩٣ظ الأخبار ويأتي بها من المسافة البعيدة في المدة القريبة ، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد، وربما اصطيد ، وغاب عن وطنه عشرة حجج ، ثم هو على ثبات عهده ، وقوة عقده، وحفاظه ، ونزاعه الى وطنه ، حتى يجد فرصة صار اليه (٢) ، وان كان جناحه مقصوصاً جدّف (٣) به ، وحثته نفسه الى المضي الى سكنه فاما بلغ وأما عذر ، وهو ملقى غير موقى ، واعداؤه كثيرة ، وسباع الطير تطلبه [اشد الطلب ، وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره ، وهو اطير منه ومن سباع الطير (٤)] (٥) ولكنه يذعر فيجهل باب المخلص ويعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى أسداً، والشاة اذا رأت ذئباً ، والفأر اذا رأى هرا ، ومن عجائب الطبيعة المركبة ، ما حكاه ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال : لم أرَ شيئاً قط من رجل وامرأة الا وقد رأيته في الحمام رأيت حمامة لا تريد الا ذكرها ، والذكر لا يريد الا انثاه الى أن يهلك احدهما ، او يؤخذ ويؤنس منه، ورأيت حمامة تَزِيف (٦) للذكر ساعة يريدها ، ورأيت حمامة لها زوج ، وهي تمكن آخر منها ما تعدوه ، ورأيت حمامة تقحط حمامة (٧) ويقال : انها تبيض عن ذلك لكن لا يكون لذلك البيض فراخ ، وهو في سبيل البيض الريح(٨) ورأيت ذكراً يقحط ذكرا ، ورأيت ذكرا يقحط كل ما لقي ، ولا يتزاوج (٩) ، وانثى يقحطها كل من أرادها من الذكور ولا تزاوج ، وليس في الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد الا الحمام ، وهو

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- أي رجع الى وطنه.
٣- في ب ساقطة من جـ.
٤- الكلمة ساقطة من جـ.
٥- الزيادة من ب ، جـ.
٦- تزيف الحمامة : أي تمشي حوله.
٧- النص في عيون الاخبار ٢/٩١.
٨- وهو الذي يتكون من غير سفاد ، راجع طباع الحيوان ص ٢٤٥.
٩- راجع عيون الاخبار ٢/٩١.

عفيف في السفاد يجر ذنبه على اثره ليعفي اثر الانثى كأنه قد علم ما فعلت ويجتهد في اخفائه ، وتغطيته وهو يسفد لتمام ستة أشهر ، والانثى تحمل أربعة عشر يوماً ، وهي تبيض بيضتين يخرج من الأولى ذكر ومن الثانية انثى ، وبين الأولى والثانية يوم وليلة، والذكر من الحمام يجلس على البيض ، ويسخنه جزء من النهار والانثى بقية النهار ، وكذلك الليل ، وهي تبيض وتفرخ في كل عام عشر مرات ، واكثرها اثنتى عشرة مرة ، ويتم /٩٤و خلق البيض في عشرة ايام ، واقل من ذلك ، ويمكن أن تحبس الحمامة البيض في جوفها بعد الوقت الذي ينبغي ان تبيض فيه لأنها [تفعل ذلك] [١] اذا اصابها أذى من قبل عشها ، أو نتف شيء من ريشها ، او وجع يعرض لها ، والبيض يبلغ ويخرج منه الفرخ اذا مضت عليه عشرون يوماً ، والذكر والانثى يدفئان الفراخ ويغطيانها بأجنحتهما اياما حتى تقوى كما فعل [٢] بالبيض لشفقتهما عليهما واذا باضت الأنثى دأبت الدخول الى عشها ، والجلوس على بيضها، إما لحال ضعف أو كراهة [٣] ضربها الذكر واضطرارها للدخول ، واذا اراد الذكر ان يسفد الانثى أخرج فراخه من الوكر ، وقد الهم هذا النوع ان الفراخ اذا خرجت من البيض فصنع الذكر ترابا مالحا واطعمه اياه ليسهل به المطعم ، وزعم ارسطو ان الحمام يعيش ثماني سنين [٤].

فصـــــل :-

وقد تفرس الناس في هذا الحيوان مخايل الجودة ، والرداءة لكثرة عنايتهم به ، واتخاذهم له ، فألوان جميع الفراسة التي لا تكاد تخطىء في الحمام الهادي

١- الزيادة من جـ.
٢- في ب ، جـ يفعل.
٣- في ب ، جـ. كراهية .
٤- ذكر ارسطو ان من الحمام ماعاش خمسا وعشرين ومنها ماعاش ثلاثين... راجع طباع الحيوان ص ٣٩٠.

أربعة : التَقطِيع ، والمجَسة ، والشَمائل ، والحركة ، فالمحمود في التقطيع انتصاب الخلقة ، واستدارة الرأس وتوسطها ، وعظم القُرطُمتين [1] ، ونقاؤهما واتساع المنخرين وانهرات الشدقين ، وسعة الجوف وحسن العينين مع توقفهما وقصر المنقار واتساع الصدر ، وامتلاء الجؤجؤ ، وطول العنق ، واسراف المنكبين ، وانكماش الحاجبين وطول القوادم ، وصلابة القصب ، وعظم الفخذين والساقين ، وقصر الذنب ، وصفاء اللون.

وأما المجسة : فرشاقة الخلق وشدة اللحم ، ووثاقة العصب ، ولين الريش وصلابة المنقار.

وأما الشمائل : فصفاء البصر ، وثبات النظر ، وشدة الحذر ، وحسن التلفت ، وذكاء الفؤاد ، وقلة الرعدة ، وخفة النهوض ، والمبادرة [2] اذا لقط.

وأما الحركة : فالطيران في علو ومد العنق الى فوق ، وقلة الاضطراب في جو السماء وضم الجناحين/٩٤ظ في الهواء وشدة الركض في الطيـــران ، فأي طائر اجتمعت فيه هذه الصفات فهو الكامل.

الوصف والتشبيه :-

سأل المهدي رجلاً عن طائر جاء من غاية فقال لو لم يَبِن بفضيلة السبق لبان في حسن الصورة ، فقال : صفه لي فقال فَدْفَدْ ... فدّ الحلم ، وقوم تقويم العلم لو كان في ثوب خرقة ، او صندوق قلقة يمشي على عتمين ويلقط بدرتين ،

١- القرطمة : الفجوة التي في اعلى المنقار.

٢- في ب وسرعة اللقط.

وينظر بجمرتين اذا اقبل فديناه ، واذا ادبر حميناه ، وقال عبدالصمد بن فتوح الأندلسي (١) يصف حماماً [جاء] (٢) بالسبق [وهو يقول] (٣) :-

يَجْتاب أودية السحــاب بخَــافق
كالبرق أومض في السحاب فأبرقـا
لو(٤) سَابق الريحَ الجنوبَ لغـايةٍ
يومـاً لجـاءك مُثلهـــا او أسبقـــا
يَستقرب الأرض البسيطَة مذهبا
والافق ذا السقف (٥) الرفيعةِ مرتقى
ويَظل مسترق السَما ع تَخالـه (٦)
في الجو تحسبه الشهاب المُحرِقـــا
يبدو فَيُعجِبُ مــن رآه بحسنـــه
وتكاد اية عنقه أنْ تَنطقـــــا
مترقرقـا من حيث دَرّت كـــأنما
لبس الزجاجـــة او تَجلْبَبَ زئبقا(٧)

١- في ب ونهاية الارب ورد اسمه عبدالواحد بن فتوح الاندلسي.
٢- الزيادة من ب.
٣- الزيادة من ب.
٤- في الاصل او ، وما اثبتناه من ب ونهاية الارب هو الصحيح.
٥- في ب العقف.
٦- في ب تخامه.
٧- الابيات في نهاية الارب ٢٧٩/١٠.

وقال أبو نؤاس يصفه من ارجوزة :-

وصاحبــاتٍ نَفر مــن زاعق

يطــرن بالجو باعلــى حَالــقِ

نَواشِط بريشهــــا خَوافق

يَبعُدن أن يَبلُغن بالبيـــادقِ

يَحسبهُن لُصّقـا بالخــافقِ

فلو حَملن حاجــة لعــاشــقِ

مُتيم القلب رَغْــوب خــافقِ

رَسائلا منه الى صَدائقِ (١)

سَلس من شدة شَوقٍ شَائق

يقطعن في مده نطق النـاطقِ

مَغارب الأرضِ الى المشَارقِ

لدى المُلماتِ وفي الحقائـــقِ

كالبرق يبدو قبل جـود دافق

والغيث يخفى وقعه للرامـــق

ان لم تجده بدليل البارق (٢)

ومن رسالة للقاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البياتي الكاتب(٣) *يصف طائراً جاء من غابة :-*

١- في ب صوادق.

٢- القصيدة ساقطة من جـ.

٣- عبدالرحيم علي بن السعيد اللخمي ، وهو امام في الكتابة والأدب صار وزيراً لصلاح الدين الايوبي (ت ٥٩٦ هـ) ، راجع خريدة القصر ٣٥/١ قسم مصر ، وفيات الاعيان ١٥٨/٣.

وكأن هذا الطائر أحد الرسل المسيرة ، بل المبشرة ، والجنود/٩٥و المحررة بل المسخرة ، فإنها لا تزال أجنحتها تحمل البطائق أجنحة، وتجهز جيوش المقاصد والاقلام اسلحة ، وتحمل من الأخبار ما تحمل الضمائر ، وتطوى الأرض اذا نشرت الجناح الطائر ، وتزوي لها الأرض حتى ترى ما ستبلغه ملك هذه الأمة ، وتقرب بها السماء حتى ترى مالا يبلغه وهم ولا همة ، وتكون مراكب للأغراض لما كانت الأجنحة قلوعها(١) ، وتركت (الجو بحرا تصطفق) (٢) فيه هبوب الريح ، موجا مرفوعا ، وتعلق الحاجات على اعجازها ، فلا تعرف الارادات غير انجازها ، ومن بلاغات البطائق استعارت ماهي به مشهورة من السجع ، ومن رياض كبتها ألفتّ الرياض فهي اليها دائمة الرجع ، وقد سكنت البروج فهي انجم ، واعدت في كنائنها ، فهي للحاجات اسهم وقد كادت ان(٣) تكون ملائكة، اذا[ما] (٤) ينطق بالرقاع ، صارت اولي أجنحة مثنى وثلاث وربا ع ، وقد باعد الله بين اسفارها وقربها ، وجعلها طيف اليقظة الذي صدق العين وما كذبها ، وقد أخذت عهود الامانة في رقابها اطواقا فأدتها من اذنابها اوراقا، فصارت خوافي وراء الخوافي ، وغطّت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافي ترغم النوى بتقريب العهود ، وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود فيه انبياء الطير لكثرة ماتأتي به من الأنباء ، وخطباؤهم لأنها تقوم على منابر الاغصان قيام الخطباء (٥) .

١- في ب قلوعا.

٢- في الاصل وتركت البحر حوا يصفق ، وما اثبتناه هو الصحيح عن ب ونهاية الارب.

٣- ساقطة من ب .

٤- الزيادة من ب.

٥- النص في نهاية الارب ٢٧٩/١٠ وهي ساقطة من جـ.

القــول في طبائع الببغاء

وهو طائر هندي وحبشي دَمِثُ الخلِقة [١] ، ثاقب الفهم له قوة علي حكاية الأصوات وتلقي التلقين تتخذه [٢] الملوك في منازلهم لتنم بما يقع فيها من الأخبار وفي لونه ، الاغبر ، والأسود ، والأخضر ، والأصفر ، والأبيض ، وقد أهدى لمعز الدولة [٣] هدية من اليمن فيها ببغاء [بيضاء] [٤] سوداء المنقار ، والرجلين وعلى رأسها ذؤابة فُسْتُقية ، وكل هذه الألوان معروفة [٥] خلا الأخضر وفي طبع هذا / ٩٥ظ الطائر أن يتناول طعمه بكفه [٦] كما يتناول الانسان الشيء [٧] بيده ، وله منقار معقف قصير يكسر به الصلب وينقب به ما يعسر نقبه ، وكل ماله نغمة ، واطراب فله هدر وسمت يتزاوج ، ويتعاشق ويسكن الذكر الى انثاه، وله عفة في مأكله ، ومشربه ، ومنكحه ، (وديع ليس بِشرهٍ ولا أشر) [٨] وهو بمثابة الانسان الترف [٩] الطريف ، والناس يحتالون على تلقينه بأن ينصب تجاه مرآة بحيث يرى خياله فيها ويتكلم الانسان من ورائها ، فيتوهم أن خياله في المرآة هو الذي يتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما سمعه من صوت الانسان.

١- في ب الخلق.

٢- في جـ تتخذهم.

٣- احمد بن ابي شجاع بويه احد ملوك الديلم (ت ٣٥٦ هـ).

٤- الزيادة من ب.

٥- في ب ، جـ معدومة.

٦- في ب برجله.

٧- ساقطة من ب .

٨- ساقطة من ب .

٩- ساقطة من جـ .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو اسحاق الصابي يصفها من ارجوزة بعث بها الى [أبي] (١) الفرج الببغاء يمدحه (٢) فيها (٣) :

أنعتهــا صَبيحة مَليحـــة

ناطقـــة باللغةِ الفصيحـــة

أضحت من الأطيارِ واللسان

مُوهم لي أنها الانســـان (٤)

تُنهي الى صاحبها الاخبارا

وتكشفُ الاسرارَ والاستـــارا

سَكّاء الا أنها سَميعـــة

تُعيد ما تسمعه مطيعـــة

وربمـا لقنــت العَضْيهـــة

فتغتدي بذيـــة سفيهـــة (٥)

زارتك مـن بلادهـا البعيـدة

واستوطنت عنـــدك كالقعيـدة

١- الزيادة من ب .

٢- في الأصل يمدحها وما اثبتناه هو الصحيح من ب .

٣- الزيادة من ب .

٤- في ب انسا.

٥- في الأصل فيعصي به تفتقه وما اثبتناه عن ب ويتيمة الدهر.

ضيف قِراه الجوز[١] والارز
والضيف في أبياتنا يُعز

تـراه في منقارها الخلوقي
كلؤلؤ يلقط بالعقيق

تنظر من عين... كالفصين
في النور والظلمة بصياصين

تُحبس في حُلتها الخضراء
مثل الفتاة الغادة العذراء

خريدة خدودها الاقفاص
ليس لها من جنسها خلاص

تحبسها وما لها من ذنب
وانما تحبسها للحب

تلك التي قلبي بها مشغوف
كنيت عنها واسمها معروف

بَشَرَكَ فيه شاعرُ الزمانِ
والكاتبُ المعروف[٢] بالبيانِ

ذلك عبدالواحد بن نصر
تَقيهِ نفسي حادثات الدهرِ[٣]

١- الكلمة ساقطة من الاصل واثبتناها عن ب .

٢- في ب العصوف .

٣- النص في يتيمة الدهر ٢٥٣/١ وهي ساقطة من جـ .

فأجابه أبو الفرج عنها [بقوله] [1] :-

مَــنْ منصفي من حكَمِ الكتــاب

شمسُ العلومِ قمـــرُ الادابِ

أَسى لأصناف الكلام مُحْــرزا

وسام أن يلحق[2] لمــا بـــرزا

وهــل يُجارى السابق المقصـر

ام هل يُبارى المُدرك المعــذر

مازال بي عن غَرضٍ مَعرضــا

ولي بمــا يُصدره مُستنهضــا

فتارةً يعتمد ..... الخَطّافــــا

ببــــدعٍ تَستغرق الاوصافــا

وتَــارةً يُعنى بنعت القَبـــجِ

مِـــــنْ مَنطقٍ لفصلهِ مُحتجِ

يَحـــوم حــول غَرضٍ معلومِ

ومَقصدٍ في شعــرهِ مفهــومِ

حتـــى تَجلّت دَعــوة الصَريح

وسَلم التلويّـــح للتصريـــحِ

وصـــحّ إَن الببغــاء مقصده

بَذكر ما كان قَديما يُـــورده

١- الزيادة من ب .

٢- في الاصل يحلق وأثبتناه عن ب .

فلم يَــدع لقائلٍ ... مقـــــالا

فيها ولا لخـــــــــاطرٍ ... مجالا

احال بالريش الأشيب الاخضر

وباحمرارِ طَوقهــــــــا والمِنسر

على اختلاط الــروض بالشقيق

واخضر الميناء بالعقيـــــــــق

تَزهى بدواجٍ [1] مــن الزَبرجـد

ومقلةٍ كسبـــــــــج من عسجدِ

وحسن منقـــــار أشم قـــــان

كأنما صيغ مـــن المرجـان /٩٦ظ

صَيّرها انفرادها في الحبـــس

بنُطقها من فُصحـــاء الانـــــس

تَميزتْ في الطيـــــران بالبيان

عن كلِ مخلوقٍ سوى الانســـــان

تَحكي الذي تسمعـــه بلا كـــذب

من غيـــرتغييــــــــر لجدٍ او لعب

غذاؤها أزكـــــى طعام وُجـدا

لا تشربِ المـــاء ولا تخشى الصَدا

١- الدواج : ضرب من الثياب .

ذات شفى تحسبه ياقوتا

لا يرتضي غير الارز قوتا

كأنما الحَبة في مِنقارها

حَبابة تطفو على عُقارها

اقدامها ببأسها الشديد

أسكنها في قفص الحديد

فهي كخُود في لباسٍ أخضر

تيا (خر كاوه) [1] لم تستتر

فَوصفها المُعجز ما لا يدرك

ومثله في غيرها ما لا يُملك

لو لم يكن لي لقباً لم اقصرْ

لكن خَشيت ان يقال مُنتصرْ

وانما تبعت ... باستحقاقي

لوصفها حذق ابي اسحاقِ

شَرّفها وزاد في تشريفها

بملح ابدع في تفويفها [2]

فكيف اجرى بالبناء المنتخب

من صرف المدح الى اسمي واللقب [3]

١- في يتيمة الدهر خركاهة ، ولم أتوصل الى معنى لها.

٢- التفويف : التزين.

٣- النص في يتيمة الدهر ٢٦٩/١ وهي ساقطة من جـ .

القول في طبائع القبج والدراج

وانما جمعت بينهما اقتداء بامام المتكلمين أرسطو، في الطبيعيات [1] ، فانه قال في كتاب الحيوان له : القبج والدراج يجمعان فراخهما تحت أجنحتهما ، كما يفعل الحمام ولا تسخنان بيضهما في موضع واحد بل ينقلانه حذراً لئلا يعرف أحد مكانه ، واذا دنا الصياد من مواضع اعشاشهما ، خرجت الأنثى بين يديه لتخدعه وتصيح بفراخها فاذا صارت قريبة منها ورأت فرصة في طيرانها ، طارت وتبعتها فراخها[2] ، وهذا آخر كلامه [3] ، ونقلت من مواضع متفرقة في الكتب الموضوعة في طبائع /٩٧و الحيوان ان فراخ القبج تخرج كما تخرج الفراريج ، (كاسية كاسبة ، وليس للقبج زواج، وكذلك الحجل) [4] ، ومجراه مجرى الديكة في انها تسفد كل دجاجة ، ولا تقتصر على شيء دون شيء ، واناث القبج تبيض خمس عشرة بيضة ، والذكر يوصف بالقوة على السفاد كما يوصف الديك والعصفور ولكثرة سفاده يطلب موضع البيض فيكسره لئلا تنشغل الانثى بحضنه عنه ، ولهذا الانثى اذا حان أن تبيض هربت ، واختفت رغبة في الفراخ ، وهي اذا هربت بهذا السبب ضرب الذكور بعضها بعضاً ، وكثر صياحها ، والمقهور يتبع القاهر ، ويسفد القوي الضعيف ، والقبج يغير صوته ، بأنواع شتى بقدر حاجته الى ذلك ، ويعمر خمس عشرة سنة ، والدراج متى كان الجو صاحيا والريح شمالا أخصب بدنه ، وان كانت الريح جنوبا ساءت حاله لأنه ليس بطيار وريح الجنوب رطبة ثقيلة ، ولا يقوى على الطيران فيها ، وان هو طار فيها أكثر الصياح

١- في ب ، جـ أمام المتكلمين في الطبيعيات ارسطو فانه ...

٢- يظهر أنه لم ينقل نصاً عن أرسطو وذلك لاختلاف الكثير من المفردات ، راجع طباع الحيوان ص ٢٩٢.

٣- أي كلام ارسطو .

٤- ساقطة من ب .

لما يلحقه من التعب ، ولهـــذا الصيـــاد الحاذق لا يقصد صيده والريح شمال ، (فإنه يتصعب[1] عليـــه) [2] ، فان طلب صيده والريح جنوب أخذ بسهولة [3] .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو طالب المأموني[4] يصف دُراجة اهداها له [5] :-

قد بعثنا بذات حسن بديـــــع
كنبـــات الربيـــــع بل هـي أحسن

في رداء من جُلنـــــــار و آس
وقميص من ياسميــــــن وسوسن [6]

وقال آخر :-

صُدور من الدُراج نُمّق وَشيـــها
وُصنن باطـراف اللُّجين السَــــواذج

واحداق تبر في خدود شقـــائق
تلألأ حُسنا كأشتعـــال السَـــارجِ

[واذنابِ طلع في ظُهور مَلاعـقِ
مُجزّعة الاعطافِ صُهب الدَمالـج] [7]

١- في ب ، جـ يتعصب.
٢- ساقطة من ب .
٣- ساقطة من جـ .
٤- عبدالسلام بن الحسين المأموني ، وهو من الشعراء المجيدين وكان عالماً بالأدب ت ٣٨٣ هـ ، يتيمة الدهر ٤/١٦١ ، فوات الوفيات ١/٢٧٣.
٥- ساقطة من ب .
٦- الابيات في يتيمة الدهر ٤/١٨٧ وهي ساقطة من جـ .
٧- الزيادة من ب .

فافخر الطاووس يوما بحسنـــــه

فلا حُسن الا حسن التَـــــدارج (١)

قال ابو اسحاق (٢) يصف قبجة :-

أنعــــــتطَارونية (٣) الثـــياب

لابســـة خَزاً علـــى الأهَـــابِ

تَصنعت تَصَنُّــــــع التَصابــي

وأبرزت وَجها بلا نِقابِ /٩٧ظ

رَيان من محاسـن الشبـــــاب

مكحولــــــــةالعينينكالكِعابِ

كأنما تُسقـــــــــى دم الرقـــابِ

تسمعنا منهـــــا وراء البابِ

تَمتمة بالقافِ فــــــي الخطاب

كأنما تقـــرأ من كتـــــابِ

قَهقهة الابريـــــقِ بالشـــرابِ

أهلا بصيـــادٍ لهـــا جَلاّبِ

جاءَ بها كَريـــــــة النصـــابِ

ربيبة الجبال والهضـــــــابِ

١- الأبيات في نهاية الارب ٢١٤/١٠ وهي ساقطة من جـ .

٢- أي أبو اسحاق الصابي وقد مرت ترجمته .

٣- الطارونية : نوع من الخز.

ولــــم تُدرَ ما بادية الاعــــرابِ

غَريبـــة صـــارت عــن الأحبـــابِ (١)

وقال أبو الحسن البغدادي المعرّف(٢) *بالهائم يصفها* :-

ولابسةٍ ثوبا مـــــن الخَزِ أدكنا

ومِــنْ أحــر الدِيباج رانــا ومعـجـزا

مُقلدة في النمر سُبجــــة عنبر

على أنهــا لم تَلْتَس أنْ تُعطـــرا

مُطرزةَ الكمين طُرزا تَخالهـــــا

لتقويمهــا في حلكة اللّــون أسطـرا

تراها تُعالي الضحك عُجْبا بنفسهـا

اذا أمنت مــن أَنْ تَخــاف وتُذعـــرا

فتُظهر عند الأمن منها تَبرجــــا

وتُظهر عنـد الخَوف منها تســــترا (٣)

ولآخــــــر (٤) :-

ولابسٍ جَوشــــن ابــــداً مغطى

بأدكــــــن مــن ملابســهِ رقيــــقِ

١- الابيات في يتيمة الدهر ٢/٢٦٦ وهي ساقطة من جـ .

٢- في ب المعروف.

٣- الأبيات ساقطة من جـ .

٤- في ب وقال آخر .

بطـــــونُ أبنــــــوس ورأس

لُجَيْنّي ومنقـــــار عقـــــيقِ

وقُرطاه الخَلوقيان أشهـــــــى

من الشَذر المُعلق في الحُلوقِ[1]

القول في طباع الحبارى

ويسميه أهل مصر الحبرج [2] ، قال الجاحظ: هو من أشد الطيور طيرانا وابعدها شوطاً [3] ، وذلك ، أنه يصاد بالبصرة ، فيشق عن حوصلته بعد الذبح فيوجد الحبة الخضراء لم تتغير ، ولم تفسد ، وهذه الحبة شجرها البطم ، ومنابته جبال الثغور الشامية ، والحبارى اذا نُتف ريشها ، أو تَحسرت [4] ، وأبطأ نباته تموت كَمَدا اذا رأت صويحباتها يَطرن، ولهذا الطائر خزانة بين دبره وامعائه لايزال فيها أبداً سَلح رقيق لزج ، فمتى الحّ عليه جارح ذرق عليه ، فيتمعط ، فعند ذلك تجتمع عليه الحَباريات/٩٨و فينتفن ريشه طَاقةً طَاقةً ، وفي ذلك هلاك الجارح ، وهو يتغذى اذا جاع.

الوصف والتشبيه :-

قال الشاعر يصفها [5] :-

ودَارية إِمــــــا تُراع (تبرست) [6]

بملُحفتي وَشيٍ تَضمهما نَشـــــرا

١- الابيات ساقطة من جـ .
٢- في الاصل الحرج وما اثبتناه هو الصحيح .
٣-الحيوان ٥/٤٥٢ .
٤- تحسرت : أي زال عنها ريشها .
٥- في ب قال بعض الشعراء يصفها.
٦- يريد : انها تعلم انها اذا خافت تبرزت ، فحرفت كلمة تبرزت الى تبرست .

وإِنْ تَرَ صقَرا فالسُلاحُ سِلاحُهــا

تُوليه ظهرا تستعــد بــــه ظَهرا

تغذى لفرط الشح والفقر (١) نحوها

فأَخْبِثْ به شحا وأدفع به فقرا (٢)

وقال أبو نؤاس يصفها :-

يا ربُ غيـــــث مــــن السُروب

حَباريات حَجْلتي (٣) ملـــــحوبِ

يرفلن فـــي بَرانسٍ قُشــــوب

مــــن حبِـــــر ظوهرن بالتذهيبِ

فَهن أمثال النصـــــارى الشيبِ

في يومٍ عيدِ مَيْزر الصليـــبِ (٤)

القول في طبائع الطاووس

وفي هذا الصنف ألوان وهي الأخضر والأرقط والأبيض ، ويوجد فـــي كلها

١- في ب الفقر والشح .

٢- الابيات ساقطة من جـ .

٣- في الديوان جهلتي .

٤- في الديوان ص ١٠٩ وهناك اختلاف في ترتيب الاشطر .

التخيل [١] ولا تعرف هذه الأنواع الا في بلاد الرانج ، وما عداها معروف مألوف[٢] ، قال أصحاب البحث عن طبائع الحيوان : الطاووس في الطير كالفرس في الدواب عزا وحسنا غير أن الناس لا يتبركون به ويكرهون كونه في دورهم ، وفي طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب [٣] بريشه ، وعقده لذنبه كالطاق ، لا سيما اذا كانت الانثى ناظرة اليه، والانثى تبيض بعد أن يأتي[٤] عليها من العمر ثلاث سنين ، وكذلك لا يحصل التلوين في ريش الذكر الا بعد مضي [٥] هذه المدة ، وهي بمثابة [٦] البلوغ للصبي ، وفي ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ، ويتم لونه ، والانثى تبيض مرة واحدة في السنة ، اثنتي عشرة بيضة ، وأقل ، وأكثر ، ولا تبيض متتابعاً ، ويسفد في أوان الربيع ، ويلقى ريشه في أوان الخريف كما تلقى الشجر ورقها فيها ، وهو كثير العبث بالأنثى اذا حضنت وربما كسر البيض ، ولهذه العلة يحضن بيضه تحت الدجاج ، والدجاجة لا تقوى على حضن أكثر من بيضتين /٩٨ظ منها ، وينبغي أن تتعاهد الدجاجة جميع ما تحتاج اليه مخافة أن تقوم فيفسد هو [٧] ، والفرخ الذي يخرج من حضن الدجاجة قليل الحسن ناقص الخلق صغير الجثة ، ومدة الحضن ثلاثون يوما سواء كان البيض تحت الدجاجة أو تحت أُمه ، والفرخ يخرج من البيضة كما يخرج الفروج كاسيا كاسبا ، والطاووس من الطير الذي يبيض بيض الريح ، ويقال : ان عبث الطاووس بانثاه أوان حضنها غَيْرةً منه ، ان يخرج من البيض ما يشبهه في حسن

١- يقصد الخيلاء .

٢- في ب ، جـ مألوف معروف .

٣- ساقطة من ب .

٤- في ب ، جـ يمضي .

٥- ساقطة من جـ .

٦- في جـ نهاية .

٧- اي البيض .

ريشه ، وبهاء خلقته ، وزعم ارسطو ان الطاووس يعمر خمسا وعشرين سنة [1] وهذا منه حكم الا أن يعينه الاستقراء [2] .

الوصف والتشبيه :-

قال أبو الفتح كشاجم يرثي طاووساً في أبيات جاء منها في وصفه :-

وأي عُــــــذرٍ لمقلةٍ بعــــــــد الـ

طــــــاووس عنها إنْ لم تفض بدمِ

رزئته روضـــــــة [3] تَــــــرق ولم

أسمع بروضٍ يمشي علــــــى قدمِ

جَثل الذنابـــــــــي كأن سندسه

سُنت عليه موشيـــــــة العلـــمِ

مُتوجا حِلية حباه بهـــــــــــا

ذو الفِــــــطَر المعجزات والحِكـمِ

كأنــــــه يزدجـــرد منتصـــبا

يبني فيعلي مآثر العجــــــــــمِ

يُطبق اجفانــــــه ويَحسر عــــــن

فَصين يُستوضحان في الظلـــــمِ

١- راجع طباع الحيوان ص ٢٥٩ .

٢- أي ذلك فرض ويحتاج الى تتبع جميع الأفراد لغرض معرفة فيما اذا ينطبق عليهم هذا الحكم .

٣- في الأصل روض وما أثبتناه هو الصحيح عن ب والديوان .

استدل [1] بالحسن فاستذال له

ذيلا من الكبر غير مُحتشم

ثم مشى مشية ... العروس

فمن مُستظرف مُعجب مبتسم

كأنما الازورد لمعة [2]

ونقط اللازورد بالعتم

ما أحسن الصبر في البلاء وما

اجمله عصمةً لمعتصم [3]

ولآخر [4] :-

طَار الى منزلي فأوطنه

من الطواويس خَير مُطرف/٩٩و

من كل وَشى عليه مَتبوع

مختلف رقمه ومُؤتلف

مُنبسط حَائلٌ ومنقبض

وعاطف طائل ومنعطف

١- في ب ادل .

٢- في الأصل بلغه .

٣- الديوان ص ٤٥٢ .

٤- في ب وقال آخر .

فهو بَديع إذَا أبصـــــــرت به

ابصرت شيئاً يريد في الكَلف(١)

وقال أبو الصلت امية بن عبدالعزيز الاندلسي(٢) يصفه *في أبيات* :-

أبدى لنا الطاووس عـــــن مَنظرٍ

لم ترَ عيني مثـــــــــله منظرا

مُتـــــوج المَفْرِق ان لا يكـــــن

كسرى بن ساسان يكن قيصـــرا

في كلِ عضــــو ذهب مفــــرع

في سندس من ريشه اصفـرا(٣)

نُزهة من ابصر في طيها عبـــرة

لمن (٤) فكــــــــر... واستبصرا

تبارك الخالق فـــــي كــــــل ما

ابدعه منه ومـــــا صـــــــورا

ولـــــــــه أيضا فيه :-

أهلاً به لما بَدى فـــــــي مَشيـه

يَختـــال فــــي جَلل من الخُيلاء

١-الابيات ساقطة من جـ .

٢- اميه بين عبدالعزيز بن ابي الصلت شاعر اندلسي ، وعالم له عدة تصانيف ت ٥٢٩ هـ ، خريدة القصر ٢٢٣/٤ ، وفيات ٢٤٣/١ .

٣- الابيات في نهاية الارب ٢١٦/١٠٠ وهي ساقطة من جـ .

٤- في ب من .

كالروضةِ الغَنّاء أشرف فوقــــــه

ذنب لـــه كالدوحــــــــة الغَنّاء

ناديته لو كــــــان يَفهـــم منطقي

أو يستطيع إِجابةً لندائــــــــــي

يا رافعا قَوس السمـــــاءِ ولابسا

للحسن روض الحزن غِب [1] سماء

أيقَنتُ انك فــــــي الطيـور مَلَك

لما رأيتك منه تحــــت لــواء [2]

القول في طبائع الدجاج

وهذا النوع صنفان نبطي وهو ما يتخذ في القرى والبيوت وهندي وهو عظيم الخلق يتخذ لحسن شكله ونُبله، ولنبدأ بذكر البيضة التي يخرج منها الفروج، وانما ذكرنا البيضة في هذا الموضع دون ماعداه من المواضع التي مضت في ذكر كثير من الطير لان الناس كثيراً ما يستعملونه في الاغذية وغيرها ، مما تمس الحاجة اليه لكثرته، وان كان أحد البيض الثلاثة المأكولة/٩٩ظ وهي بيض الحمام ، وبيض البط ، وبيض الدجاج ، وهذا النوع أكثرها وجوداً ، ومجموع البيض اما من سفاد، واما من ريح ، والبيض الذي يتولد من الريح أخف وأصغر من الذي يتولد من سفاد ، وبيض الريح يكون من الدجاج والقبج ، والحمام ، والاوز ، والطاووس ، وسمي ببيض الريح لأنه من غير سفاد ، بل يتولد من الريح الذي تهب

١- غغب : غب الأمر صار الى نهايته .

٢- الابيات في نهاية الارب ١٠٠/٢١٧ وهي ساقطة من جـ .

من تلقاء الذكر فيواجه الانثى ، وبيض الريح لا يتم منه خلق وما كان من البيض مستطيلاً محدد الأطراف فهو يخرج الاناث ، وما كان مستديراً عريض الأطراف فهو يخرج الذكور ، وربما رمي البيض ، فخرج الفرخ من ذاته اذا كان موضوعاً في أرض دفيئة ، مثل ما يفعل أهل مصـــــر حيث يضعون البيض داخل الزبل فيخرج منه الفراخ [ولاهل (مصر عمل ظريف ، وتدبير لطيف يقوم لهم مقام الحضن)[1] ، وهو أنهم يبنون بيوتا لطافا مستوية في التربيع تواري معدة الرجل، ويشققوها ، ويجعلون في كل بيت منها مجرى في عرض أربع اصابع ينقونه بطين رقيق جدا ، ويضعون فيه زبلا مدقوقا منخولا ويضعون فيه نارا تسري فيه طول نهاره ، وذلك بعد أن يضعوا في كل بيت نحوا من ثلثمائة بيضة ، ويغلقوا باب البيت ، ويلبدونه من داخله ، بحيث لايدخل اليه نفس هواء ، واذا صار الزبل رمادا غيروه بمثله ويتعاهدوه بالتقليب كل يوم عشية ، وبكرة عشرين يوماً ، وفي آخرها يفقس في التاسع عشر ، وتوزن النار حتى تكون في وزن حرارة الطير في الحضن ، فاذا زادت الحرارة نُقّص من النار وان نقصت زِيد في النار ، وكلما تَمادى الزمان نقصوا من النار ، وفتحوا كُواً واذا لم يكن للبيض من الحرارة ما تزن الحضن فسد ببرد الهواء والحرارة التي دون الحضان تفسده وتعفنه /١٠٠ و والتي فوقها تشويه وتجمده) [2] وليس كل البيض يكون منه فرخ [3]، كما ليس كل المني يكون منه ولد (والمعتنون بهذا العمل الذي ذكرناه يسمون البيضة التي لا يكون فيها فروج لاح ويعرفون ذلك في اليوم الثالث) [4] ، فان

١- في ب ولاهل مصر في اخراج الفروج جملة طريقة تقوم لهم مقام الحضن ، ويخرجون بها الوفا في زمان واحد مدته مدة الحضن .

٢- ساقطة من ب .

٣- في ب الفروج . وهذه هي بداية التفقيس الصناعي المستعمل في الوقت الحاضر.

٤- في ب وهم اذا عملوا هذه الحيلة علموا بعد اليوم الثالث منها البيضة التي ينخلق منها الفروج وما يتخلق منها .

وقفوا البيضة بين البصر وبين الضوء، فإن كان فيها نقطة حمراء ففيها بزرة ، وان لم يروا النقطة [١] رموا بها[٢] ونفوها[٣] عن البيض ، وكل ما يزق فبيضه قليل ، وكل ما لا يزق فبيضه كثير ، مثل الدجاج والبط والأوز والقبج ، لأن الانثى لاتقوى على أن تزق عددا كثيرا ، واما الدجاج والقبج ، فالانثى تنفرد بالحضان والتربية والدجاجة تجمع البيض بعد السفاد في أحد عشر يوما] [٤] ، وهي تبيض في السنة كلها ما خلا شهرين شتوية ، ومنها ما تبيض ستين بيضة ومنها ما تبيض مرتين في اليوم ، (وخلق البيض في عشرة ايام ، والبيضة تكون عند خروجها لينة القشر ، فاذا اصابها الهواء يبست وهي تشتمل على بياض يسمى الزتيق وصفرة تسمى المُح وعليهما [٥] قشر رقيق يسمى قَيْضا ، ويعلوه قشر صلب ، فالبياض رطوبة غليظة لزجة متشابهة الاجزاء ، وهي بمنزلة المني، والصفرة رطوبة سلسة ناعمة أشبه شيء بدم قد جمد ، وهي للفرخ مادة يغتذى بها من سرته ، والذي يتكون من الرطوبة البيضاء عين الفرخ ثم دماغه ثم جلد رأسه ثم ينحاز البياض في لفافة واحدة هي جلدة الفرخ ، وتنحاز الصفرة في غشاء واحد هي سرة الفرخ فيتغذى منها كتغذي الجنين من سرته من دم [٦] الحيض فبياض البيضة مادة العظام والغظاريف (والاعصاب والربط والوترات والعروق الضوارب) [٧] والسواكن والاغشية ، وربما وجد في البيضة محان ، قال أرسطو: باضت دجاجة فيما مضى ثماني عشرة بيضة لكل بيضة محان ثم حضنت فخرج من كل بيضة فروجان احدهما أعظم جثة من الآخر [٨] ، وخلق الفروج اذا مضت/١٠٠ظ عليه ثلاثة ايام،

١- في ب البيزرة .
٢- في الاصل زمو ها وما اثبتناه هو الصحيح عن ب .
٣- ساقطة من ب .
٤- جميع مابين الاشارتين ساقط من جـ واثبت مكانه ، وربما دفنوه في السرتين ، وربما كان البيض موضوعاً في آنية دفيئة فتسخن ويخرج منه الفراخ .
٥- في ب ، جـ عليها .
٦- في ب ، جـ بدم .
٧- ساقطة من ب .
٨- راجع طباع الحيوان .

ويعرف الذكر بأن يعلق الفروج برأسه (١) فـان تحـرك فذكر وان سكن ، فـأُنثى (وكذلك يعرف من البيض وقد ذكرناه) (٢).

الوصف والتشبيه :-

قال أبو الفرج الاصفهاني (٣) ابياتا يصف فيها الديك (سنذكرها فيما يأتي ان شاء اللّه تعالى) (٤) جاء منها في وصف البيضة، وتطرف [غاية] (٥) وأبدع نهاية :-

فيها بدائعُ صَنعـــة ولطائف (٦)

الفـــــن بالتقديــــر والتلفيق

خلطان مائيان ما اختلطــا على

شكل ومُختلط (٧) المزاج رقيــق

صُنع يدل على حقيقة صانـــع

للخلق طُرا ليـــــس كالمخلوق

فبياضها وَرِق وتِبرٌ محهـــــــا

في حُق عاجٍ بُطنت بدَبِيقــي (٨)

١- في جـ بمنقاره .
٢- ساقطة من ب ، في جـ كرر قوله والبيض صنفان .
٣- في ب الاصبهاني .
٤- ساقطة من جـ .
٥- الزيادة من ب .
٦- في ب لطافة .
٧- في ب ، جـ مختلف .
٨- الابيات في نهاية الارب ١٠/٢٢٦ . والدبيقي نوع من الثياب الخفيف .

ولآخر ملغزا [1] :-

وصفراء في بيضـــــاء رَقّت غلالة

لها وَصفا ما فوقها من ثيابهـــــا

جماد ولكن بعـــد عشـــــرين ليلة

تَرى نَفّسها مَعْمورة مـن خَرابها (٢)

فصـــــل :-

والدجاجة اذا هرمت لم يكن لبيضها مح ، واذا لم يكن لها مح لم يخلق منها فرخ لأنه لايكون له شيء يغذيه، ويربيه ، والعجب من أخلاق الدجاج انها تمر بها سائر السباع فلا تخشاها ، ويمر بها ابن آوى ، وهي على سطح فترمي بنفسها اليه ، وهي اذا قابلت الديك تشبهت له ورامت السفاد ، ورفعت ذنبها حتى لايعلم اذكر هي [3] أم انثى ، والدجاجة توصف بقلة النوم وسرعة الانتباه ، ويقال : ان نومها واستيقاظها انما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه ، ويقال : انما تفعل ذلك من شدة الخوف واكثر ما عندها من الحيلة أن لا تبيت على الأرض ، وان ترتفع على رف وما شاكله ، واذا اذن بعشاء المغرب فزعت الى تلك العادة ، وبادرت ، والفرخ [4] يخرج من البيضة كاسيا كاسبا [كَيّسا] [5] ظريفا مليحا مقبولا محببا مكتفيا بمعرفته ، حديد الصوت سريع الحركة ، يدعى فيجيب ويتبع/١٠١و من يطعمه ويألفه ثم كلما مرت عليه الايام ، ماق وحمق ونقص كَيسَه ، واقبل قبحه ،

١- في ب وقال آخر فيها .

٢- البيتان في نهاية الارب ٢٢٧/١٠ .

٣- في جـ أهي .

٤- في ب و الفروج .

٥- الزيادة من ب .

فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان فيه الى ضد ذلك ويصير في حال لا ينفع به الا للذبح أو للصياح ، والبيض والفراريج ، وهو مشترك الطبيعة يأكل اللحم ويحسو الدم ، ويصيد الذباب ، وذلك من طباع الجوارح ، ويلتقط الحبوب ، ويأكل البقول وذلك من طبائع بهائم الطير ، وان مما عابوا به الديك [أنه] (١) لا يألف منزله ، ولا يعرف ربعه ، ولا يحن الى دجاجة، ولا تتوق نفسه الى طروقته ولا يشتاق الى ولده ، ولا يذكر ولا يتذكر ، ولا يهتدي ، ولا يتصور لانه له طبيعة بلهاء ذاهلة ، وذلك انه اذا سقط على حائط لم تكن له هداية ترشده الى داره وهو لا يثبت وجه صاحبه ، ولو لم يخلق الا عنده ، وفي ظله ، وتحت جناحه ، ولا يتزاوج لغلبة الشبق عليه وان مما مدحوه به أن يجمع له عدة دجاج يسوسهن بالمواساة ، ولا يؤثر واحدة منهن على صويحباتها ، وانه يعرف الأوقات [الزمانية] (٢) الليلية ، ويقسط اصواته عليها تقسيطا لايكاد يغادر منه شيئا سواء طال الليل أم قصر حتى كان طبعه ذلك على حدته وهو لا يصقع لشيء رآه أو تخيله ، أو سمع صوتا فأجاب ، وانما يصقع لشيء في طبعه اذ لا قبل ذلك الوقت من الليل هيّجه ، ولو لم يكن في القرية ديك غيره ، وهو يوالي صياحه قبل الفجر ثم بعده الى أن يبسط النهار ، وله أيضاً أصوات في النهار لا يعدوهن، موضوعات (٣) أيضا على الساعات الزمانية ، ومن عجيب احوال الديكة انها اذا كانت قد رُبيت في مكان ثم دخل عليها ديك غريب سفدته جميعها ، والديك يضرب به المثل في السفاد ، وذلك انه ينقر الحب ويحمله بطرفي منقاره حتى يرميه بين يدي الدجاج ، واذا ظفر بشيء منه وهن عنه غيّب دعاهن اليه وقنع منه بدون حاجته توفيرا عليهن والديكة تعظم بدليل السند حتى تكون مثل النعام.

١- الزيادة من ب .

٢- ساقطة من جـ .

٣- في ب جيدا .

الوصف والتشبيه :-

قال بعضهم [يصف حسن الدجاجة] [1] *ونبل الديك/ ١٠١ظ :-*

كأن الديك ديك بني نمـــــــــير

امير المؤمنين علــــــــى السرير

كأن دجاجهم فــــــي الدار رقطا

وفود الـــروم في قمص الحرير [2]

ولأبي بكر الصنوبري من أبيات يصف ديكا :-

مغرد الليل ما يَألُوك تغريـــــــدا

مَلّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

لما تَطرب هز العِطــــفَ من طَربٍ

ومد للصــــوت لما مده الجيدا [3]

كلابس مطرفا مُرخٍ ذوائبـــــــه

تضاحك البيض من اطرافه السودا

حالي المقلد لو قيست قلادتــــــه

بالورد قَصّر عنها الـــورد توريدا

١- الزيادة من ب .

٢- ساقطة من جـ .

٣- في ب جيدا .

زان بفصي عقيق يدركان [1] لـــه

من حدة فيهما ما ليـــس محدودا

يقولُ هــــــذا عَقيد المُلك منتسب

في آل كسرى عليه التاج مشـدودا

أو فـــارسٍ شَدّ مِهمازيه حين رأى

لواء قائده للحــــــرب معقودا [2]

وقال السري الرفاء :-

كشفَ الصباحُ قِناعــــــه فتألّقا

وَسطا على الليل البهيم وأبرقا [3]

وعلا فَلاح على الجدار مُوشـــح

بالوَشي تُوج بالعَقيــــــقِ وطُوقا

مَرِح سَدول [4] التاج في لُباتـــه

ومُشمرا وَشيـــا عليه مُنمقا [5]

١- في ب مدركان .

٢- الابيات في نهاية الارب ٢٢٨/١٠ ، وهي ساقطة من جـ .

٣- في الديوان اشرقا .

٤- في ب والديوان فضول .

٥- الديوان ص ١٩٠ وهي ساقطة من جـ .

وقال علي بن الحسين الاصفهاني [1] يصف ديكا من أبيات ويرثيه فيهـــــا [2]:-

لما بَقعت وصرت علق مَضنـــــة

ونشأت نَشْوَ المقبـــــل الموموقِ

وتكاملت حُـلل [3] الجمال باسرها

لك من جليل خالص ودبيــــق [4]

وغدوت ملتحفا بمُرط حبـــــرت

فيه بَديع الوشــــى كَفُ انيقِ

ولبســـت كالطاووس وشيا لامعا

مُتلألئا ذا رَونـــق وبريـــــقِ

من حمرة مـــع صفرة في زرقة

تخييلها يخفي على التحقيقِ/١٠٢و

عرض تَجل عن القياسِ وجَوهــر

لطفت معانيــــه عـــن التدقيقِ

وكأن سَالفتيك تبر ســـــائل

وعلى المفـارق منك تـــاج عقيقِ

١- ساقطة من ب .

٢- في ب يرثي فيها ديكا ويصفه .

٣- في ب جمل .

٤- الدبيقي : نوع من ثياب مصر .

تزقو وتَصفِق بالجناح كمُنتــــش

وصلت يداه الصوتَ بالتصفيقِ (١)

وقـــال أبو هلال العسكري يصفه :-

متـــــــــوجٌ ..... بعقيـــقِ

مقــــرط بلجيـــــــــنِ

عليـــــه قرطـــــقُ وَشـــي

مُشمـــر الكُميـــــــنِ (٢)

يَزهـــــو بتـــاجٍ وطــــوقٍ

كأنــــه نـــور عيــن (٣)

حتى إذا الصبُـــح وافـــى (٤)

مُطـــــرز البُرديـــــن (٥)

دعــا دُعـــاء طَريـــب (٦)

مُصفَـــقُ باليديـــنِ (٧)

وقـــال بعض الأندلسيين :-

١- الابيات في نهاية الارب ١٠/٢٣٠ وهي ساقطة من جـ .
٢- في الديوان الكفين .
٣- احد ملوك اليمن .
٤- في الديوان يبدو .
٥- في الديوان الطرفين .
٦- في الديوان طروب .
٧- في الديوان الكفين ، راجع ديوان المعاني ٢/١٣٧ وهي ساقطة من جـ .

وكائن نَفى النوم مـــن عين فان

بديع المَلاحة حلُو المعانــــــــي

باجفان عينيه... ياقوتتـــــان

كأن وميضـهمـــا جـمـــــرتان

على رأسه التاج مستشرفـــــا

كتاج ابن هرمز في المهرجـــان

وقُرطان من جوهـــــر ... أحمـر

يزينانـــــه زَين قرّط الحصـان

له عُنق حوله .... رونــــــــق

كما حَوت الخمر احدى القنـانـي

ودارت بَرائله [1] حولهـــــــــا

لهــــا ثَوب شعر من الزعفران

ودارت بجُؤجـــئه حلُـــــــة

تروق كما رَاقك الخَسروانـــي [2]

وقـــــام لـــــه ذنــــب معجب

كباقة زهر بــــــــدت مـن بنان

وقاسَ جناحـا على ساقـــــــه

كما قِيس ستر علـــى خيزران

١- البرائل : ما استدار من ريش حول عنق الطائر .

٢- نوع من اللباس .

وصفق تصفيــــق مستهتـــــر

بمخمّـــــرة من بنات الدنــــان

وغَرّد تغريد ذي لَوعـــــــــة

يبوح بأشواقـــه للغوانـــي [1]

ولله ابو علي بن رشيق حيث مزق عليه جلباب المادح وتركه من سمل[2] الذم في الزي[3] الفاضح في قوله[4] :-

قـــــام بـــلا عقـــلٍ ولا ديـن

يخلـــط تصفيفا بتأذيـن /١٠٢ظ

فنبه الاحباب من نومهــــــــم

ليخرجوا في غير ما حيـــــــن

بصرخة تَبعـــثُ موتى الكـــرى

قد أذكرت نفخ اسرافيــــن [5]

كأنهـــــا في حلقـــــه غُصة

اغصـــه اللّـــه بسكيـــن [6]

١- الابيات في نهاية الارب ٢٣٢/١٠.
٢- في الاصل سمك وما اثبتناه هو الصحيح عن ب والاسمال : الثياب البالية، وفي جـ شمل .
٣- في الأصل الرأي وما اثبتناه هو الصحيح من ب ، جـ .
٤- في ب وذلك قوله .
٥- وهو الملك الموكل بنفخ الصور .
٦- الديوان ص ٢١٧.

ولمح في شعره هذا المثل المضروب وهو قولهم (اثقل من الزواقي) (١) وهي الديكة لانها تفعل في تفريق المحبين فعلاً يقصر عنه غراب البين حيث يؤذن صياحها بتصرم ليل الوصال ، وتروع رضيع الشفاه اللعس بالفصال وللناس في وصف الديك محاسن كبيرة تركناها لئلا يضيق صدر كتابنا من ابداعها وتسأمها النفوس فتلفضها من أصداف اسماعها ، ومن خرافات العرب خرافة ما وسعني الاخلال بها ولا الاهمال للاخبار بعجبها ، حكى الرياش قال: كنا عند الأصمعي فوقف عليه اعرابي فقال : أأنت الاصمعي ؟ فقال : نعم ، قال : أنت اعلم الحضر بكلام العرب ؟ فقال : ما معنى قول امية بن ابي الصلت (٢) حيث قال :

وما ذاك الا الديك شارب خمرة

نديم غراب (٣) لا يَملّ الحوانيا

فلما استقل(٤) الصُبح نادى بصوته (٥)

الا يا غراب هل رددت رِدائيا (٦)

فقال الاصمعي : كانت العرب تزعم (٧) ان الديك كان ذا جناح يطير به في الجو وان الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لايطير بهما ، وانهما تنادما ليلة في حانة يشربان فنفد شرابهما فقال : الغراب لو اعرتني جناحك لأتيتك بشراب

١- جمهرة الامثال ٢٩٣/١.
٢- امية بن عبدالله ابي الصلت الثقفي شاعر حكيم حرم على نفسه الخمر وعبادة الأوثان (ت ٠ هـ) راجع الأغاني (دار الكتب) ١٢٠/٤، طبقات فحول الشعراء ص ٦٦.
٣- في الاصل الغراب و ما اثبتناه هو الصحيح.
٤- في الديوان اضاء .
٥- في الديوان طرب صرخة.
٦- راجع الديوان ص ٣٢٣.
٧- في ب ان العرب كانت تزعم.

فاعاره جناحه فطار ولم يرجع ، فزعموا أن الديك عند الصبح انما يصيح [١] استدعاء لجناحه [٢] من الغراب ، فضحك الاعرابي وقال : ما أنت الا شيطان.

القول في طبائع الحجل

وهذا الطائر يسمى دجاج البر، وهو صنفان نجدي ، وتُهامي، فالنجدي أخضر ، أحمر الرجلين، والباقي فيه بياض وخضرة ويسمى الذكر يعقوب ، والفرخ الذكر السلّك والانثى السلّكة وهذه الافراخ/١٠٣و تخرج كما تخرج الفراريج كاسية كاسبة ، يقول أصحاب الكلام في طبائع الحيوان [ان] [٣] الحجلة اذا لم تلقح تمرغت في التراب ورشته [٤] ، على اصول ريشها فتلقح ، ويقال : انها تبيض بسماع صوت الذكر ، وبريح [٥] تهب من ناحيته واذا باضت الحجلة ميز الذكور منها الذكر ، وحضنت الانثى منها الاناث في مكان فحضنتها وكذلك هما في التربية ، وفي تركيب هذا الحيوان قوة عند طيرانه حتى ان الانسان اذا لم يرَهُ عند الطيران ظن أنه حفيف حجر من مقلاع فيتخيل منه ، والذكر شديد الغيرة على الانثى واذا اجتمع ذكران اقتتلا فأيهما غلب ذل له الآخر ، وذهبت الانثى مع الغالب ، وفي طبع الذكر أنه يخدع أمثاله بقرقرته، [ولهذا] [٦] يتخذه الصيادون في اشراكهم ليكثر القرقرة فيجتمع اليه أبناء جنسه فتقبض [٧] معه ، وهو يفعل

١- في ب ، جـ ان الديك انما يصيح عند الفجر.
٢- في ب لجناحيه.
٣- الزيادة من ب .
٤- في الاصل وريشه.
٥- في جـ و ريح.
٦- الزيادة من ب ، جـ.
٧- في ب ، جـ فيقعن معه.

ذلك كالمنتقم منها والحاسد لها ، وفي طبع الانثى اذا أُصيب بيضها قصدت عش أخرى وغلبتها على بيضها ، وربما سرقت بيضة بعد أخرى حتى يتجمع لها ما تحضنه.

الوصف والتشبيه :-

قـــال أبو علي بن رشيق القيرواني :-

ما اغربت فـــــــي زيـــها

الا يعاقيب الحجــــــــــل

جاءتك مثقــــــــلة التـــرا

ئب بالحلـــــــــــيّ وبالحُلَلْ

صُفر الجُفون كأنمـــــــــا

باتـــــــــت بتبر تكتحل

وتخالهـــــــا قـــــــد وكلت

بالقوت والصوت الرجـــــل

صـــــغرى انابيـــــــب مـــن

المرجان محكمــــــــة العمل

مشقوقة شق الزجــــــــا

ج لمن تأمل او عقـــــــــل

وصلت مذابحــــــــها الرؤ

س بحمـــــــرة فيها شعل

لولا اختلاف الجنـــــس والـ

تركيب جــاءت في المثـــــل

كلحى الثمانيــــــــن التي

خضبت ومنهـــا ما فصـــل

أو كاللثـــــام ازالـــــه

فـــرط التلفـــــت والعجل

وتخالهـــــــــن جواريا

لا يُزدرين مـــــن العطـــل

رمت الثياب الـــــــى ورا

ء عن المناكـــــب تَنْجــدل

وبدت سراويلاتهـــــــــا

يسحبن وشيـــا مـــــن قبل

حمر مــــن الركبـــات في

لــون الشقائـــــق او اجل

عقدتها فوق الصـــــــدو

ر مخالســـــــات للقبـــل

وشـــــددت بالاعضـــــاء

من حذر عليها ان تحل/١٠٣ظ

وكأنما باتت اصـــــــــا

بعهـــــا بحِنــاء تعـــــل

مــــــن يستحـــل لصيده

فأنــا امرؤ لا استحــــل (١)

١- الديوان ص ١٥٨، وهي ساقطة من جـ .

فصل قال ابن أبي الأشعث : ومن انواع الطير نوع مزاجه مائي هوائي لأن طيرانه في العلو أكثر من طيرانه في البحار ، وكله يفرخ في الدحال [١] والاجام ، ومطرد المياه ولا يركب الاغصان، ولا شوامخ الجبال [٢] ، وان أول مـا نبدأ منها أولا :-

القول في طبائع الكركي

ذهب بعض الناس انه الغرنيق ، وذهب آخرون الى أن الغرنيق صنف من الكركي وهو أخضر طويل المنقار ، قال اصحاب البحث عن طبائع الحيوان ، الانثى من الكراكي لا تجلس للذكر عند السفاد ، وسفاده سريع مثل العصفور ، وهو من الحيوان الذي لا يصلح الا برئيس لان في طبعه الخور والتمارس بالنوبة والذي يحرس يهتف بصوت خفي كأنه ينذر بأنه حارس ، فاذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً مستريحاً حتى تعفى كلها ما [٣] يلزمها من حراسة بعضها بعضاً، ولها مشاتي ومصايف ، ومنه مايلزم موضعا واحدا ومنه ما يسافر بعيدا ، وفي طبعه التناحر ، ولهذا جماعاته لا تطير منقطعة ولا متباعدة بل صفا واحداً تقدمها واحد منها كالرئيس لها ، وهن يتبعنه ، يكون ذلك حينا ثم يخلفه آخر منها متقدما حتى يصير الذي كان متقدماً منها متأخرا ، وفي طبعه أن أبويه اذا كبرا عالهما واتاهما بقوتهما ، وقد مدح [٤] هذا الخلق أبو الفتح كشاجم يخاطب ولده فقـــال[٥] :-

اتخذ فيّ خِلة في الكراكـــــــي

أتخذ فيك خِلة الوطـــــــــواط

١- الدحال : المدخل تحت الجوف.

٢- ملخص من الحيوان لأبن ابي الأشعث ص ٤٨٠ وهي ساقطة من جـ.

٣- في ب الذي.

٤- في ب ملح.

٥- الزيادة من ب .

انا ان لم ترَ فيَّ غنـــــــــــــاء

وببَريِّ [1] ترجو جواز الصراط [2]

ومعنى قوله خلة الوطواط أنه يبر ولده ولا يتركه بمضيعة بل يحمله حيث ما توجه واما من زعم ان الغرانيق غير الكراكي ، وهو الجاحظ [3] ، حاكياً عن أرسطو : الغرانيق من الطير القواطع [4] ، وليست من الاوابد ، وانها اذا أحست بتغير الزمان ازمعت على الرجوع الى /١٠٤و بلادها وأوطانها ، وذكر انها بعيدة سحيقة ، وعند عزمها على الرجوع تتخذ قائداً أو سائقاً ، أو حارساً ثم تنهض معا ، وتطير مع الريح التي تهب ، فاذا طارت ترفعت في الهواء جدا كي لا يعرض لها شيء من الجوارح وان عاينت غيما أو خافت مطراً أو سقطت لطلب ما لا بد لـه[5] منه من طعم او هجم عليها الليل أمسكت عن الصياح ، وضمت اليها أجنحتهـا ، فاذا ارادت النوم ادخل كل واحد منها رأسه تحت جناحه لأنها ترى أن الجناح احمل لما يرد عليها من المكروه في رأسه ، وينام قائما على احدى رجليه لأنه يظن ان مكن رجليه نام اذا كان يجب ان يكون نومه غزارا واما قائدها وسائقها وحارسها فلا ينام الا وهو مكشوف الرأس فان نام فان نومه يكون اقل من العشاش ، والغرانيق تقاتل بعضها بعضا ، وربما صيدت بسبب ذلك لانها تشتغل بالقتال عن حفظ انفسها وفراخها اذا قويت تتعاهد الاباء والامهات بالطعم ، ويقال ان ريشها في شيبتها رماديا ، فاذا كبرت اسود وليس ذلك في سائر الطير قالوا :

[والريش [يتحول بياضه الى السواد ولا] [6] يتحول سواده الى البياض بخلاف الشعر [7] .

١- في الاصل وترى و ما اثبتناه هو الصحيح عن ب.

٢- في الديوان السراط ، راجع الديوان ص ٣١٧.

٣- الحيوان ٥/٥٣٨.

٤- طباع الحيوان ص ٣٩٥.

٥- ساقطة من ب .

٦- الزيادة من ب ، جـ.

٧- في ب شعر الانسان.

الوصف والتشبيه :-

ومُـورد يُجدل قَلب الوامـــــقِ

مُنتظم بالغُر والغَرانـــــقِ

وكـل طير صافرٍ وناعـــــقِ

مكتهل وبالـــــــغ ولاحقِ

موشيـة الصــــدور والعَواتق

بكل وشـــي فاخـــر وفائق

تختـال في أجنـــحة خوافق

كأنما تختال في قراطـــق

يرفلن في قُمص وفي يلامق(١)

كأنهن زهـــــــر الحدائق

حُمر الحداق نجل (٢) الحَمالـق

كأنما يجلين فـي مخانـــق

كأنمـــــا نطقن بالمناطق (٣)

القـــول في طبائع الاوز

وهذا النوع ثلاثة أصناف بطائحي وهو الطويل الاسود بزرقة ، والتركي (٤)

١- اليلمق : القباء.

٢- في ب والمصايد والمطارد كحل.

٣- الابيات في المصائد ص ٢٥٢ ، نهاية الارب ١٠/٢٣٥ وهي ساقطة من جـ.

٤- في جـ البركي.

[وهوّ] [١] مائل الى البياض ، والخبي [وهو] [٢] الضخم الكبير [منها] [٣] ، قال أصحاب الفحص عن الكلام في [طبائع] [٤] الحيوان ان الاوز عند [٥] الفراغ من السفاد يسبح في الماء كأنه تمام اللذة وكمال السرور ، والانثى من هذا النوع تحضن بيضها ثلاثين [٦] ، يوماً فاذا /١٠٤ظ خرجت الفراخ ناهدت اخرى فربتهن وعالتهن فتكون حاضنة وداية تسوسهن وتشفق عليهن كالام ، والذكور تحنو على الفراخ ، ولكل منها قضيب تسفد به كالبط ، والاوز البطائحية (وتعرف بأرض [مصر] [٧] بالعراقية ، تخالف الاوز الخبية في الصياح ، لان الخبية تصيح ذكورها ولا تصيح اناثها ، والبطائحية) [٨] بخلاف ذلك ولا تحنو على الفراخ [ولا تحضن] [٩] .

الوصف والتشبيه :-

[قال أبو نؤاس] [١٠] يصف اوزا من طردية :-

يارب سرب مـــــــــن أوز رتّع

[في صحب الحوت برود المكرع

فهي بين حَوْم ... ورفــــــع] [١١]

من كل محبوك الشراب [١٢] ادرع

١- الزيادة من جـ.
٢- الزيادة من جـ.
٣- الزيادة من ب.
٤- الزيادة من جـ.
٥- في الاصل عن ، و ما اثبتناه هو الصحيح عن ب وفي جـ اذا .
٦- في جـ ثلاثون.
٧- الزيادة من جـ.
٨- ساقطة من ب.
٩- الزيادة من ب ، جـ.
١٠- الزيادة من ب.
١١- الزيادة من ب.
١٢- في ب الشراة.

اصفر فص العين احوى الدمع

مقـــرط بتؤمتيـــــــن او دع

موصلة وجنتـــــه ... بالأخدع

[عولى متناه بحبك اربـــع] (١)

فهو كبيت اللعب المصنع (٢)

وقال الناشيء [ناسجا] (٣) على منواله فقال (٤) :-

يارب ضَحضَـاحٍ قريب المُشرعِ

مُطرد مثل السُيوف اللّمــــــعِ

مُجلل بسابحـات وُقـــــــع

من كلِ مُوشـــى الطِراز ادرعِ

مُوشـــــــح بمُرطِ المُجـزعِ

او احصف الزف طـرير اسفع

كأن عينيه ولمـا يهـــــــرع

فصا عقيقٍ (٥) ركّبـا لاصـبع

ذي جُمة وحف (٦) وفَرعٍ أفـرع

قُرّط حُسنـا بلآلئ أربــــــع

١- الزيادة من ب .

٢- الابيات في المصائد ص ٢٥١ وهي ساقطة من جـ.

٣- الزيادة من ب.

٤- ساقطة من ب.

٥- في الاصل عقيقا.

٦- الوحف : الكثير الريش أو الشعر مع الجمال.

وعِقد دُر حــول جيـــــد اتلع

فهــو لعين [1] النــــاظر المستمتـع

كصنم بجوهر مرصع [2]

وقـــــال أبو نؤاس أيضا :-

ومَنهل يَغْتـــــم بالغلافـــق

حَـوى مـــن الاوز الشَـــرارق [3]

سُود الاماقي [4] صُفر الحَمالقِ

كــــأنما يَصْفــرن مـــن مَلاعِقِ

صَرصَرةُ الاقلامِ في المهارقِ [5]

وقال أبو علي الحسن بن رشيق [يصف فحل اوز] [6] :

نَظرت الى فَحــل الاوزِ فخلته

من الثقل في وَحلٍ وما هو في وحلِ

ينْقل رجليـه على حين فَتـــرةٍ

كمُنتعل لا يُحسن المشيَ في النعـلِ

١- في الاصل كعين والصحيح ما اثبتناه من ب .

٢-ابيات في المصائد ص ٢٥٣ وهي ساقطة من جـ.

٣- الشرارق : طائر مرقط . الغلفق :- الطحلب.

٤- في ب المآقي.

٥- الابيات في المصائد ص ٢٥٠ .

٦- الزيادة من ب .

لــه عُنق كالصولجــــــانِ ومِخطم

حكــى طَرف العرجُــون من يافــع النخــل

يُداخِله [1] زهو فيلحـــــظ من على

جوانبـــه إلحـــاظ مهتـــــــم العقــل

يَضم جناحيه اليه كمـــــا ارتدى

رداء جديدا من بني البدو ذو جهـل[2]/١٠٥و

القــول في طبائع البط

وهو أصناف منه الوحشي والأهلي ، ومن الوحشي اللقلق ، ومن الأهلي الصيني وفراخه تخرج كاسية كاسبة ، كالفراريج ، وذكر أصحاب الكتب المصنفة في العجائب ان بالرانج بط بيض ، وحمر ، ورقط طوال الاعناق ، قصار الأرجل ، والبط وان كان مما يطير على وجه الماء فلا ينبغي أن يحكم عليه بما يحكم على طير [3] الماء لأنه ليس بلونه دائماً ، ولا يعوم فيه [ولا يأكل السمك في كل غذائه ، فانه يأكل النبات والبروز ، وهو وان كان ذا جناج] [4] فيه من الريش والقوادم والخوافي فليس بناهض ، وانما انتفاعه بجناحيه أن يكون حتى حدره الماء الجاري الى مكان لا يجتاز طار مصعدا على وجه الماء في البخار الرطب لاغير ، ولهذا الطائر قضيب يخرج من دبره كذكر الكلب عظيم جدا في رأسه زرّ كالفلكة[5] فاذا سفد لم يخرجه حتى ينقلب تحته ، ويحصل له من الانثى عند السفاد ما يحصل للكلب من الالتحام.

١- في ب يخالطه.

٢- الابيات في الديوان ص ١٦٢.

٣- في الاصل الطير وما اثبتناه عن ب ، جـ.

٤- الزيادة من ب ، جـ.

٥- الفلكة : رأس المغزل.

الوصف والتشبية :-

[قـــال بعض الشعراء] [1] يصف بطة :-

أتينا بط كسكر بثيـــــاب

مُفصلـــــة من الحرق الحرير

وقد كشفت لنا عن عظم ساق

قصير مثل قائمـــــة السرير

مُحملة مناكبها الروابـــــي

جناحي مثل كركرة البعيـــر

برأس مثل فهر المســك داح

ومنقار كملعقة البعيـــــر [2]

(وقال محمد بن أبي زرعة وقد اقترح عليه بعض أصحابه أن يقول في جماعة من البط كانت في بركة [ما] [3] [فقال] [4] [بديهاً] [5] :-

كأنهن وقد أقبلن في نســـق

قراقر العاج قد قمعن بالذهب) [6]

١- الزيادة من ب.
٢- الأبيات ساقطة من جـ.
٣- الزيادة من ب.
٤- في ب وقال.
٥- الزيادة من ب.
٦- ساقطة من جـ.

القول في طبائع النحام

وهذا الطير يكون افرادا وازواجا ، واذا اراد المبيت اجتمع رفوفا فذكوره تنام واناثه لا تنام ، وتعد لها مبايت ، اذا ذعرت احداها [١] طارت الى آخر ، ويقال : انه لايسفد ، ولا يخرج فراخه بالحضن ، وانما تبيض من زق الذكر لها ، واذا باضت تغربت وتفردت وبقي الذكر عند البيض يذرق عليه فيقوم حمو الذرق عليه [٢] /١٠٥ظ مقام الحضن فاذا تمت مدة الحضن[٣] خرجت الفراخ لاحراك بها فتجيء الانثى فتنفخ في مناقيرها ، حتى يجري الريح [٤] فيها روحا ثم يتعاون الذكر والانثى على التربية ، وفي الذكر غلظ طبع وقلة وفاء فإنه اذا علم ان فراخه[٥] قد قويت على الطعم (ضربها وطردها) [٦] وتذهب الام معها [٧] فلا تقربه الى وقت السفاد.

القول في طبائع الأنيس

هذا الطائر لم أرَ أحدا من المتكلمين في طبائع الحيوان ذكره غير أرسطو فانني عثرت عند مطالعتي لكتاب الحيوان له على ذكره لهذا الطائر [٨] ، ويغلب على ظني أنه الذي يسميه رماة البندق الانيسه ، والله اعلم ، قال : وهذا الطائر حاد البصر ، وصوته يشبه صوت الجمل [٩] ، ويحاكيه ومأواه في قرب الانهار ، وفي الاماكن الكثيرة المياه الملتفة الشجر وله حسن وتدبير في معاشه [١٠].

١- في ب احداهن.
٢- في جـ فيقوم له ذلك الذرق بحموه.
٣- في ب الحمل.
٤- في الاصل الروح و ما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ .
٥- في جـ فرخيه.
٦- في جـ خربهما وطردهما .
٧- في جـ معهما .
٨- راجع طباع الحيوان ص ٣٧٨ ، وقال ان اسمه انثس.
٩- في طباع الحيوان ، صوت الخيل.
١٠- طباع الحيوان ص ٣٧٨.

فصـــــل :-

وكنت أسمع بشحم القاوند [1] ، ولم أدر أهو حيوان هوائي أم مائي أم أرضي حتى وقفت على كتاب موضوع في طبائع الحيوان ، وخواصه ليس عليه اسم المصنف فرأيته قد قال: القاوند طير يتخذ وكره على ساحل البحر ، ويحضن بيضه في شفير الرمل وذلك في طبعه عند قسوة الشتاء وشدة البرد ، وهو يحضن بيضه سبعة ايام ، ويخرج فراخه في اليوم السابع ، ثم يزقها سبعة ايام ايضاً والمسافرون في البحر يتيمّنون بهذه الأيام ويوقنون بطيب الوقت ، وحلول اوان السفر ، ثم قال والمعتبرون بحال هذا الطائر يقولون : إن اللّه تعالى يمسك أمواج البحار عند هيجانها ، في زمن الشتاء عن مبيض هذا الطائر وفراخه ببره لابويه عند كبرهما ، وذلك انهما اذا كبرا حمل اليهما قوتهما وعالهما مدة حياتهما الى أن يموتا .

فصـــــل [2] :-

وقد مضى القول فيما نبل من الطير صورة مستوفاة على قدر الاستطاعة فليلحق بذلك ما صغر جرمه ، وأهم ما نبدأ بذكره منه ، حسن مرأى ومسمعا واتحفه بهما القدر معا .

القــول في طبائع الخطاف

ويسمى زوّار الهند وهو /١٠٦و من الطير القواطع الى الناس يقطع البلاد البعيدة اليهم رغبة في القرب منهم والالف بهم من حيث لا يبلغه خير ولا يطأه صاحب سفر ، ثم انه اذا قطع الى الناس لم يبنِ بيته الا في أبعد المواضع حيث لا تناله أيديهم ولا يحمله الانس بهم على ترك التحرز [منهم] [3] ومن ملابستهم [4] والخوف منهم على منع نفسه لذة السكون اليهم فهو لا يبخس الحزم حقه ، ولا

١- من فصيلة صياد السمك .

٢- ساقطة من ب .

٣- الزيادة من ب، جـ.

٤- في الاصل ملاعمتهم و ما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ .

يمنع الارتقاء بهم حظه ، ومن عجيب حاله انه تقلع عينه فترجع وهو لا يرى ابدا واقفا على شيء يأكله ولا يتناوله ، حتى ان بعض المتكلمين في طبائع الحيوان زعم أنه ليس له رجلان ، ولا يرى مسافراً ، ولا مجتمعا بانثاه ، والخفاش عدو له وهو متى افرخ وضع في اعشاشه قضبان الكرفس فلا تؤذيه اذا شم رائحته ، ولا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطين جديد وهي يبني عشه جديدا وذلك انه يهيئ الطين مع التبن ، واذا لم يجد طينا مهيئا القى نفسه في الماء ثم تمرغ في التراب حتى يمتلئ جناحاه[ويصير] [1] شبيها بالطين ، واذا هيأ عشه وضع الجاسي اولا كما يفعل الناس [2] ويصير مقدار العش ما يسعه ويسع انثاه وفرخيه وهو يساوي [3] في الطعم بينهما ، وهو لا يبقي في عشه زبلا بل يلقيه خارجا ، فاذا كبر فرخاه علمهما ذلك واصحاب اليرقان [4] يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران فاذا رآهما صقر ظن أن اليرقان اصابهما من شدة الحر فيذهب ويأتي بحجر اليرقان فيطرحه على الفراخ ، وهو حجر اصفر فيأخذه المحتال فيعلقه على من به اليرقان او يحكه ويشرب من مائه يسيرا ، والخطاف متى سمع صوت الرعد مات.

الوصف والتشبيه :-

قـــــال ابو اسحاق الصابي :-

وهِنديةِ الاوطانِ زِنجية الخلـــــقِ

مُسودة الأبوابِ مُحمـــــرة الحُدقْ

كأن بها حُزناً وقد لَبســـــــت له

حِدادا وأدرتْ من مَدامعها العلـــق

١- الزيادة من ب .

٢- في ب النار.

٣- في ب يسوي.

٤- اليرقان : مرض يصيب الكبد يصفر منه الوجه والعين.

اذا صَرْصرت صرت بآخر صوتها

كما صَر مُلَوِي العــود بالــوتر الحَزق

تصيف لدينا ثم تشتو بأرضهـــا

ففي كل عام نلتقي ثم نفترق[1]/١٠٦ظ

وقال السري الرفاء يصفها من أبيات [2] *يصف فيها عرفه*:-

وغرفتنا بين السحـــائب نَلتقـــي

لَهـــن عليهـــــــا كلِّـــة ورواق

تَقَسَّم زوار مـــن الهند سَقْفهـــا

خِفــــاف على قلب النديم رشـــاق

أعاجم تلتذ الخصـــام كأنهـــا

كَــواعب زِنـج راعهـــن [3] طـلاق

آنسن بنـــا أُنس الامـــاء تَحببت

وشيِمتهـــا غَدرٌ بنـــــا وإِبـــاق

مواصلة والورد فـــي شجراتـــه

مفــارقة ان حـــان منــه قـــران [4]

وله ايضـــــا :-

وغرفتنا الحسناء قد زاد حسنهـــا

بزائرة فـــي كـــل عـــام تزورهـــا

١- الابيات في يتيمة الدهر ٢٦٧/٢ ، نهاية الارب ٢٤٠/١٠ وهي ساقطة من جـ.

٢- الزيادة من ب .

٣- في الاصل راهن و ما اثبتناه من ب ، والديوان .

٤- الديوان ص ١٨٧.

مبيضة الأحشاء حُمر بطونهـــا

مُزبرجة الاذناب سُود ظهورهـــا [١]

لهن [٢] لغات معجمات كائنهــــا

صَرير نِعالِ السبت[٣] عالٍ صــريرها

تُجاورنا حتى تَشب صِغارهــــا

فيلحق فينـــا بالكبير صغارهـــا [٤]

وقـــــال *أبو هلال العسكري* :-

وزائرةٍ في كل عـــــام تزورنا

فتُخبر من طيب الزمـــانِ مَزارهـــا

تُخبر إنَّ الجو راق قَميصــــــه

وإنّ رياضاً قد توشـــــى ازارهـــا

وإنَّ وُجوه الغُــــــر رَاق بياضُها

وإنّ متُون الارض راع اخضرارهـــا

تحن الينا وهي من غير شكلنـــا

فتدنو على بعد من الشكل دارهـــا

١- في الديوان :

مبيضة الاحشاء سود شطورها

مزعرة الاذناب ممر غورها

٢- في ب لها.

٣- نعال السبت : نعال مصنوع من جلد قوي.

٤- الديوان ص ١٣٩ .

ويعجبنا وسط العِراص وقوعها

تمشت الينا هندها ونوارهـــــــا[1]

وقـــال آخـــر :-

أهلا بخَطافٍ أتانـــا زَائـرا

غـــردا يُذكر بالزمـــانِ الباســم

لبست سَرابيل الصَباحِ بطونـه

وظهوره ثوب الظلام الغائم[2]/١٠٧و

القول في طبائع القيق والزرزور

أما القيق فطائر في قدر الحمام اللطيف ، وأهل الشام يسمونه ابو [3] زريـق ، وفي طبعه كثرة الالف بالناس ، وقبول التعلم ، وسرعة الادراك لما يلقن من الكلام ، وربما زاد على الببغاء في ذلك اذا انجب ، واذا تعلم جاء بالكلام حروفا مبينة اسماء وافعالا حتى لا يشك سامعه اذا سمعه ولم يره انه انسان ، واما الزرزور فيقال انه ضرب من الغراب يسمى الغداف ، وقال آخرون : هو الزاع ، وهو من الطير الذي يلقن فيبلغ منها الامل في قبول التعليم ولا يرى الا في الربيـع ، ولونه أرقط لكن السواد اغلب ، ومن الشاد في لونه الابيض ، وقد روي[4] في هدية اهداها منويل ملك الروم الى الامام المستنصر بالله العبيدي .

١- ديوان المعاني ١٣٩/٢ نهاية الارب ٢٤٢/١٠ وهي ساقطة من جـ.
٢- الابيات في نهاية الارب ٢٤٢/١٠ وهي ساقطة من جـ.
٣- ساقطة من
٤- في الاصل رأى وفي جـ رئي.

الوصف والتشبيه :-

يارب اعجـــــم صامت لقنته

ظرف الحديث فصار افصح ناطق

جون [1] اعير [2] قوة صفـــرة

كالليل طرزه وميض البـــارق

حكم من التدبير اعجزت الورى

ورأى بها المخلوق الطف خالق [3]

[وقـــال آخـــر] [4]:

أمنبـــر ذاك أم قضيـــب

يقرعـــه مصقـــع [5] خطيب

يَخْتـــال في بردتي شبـــاب

لـــم يتوضح بهـــا مشـــيب

أخـــرس لكنـــه فصيـــح

ابلـــه لكنـــه لبيـــب [6]

١- في الاصل حور وما اثبتناه هو الصحيح من ب .

٢- في الاصل عرفوه.

٣- الابيات في نهاية الارب ٢٤٢/١٠.

٤- الزيادة من ب.

٥- في الاصل مصعق وما اثبتناه هو الصحيح من ب.

٦- الابيات في نهاية الارب ٢٤٢/١٠.

القــول في طبائع السماني

ويـقــال : إنَه السلوى ويُعد فـي الطيور القواطع التي لا يُعلم من أين تجيء حتى أن بعض الناس يزعم أنه يخرج من البحر المالح [1] فانه يرى طائرا عليه واحد جناحيه في الماء والآخر منشور كأنه قلع، ولأهل مصر به عناية حتى أنهم يغالون في ثمنه اذا أنجب، وربما بلغت قيمته ثلاثمائة درهم بيضا [2] وأكثر ، وهو صنفان ربيعي ، والطرماهي فالربيعي القادم الراجل ، والطرماهي القاطن المختلف في الأرض ، والبلاد الخصيبة ، فيبيض ويفرخ فيها كالحجل ، ويصاد في الصيف وأوائل الخريف ، ويزعم المعتنون به أن صوته ينقسم على/ ١٠٧ظ سبعة ضروب وهي : رجف ، ومخلع ، وتحليق ، ومرسل ، وحططي ، ورهوال ، وخفيف الضرب ، وهو اعلاها ، وقالوا : هذه ضروب أصلية تتفرع فروعا على تفريع الغناء والموسيقى ، فالرجف مقابل رست ، والتحليق مقابل عراق ، والمرسل مقابل اصفهان ، ويذكرون من هذا الهذيان الذي لا تقوم عليه حجة ، ولا برهان ما لايسع العاقل سماعه، ولا يألفه طباعه فانهم استسمنوا ذا ورم ونفخوا في غير حزم، وذلك ان حكاية صوته على ما اتفقوا عليه (شفشلق) ، ولا اعتبار عندهم في القيمة بحسن الصوت ، فإنه قد يوجد من [3] الرجوف ما قيمته أكثر من خفيف الضرب ، وذلك لاجل الفراهة برقة الاصوات فانه وجد منها ما صاح في الليلة الواحدة ثلاثة الاف صوت، وفي الرجوف ما لا يفهم،، ويسمى مغلق وهو بالنسبة الى ماعداه أعجمي ، والغالب عليها قبل أن تفصح (الوعوعة) وحكايــة صوتها وعوع ، وفيها ما يطلق عليها (ابو طقين) وهو عندهم من الضروب الفرحة لانه يقول شقلق مرتين في صوت واحد ، وعلى كل حال فأي معنى في هذا الكلام حتى تتفاوت فيه الرغبات ، وتتوفر [عليه الطلبات فيغالى في ثمنه ويفوز بتحصيله مَنْ ومَنْ (والله الموفق للصواب) [4]] [5] .

١- في الاصل و ب الملح وما اثبتناه هو الصحيح من جـ .

٢- الدرهم الابيض : وهو المصنوع من الفضة.

٣- في ب في

٤- ساقطة من جـ.

٥- الزيادة من ب .

القول في طبائع الهدهد

(وهذا [١] الطائر منتن الريح وان لم يكن ملطخا بشيء من القاذورات فانه يبني أُفحوصه من الزبل ، وليس ابتناؤه منه على قدر رغبته ، وحاجته في الا يتخذ افحوصا الا منه) [٢] ولكنه [٣] جرى على اعراق ابويه اذ كان هذا الصنع عاما في جنسه ، ويضرب به المثل في النتن ، قال بعض الشعراء يهجو رجلا :-

وأنتن من هدهد مَيــــــــتْ

أُصيب فكُفن فـــــــي جورب [٤]

ويذكر عنه أنه يرى الماء في باطن الأرض ، كما يراه الانسان في باطن الزجاج وزعموا انه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء [٥] ، وبهذا السبب كان تفقده له على أحد اقوال /١٠٨ و المفسرين للكتاب العزيز [٦] ، وقال الجاحظ الهدهد ، وَفيّ حَفُوظ وذلك ان الذكر اذا غابت عنه انثاه لم يأكل ولم يشرب ، ولم يشتغل بطلب طعم ، ولم يقطع الصياح حتى تعود اليه، فان حدث بها حادث اعدمه اياها لم يشتغل بعدها بانثى ابدا ، ولم يزل صائحاً عليها ماعاش ، ولم يمتلئ بعدها من طعام بل منه ما يمسك رمقه الى أن يشرف على الموت فعند ذلك ينال منه شيئاً يسيراً .

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الشعراء ملغزا فيه [٧] :-

وسَاجـــــــد ليـــــس مثلـــــه

خمس ولم يسجد لغفـــــــــران

١- في جـ وهو .
٢- مخرومة في الأصل.
٣- في جـ ولكن.
٤- البيت لابن المعتز ، الديوان ٢٤٠/٣.
٥- راجع الديوان ٥١٣/٣ ، ٣١٠/٦.
٦- راجع الطبري ١٤٤/٩.
٧- في ب في هدهد ، في جـ والغز فيه بعض الشعراء.

قبِلَته فـــــــــــي كل افقٍ كما

صليت في الخوف بنقصـــــــان

ولآخـــــر [1] مـــن ابيـــات :-

كأنه إذا اتاه من قُرى سبـــــأ

مُبشرا قد كساه تـــاج بلقيـــس

يبدو له فوق ظَهر الأرض باطِنها

كما تبدت لنا الاقذاء في الكوس[2]

وما أطرف قـــول ابي الشيـــص [فيه] [3] :

لا تأمنن على سِري وسِركـــــــم

غيري وغيـــرك اوطئ القـــراطيس

او طائر سأُحلَيه وأنعتـــــــــه

ما زال صاحب تأييد [4] وتـأسيس

حمر شَقاشِقه ميـــل [5] ذوائبه

حُلو شمائلـــه في الحُسن مغمـوس

١- في ب وقال آخر من ابيات.
٢- الابيات في نهاية الارب ٢٤٨/١٠. والمراد الكؤوس.
٣- الزيادة من جـ ، وهو محمد بن عبدالله ، شاعر مطبوع من أهل الكوفة (ت ١٩٦ هـ) ، فوات الوفيات ٢٢٥/٢ ، الوافي ٢/٣ , ٣.
٤- في الحيوان ونهاية الارب تنقير.
٥- في الاصل مميد.

قد كان هَم سليمان ليذبحه

لولا سعايته في ملك بلقيس [1]] [2]

القــول في طبائع العقعق

ويمسى أيضاً (كندش) بالشين المعجمة ، وهو طائر لا يأوي تحت سقف ولا يستظل به ، بل يهيء وكره في المواضع المشرفة وجو الهواء الفسيح ، وفي طبعه الزنا والخيانة ، ويوصف [3] بالسرقة والخبث ، والعرب تضرب به المثل في جميع ما ذكرناه ، واذا باضت اخفت بيضها بورق الدلب خوفاً من الخفاش ، فإنه متى قرب من البيض مذر وفسد ، ويطير من ساعته ، وهو يغطي فراخه بجناحيه اذا نزل المطر خوفـــاً عليهما منه وشفقة ، وتقول العرب : اموق من عقعق ، واذا كان حذراً فإنه يضيّع بيضه وفراخه [4] ، وفي طبعه انه شديد الاستلاب والاختلاس لما يراه من الحلي ، فكم عقد ثمين وسلك خطير اختطفه من بين يدي قوم ، فأما رقى به وخلفه في الهواء فأتلفه ، واما احرزه ثم لم يلتفت اليه ابداً .

الوصف والتشبيه :-

قال فيه اسحاق الموصلي [5] :-

اذا ما بارك اللّه في طائرٍ

فلا بارك اللّه في العَقعَقِ /١٠٨ظ

١- الابيات في الحيوان ٥١٨/٣ ، نهاية الارب ٢٤٨/١٠.

٢- الزيادة من ب ، جـ.

٣- في الاصل يصف وما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ.

٤- جمهرة الأمثال ٣٩٥/١.

٥-اسحاق بن ابراهيم الموصلي من أشهر ندماء عصره وله شعـــر رائـــق وكـــان ذا علـــم بالموسيقى (ت ٢٣٥هـ) ، راجع الفهرست ص ١٥٧ ، وفيات ٢٠٢/١.

قصير الذُنابى طويل الجنا

ح متى ما يجد غفلة يَسرق

يُقلب عينيه في رأســـــه

كأنهما قطرتا زئبـــق (١)

القول في طبائع العصفور

وهو ضروب منها ماهو مطرب (٢) بصوته معجب بصورته وحسنه، وسيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء اللّه تعالى (٣) ، فأما العصفور البيوتي، فإن اصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون ان في طباعه اختلاف لما فيه طباع سباع الطير وبهائمه (٤) فالذي فيه من طبائع السباع أنه يلقم فراخه ، ولا يزقها ، ويصيد اجناسا كبيرة من الحيوان ذي الجناح كالنمل اذا طار والجراد ، ويأكل اللحم ، والذي فيه من طبائع (٥) بهائم الطير انه ليس بذي مخلب ولا منسر ، وهو اذا سقط على عود قدم اصابعه الثلاث، وأخرّ الدابرة ، وسباع الطير تقدم اصبعين وتؤخر اصبعين ، وتأكل الحب والبقول ، ويتميز الذكر فيها على الانثى بلحية سوداء كما للرجل ، والتيس ، والديك ، وليس في الأرض طائر ولا سبع ولا بهيمة أحنى على ولده ولا اشد به شغفا ، وعليه اشفاقا من العصافير فانها اذا اصيبت أولادها أو خافت عليها العطب فليس في شيء من أنواع الحيوان من المساعدة مثل الذي في العصافير ، لأن العصفور يرى الحية قد أقبلت نحو عشه

١- الحماسة البصرية ٣٤٢/٢ وفي نهاية الارب نسبها الى ابراهيم الموصلي.

٢- في جـ مضطرب.

٣- ساقطة من ب ، جـ.

٤- راجع الحيوان ٣٢٧/٢.

٥- في ب طباع.

لتأكل بيضه او فراخه ، فانها مولعة بذلك فيصيح فلا يسمع عصفور الا أقبل اليه يصنع مثل صنعه بتخوف وقلق ولوعة واستغاثة ، فربما افلت الفرخ فصار الى الأرض وذهبت الحية فيجتمعن عليه اذا كان قد نبت ريشه ادنى نبات ، ولا يزلن يهيجنه للطيران بأن يطرن حوله لعلمها بأن ذلك يحدث بالفرخ قوة على الطيران ، فاذا نفض طرن حوله ودونه حتى يحتملنه بذلك العمل والعصفور لايعرف المشي، وانما يرفع رجليه فيثب فيضعهما معا ليس معه الا النقزان وهو كثير السفاد ، فربما سفد في الساعة الواحدة نحوا من خمسين مرة ، ولذلك قصر فإنه لا /١٠٩و يعمر أكثر من سنة [١] ، وعلامة ذلك ان الاطراف السود لا يظهر فيها الا في أوان الربيع ، وهذا يدل على أنه لا يبقى من الذكور التي كانت في العام الماضي شيء ، وليس لشيء جسمه مثل جرمه مرارا كثيرة من شدة الوطء وصلابة الوقع على السطح مثل ما للعصفور ، ولفرخ العصفور تدرب على الطيران حتى أنه من الغابة البعيدة يدعى فيجيب ، قال الجاحظ ، وبلغني أنه رجع من فرسخ [٢] ، ومن ضروب العصافير عصفور الشوك زعم أرسطو: ان بينه وبين الحمار عداوة لان الحمار اذا كان دبر حكّه بالشوك الذي يأوي اليه هذا العصفور ، وربما نهق الحمار فيسقط فراخه ، وبيضه من جوف وكره ، فلذلك العصفور اذا رأى الحمار ، قرب[٣] من فوق رأسه وعلى عنقه واذا بطيرانه وصياحه ونقره في جراحه [٤] ، ويقال ان سبب عداوته له أن معاش هذا العصفور من بزر الشوك ، وفيه بيضه ، والحمار يرعى الشوك اذا كان رطباً [٥] .

من ضروب العصافير القبرة وهي غبراء كبيرة المنقار وعلى رأسها قبرة وهذا الضرب خب [٦] قاسي القلب ، وفي طبعه انه لا يهوله صوت صائح به ، وربما

١- الجاحظ لايرى ذلك ويقول بأنه لا دليل عليه ، راجع الحيوان ٥/٢٢٣.
٢- الحيوان ١/٣٢٨.
٣- في ب، جـ.
٤- راجع طباع الحيوان ص ٣٧٧.
٥- راجع طباع الحيوان ص ٣٧٩.
٦- الخب : الخداع .

رمي بالحجر فاستخف بالرامي ولطا الى الارض حتى يتجاوزه الحجر ، وبهذا [1] السبب لايزال مقتولاً أو مأخوذاً لان الرامي يحمله الحنق عليه فلا يزال يرميه حتى يصبه ، وهو يصنع وكره على الجادة حبا للانس ، ومن ضروب العصافير : حسون ويسميه ام الحسن ، والمصريون السقاية ، وهو ذو ألوان حسنة التأليف والتركيب ، وذلك ان سائر جسمه متصل الاصباغ بالحمرة والصفرة والبياض والسواد والزرقة والخضرة ، وربما علّم استقاء الماء من اناء الى اناء بآلة لطيفة يطيق حملها دبرت له.

الوصف والتشبيه :-

قال ابو هلال العسكري [يصف هذا العصفور] [2]

ومفتنة الألوان بَيضُ وجوهها

ونمر تراقيها وصفر جنوبها

كأن دراريعا [3] عليها قصير

ة مرقعة اعطافها وجيوبها/١٠٩ظ

تعدل اوزان [4] الاغاني كأنما

تعدل أوزان الاغاني غريبها

تسام استقاء في الشتاء اذا عرا

وتعطل ايام المصيف ذنوبها [5]

١- في ب هذا .

٢- الزيادة من ب .

٣- الدراريع : جيب مفتوحة الامام.

٤- في ديوان المعاني الوان.

٥- الابيات في ديوان المعاني ١٤١/٢ وهي ساقطة من جـ.

ومن ضروب العصافير البلبل وهـــو العندليب (والعندليب ويجمع على فواعـل) [1] [ويسميه] [2] اهل المدينة النّغر ويعد من العصافير الدحل وهو طوير اغيبر الرأس لطيف القدر مأواه الشجر ويعد منها البلبل قال الجاحظ: البلبل موصوف بحسن الصوت والحنجرة [3] ومن شأنه اذا كان غير حاذق ولا ماهر ان يطارحه انسان بشكل صوته فيجيبه ، ويتدرب فيتعلم ويجود صوته ويحسن.

الوصف والتشبيه :-

قال أبو هلال العسكري :-

مررتُ بِدُكن القُمصِ سُودِ العَمائم
تُغنى على اطراف غيد النواعــم
زَهين باصــــــــدا غٍ تروق كأنها
نجوم على اعضاد اســود فاحم
ترى ذهبا منهن تحـــــت مآخرِ
لها ولُجينا نظنـــــــة بالمقادم [4]

ولآخـــــــر [5] :-

كيف الحي وقد خَلعت على اللهـو
عِـذاري وقـــــــد هَتَكـتُ قناعي

1- ساقطة من ب ، جـ.
2- الزيادة من ب ، جـ .
3- عده الجاحظ من جملة الحيوانات شجية الصوت ، الحيوان ١٩٤/١.
4- الابيات في ديوان المعاني ١٤٢/٢ وهي ساقطة من جـ.
5- في ب وقال آخر ايضا.

وتَعشَقتُ بلبلــــــــلا انا منه

في ازعاج [الى][1] الصبا والتيـا ع

انا من ريشه المدبج فــــي زهـ

ر ومن شَجوِ صوته في سما ع [2]

١- الزيادة من ب .

٢- الأبيات في نهاية الارب ٢٥٢/١٠ وهي ساقطة من جـ.

الباب السابع

في طبائع الطير الليلي والهمج

والذي يجعل ابتداعنا بذكره من ضروبه ما هجر ظهوره في اشراق قرص الشمس وواصله عند غروبه.

القـول في طبائع الخفاش

وهذا الضرب عدّ من الطير اصطلاحاً لغوياً ، وان كان ليس من الطير في شيء فانه ذو اذنين وأسنان وخطم وخصيتين بارزتين، و يبول كما تبول ذوات الأربع ويحضن ، ويلد ، ويرضع ، ولا ريش له قال بعض المفسرين للكتاب العزيز لما كان الخفاش [هو الذي] (١) خلقه عيسى (عليه السلام) (٢) باذن الله تعالى كان مبايناً لصنعة الخالق(٣) / ١١٠و ولهذا سائر الطير تقهره وتبغضه، فما كان منها يأكل اللحم أكله، وما لا يأكل اللحم قتله ، فلذلك لايطير الا ليلاً ، وقال بعضهم : وسبب مباينة الطير له وانكارها اياه ، مخالفته لها في الخلقة والطيران والسفاد ، وغير ذلك مما ذكرناه آنفاً وهو من بين الطير شديد الطيران كثير التكفي(٤) سريع التقلب ، وطعامه البعوض والفراش يصيدها وقت طيرانه ، ولا يبلغ ذلك الا بما فيه من سرعة اختطافه واختلاسه وشدة (٥) طيرانه ، ولين اعطافه، وهو مع ذلك ليس بذي ريش ، وانما هو لحم وعشاء (٦) جلدي صلب كأنه جلد ضفدع ، وطيرانه بغير ريش عجيب ، ومن عجائبه أنه لايطير في ضوء ولا في ظلمة ، وسبب ذلك انه ضعيف قوة البصر قليل شعاع العين (٧) ، ولذلك لايظهر في ظلمة لأنها تكون غامرة لضياء بصره ولا يطير نهاراً لضعف ناظره عن التحديق في شعاع الشمس فهو لذلك يجعل (٨) خروجه في طلب قوته ، وقت غروب الشمس (٩) ، وظهور

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- ساقطة من ب ، جـ.
٣- راجع تفسير الطبري ٢٧٦/٣.
٤- في الاصل التلقي وما اثبتناه هو الصحيح عن ب، جـ.
٥- في جـ سرعة.
٦- في الاصل غشى وما اثبتناه هو الصحيح عن ب، جـ.
٧- ان النظرية القديمة تذكر بأن الرؤية تتم بخروج شعاع من العين.
٨- في جـ يجعل لذلك.
٩- في جـ القرص.

الشفـق ، وذلك وقت هيج البعوض وانتشاره ، وهو يترك الجبال وبسيط الفيافي وصدوع الصخور ،وجزائر البحر ويطلب الناس وقربهم ثم اذا صار في بيوتهم قصد أرفع مكان فيها وأحصنهُ ، وابعده من المواضع التي يجتاز بها ، وترفع فيها الحوائج ، ويذكر بطول العمر حتى يجوز العقاب الى النسر ، ويجوز الفيلة ، وحمر الوحش الى الحيات ، ويقال : ان الذي يظهر في ضوء القمر من الخفاش هو المسن ولذلك يضخم ويقبل اللحم على الكبر ، (وهو من الحيوان ، وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره ، والقرد ، والانسان [و] [1] الطائر له اذنان بارزتان ، ويلد ، ويرضع أولاده، وله أثداء مثل ذوات الأربع) [2] ، ويلد ما بين ثلاثة الى سبعة ، وكثيراً مايسفد ، وهو طائر في الهواء كما أن [3] الظباء قد تتسافد في احمى عدوها ، وأسرع جريها ، وهو يحمل ولده تحت جناحه ، وربما قبض عليه بفيه ، وذلك من ظنه به واشفاقه عليه ، وربما أرضعت الانثى ولدها وهي تطير/١١٠ ظ وفي طبعه أنه متى اصابه شجر الدلب خدر ولم يطب .

الـوصف والتشبيه :-

قال بعضهم يصفه عن طريق اللغز :-

وطائرٍ جناحه في رِجلـه

اعجب [3] فصه من وصله

لم يُصف الله بخلقٍ مثله

وهو على تَألف في شكله

لو بِيعَ في سُوق لم اغله [4]

١- الزيادة يقتضيها السياق.

٢- ساقطة من ب ، وفي جـ ذكرها بعد قوله (واسرع جريها) .

٣-في ب ابعد.

٤- الابيات في نهاية الارب ١٠/٢٨٤ وهي ساقطة من جـ.

والكـــــروان :-

وفي طبعه الطيران في الليل والادلاج والصياح بالاسحار والاشراف على مواضع العساكر ، ويوصف بالحمق، ومن حمقه انه يقال: له اطرق كرا فيلصق بالأرض حتى يرمى وتقول العرب :-

اطرق كرا اطــــــرق كرا

ان النعامة فــــي القرى (1)

والصدى :-

تزعم العرب في اكاذيبها ان الانسان اذا مات او قتل تتصور نفسه في صورة طائر تصدح على قبره مستوحشة بجسدها، وفي ذلك يقول توبة بن الحميـر(2) حين يقول :-

ولو أنَّ ليلى الاخيليــــــــة سلّمت

عليّ ودونــــي جندل (3) وصفــــائحُ

لسلمتُ تَسلِيم البَشاشَةِ اوزقـــا (4)

اليها صَدىً من جانب القَبر صائحُ (5)

ويزعمون ان هذا وقع ، ويحكون عليه حكاية (6) من خرافتهم ، وتقول العرب ان هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير في قدر البوم ويسمونه الهام ، واحده هامة وهو يتوحش ويصيح ، ويوجد في الديار المُعطلة والنواويس ، وحيث مصارع القتلى (7) ، وأجداث الموتى، ويقولون انه لا يزال عند ولد الميت ومخلفيه

1- المصايد والمطارد ٢٢٦.
2- توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة احد العشاق الشعراء المشهورين (ت ٨٥ هـ) ، راجع الاغاني ٢٠٤/١١ ، فوات الوفيات ١٨٢/١.
3- الجَندل : الصخر.
4- زقا : صاح.
5- الابيات في الاغاني ٢٤٤/١١٠.
6- في جـ حكايات.
7- في ب حيث مصارع القتلى والنواويس.

ليعلم ما يكون بعده [فتخبره] (١) وجاء الاسلام وهم على ذلك حتى قال النبي صلى اللّه عليه وسلم ناهياً لهم : لا عدوة ، ولا طيرة ولا هامة (٢) .

القــول على البــومّ (٣)

ويقال : [انه الصدى] (٤) ، (ويقال ان الصدى ذكر البوم) (٥) ، والبوم لاذكر له منه ، وقال بعض المعتنين بالبحث عن أصناف الحيوان، البوم خمسة أصناف منه مايصيد الأرنب ، ومنه صنف له الوان يأوي الاكام والبرية ، ومنه المدبج بصفرة ، وله حواجب وقرون من ريش يسكن الجدران ، ومنه الهام وتسمى الغبشية ومنه القز وهو طائر يصيح كالهام لكن صوته ادق وكل هذه الاصناف/١١١و تحب الخلوة بأنفسها والتفرد ، وفي انس طبعها عداوة الغربان ، وبعضها على انها مبغضة لسائر اصناف الطير فان الطيور اذا رأوها اجتمعوا عليها.

فصــــــل :-

وأما الهَمَج فهو ماله جناح يطير به ، ولا يسمى طائراً الا مجازاً عند الجاحظ (٦) للمناسبة وأهم ماتقدم ذكره من هذا النوع :-

القول في طبائع النحل

وهو حيوان عنده الكَيِّس ، والفهم ، والنظافة (٧) ، والطهارة ، والشجاعة والنظر في العواقب ، ومعرفة فصول السنة وأوقات المطر ، قال ارسطو النحل تسعة أصناف منها ستة يأوي بعضها الى بعض ، وذكر اسماءها باليونانية (٨) ثم

١- الزيادة من ب.
٢- البخاري ٧/٢٤٧.
٣- الزيادة من ب .
٤- الزيادة من ب.
٥- ساقطة من ب .
٦- راجع الحيوان ١/٢٨.
٧- في الاصل ، ب النعامة وما اثبتناه هو الصحيح عن جـ.
٨- راجع طباع الحيوان ص ٤٢٩.

قال وغذاء النحل من الطل [1] ، والرطوبات التي يرشح بها الزهر ، والورق [2] ، ويجمع ذلك ويدخر ، وهو العسل ، ويجمع مع ذلك رطوبات وسمة يتخذ منها [3] بيوت العسل واوعية له ، وهذه الدسومات هي الشمع ، وهويجلبه على ساقيه [4] (في اطراف الشجر يسقط عليها وان الربيع [5] مثقل ، وفي اعمال النحل)[6]، وتدبيره لمعاشه اختلاف كبير فانه اذا اصاب خلية نظيفة نقية بنى فيها بيوتاً من الموم وهو الشمع أولاً ثم بنى البيوت التي تأوي فيها الملوك ثم بنى بيوت الذكر التي لا تعمل شيئاً وهي اليعاسيب ، والذكور أصغر جثثاً من الاناث وهي تكثر المأوى داخل الخلية ، وان طارت فهي تخرج بأجمعها ، وترتفع في الهواء ثم تعود الى الخلية ، والنحل تعمل اولاً الشمع ثم تلقى البزر لأنه له بمنزلة العش للطير ، واذا القت البزر تجلس عليه وتحضنه كما تحضن الطير ، ويكون عن ذلك البزر دود ابيض موضوع على الشمع من جانب ثم تنهض الدودة وتغتذي بنفسها ثم تنشق له الأرجل ، والأجنحة فيطير ، وهو لايقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد وان تعد على /١١١ظ زهر آخر انما يقعد عليه بعد ان ينصرف الى الخلية، والنحل يملأ بعض البيوت عسلاً ، وبعضها فراخاً ذكوراً فاذا اجتمعت الفراخ على ملك بدلا من آخر طارت فإن تبعها الملك الذي تركته قتلته والملك لايخرج الا مع جميع النحل ، فاذا عجز عن الطيران حملته ، ومن خصائص الملك انه ليس له حمة يلسع بها ، ولا يترك في الكوارة بطالا ولا جاهلا لا يجتني ولا ميتة ، ولا قذرا بل يأمر بالاصلاح ، والنشاط وأمره مطاع متبع وسيرته مرضية فيما بينهم ، ويسمى اليعسوب ، والنحل يجتمع فتقسم الاعمال فبعضها يحمل العسل وبعضها يحمل الشمع ، وبعضها يستقي الماء ، وبعضها يبني البيوت ، وبيوتها من اعجب المباني لانها مبنية على الشكل الذي لاينتهك ، ولا ينحرف كأنه استنبط بقياس هندسي ثم هو في دائرة لايوجد فيها اختلاف وفي طبعه انه يهرب بعضه من بعض ، ويقاتل

١- في ب الفضول ، وهي ساقطة من جـ.

٢- في الاصل القذف.

٣- في الاصل منه.

٤-في الاصل على ما فيه وما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ.

٥- لم أتمكن من قراءة الكلمة.

٦- ساقطة من ب ، جـ.

بعضه بعضا ولا يتقاتل الا في الخلايا ، ويلسع من دنا من الخلية ، وربما هلك الملسوع ، وربما سلم بأن يعصر موضع اللسعة حتى تخرج الحُمة ، فإنه اذا لسع تركها مكان اللسعة، ومتى ذهبت الحمة من النحلة ماتت ، واذا هلك شيء من النحل داخل الخلايا اخرجه الاحياء الى الخارج وفي طبعه النظافة ومن نظافته انه يلقى رجيعه خارج الخلية لأنه منتن الريح وهو يعمل زماني الربيع والخريف ، وما تعمله في الربيع ، جود ، والصغير اعمل من الكبير وهو يشرب من الماء اذا كان نقياً صافيا عذباً ويطلبه حيث كان ولا يأكل من الأكل الا قدر شبعه ، واذا قل العسل في الخلية مذقه بالماء ليكثر [1] خوفاً من النفاذ [2] وقد علم ذلك من حال المشتار فأنه اذا دخل الخلية وأخذ جميع مافيها من العسل هلك النحل فاذا أراد بقاءَه أخذ بعضه ، وترك لها مايقوتها زمن الشتاء ، وما يغذيها عند عدم الزهر ، واذا نفذ العسل افسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكور ، وربما قتلت ماكان في الخلية منها وتلقيه خارجاً والنحل /١١٢و يسلخ جلده كالحيات ، وتوافقه الأصوات اللذيذة المطربة ، فانه اذا رقص له وصفق بالأيدي اجتمع لذلك ، والسوسن يضره ، ودواؤه أن يطرح في كل خلية كف من الملح وان تفتح في كل شهر مرة ، ويدخن بزبل البقر، وفي طبعه انه اذا طار من الخلية لايزال حائماً على الموضع الذي خرج منه حتى يأوي منه الى شجرة أو سقف وفي طبعه الهداية [3] ، فإنه ربما اجتمع في حائط واحد مائة خلية فتخرج وترعى وتروح فتدخل كل نحلة من بيتها الى خليتها [4] ، واهل مصر يحولون الخلايا في المراكب ويسافرون بها الى مواضع الزهر والثمر ، فاذا أصبح المركب بمكان أرسي فيه وفتحت أبواب الخلايا فيخرج النحل منها ويرتعي يومه اجمع فاذا أمسى عاد الى المركب [5] وأخذ كل منها مكانه لا يتغير عنه [ولهذا الحيوان من عجيب الفطنة وبديع الصنعة وترفيه المعيشة وتشييد المأوى وتدبير المربع والمشتى ، والطاعة الكبيرة ، والاستكانة لسائس أمره وقائده مايتعجب من أموره ما ليس في صغير الحيوان ولا من كبيره[6] .

١- في جـ الكثير .
٢- في ب ، جـ خوفاً على نفسه من نفاذه .
٣- في ب ، السابه .
٤- في جـ من خليتها الى بيتها .
٥- ب المراكب .
٦- من ب ، جـ .

الوصف والتشبيه :-

وينسب لابي نؤاس في وصفه :-

نِتاجُ نحل خلايا غيــــر مفرقـــــة
خَصبت بأطيب مُصطافٍ و مشتــاء
فُطس الانوفِ مغاويـــــرِ مُشمــرة
خُوص العيونِ من الامعان في التاء
مخصرات كزرق الصِقلييــــن بدوا
في كل مَفسوحة بالسحر رقشـــاء
مــــن مقرب عشــرات ذات زَمْزَمَة
وعابدٍ مُبتـــــــغ منها وعـــــذراء
تغدو فترجع ليلاً عن مشاربهـــــا
الى ملــــــوكٍ ذوي عزٍ واحباء
[فهن مؤتمرات للرئيس معـــــا
تكتن فـــي خدر فسيح وأرجاء] (١)

قال ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة [الأندلسي] (٢) *يصف شهدة بعث بها الى بعض اصدقائه حيث يقول :-*

للــــــه ريَقــة نَحــــــل
حتــى ارتــوى مــن شِفـــــاء
رعـــــى الـــربى والشِعابـــا
يَمُـــج منــــه رضابــــا

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- الزيادة من ب .

إِنْ شِئت كـــــان طعامـــــاً

او شِئت كـــان شَرابـــــا [1]

وكتب مع هذه الأبيات نثراً جاء [2] منه : وكَفى النحلة فضيلةً ذات وجلالة صفات أنْ اوحيِ اليها، وأثنى الكتابُ عليها بِمساقط الانداء وراء البيداء فتقع هناك على كل نُوارةٍ عبقة ، وبَهارَة أنقة ثم تصدر عنها بما تطبعه شمعه، وتبدعه صنعه وترتشـــف منهما [3] ما تحفظُه رِضابا وتَلفِظه شرابا، وتَتجافى بعد منه عن أكرمِ مُجتنى في احكم مُبتنى [4] .

القول في طبائع الزنبور

ويسمى الدبر ، قال اصحاب اللغة النحلة تسمى زنبوراً، واذا اطلق هذا الاسم فأما يراد به الدبر وهو جنسان جبلي وسهلي، فالجبلي يأوي الجبال والأماكن الحسنة ، يعشعش على الشجر ، ولونه الى السواد ، وفيه العمال والأمهات ، وهي القواد، وبدء [5] خلقه دوداً ، فاذا خلق كسب الدبر العمال طعمها، وادخلته عليها بيوتها، وهي تتخذ بيوتاً من تراب وقماه كبيوت النحل، ويجعل لها أربعة ابواب لمهاب الرياح /١١٢ظ واذا تولدت أُمهات أُخر قتل الدبر العمال ما كان منها في العام الأول ويتميز العمال من الأُمهات بصغر الجثة ، وله حمة يلسع بها وغذاء الدبر من الحيوان ومن الأثمار والأزهار، وصموغها ، ومن العسل والسكر ، والأشياء الحلوة اذا وجدها ومتى أُخذ من الذكور أحد وشد جناحاه بخيط وترك يضطرب حوله الاناث وهي الأُمهات، أما السهلي ، ففيه العمال والأُمهات ايضاً ، ولونه أحمر ، وهو يتخذ عشه تحت الأرض ويخرج التراب منه كما يفعل النمل ، وهو يختفي في الشتاء ، ولايظهر وأكثره يهلك ، ومن الدبر السهلي صنف مختلف اللون مستطيل الجسد ، في طبعه الحرص والشره ، يطلب المطابخ [6] ويأكل مافيها من اللحوم ، ويطير مفرداً ، ويسكن بطن الأرض ، وهذا الحيوان بأسره مقسوم في وسطه، وهو لذلك لا يتنفس من جوفه البتة ، ومتى غمس في الدهن سكنت حركاته ، وانما ذلك يضيق منافذه [والله اعلم بالصواب] [7] .

١- الديوان ص ٣٧٦.
٢- في الاصل راحا منه وما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ.
٣- الزيادة من ب.
٤- الديوان ص ٣٧٦.
٥- في ب بداية .
٦- في الاصل البطائح وما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ.
٧- الزيادة من ب .

الوصف والتشبيه [1] :-

من الغريب البديع في وصفه ما يحكى أن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت[2] دخل على أبيه في حال الطفولية ، فقال : ما أبكاك ؟ قال : لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة، فقال له: قلت والله الاشعر يا بني [3] .

وقال السلامي [4] يصفه *وأجاد* [5] :-

ولابسٍ لَوّنَ واحدٍ وهـــو طائـر
ملونـــةٌ أبراده وهـــو واقـــعُ

أغر بُردي طيــــه فكأنمـــا
وسُود المنايا في حَشـــاه وَدائـعُ

اذا حَك أعلا رأسه فكأنمـــا
بسالِفتيه من يديـه جَوامــعُ

يخـاف إذا وَلّى ويُؤمـــن مُقبلا
ويخفي على الأقران ماهو صَـانعُ

بدا فارسيَ الزي يَعقـدُ خَصره
عليه قُبـاء زينته الوَشــائعُ [6]

فَمِعْجَره الورديُ أحــر ناصـع
ومِئزره التبري اصفر فاقع/١١٣و

يُرجِّعُ ألحانَ الغَرِيــض ومعبـد
ويسقي كؤوساً مِلؤها السمُ ناقع[7]

١- ساقطة من جـ.
٢- وهو ابن شاعر الرسول (ص) حسان بن ثابت.
٣- النص ساقط من جـ.
٤- في جـ السلمي.
٥- الزيادة من جـ.
٦- الوشائع : زينة البرد.
٧- الابيات في نهاية الارب ٢٨٩/١٠ .

وقـــال السري الرفـــاء يصفه :-

ومُخطف الخَصـــــر بُردَه حَبِرُ

تَخْذَره وهــو خائــف حَــذِرُ

مجنح طار في.... مُجنَحـــــه

تصعد طــوراً بــه وتنحــدرُ

كأنها والريـــــاح تنشدهـــا

غَرائب الزهر[حين] [1] تنتشـــر

لها حَمأة كأنهـــا شعـــــر

تظهر مُسَــودةً وتستتـــــر

قد أذهبت في الجبيـــن غُرتـــه

اذا فضضت في جِيادنا[2] الغُرر

سِلاحه الدهـــر فـــي مؤخـره

يَطعنُ طَوراً بـــه وينتصـــر

كأنــه شَطــرُ مـــا يجــرده

مـــن بين فَكيـــهِ حيــةٌ ذكـر [3]

القول في طبائع العنكبوت

وانما ذكرته مع ذي الجناح لأن له وثباً لا يعدوه الطيران ، وهو اصناف منها صنف يسمى الرتيلاء سمها قاتل، وهو عنكبوت صغير ، ومنه صنف طويل الأرجل ومنه صنف يسمى الليث يصيد الذبان صيد الفهود ، والكلاب ، وله ست عيون ، واذا أراد صيد الذباب لطا بالأرض وسكن أطرافه وجمع نفسه ثم وثب على مايريد صيده فلا يخطئه ، وهو يعض الأسد كما ان [4] يعض الكلب ذبان الكلف ، قال

١- الزيادة من ب.
٢- في الديوان جيادها.
٣- الديوان ص ١٤٦.
٤- ساقطة من ب ، جـ.

الجاحظ ، ولد العنكبوت اعجب من الفروج الذي يظهر الى الدنيا كاسياً كاسبا ، لأن ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يولد من غير تلقين، ولا تعليم ، والعنكبوت يطاول في السفاد، واذا أراد الذكر الأنثى جذبت بعض خيوط نسجها من الوسط، فاذا فعلت ذلك فعل الذكر مثلها فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا فتصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثي ، وأول مايلد دوداً صغاراً ثم يتغير ويصير عنكبوتا ، وهي تحضن وتقبل الصورة بعد ثلاثة ايام [١] ، ومن العنكبوت ماهو كبار [٢] جداً ، ونسجه رديء على وجه الأرض والصخور ومنها ماهو حكيم وهو دقيق الخلق، ومن حكمته أنه يمد السدي ثم يعمل اللحمة ويبتدئ من الوسط ويهيء موضعاً لما يصيد في مكان آخر كالخزانة فاذا وقع شيء [٣] فيما نسجه وتحرك عمد اليه /١١٣ظ وشبك عليه حتى يضعف، فاذا علم ضعفه حمله وذهب به الى خزانته ، فإن كان جائعاً أكله ، وان لم يكن إمتص رطوبته ، وتركه حتى يجوع ، واذا كان المصيد[٤] قد خرق من النسج شيئاً عاد ورمه ، والأنثى هي التي تنسج والذكر يحلّ وينقض ، والذي تنسجه لاتخرجه من جوفها بل من خارج جسدها، وهي في ذلك شبيه بما يلقي شعره وريشه وشوكه وجلده من الحيوان ، وفم العنكبوت مشقوق بالطول لا بالعرض.

الوصف والتشبيه :-

قال ابن الرومي يصف فهد العنكبوت :-

أعجـــب مستفـــــاد
أفادنـــــي زَمانـــي

من الفُهـــود فَهـــد
في الاســـم والعَيـانِ

تلـــك ذواتُ الأربـــعِ
وَذَاك ذو ثمـــانِ

١-اي انه شكله يبدأ نحو صورة العنكبوت.
٢- في ب كبير.
٣- في الاصل شيئا و الصحيح ما أثبتناه.
٤- في ب المصايد ، في جـ الصيد.

كأنمـــا أرجلـــــــه

مَخالـب النَغْــرانِ (١)

سَيفاه سيفـــا بطـــل

والـــدرع دِرع جـانِ

مُستأنس مـــا إنْ بنى

والانسُ فـــي مكانِ

وَصائدٍ وهـــو مـــن الـ

صائدِ فـــي أمـانِ

ذبابـــه فـــي كفـــه الـ

طائر مثـــل العاني

وليس يَبغـــي بَـــــدلا

بطائـــرِ الخـــوانِ

إذا دنـــا فلم يكـــن

بينهمـــا غُفـــرانِ

عَانَقه أســـرع مـــن

تَعانـــق الاجفـانِ

بِخفـــة الـــوثوب بـــل

بجـــرأة الجنـــانِ

فهـــو عزيـــز عـــزة

في غَاية الهـــوانِ (٢)

وقـــال خلف الاحمر في الرتَيْلاء :-

إبعثْ له يا رَب ذا أرجـــــل

في فِمها احجـــن مثل المُنجلِ

١- النغران : فراخ العصفور .

٢- الابيات في نهاية الارب ١٠/٢٩١ وهي ساقطة من جـ.

دَهْماء مثل العنكبوت المُحـــول

تأخذه من تَحته ومـــن عَـــلِ [1]

وقـــــال *أبو نؤاس يصفه أيضاً* :-

وقـانصٍ مُحتقــر ذَميـــــم

كُـدريُّ لَـــونٍ [2] أغبـرٌ قَتِيـــم

مُشتَبك الاعجـــازِ بالحَـيْزومِ

ليـــس بِرِعْديـدٍ ولا حَمـــوم

ولا عـن الحِلــــة بالسـؤوم

لا يَخلط [3] الهمـــة بالتنويـــم

في طِلــــبِ الـدُرة والعَلـجُوم

ومَخْـرج اللحظـة [4] بالخَيْشـوم

أضيف ارضا من مَحطِ الميم [5]

او نقطـــة تَحـت جَنـاح الجيـم

كأنمـا دَبِيبــــــه في النِيَـم

دَبيبُ خَمـر بزلـت خرطوم/١١٤و

أسرعُ من كـره طَرف يومـــي

او تعســة تَنْهـضُ فـي يــومِ

أرسعُ [6] من ذي لُبـــدة هَضوم [7]

١- البيتان في نهاية الارب ٢٩٢/١٠ وهي ساقطة من جـ.
٢- في ب اللون.
٣- في الاصل يحط ، في ب يلحظ وما اثبتناه هو الصحيح عن الديوان.
٤- في ب اللحظ.
٥- في الاصل الروم وما اثبتناه هو الصحيح عن ب والديوان .
٦- في ب اسجع.
٧- الأبيات في الديوان ص ٦٥٣.

القول في طبائع الجرادة [١]

قال الجاحظ: تقول سَرأت الجرادة اذا باضت [٢] ، فاذا خرج من بيضه فهو دَبي ، ويخرج دوداً اصهب الى البياض ، فاذا تكونت فيه خطوط سود وصفر وبيض فهو المُسيّح ، فاذا ضخم جناحه فذاك الكتفان ، لانه حيئذ يكتف [٣] المشـــي ، فاذا ظهرت أجنحته ، وصار احمراً الى الغبرة فهو الغَوغاء، والواحدة غوغاة ، وذلك حين يستقل فيموج بعضه في بعض، ولا يتوجه الى جهة ، فاذا بدت في لونه الحمرة والصفرة واختلف في الوانه فهو الخيفان ، فاذا اصفرت الذكور، واسودت الاناث سمي جراداً حينئذ ، وهو اذا أراد أن يبيض التمس البيضة المواضع الصلبة [٤] والصخـــور الصلدة [٥] التي لاتعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه ، فتنفرج له ثم يلقي بيضه في ذلك الصدع فتكون له كالافحوص، ويكون حاضناً له ومربيا، وللجرادة ستة أرجل يدان في صدرها [٦] ، وقائمتان في وسطها [٧] ، ورجلان في مؤخرة جسدها [٨] ، وطرفا رجليها منشاران ، والجراد من الحيوان الذي ينقاد الى رئيس يجتمع كالعسكر اذا ظَعن اوله تابع كله ظاعناً ، واذا ترك اوله ترك جميعه ولعابه سم ناقع لايقع على شيء إلا اهلكه ، وجاء في الحديث (الجرادة نثرة من حوت) [٩] ، ولذلك هو يؤكل ولايذبح ، وفي الجرادة خلقة عشرة من جبابرة الحيوان وجه فرس ، وعينا فيل ، وعنق ثور ، وقرنا ايل ، وصدر أسد ، وبطن عقرب ، وجناحا نسر ، وفخذا جمل ، ورجل نعامة ، وذنب حية.

١- في ب ، جـ الجراد.
٢- الحيوان ٥/٥٥١.
٣- الكتف ك مشى المكتوف.
٤- في ب الصلدة.
٥- في ب الصلبة.
٦- في ب صدره.
٧- في ب وسطه.
٨- في ب جسده.
٩- راجع المعجم المفهرس لالفاظ الحديث مادة (نثر).

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الشعراء يصف ما اجتمع فيه حيث يقول [1] :-

لها فَخذا بكر وسَاقا نَعامــــــةٍ

وقَادمتــا نَسر وجُؤجؤ ضَيغَـــــمِ

حَبتها أفاعي الرمل بَطنا وانعمت

عليها جياد الخيل بالرأسِ والفمِ [2]

وقال بعض الاعراب يذكر افساده : باكرنا وَسَمى [3] ثم خلفه ولّى حتى كأن الأرض/١١٤ظ وشي منشور عليه لؤلؤ منثور ، ثم اتتنا غيوم جراد بمناجل حداد، فاخربت البلاد وأهلكت العباد فسبحان من يهلك القوي الأكول بالضعيف المأكول.(وما أظرف قول القائل :-

دَبّ الجَراد على زَرعي فقُلت له

مَهلاً رُويدك لا تَعجل بافسادِ

فَقال مِنهم خَطيب فَوقَ سُنبلةٍ

إنَا على سفرٍ لابُد من زَاد [4]

وقال أبو هلال العسكري [5] يصف جرادة :-

أجنحـــــــــة كأنهـــــا

أرديـــة مـــــن قَصـــبِ

لكنهــــا مَنقوطــــــة

مثـــــل صدُور الكتـــب

١- الابيات في نهاية الارب ٢٩٣/١٠ ونسبها الدميري للقاضي محي الدين الشهرزوري حياة الحيوان ١٨٨/١ .

٢- الوسمي: اول المطر.

٣- الزيادة من ب .

٤- ديوان المعاني ١٥١/٢

٥- الزيادة من ب.

بأرجـــــــــل كأنهـــــا

منـــــاشِير مـــــن ذَهـــبِ [1]

وقـــال [ايضاً] [2] فيها :-

وأعرابية تَرتـــــــــاد زاداً

فَتمرق مـــن بـــــلاد فـــي بلادِ

غَدتْ تَمشي بمنشارٍ كَليـــــلِ

تَبوعٍ [3] بـــه قَرارةُ كـــــل وادِ

وتَنشر في الهواءِ عذبات شرى

على أرجائه نُقـــــط المداد [4]

وقال يعلى بن ابراهيم الاندلسي يصف دبأة :-

وخَيفانـــةٍ صفـــراءَ القرِا [5]

أتتك بلـــون أَســود فوق اصفـر

وأجنحة قد أَلحقتهـــا لرؤيـــة

تَقاصر عن أنثاه بـرد مُحبَّر [6]

وقـــال آخر في ذلك [7] :-

جَرادة حنت القلــــوبُ لهـــا

حين اشارت بنـــاظـــري رَبْرَب

١- يبوع الشيء : يدرك غايته.
٢- ساقطة من جـ.
٣- القرا: الظهر.
٤- الابيات في نهاية الارب ١٠/٢٩٥ وهي ساقطة من جـ.
٥- الزيادة من ب.
٦- الابيات في نهاية الارب ١٠/٢٩٥ وهي ساقطة من جـ.
٧- الزيادة من ب ، جـ.

صَفراء حسن يشوبها رقـط

في نقط من عَبيرها الاشهب

كأنها والجنـاح حلتهـــا

رَاقصة في مُمسك مذهب [١]

القول في طبائع [دود] [٢] القز

وانما ذكرته مع ذي الجناح لان ماله اليه كما سنذكر [٣] ، وذلك انه يكون اولا بزراً في قدر حب التين ، وهو البيض الذي يتكون فيه وخروجه منه عند استقبال فصل الربيع ، وهيئته عند الخروج اصغر من الذر وفي لونه ، وهو يخرج في الأماكن الدافئة من غير [٤] حضن ، اذا كان مصروراً مجعولا في حق ، وما تأخر خروجه تضعه النساء تحت ثديهن في صرره [٥] ، فاذا خرج اطعم ورق التوت ، ولا يزال يكبر ويعظم الى أن يكون في قدر الاصبع ، وينتقل من السواد الى البياض اولا فأول ، وذلك في مدة ستين يوماً على الأكثر/١١٥و ثم يأخذ في التسيج على نفسه بما يخرجه من فيه الى ان ينفد ما في جوفه منه ، ويكمل عليه ما يبنيه ، فتكون كهيئة الجوزة ويبقى فيه محبوساً قريباً من عشرة ايام ثم ينقب عن نفسه تلك الجوزة ، ويخرج منها فراشا ابيضا ذا جناحين لا يسكنان من الاضطراب والحركة ، وعند خروجه يهيج الى السفاد فيلصق الذكر ذنبه بذنب الانثى ، ويلتحمان مدة زمانية ثم يفترقان ، وتنثر الانثى البزر الذي قدمنا ذكره على الخرق البيض ، تفرش قصدا الى ان ينفد ما فيها منه ثم يموتان ، هذا اذا اريد منهما البزر، واذا أُريد الحرير تركت في الشمس بعد فراغه من النسج لعشرة ايام ، يوما أو بعض يوم فيموت ، وما أحسن ما اشار اليه الشاعر بما يؤول اليه حال هذا الحيوان وضربه مثلاً للحرص على جمع المال :-

---

١- الابيات في نهاية الارب ١٠٠/٢٩٥ وهي ساقطة من جـ .

٢- الزيادة من ب ، جـ .

٣- في جـ سنذكره .

٤- في ب ، بغير .

٥- في ب ، جـ صره .

يُعنى البخيلُ بجمع المالِ مُدتــه

وللحوادث والأيام [1] مايدعُ

كدودةِ القز ما تبنيه يُهلكهـــــا

وغيرٌ بالذي يبنيه ينتفــعُ [2]

وهو كثير العوارض لرقة بشرته بينما يرى صحيحاً بادي الصلاح مسروراً به اذ دخل عليه عارض ، لايدري سببه فيصغر ويذبل ويموت ، وكثيراً ما يلحقه ذلك عندما يريد ان ينسج ، وبعدما تعب على معاناته ، ويقال ان السبب [3] اطعامه ورق التوت الحامض [4] ، وفيه من اسرار الطبيعة في حال تربيته انه يهلك من صوت الرعد ، وضرب الطشت والهاون ، ومن شم الخل، والدخان ، ومس الحائض والجنب ويخشى عليه من الفأر والعصفور والنحل والوزغ ، والحر الكثير يهلكه ، وكذلك البرد الشديد ، ومن عجيب شأنه أنه لما كان ورق التوت فوقه كان أول ما يورق من الأشجار ، ويوافق ذلك خروج الدود من بيضه فهو يبتدئ مع ورق التوت وينهي عندما ينتهي في الرطوبة ، وبينهما مناسبة عجيبة إذ يصير من هذا الورق المحتقر حرير جليل ذو جوهر شريف.

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الشعراء فيها على طريق الالغاز :-

وبيضة تُحضن فــــي يومين

حتى اذا دَبــــتْ على رِجلينِ

واستبدلتْ بِلونهــــا لَونين

حاكت لهـا خَبيئـــا بلا تَزيينِ

بِلا سَمــــــاً وبِلا بَــابين

وتَنقُبـه بعدَ ليلتيـــــن /١١٥ظ

١- في ب ، جـ والوارث.

٢- الأبيات في نهاية الارب ٢٩٨/١٠ .

٣- ورد في جـ سبب والصحيح ما أثبتناه.

٤- الزيادة من جـ.

فخرجت مَكحُولـــــة العينين

(قد صُنعت بالنَقشِ حاجبينِ) (١)

قصيرةٌ ضَئيلة الجَبيـــــن

شأنهـــا قد قُطعـــت تاتيـــن

لها جَناح سَابـــغ البُردين

ماثَبتـــا الا لقـــرب الحيـــن

ان الردى كُحل لكـلِ عين (٢)

القول في طبائع الذباب

والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل والدبر كلها (٣) من الذباب ، ويقال إنّ الذباب يكثر اذا هاجت ريح (٤) الجنوب ، وانه يخلق تلك الساعة، واذا هبت ريح (٥) الشمال خف وتلاشى وهو من ذوات الخراطيم ، وكذلك البعوض ويزعم القائم لهذا: ان الذباب يخرجه ويدخله ، متى احب الأكل ، والولوغ ، ومن عجيب امره أنه يلقي رجيعه على الشيء الأسود ابيضا (٦) وعلى الأبيض اسودا (٧) وقال أصحاب الفحص عن طبائع الحيوان: الذباب لا يظهر الا في مواضع العفونة والاماكن المستقذرة ، فإنه يخلق من أجزاء تلك العفونات ، وهو من الخلق الذي مبدأ خلقه من العفونات ، ثم يكون السفـاد ، ويخلق دوداً ثم يصير ذبابا واذا سفد أبطأ في سفاده ، وربما بقي الذكر على ظهر الانثى عامة النهار وهو يتجاوز في ذلك البعير والخنزير والكلب ، وهو من الحيوانات الشمسية وذلك أنه يخفي شتاء ، ويظهر صيفاً ، وفيه من أسرار الطبيعة انه لما لم يخلق لعينيه اجفان يدرأ بهما القذى

١- ساقطة من ب.
٢- ساقطة من ب .
٣- في ب كأنها.
٤- في ب رياح.
٥- في ب على الشيء الابيض اسوداً ، وفي جـ على الشيء الابيض فيسود.
٦- في ب على الشيء الاسود ابيضاً ، وفي جـ على الشيء الاسود فيبيض.
٧- الزيادة من جـ.

عنها ، كما خلق لسائر الحيوان خلق له في مقدم بدنه يدان زائدتان تتحركان ابداً كحركة الأجفان ليفعلا فعلهما في تنظيف القذى من عينيه لتبقى صافية ، وقال عنترة بن شداد يصفه بذلك من قصيدته المعلقة (١)

وخَلا الذُبابُ بها فليـــس يُبارح

هَزجاً كفِعل الشـــاربِ المُترنمِ

غَردا يحك ذِراعه بذراعـــــهِ

فعل المُكب على الزِنادِ الاجدمِ (٢)

القول في طبائع البعوض

وهو صنفان : صنف يشبه القراد لكن أرجله خفية ، ورطوبته ظاهرة يسمى بالعراق والشام الجرجس ، وبمصر البق، ويشم رائحة الانسان /١١٦و وتعلق به كقراد الجمل والكلب وله لسع شديد جداً ، ويقال انه يتولد من النفس الحار ، ولشدة رغبته في الانسان لايتمالك اذا شم رائحته ، فإن كان في السقف رمى بنفسه عليه فلا يخطئه ، والصنف الاخر طائر ، ويسميه العراقيون البق ، ويسميه المصريون الناموس ، والماء الراكد يولده فان صار الماء رقراقاً استحال دعاميصا ، والدعاميص تستحيل فراشا ، والبعوض في خلقة الفيل الا أنه اكبر اعضاء منه ، فإن للفيل أربعة أرجل وخرطوماً وذنباً ، وله مع هذه الأعضاء يدان زائدتان ، وأربعة أجنحة وخرطوم الفيل مصمت ، وخرطومه أجوف نافذ الخرق ، فاذا طعن به جلد الانسان استقى منه الدم ، وقذف به الى جوفه ، فهو له كالبلعوم والحلقوم ، ومما الهم انه اذا جلس على عضو من اعضاء الانسان لايزال يتوخى بخرطومه السام التي يخرج منها النفس والعرق ، لانها ارق بشرة جلد الانسان، واذا وجدها وضع خرطومه فيها وهذا (٣) الخرطوم على هيئة خرطوم الفيل فيه

١- الديوان ص ١٩٧.

٢- في الاصل هز وما اثبتناه هو الصحيح عن ب ، جـ.

٣- في ب الرجل.

غضون كبيرة يجمعه بها ويحده اذا احب بتدريج في خلقه من الدقة الى الغلظ على تناسب مخصوص ، وله في رأس هذا الخرطوم سم يستعين به على تليين الجلد الذي يقع عليه ، وعلى هضم ما يبتلعه من دم وفيه من الشره انه يمتص من دم الانسان الى ان ينشق ويموت أو يمص الى ان يعجز من الطيران فيكون ذلك سبب قتله ، وله في خرطومه من القوة بحيث انه يغمسه في جلد الفيل ، والجاموس كما يغمس الانسان (١) اصبعه في الثريد . ومن طرائف أمر البعوض ، أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيبقى طريحاً في الصحراء فتجتمع حوله من السباع والطير التي تأكل الجيف فمتى أكل منه شيء منها مات لوقته في موضعــه ، وكان بعض جبابرة الولاة بالعراق يقتل بالبعوض بأن يأخذ من يريد قتله تعذيباً فيخرجه مجرداً الى بعض الاجام /١١٦ظ التي بالبطائح فيتركه بها مكتوفاً فيقتله في أرجى وقت وأسرعه ، ولهذا قال الجاحظ [وبعوض البطائح] (٢) كجرارات الاهواز ، وعقارب شهرزور (٣) ، فربما ظفر بالسكران النائم فلا يبقي فيه الا عظاماً عارية وهي على صغر جرمها قد أودع الله في مقدم دماغها قوة الحفظ ، وفي وسطه قوة الفكر ، وفي مؤخره قوة الذكر ، وخلق لها حاسةالبصر ، وحاسة اللمس وحاسة السمع ، وحاسة الشم ، وخلق لها منفذاً للغذاء ومخرجاً للفضلة ، ومتى كان الأمر كذلك فقد خلق لها جوفاً وامعاء وعروقاً وعظاماً ، فسبحان من قدر فهدى ، ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى [وقال الزمخشري في تفسيــره ، وفي خلق الله تعالي اصغر من البعوضة واقل بدرجات فربما تجد في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لايكاد يجليها البصر الحاد الا بحركتها ، فاذا سكنت (٤) فالسكون يواريها ، ثم اذا لوّحت بها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك ويرى اعضائها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقها ،

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- الحيوان ٥//٣٦٣.
٣- في ب تحركت .
٤- راجع الكشاف ١١٦/١.

ويبصر بصرها ويطلع على خبرها ، وقال بعض المخلصين في دعائه والمستغيث بندائه :-

يامَنْ يَرى مد البعوض جناحهـا

في ظُلمة الليـل البهيم الأَلْيَـــلِ

وَيرى نِياط عُروقها في نَحـرهــا

والمخُ في تلك العظـــامِ النُحَّـــلِ

(اغفر لعبدٍ تاب من فَرطاتِه)[1]

ما كان مني في الزمان الاول][2]

الوصف والتشبيه :-

قال بعض الظرفاء :-

بَعوض جَعــلن دَمي قَهــوةً

وغَنينني بضُروبِ [3] الاغـــاني

كأن عروقـــي أوتـــارهـــن

وجِسمي الرباب وهن القِيـــان [4]

وقال آخر [5] يصف بعوضة :-

مثلُ الشِفاه دائـــم طنينهـــا

رُكب في خُرطومها سكينهـــا [6]

١- في جـ امنن علي بتوبة امحو بها.

٢- الزيادة من ب ، جـ.

٣- في ب صنوف.

٤- الابيات في نهاية الارب ٣٠٢/١٠ وهي ساقطة من جـ.

٥- في ب راجز.

٦- الحيوان ٤٠٢/٥.

وقال ابو اسحـــــاق الصابي :-

وليلة لم اذق من حَرهــــــا وسَنا

كأن في جوفها النيران تشـــتعلُ

احاط بي عَسكر للبق ذه أجَــــب

ما فيه الا شُجاع فـــاتك بطــلُ

من كل شائِكة الخرطـــوم طَاعنة

لا يمنع الحُجب مسراهـا ولا الكَللُ

كانوا علينا وحر الصيف ينضجنا

حتى اذا نضجت اجسادنـا أكلوا (١)

القول في طبائع البراغيث

وإنما ذكرناه مع ذي الجناح لأنه من الحيوان الذي له الوثب الذي (٢) لا يقصر عن الطيران ، وقد حكى الجاحظ عن يحيى (بن خالد) (٣) البرمكي ان البرغوث من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل (٤) ، والبرغوث مشّاء ووثاب ، والوثاب من البراغيث لا تمشي وهي تتناكح مستدبرة متعاضلة ، والبرغووث يطيل السفاد ، ويبيض ، ويفرخ بعد أن يتولد وهو يتولد من التراب لا سيما في المواضع المظلمة ، وسلطانه /١١٧و زمن الشتاء والربيع ، واذا اشتد عليه الحر هلك ، وهو أحدب أسود ويقال انه في صورة الفيل وله أنياب يعض بها وخرطوم

١- الابيات في يتيمة الدهر ٢/٢٦٧.

٢- ساقطة من جـ.

٣- ساقطة من ب ، جـ.

٤- الحيوان ٥/٣٧٣.

يمتص به الدم وأرجل تصلح للوثب ، ويكمن نهاراً ويرتع في الأبدان ليلاً وتكثر بمصر ، ويطول لبثه فيها ، ولا يوجد منه شيء في البلاد الشديدة الحر [١] مثل صعيد مصر، ولا في البلاد الشديدة البرد ، وتسميه العرب طامر بن طامر [٢] لما فيه من الوثب.

الوصف والتشبيه :-

(قال شاعر مصري) [٣] *جمع بين البق والبعوض والبراغيث :-*

نومي على ظهر الفراش مبغض
والليل فيه زيادة لا تنقص

ما عاديات كالذباب تدأبت
وسرت على عجل فلا تتربص

جعلت دمي خمراً بدائم [٤] شربها
مسترخصات منه ما لا يرخص

فترى البعوض تقينا برتابة
والبق يسرق والبراغيث ترقص] [٥]

١- في جـ في البلاد الحارة.

٢- اللسان مادة طمر.

٣- في جـ وقد جمع بعض الشعراء المصريين.

٤- في جـ تداوم .

٥- الزيادة من ب ، جـ.

وقال بعض الاعراب يصف البراغيث وقد سكن مصر:-

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن

بحنو الغضا ليلي علي يطــول

يُؤرقني حُدب صغـــــار أذلة

وإنّ الــــــذي يُوقظنه لذليل

اذا ما قتلناهن اضعفن كثــرة

علينا ولا ينعى لهن قتيـــــل

ألا لَيت شعِري هل ابيتن ليلــةً

وليس لبرغوث عليَّ سبيــل (٣)

١- الابيات في الحيوان ونسبها الى الرماح الاسدي ٥/٣٨٩، ديوان المعاني ٢/١٥٠، ربيع الابرار ٤/٢١٧ ونهاية الارب ١/٣٠٣.

الباب التاسع

في طبائع حيوان البحر والمشترك

قال ابن أبي الاشعث : وكل حيوان البحر يأوي الماء ويستنشقه كما نستنشق نحن الهواء [الا أنا نستنشقه] (1) ومن جرى مجرانا من الحيوان [بأنوفنا وينفد الى الحنك ثم الى الرئة والسمك] (2) يستنشقه بأصداغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه ، ويفي الفضل الشبيه بالدخاني مقام الهواء فينا ، ولهذا الحيوان أنف يشم به فقط ، وللنفس النفسانية فينا دم وهواء ، وهي في السمك دم وماء فقط وانما استغنى عن الهواء في اقامة الحياة ، ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه في عالم الماء ، والأرض دون عالم الهواء ونحن في عالم الماء والهواء والأرض وذلك إنما نغتذي بالبزور والقضب والحيوان ، وهذا من جوهر الارض، ويشرب الماء ويستنشق الهواء، والسمك كله شره كثير الأكل لأمرين :-

احدهما : برد مزاج معدته .

والآخر قربها من فمه ، ولأنه ليس له عنق ولا قصبة رئة طويلة وحيوان البحر لا صوت له /١١٧ظ اذ لا رئة له، وبعضه يتنفس في الهواء ، ولا صوت له اذ لا حلقوم لـــــه (3) ، وبعضه له صوت ضعيف رديء، وحاسة الشم فيه قوية ، أقوى منها فينا وأشد سمعا منا ، وسبب ذلك أن صماخه اصلب مــن أصمختنـــا لأن اصمختنا غضروفية (4) ، واصمخته من جوهر اصداعه ، فمصاكة الاصوات لها اشد[وقعاً وابصارنا اشد من] ابصاره لكدر الروح النفساني فيه لانه ينظر (5) من غير هواء ، فلذلك اذا قربت منه وهو راكد لا يتحرك ، فان صوّت به نفر ، فعلم من ذلك ان حاسة البصر فيه غير مناسبة لحاسة السمع ، ولسانه غليظ قصير، وهو شبيه باللسان وليس لسانا حقيقياً لأن اللسان للصوت ، وليس هو مصوتاً (6) ،

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- الزيادة من ب ، جـ.
٣- ان هذه المقدمة مختصرة عن كتاب الحيوان لابن ابي الأشعث ص ٤٧٥.
٤- في الأصل عروقية ، وما اثبتناه هو الصحيح
٥- في ب اعمل.
٦- ليس اللسان بحد ذاته المصوت بل الاوتار الصوتية.

واللسان يقلب الغذاء على الاضراس عند المضغ ، وهذا الحيوان لاي مضغ دائماً، [وانما] (١) لسانه يحس الطعام ولانه (٢) سداد (٣) لحنجرته ، وحماما لحرارة جوفه ، وله اضراس ، وليست للمضغ ، وانما هي لقتل مايفترسه من حيوان الماء ، والأرض ، يطبقها عليه ، وفعله هذا يشبه فعل الحية ، فإنها تبلع ماليس بحيوان ازدراداً ، وتنهش الحيوان ، وتثبت فيه اضراسها ، وتفرغ فيه سماً يكون سبباً لقتله ومقرباً له من طبعها ليجود بذلك طعمها وسبيلها في ذلك سبيلنا في تدبيرنا الاغذية بالنار لنقربها من طباعنا الا ان ذلك لنا بالعقل (٤) ، ولها بالطبع ، ولهـــذا (٥) شعبتان ذواتا مفصلين هما له عوضاً عن الخرطوم ، او من اليد المتناول بها ما تأكله ، تحركهما كيف تشاء كما يحرك ذو الخرطوم خرطومه ، وذو اليد يده، وانما لم تخلق له القوائم لأنه حيوان سابح، وليس بحيوان ماش، ولذلك خلقت له آلات السباحة والحركة في الماء ، وكذلك الحية لما لم تكن ماشية لم تخلق لها القوائم ، فخلقت طويلة ليكون [ذلك] (٦) اسرع لحركتها على الأرض ، والسمك يفر ويركد، وصغاره تحترس من كباره بأن تطلب الشط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير ، وهو شديد الحول والقوة جداً ، وذلك ان قوته المحركة للارادة تجري /١١٨ في مسلك واحد ، ولا ينقسم في يد أو رجل أو شيء مما يستغل القوة ، وهذا بعينه موجود في الحيات ، حتى انه اذا دخل في جحر لم يقدر ذو البطش الشديد من الرجال أن ينتزعها وان جرها بأشد ما يقدر عليه، واختلف الناس في سفاده ، وأقوى الأقاويل انه يسفد مثل الحية ، وان الذكر يلقح بسفدة يسفدها كثيراً مما في جوف الانثى من البيض ، كما يلقح (٧) بالشيء اليسير من الكثير وهو ذكر النحل الكثير منها (٨) ، وعلى هذا ان القول لايقطع به ، وقال ارسطو : من السمك

١- الزيادة من ب ، جـ.

٢- ساقطة من ب.

٣- في ب لانسداد.

٤- في الأصل بالطبع وما اثبتناه هو الصحيح.

٥- في ب ، جـ وله.

٦- الزيادة من ب ، جـ.

٧- ساقطة من ب.

٨- العبارة فيها نوع غموض ويقصد بها: ان ذلك ممكن كما يفعل ذكر النحل حيث أنه تلقح بالقليل الكثير من البيض.

ما يتولد من سفاد ومن بيض ومنه ما يتولد من ذاته ، أما من الطين وأما من الحمأة ، وأما من الرمل ، وأما من العفونة التي تطفو على الماء [١] ، وخاصة اذا كانت العفونات غالبة ، وتكون في الأرض الذي يكون فيها الطحلب من البحر وتكون على شطوط الأنهار والينابيع ، لأن الحرارة تغلب على تلك الأرض فتعفن ، ويتولد من عفنها دود يتخلق منه ضروب من السمك وبيض السمك ليس فيه بياض وصفرة، وانما هو لون واحد، وقال الجاحظ : في السمك القواطع ، والاوابد [٢] كما في الطير ، فإن أهل البصرة والأبلة يأتيهم السمك الاسبور ثلاثة أشهر في السنة ثم ينقطع عنهم تسعة أشهر ويخلفه غيره في هذه المدة ، ويسمى الجُوَاف ثم يذهب ويعود الأسْبُور ويقطع اليهم سمك يسمى البَرَسْتُوك من بلاد الزنج [٣] ، ولا يوجد في الزنج في الوقت الذي يوجد عندهم ، فكذا لايوجد في البصرة في الوقت الذي يكون في الزنج ، وعد [٤] اصنافاً كثيرة كذلك، ومن أصناف السمك ماهو في شكل الحيات ، وهو أما أن تكون كانت برية ، أو جبلية ، فاكتسحتها السيول واحتملتها في كثير من اصناف الحشرات والدواب والسباع ، فتوالدت تلك الحيات هناك ، وأما أن يكون كانت أُمهاتها وآباؤها من ذوات الماء ، ثم قال [٥] : وكيف دارت الامور ، فإن الحيات في الأصل /١١٨ظ مائية لأنها مما يعيش في الهواء ، وفي الماء كما تعيش في السباسب [٦] الجرد ، والصخور الصم ، وكما تعيش في الرياض والادغال ، وكذا تعيش في الجبال والرمال.

الوصف والتشبيه :-

أحسن ماوقع لي من ذلك قول بعض كتّاب الأندلس من رسالة: تَبرق بَريق الصَوارمِ المَسلولة ، وتَلمع لمعانَ الذَوابلِ المصقولة، مُدنَرة الاصلابِ ، مُفصصة

١- راجع طباع الحيوان
٢- الحيوان ١٠٢/٤
٣- بلاد الزنج هي الصومال.
٤- الضمير يعود الى الجاحظ.
٥- هذا القول للجاحظ ، راجع الحيوان ١٢٨/٤ .
٦- السباسب : نوع من الشجر تتخذ منه السهام.

البطون ، مُذهبة الافواهِ ، مُجزعة العيون ، تَصِلُ صليل الرقوق [1] في اضطرابها، وتخطر خطرات العجول بأذنابها [2] .

وقال عطاء بين يعقوب يصف حوتاً [3] من رسالة يستدعي بها صديقاً، قد أهدى لنا صديق سمكة قد لَبست من جلدها شبكة تشبه حملاً شكلاً وقداً ، أو جرابا قد أملـــئ [4] زبدا ، كأنها أرادت ان تحارب السّماك ، أو حوت الافلاك ، فلبست من جلدها جوشناً مزرداً وسلت من ذنبها سيفاً مجردا [5] . وقال ابن الرومي يخاطب رئيساً ويستدعي منها سمكا :-

يامن اضاء شهاب غَرتـــــه

فَجلا ظَلام الليلِ ذي الحَلكِ[6]

عَسُرت علينا دَعوة [7] السَمك

أنى وُجودك ضـامن الـــدَركِ

إعلم وُقيت الجَهل أنك فـــي

قَصر تلته مطـارح الشَـــبكِ

وَبنات دجلـــة في فنائكـــم

مأسورة في كـل معتــــــركِ

بِيضٌ كأمثالِ السبائك بـل[8]

مشحونة بالشحم كالعكـك [9]

١- في الاصل الديوف.
٢- النص ساقط من جـ.
٣- يلحظ هنا ان الوصف كان لسمكة.
٤- في ب امتلأ .
٥- النص في نهاية الارب ٣١٢/١٠ وهو ساقط من جـ.
٦- في الأصل بالحلك ، وما اثبتناه هو الصحيح ، والبيت ساقط من جـ.
٧- في ب عودة.
٨- ساقطة من ب .
٩- العكك : جمع عكة.

حسنت مناظرهـــا وساعدهـا

طعم كحلّ معاقد التكـــك

والناقة الغرثـــاء يرقبهـــــا

قَلقُ الخواطر مُتعب الملـــك

فليصطد الصـــياد حاجتـــنا

يصطد موداتنا بلا شـــرك

فثنـاء مثلـــي غير مُطــــــرح

وسؤال مثلك غير مُترك (١)

ولآخـــــــــــر:-

بـــاحسنهن كاملهـــــــــا

بيضــــــاء قصـــــــــف

ومرهفـــــــــــــات قـــد

طواهـــن هيــــف /١١٩و

نـــــــــــــــوات ِ ارواحِ

خِفـــافٌ تستخـــــــف

فهـــي كمثــــــل الطــــير

في الماء تُشـــــــف (٢)

١- الابيات في المصايد والمطارد ص ٢٢٩ وهي ساقطة من جـ.

٢- الابيات ساقطة من جـ.

٣- الديوان ٤/٢٤١٩.

ومثل هذا قول أبي عبادة البحتري وذكر بركة :-

لا يبلغ السمك المحصور غايتها

لبعد ما بين قَاصيهـــا ودَانيِهـــا

يعمن فيها باوساطٍ مجنحـــة

كالطيرِ يَنْقضُ في جو خوافيها (٣)

فصـــــل :-

ومن عجائب الدواب البحرية الدلفين ، والرعاد ويوجدان بنيل مصر الا أن الدلفين يقذفه البحر المالح الى النيل ، فأما الدلفين فصفته كالزق المنفوخ وله رأس صغير جداً ، ويقال ليس في دواب البحر ماله رئة غيره ، فذلك يسمح له بالتنفس والنفخ ، وهو اذا ظفر بالغريق كان أقوى الاسباب في نجاته فإنه لا يزال يدفعه الى البر حتى ينجيه، وهو من أقوى الدواب المائية، ولايؤذي ، ولا يأكل الا السمك ، وربما ظهر على وجه الماء [وهو نائم] (١) كأنه ميت ، وهو يلد ويرضع ، واولاده تتبعه حيث ذهب ، ولا يلد الا في الصيف ، وفي طبعه الدعة والاستئناس بالناس، وخاصة الصبيان (٢) ، واذا صيد (٣) جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده فاذا أطلقه لها انصرفت ، والكبير منها تتبعه الصغار ليحفظها ، وهو اذا رام صيد السمك صارالى العمق خلفه في طرفة عين ، واذا لبث في العمق حينا حبس نفسه ، وصعد بعد ذلك مسرعاً مثل السهم يطلب التنفس ، فاذا كانت بين يديه سفينة وثب وثبة يتجاوز بها الدقل (٤) الى الناحية الأخرى ، وهو يتزاوج في حركته فلا يرى ذكر الا مع أُنثى .

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- في ب بالصبيان .
٣- في ب واذا جاء الصياد واصطاده.
٤- الدّقل : الصاري .

وأما الرعـــاد :-

ففيه من الخاصة أن أحداً من الناس لايقدر أن يمسه ، ومتى وضع الانسان يده عليه نزعها بحركته وصاح صيحة منكرة ربما دهش بها الانسان ، و وجد في فؤاده خفقاناً من ذلك ، وفي البحر من عجائب المخلوقات ما لايسع وصفها كتاب ولا يأتي على القليل منها استيعاب ، ويكفي في الاخبار عن ذلك قول القائل حدث عن البحر ولا حرج ، وهذا لفظ صدر عن صدر ضاق من كثرة الفحص /١١٩ظ وحرج.

فصـــــل :

وأما المشترك :-

فإن ابن ابي الاشعث يسميه المائي الأرضي لأنه يأتي الماء ويرتعي فيه، ويستنشق الهواء كما يستنشق الماء [ويدب على الأرض ويسعى فيها ولا يحدث بعدم الماء لأنه يستنشق الهواء كما يستنشق الماء [(١)] الا ان لبثه في الماء اكثر من لبثه على الأرض ، وايثاره له اكثر من ايثاره لها واهم ما نبدأ بذكر منه :-

القول في طبائع التمساح

وهذا الحيوان لا يكون الا في نيل مصر ، وقد زعم قوم أنه في نهر مهران السنـــد [(٢)] ، وهو شديد البطش في الماء ، ولا يدخل عليه الاذى الا من ابطيه ، ومنها مقتله ويعظم الى ان يكون طوله عشرون ذراعاً في عرض ذراعين واكثر [(٣)] ، ويفترس الفرس والانسان، وما أضرف قول أبي نؤاس وقد أنكر هذه الحالة منه (حيث يقـــــول) [(٤)] :-

أضمرتُ للنيلِ هجرانا ومَقليـــــــــةً

اذ [(٥)] قيل لي إنما التمساحُ في النيلِ

١- الزيادة من ب ، جـ.
٢- وهو نهر عظيم في بلاد السند.
٣- ساقطة من ب .
٤- ساقطة من ب .
٥- في جـ مذ.

فمن رأى النيل رأي العين من كثـــب

فما أرى النيل الا في البواقيل [١]

وهو اذا أراد السفاد خرج والانثى الى البر فيقلبها على ظهرها واستبطنها فاذا فرغ قلبها لانها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ، وييبس ظهرها وهو اذا تركها على ظهرها لم تزل على تلك الحال حتى تنقلب، وهي تبيض في البر فما وقع صار تمساحاً ، وما بقي صار سقنقورا ، والتمساح يحرك فكه الاعلى دون الأسفل ولسانه معلق [٢] به ، ويقال: انه ليس له مخرج ، وان جوفه اذا امتلأ خرج الى البر وفتح فمه فجيء طائر معروف [٣] بذلك صغير أرقط لا يسقط على فم التمساح اذا فتحه غيـــره ، فلا يزال ينقره بمنقاره ما في جوفه حتى يأتي عليه أو على بعضه فالطائر يأتي يطلب الطعام على معرفة به ، فيكون في ذلك غذاء الطائر وراحة التمساح وبعض الناس يقول : ان في رأس هذا الطائر شوكة، فاذا اغلق التمساح عليه فمه خسه بها فيفتحه، وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان للتمساح ستين سناً وستين عرقاً ، ويسفد ستين مرة ، ويبيض ستين بيضة ويعيش/١٢٠و ستين سنة ، ويوجد في سطح جلده مما يلي بطنه سلعة [٤] كالبيضة فيها رطوبة دموية كنافجة المسك لا يغادر من رائحة السمك شيئاً الا أنها تنقطع بعد أشهر.

الوصف والتشبيه [٥] :-

[وصفه شاعـــر وأجاد] [٦] :

وذَي هامةٍ كالترس يَفغر عن فَم

يَضُم على مثل الحُسام المثلم

١- الحيوان ٥/٥٩٧.

٢- في جـ مقلوبة.

٣- اسمه القطقاط Holdo Pterus Spinasus وهو بقدر الحمامة.

٤- السلعة : تضخم في أحد اجزاء الجسم.

٥- ساقطة من جـ.

٦- الزيادة من جـ وفي ب شاعر يصفه.

ويَفتر عن مِثل المناشير رُكبــت

على مشفر مثل القَليب المُهـدّمِ

مشى في شواة من فقارة غَيلم [1]

وسقف لحيا عن مَناكِبِ شَيهـمِ [2]

القول في طبائع السَقَنْقُور [3]

وبعض أصحاب الكلام في طبائع الحيوان يسميه الحرذون البحري، ويقال ايضاً انه ورل مائي ، ومنه ماهو مصري ، وما هو هندي وما يتولد في بحر القلزم وببلاد الحبشة وهو يغتذي في الماء بالسمك ، وفي البر بالعظايات يسترطه كالحيات [وجلده في غاية الحسن لما فيه من التدبيج بالسواد والصفرة] [4] والانثــى[5] تبيض عشرين بيضة، وتدفنها في الرمل فتكمل بحرارة[6] الهواء[7]، ويكون ذلك حضناً لها ، وقال التميمي: لانثاه فرجان ، ولذكره نزكان كما في الضباب ، ومن عجيب ماركب فيه من الطباع [8] انه اذا عض انساناً وسبقه الانسان الى الماء واغتسل منه مات السقنقور ، وان سبق السقنقور الى الماء مات الانسان، وبينه وبين الحية عداوة متى ظفر أحدهما بصاحبه قتله.

١- الغيلم : ذكر السلحفاة.

٢- الشيهم : ذكر القنفذ.

٣- من رتبة العظايا من صنف الزواحف.

٤- الزيادة من ب وفي جـ ذكرها بعد قوله يكون حضننا لها .

٥- في ب ، جـ انثاه.

٦- في جـ بحرارته.

٧- ساقطة من جـ.

٨- في ب ، جـ الطبائع.

القول في طبائع السلحفاة

قال الباحثون عن طبائع الحيوان : السلحفاة تبيض في البر فما اقام به سمي سلحفاة وما وقع الى البحر سمي لجأة ، فأما ما بقي في البر فإنه يعظم حتى لا يكاد الرجل الشديد يحمله وما ينزل البحر يعظم حتى لا يكاد الحمار العاسي (١) يحمله . وربما وجد فيها (٢) ما وزنه اربعمائة رطل، وفيها اربعمائة بيضة كبيض (٣) الدجاج ، ثم صار برياً فوقع الى البحر تلف ، ولم يستطع الرجوع الى البر [وما صار بحرياً فخرج الى البر وأصابه حر الشمس تلف ولم يستطع الرجوع الى البحر] (٤) وللسلحفاة حيلة عجيبة وتوصل خفي في الصيد الذي تصيده من الطائر ، فإنه يصعد من الماء ويتمرغ في التراب ، ويأتي موضعاً قد سقط الطير عليه لشرب الماء فيخفى عليها (٥) بكورة لونه التي (٦) اكتسبها (٧) من الماء والتراب /١٢٠ظ فيصيد منها ما يكون قوتاً له، ويدخل الماء ليموت فيأكله ، والسلحفاة تحضن بيضها بالنظر اليه ، والرصد لاغير ، وللذكر نزكان، وللأنثى فرجان ، والذكر يطيل المكث في السفاد ، وهذا الحيوان مولع بأكل الحيات ، واذا أكلها أكل بعدها صعترا [يدفع به سمها] (٨) .

الوصف والتشبيه :-

قـــــــال شاعر يصفها:-

وسُلحفـــــــاةٍ يُمـــــــج

سُكونهـــــاوالحَركـــــة

١- اي الحمار القوي.

٢- في ب فيه .

٣- في جـ كبيضة .

٤- الزيادة من ب ، جـ.

٥- اي على الطير.

٦- في الاصل الذي.

٧- في الاصل اكتسبه.

٨- الزيادة من جـ.

شَبّهتُهــــا بديلــــمي

سَاقطٍ فــــي معركــــة

مُســــتترٌ بترســــــه

عَمن عسى أنْ يُهلكــــه (١)

وقــــال *أبو بكر الخوارزمي يصفها* :-

بنتُ ماءٍ بدتْ لنا من بعيـــــدِ

مثل ما قد طوى البحاري سفره

رأسها رأس حيةٍ وقِراهـــــا

ظَهر تُرس وجلِدها جلد صخـرة

مثل فَهر العَطّار دق بــــه العط

ر فحلّت طرائق الطيب ظهــــره

أو كما قد قلبت جفنه شــــرب

نقوشها بحمره وصفــــــــره

يقطعُ الخوفُ رأسها فاذا مـــا

أمنته فرأسها مستقــــــرة (٢)

وقال ابن صارة الاندلسي (٣) *يصفها وذكر بركة*:-

لله مَسحورة في شكـل ناظــره

حيث الازاهر اجفان وَطَـــف

١- الابيات في محاضرات الادباء ٦٨٩/٤ ، و نهاية الارب ٣١٦/١٠ وهي ساقطة من جـ.
٢- الأبيات ساقطة من جـ .
٣- عبدالله بن صارة البكري الاندلسي شاعر وناظم (ت٥١٧ هـ) راجع وفيات ٩٣/٣ ، نفح الطيب ٤٤٩/١ .

بها سلاحيف الهانئ تغامسها

في مائها ولها من عريض لحف

تنافر الشط الا حين يحصرها

برد الشتاء فتسد في وتنصرف (١)

كأنها حين يُبد بها تَشوقها

حبس النصارى على اكتفاها الحجف(٢)

ولآخر:-

لَحى اللّه ذات فمٍ اخرس

تُطيل من العي وسواسها

تَكب على ظهرها ... ترسها

وتُظهر من جلدها رأسها

اذا الحذر اقلق احشاءها

وضيق بالخوف انفاسها

تضم الى نحرها كَفها

وتدخل في جوفها رأسها (٣)

١- في الأصل البيت مضطرب حيث اختلط مع بعض كلمات البيت الذي بعده وقد نسبها بقوله ولآخر.

٢- الابيات ساقطة من جـ.

٣- الابيات في نهاية الارب ٣١٧/١٠ .

القول في طبائع الفرس النهري [1]

وهو [من] [2] اعظم الحيوان المشترك جثة ولا يوجد الا بنيل /١٢١و مصر ، وخلقته خلقة الفرس الا أن وجهه أوسع وله ظلفان كالبقر وفي رجليه كعاب مثل كعاب ذي الظلف ، (وصوته كصوت الفرس وعظمه كعظم الحمار) [3] ، وقوائمه قصيرة جداً أشبه شيء بقوائم الفيل ، وهو اعظم من الجاموس ، وصورته عظيمة جداً ، وله أنياب طوال غلاظ صلاب يكسر بها السفن المحكمة ، واسنانه [4] صفين صفين وذنبه وكأنه حيوان ركب تركيب الطبيعة كما ركبت الزرافة والنعامة، والنمر، (هذه الزيادة من كتاب عبداللطيف البغدادي ، وله ناصية ، وجلده مثل جلد الجاموس غليظ جداً ، وذنبه مثل ذنب الخنزير ، وصوته يشبه صوت الفرس ، وجوفه كذلك) [5] ومن أسرار الطبيعة أنه يخرج من النيل ويرعى زهر وليس يبدأ اذا رعى من أدنى الزرع اليه ، ولكنه يحوز منه قدر ما يأكل ثم يبتدئ من حيث إنتهى اليه مقبلاً الى البحر وربما فاه في المكان الذي يرعى فيه فينبت ايضاً ، وهو يقتل التمساح ويقهره ويساجله الحرب ، ويكون القتال بينهما دولاً وأهل ريف مصر اذا رأوا اثر حافره كان ذلك عندهم دليلاً على توفو زيادة النيل وكثرة الخصب .

١- في جـ البحري.

٢- الزيادة من ب ، جـ.

٣- في ب ، جـ ذكرها بعد قوله: صفين صفين.

٤- في ب وسنه.

٥- ساقطة من ب ، جـ.

القول في طبائع الجندبادستر

ويسمى كلب الماء ولا يوجد الا ببلاد القفجاق وما يليها ، ويسمى السمور ايضاً وهو على هيئة الثعلب أحمر اللون لايدان له ، وله رجلان، وذنب طويل ورأسه كرأس الانسان ، ووجهه مدور ، وهو يمشي متكئاً على صدره كأنه يمشي على أربع ، وله أربع خصي اثنتان باطنتان ، واثنتان ظاهرتان ، وفيه من أسرار الطبيعة أنه اذا رأى الصيادين له ، لأجل الجندبادستر وهو الموجود في انثييه البارزتين ، يجدون في طلبه قطعهما بفيه ، ورمى بهما اليهم ، اذ لا حاجة لهم الا بهما فان لم يبصرهما الصيادون وداموا على الجد في طلبه استلقى على ظهره حين يريهم الدم فيعلموا أنه قطعهما ، فينصرفون عنه ، وهو اذا قطع الظاهرتين تبرز الباطنتان وعوض عنهما غيرهما ، والجندبادستر/١٢١ظ بالفارسية كبد فعرب ، وتفسيره الخصية [1] ، وفي داخل الخصية شبه الدم والعسل ، زهم الرائحة سريع التفرك ، اذا جف ، ذكر جالينوس ان هذا الحيوان ليس فيه غير الجندبادستر ، وقال انه يوكر على الأرض ، ويولد عليها ويرعى فيها ويهرب الى الماء ، ويعتصم به ويمكنه أن يلبث فيه حابسا نفسه زماناً ثم يخرج الى الهواء.

القول في طبائع القندس والقاقم

فأما القندس فانه يغتذي بالسمك [2] والنبات ، وقد شرف الله تعالى جلده وعظمه اذ جعل الملوك يتخذون منه التيجان ، ويطوقون به الأطواق والاذيال والاردان ، ويقول اصحاب الكلام في طبائع الحيوان أنه فيه سادة وعبيد، وانه يتخذ مساكن مرتبة كترتيب مساكن الناس ، [والاحرار منهم يتخذون صففا

١-راجع .Persian-English dictionary P.374

٢- في الأصل بالقائم ، وما اثبتناه هو الصحيح عن جـ.

يكونون عليها ، وفي اسفلها مواضع للعبيد ، ولبيوتهم ابواب الى البر ، وأبواب الى النهر ويعبر بعضهم على بعض ، والحر لا يكتسب ، وانما يكتسب العبد له ولسيده ، ويعرف جلد العبد بحسن لونه وبصيصه] [1] وأهل بلاده يسلخون خراطيمه ، وخراطيم السمور ويتعاملون كما يتعامل بالدراهم والدنانير ، بشرط أن يكون عليها ختم المالك.

وأما القاقم وهو يشبه السنجاب الا أنه أبرد منه وأرطب ، ولهذا هو أبيض يقق وهو يجلب من البحر الخزري ، ويشبه جلده جلد الفيل ، ورأيت في بعض المجاميع المجهولة ، ان في بعض البحار شاة شعراء تكون في البر مع البهائم حين ترعى فاذا فرغت من رعيها عادت الى الماء ، وتأكل من السمك وذكر فيها خواصاً ليس ذكرها من شرطي كتابي.

وذكر بعضهم دابة سماها خز الماء [2] ، ولم يسم المكان الذي تكون فيه وقال انها مثال ابن عرس أو قليلاً، سباحتها في الماء كجريها في البر، لها وبر ناعم يعمل منه ثياب الخز.

القول في طبائع الضفدع

وهو أصناف كثيرة ، ويكون من سفاد وغير سفاد ، فالذي يكون من سفاد يبيض في البر ، ويعيش في الماء ، والذي من غيرسفاد يتولد من المياه القائمة الضعيفة الجري [3] ، ومن العفونات ، وغب الامطار ، حتى يظن أنه يقع من السحاب لكثرته وكثرة ما يرى منه على السطحة عقيب المطر والريح ، وليس ذلك عن ذكر وانثى وانما الله تعالى [4] يخلقه في تلك الساعة من طباع /١٢٢و تلك التربة

١- الزيادة من ب ، ج.

٢- ربما يقصد الخز وهي من رتبة القواضم ، من فصيلة السراعيب اسمه العلمي Mastela Marte.

٣- في جميع النسخ جريه.

٤- ساقطة من ب .

والضفادع لاتؤثر ان تستنشق الهواء الا أنها اذا اضطرت اليه فعلته، وهي من الحيوان الذي لاعظام فيه ويوصف بالرسح ، وتقول العرب في أمثالها(ارسح [1] من ضفدع)[2] ، ويوصف بالحذر ، وفي المثل (احذر من غراب وعصفور وعقعق وضفدع) ، واذا أراد النقيق ادخل فكه الاسفل في الماء ، ومتى دخل الماء فيه لاينيق.

وما أطرف قول بعض الشعراء وقد ليم على قلة كلامه :-

قالت الضفـــدع قولا

فسرتـــه الحكمـــــاء

في فمي ماء وهـــــل

ينطق من في فيه مـــاء [3]

ويعرض للضفدع مثل ما يعرض لبعض الوحوش من النار حيرة اذا رأتها وفكر فيها ، وعجب [4] منها ، (لأن الضفدع ينق)[5] فإذا أبصر النار سكت، ولا يزال يدمن النظر اليها ، ولذلك يتخذ للضفادع السرج اذا كثر نقيقها ، ولذلك تسكت اذا رأت ضوء النهار.

الوصف والتشبيه :-

ومقعدات زانهن أرجـــلُ

كقعدة الناكحِ حين يُنـــزل

يكسين وشيا وعيون تكحل [6]

١- الرسح : خفة لحم الفخذين.
٢- المثل في الحيوان ٥/٥٢٨.
٣- البيتان في ربيع الابرار ٤/١٩٧و ، وقد نسبها الى ابي بكر الصديق(رض).
٤- في ب وتعجب.
٥- ساقطة من ب .
٦- الاشطر في نهاية الارب ١٠/٣٢٠ .

ولآخـــــــر:-

دعتـــك في فاضـــــة مدنـــرة

ليس لهـــا طُرة ولا هــــــدب

قد نسجت مــــن زبرجد فجــــرى

بين تضاعيف نسجهـا الذهب

يُطيل صمتاً نهــــاره فــــــاذا

ادركه الليل بــات يصطخــــب

وهو وإنْ لــــــم يغطّ مقلتـــــه

جفن ولا امتد خلفــه ذَنَــــب

يعجبني مــاراَه منــــه ففــــي

خلقته واختلافهــا عجــب[1]

[وقـــــال] [2] أبو بكر الخوارزمي :-

اتعني والديكُ لمـــا ينطــــــق

والليل في سِربال دخن مطبـق

لم يدِمْ كشحاه بضع الفلق/١٢٢ظ

والنجم في الافق كعيـن الازرق

صوت غَـريق بعضـــه لــم يُفـرق

غصان بالماء ولّما يشــــــرق

١- الابيات في نهاية الارب ١٠/٣٢٠ وهي ساقط من ج.

٢- الزيادة من ب.

وجاحظ العين ولما يخنـــــــق

وسَاهر الليلِ ولما يعشـــــــق

هو الغراب في الخطى والمنطق

جلد سلحفاةٍ ووثب عَقعـــــــق

وصوت مخنوق (١) ونفخ أشدق

يِرمح لج الماء رمـح المحفـــــــق

كحذق ملاح غدا فيث زورق (٢)

القول في طبائع السرطان

والسرطان جيد المشـي ، سريـع العدو ذو فكين، مـخالـب وأظفار حداد كبير الأسنان صلب الظهر، من رآه رأى حيوان بلا رأس ، ولا ذنب ، عيناه في كتفه ، وفمه في صدره وفكاه مشقوقتان من جانبين ، وله ثماني أرجل مشققات وهو يمشي على جانب واحد ، ويستنشق الماء والهواء معاً وهو يسلخ جلده في السنة ست مرات ، ويتخذ لجحره بابين أحدهما شارع الى الماء ، والآخر الى اليابس ، فاذا سلخ جلده سد عليه مما يلي الماء خوفاً على نفسه من السمك ، وترك مايلي اليابس مفتوحاً ليصل اليه الريح ، فتخف رطوبته وتشتد ، فاذا اشتد فتح مايلي الماء وطلب معاشه (وهذا دأبه) (٣) .

١- في الاصل منفوخ وما اثبتناه هو الصحيح عن ب.

٢- الابيات ساقطة من جـ.

٣- ساقطـــــة مـــن جـ.

الوصف والتشبيه :-

قال شـــــاعر يصفه :-

في سرطانِ المـاء اعجوبـــة

ظـــاهرةٌ للخلق لاتخفــــــى

مستضعف المِنة لكنــــــه

أبطش من حاربتـــه كفــــا

يُسْفر للناظر عن جُمـــلة

متى مشى قدرها نصفــا [1]

ويقال [2] :- إن ببحر الصين سرطانات متى خرجت الى البر استحجرت ، والأطباء يتخذون منها كحلاً يجلو البياض ، ومن عجائب الحيوان المشترك ، ما يذكر أن ببحر الروم امة يقال لها بنات الماء يشبهون النساء ذوات شعور سبط ، الوانهم الى السمرة ذوات فروج عظام ، وثدي ، وكلام لا يكاد يفهم وقهقهة، وضحك ، وربما في أيدي ارباب المراكب فينكحوهن فيجدون لذلك عظيمة ، ثم يعيدوهن الى البحر ، وفيها أيضاً رجال يسمى /١٢٣و الواحد منهم بالقبطية ابو مرينه [3] ، ويقال انهم يظهرون بالاسكندرية وبالبرلس و برشيد في صورة ابن آدم بجلود لزجة أو اجسام مشاكلة ، لهم بكاء وعويل اذا وقعوا في أيدي الناس وذلك لأنهم ربما برزوا من البحر الى البر يتشمسون فيقع بهم الصيادين ، فاذا بكوا

١- الابيات في نهاية الارب ٣٢١/١٠ .

٢- نسب هذا القول في نهاية الارب الى ابي عبيد البكري في كتابه المسالك والممالك في نهاية الارب ٣٢١/١٠.

٣- هناك تعليق على جاشية ب يقول (لعله ابو منير وهو اصح).

رحموهم وأطلقوهم [1] .

وصـــف آلات الصيـــد

فصـــــل :-

ولما كمل غرضنا والحمد لله تعالى من هذا الباب رأينا من الصواب أن نختمه بما تصبو اليه النفوس من الاتحاف ، وتميل اليه من التشبيهات والأوصاف المنظمة التعبير عن آلات الصيد وفتكات الخيل، والكيد ، وهي وان كانت غير متعلقة بالغرض المقصود في هذا الفن ، وانها مما تتشوق اليه الخواطر، والخواطر ابداً تابعة لما خطر لها من هواها وعنّ ، فمن ذلك ما اختير من رسالة كتب بها ابو اسحاق الصابي الى محمد بن العباس بن فسابخش في صفة الجلاهق ، وهي قوس البندق :-

اقبلت رفقة الرماة قد برزت قبل الذرور [2] للشروق ، وشمرت عن الأذرع ، والسوق متقلدين خرائط شاكلت السيوف بحمائلها ، ونياطاتها وناسبتها في آثارها ونكاباتها تحمل من البندق الملموم كما هو في الصحة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم ، كأنما خرط بالجهر[3] فجاء كنبات الفهر ، قد اختير طينه ، وملك عجينه، فهو كالكافور المصاعد في الملمس والمنظر ، وكالعنبر الاذخر في المشم والمخبر ، مأخوذ من خير مواطنه مجلوب من اطيب معادنه كافل حامليه محقق لآمال آمليه ضامن بحمام الحمام متناول لها من ابعد مرام يعرج اليها وهو سم ناقع ويهبط

١- الى هنا انتهت نسخة جـ حيث يقول : آخر الكتاب والله تعالى الموافق للصواب وقوبلت على النسخة التي نقلت منها والحمد لله رب العالمين .

٢- الذرور : الطلوع .

٣- الجهر : المكان المرتفع .

بها وهي رزق نافع .

ومنها في وصف القسي :-

وبأيديهم قسي مكسوة باغشية السندس مشتملة منها بأفخر ملبس ، مثل الكُماة في جَواشنها ودروعها ، والجِياد في جلالها وقطوعها، حتى اذا جردت من تلك المطارفـــة [1] ، وانتضيت من تلك الملاحفة [2] ، رأيت منها قدوداً مخطفة رشيقة والواناً معجبة أنيقة صلبة المكاسر، والمعاجم نجية المثابت والمناجم ، خطية الاسماء [3] والمناسب سمهرية الاعراق [4] والمناصب ، تركبت من شظايا الرماح الداعسة ، وقرون الاوعال الناخسة فحازت الشرف/١٢٣ظ من طرفيها ، واحتوت عليه بكلتا يديها، قد تحنت تنحي المشيخة النساك وصالت صيال الفتية الفتاك ، واستبدلت من قديمها في عز الفوارس ، بحديثها من أنفس الملابس، وانتقلت من جدها في طراد الفارات الى هزلها في طرد المستهرات [5] ، ظواهرها صفر وارسة [6] ، ودواخلها سود دامسة كأن شمس أصيل قد طلعت على متونها ، أو جنح ليل اعتكر في بطونها أو زعفراناً جرى فوق مناكبها ، او غالية جمدت على ترائبها ، اذ هي قضبان فضة اذهب شطرها واحرق شطر ، او حبات رمل اعتنق السواد منها والصفر [7] .

وجاء منها في وصف وتر :-

فلما توسطوا تلك الروضة وانتشروا في الغيطة ، وثبتت للرمي اقدامهم ، وشخصت للطير ابصارهم ، وتروها بكل وتر فوق سهمه منه، وهو مفارق للسهم وخارج عنه، مضاعف عليها من وترين كأنه شخص ذو جسدين، او عناق ضم

١- في ب المطارف.
٢- في ب الملاحف.
٣- في ب الاسعار.
٤- في الاصل الاعرا وما اثبتناه هو الصحيح.
٥- في ب المتنزهات.
٦- الورس : نبات اصفر اللون يستعمل للصبغ.
٧- النص في المختار من رسائل الصابي و ١٧٤ ،نهاية الارب ٣٢٤/١٠ .

ضجيعين [في] [1] وسطه عين كشرجة كيس مختوم ، أو سرة بطن خميص مهضوم محولة عن المحاذاة مزورة عن الموازاة ، تروع قلوب الطير بالانباض ، وتصيب منهم مواقع الاغراض [2] ، هذا ما وقع عليه الاختيار من هذه الرسالة فإن الصابي أتى من بعد هذا الكلام ينعت ما صيد ومن صاد فأطال الرشأ على الواردين ، والقصاد ، ولضياء الدين بن الأثير الجزري رسالة [3] في المعنى الذي نحاه ابو اسحق ، واين يفوز المتأخر من المتقدم باللحاق لأن الاول اجتنى ثمر الأدب ، وكان حظ المتأخر منه الكلأ وكم عسى يجهد نفسه من جاء في الزمن الأخير فشكلا فلم يبق الا أن يحذو على مثاله ان اعين فاستطاع ، وينسج عن منواله ان ترك الفكر عصيانه ، واطاع ، جاء من هذه الرسالة في وصف القسي وذكر [4] الرماة : اذا تناولوها بأيديهم قلت هذه اهلة طالعة في أكفّ اقمار، واذا مثل غناؤها وغناؤهم قلت منايا مسبوقة في أيدي اقدار ، وتلك قسي وضعت للعب لا للنضال ، ولردى الاطيار لا لردى الرجال واذا نعتها [5] /١٢٤و ناعت قال انها جمعت من بين وصف اللين والصلابة، ووضعت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابة، فهي مركبة من حيوان ونبات ، مؤلفة منهما بعد الشتات ، فهذا من سكان البحر وسواحله وهذا من سكان البر ومجاهله ، ومن صفاتها انها لا تتمكن من البطش الا حين تشد ، ولا تنطلق في شأنها الا حين تعطف وترد ، ولها بنات احكم تصويرها ، وصحح تدويرها ، فهي في لونها صندلية الاهاب ، وكأنما صنعت لقوتها من حجر لا من تراب ، فاذا حذفها نحو الاطيار تقل ، وتصعد من الأرض من جبال فيها من برد فلا ترى حينئذ الا قتيلا بالمثقل الذي لا يجب في مثله فهي كاقله من تلك الاطيار يقبض نفوسها ، منزلة لها من السماء على ام رؤوسها .

١- الزيادة من ب .

٢- المختار من رسائل الصابي و ١٧٤ ،نهاية الارب ٣٢٥/١٠.

٣- لابن الأثير عدة رسائل في الطرد راجع : ص ٩٧ ، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦ من كتاب رسائل ابن الأثير.

٤- ساقطة من ب ..

٥- في الأصل نعته وما اثبتناه هو الصحيح.

ولابن المعتز يصفها على قافية منهوكة [1] ابي نؤاس الطردية :-

لا صيـــــد الا بوتَر
اصغر مجدول ممـــــر
إنْ مَسّه الرامي نَخـر
ذي مُقلة تبكي مَـــدرْ
صنعة بار مقتــدر
دام عليهـــا [2] فمهر
فجئن امثال الاكـــر
لم يختلفن فــي الصور
بصغر وللا كبـــر
اشبـه طين بحجـــر
يودعن امثال الســرر
ثم يطـرن كالشـــرر
الى القلوب والثغـــر
لمـــا غدونـــا بسحـر
والليل مُسود الطُـــرر
تأخذ ارضـــا ونذر
فلاح [3] صبح واشتهر
جاءت صفوفـــا وزمر

١- المنهوك نمط من انماط شعر الرجز.

٢- في ب عليه .

٣- الزيادة عن ب .

سوابحـــا بيض الغـــرر

يطلبن ماشـــاء القـــــدر

روضـــا جديدا ونــــهر

وهــــن يســــألن النظر

مـــا عنده من اكبـــــر

فقام رام مـــا ينـــــدر[1]

وتّر قوســـا وجَــــسر

اذا رعى الصيف انتثــر[2]

هــزّل عــودا قد نخـــر

فبين هـــاو منحــــدر

وســـابح[3] علــى خطـر

وذي جنـــاح منكســـر

فارتاح من حسن النظر[4]

ومســـه جن الاشـــر

وقلن اذا حَــقّ القــدر[5]

وجَد رمي فانتشـــر[6]

١- هذا البيت في الاصل عجز وبالعكس .

٢- في الديوان وصائح .

٣- في الديوان الظفر.

٤- في الديوان الحذر.

٥- في الديوان الحذر.

٦- في الديوان فاستمر.

مـــا هكذا رمـــي البشـــر

صـــــار حصى الارض مطـــر [1]

وقال ابو الفرج عبدالواحد [بن نصر] [2] الببغاء يصفها ايضا:-

ودَاية تُرضع غيـــــــــر دَرهـا

وَقْصَاء يعليهـــــا انحناء ظهرها

مقلتها شاخصة في صدرهـا [3]

نجلاء لا تطرف هدب شفرهـــــا

طائرة مقيمة في وكرهـــــــــا

باطشة لكن بغير ظفرهـا /١٢٤ظ

اراؤها تصدرها عــــــن فكرهـا

مجيئة في اصلها وفجرهـــــــا

بنت كعوب سبيت من خدرهـــا [4]

فاقتصها الصانع بعـــــد مهرها

بقطعها وبردهـــــــــا ونشرها

حتى اذا سار خمــــــول ذكرها

١- الابيات في الديوان

٢- الزيادة من ب.

٣- في الاصل سطرها.

٤- في ب سحرها.

مثلت به كمال امرهـــــــــا

فلم يزل نيرته نيرهـــــــــا

تنعى الى الطير (١) امتداد عمرها

كأنما البندق بعـــــــد حرها

جنودها صادرة مـــــن صدرها

جيدت بسحب طميت بصخرهـــا

كأنها تحت انسكاب قطرهـــــا

اسرة لوط مطرت بصخرهـــــا

فلم تزل تغمرنا ببردهـــــــا

حتى اعترفنا كلنا بشكرهـــــا

افعالها ناطقـــــة بفخرهـــا

يعنو ملوك الطير خـوف مكرهـــا

من بازها (٢) في فكـــه وصقرها

لا ينكر الجارح عظم قدرهـــــا

وقال ابو اسحاق الصابي (٣) :-

ومرنان مُعبسة ضحـــــــوك

مُهذبـــــة الطبائـــع والكيانِ

١- في الاصل الطين.

٢- في الاصل بازه.

٣- نسبها في الاصل الى الصابي وهي ب ونهاية الارب منسوبة الى الببغاء.

مغالبة وليس بهـــــــا حــراك

وباطشة وليس لها يـــــــــدان

لها في الجارح النسب المعلـــى

وان هي خالفتـــــه في المعاني

تطير مع البزاة بلا جنـــــــاح

فتسبقها الى مصـــــب الرهـان

وتدرك ما تشاء بغير رجـــــــل

ولا باع يطول ولا بنـــــــــان

وتلحظ ما تشاء بكل الطرف عنـه

بلا نظر صحيح ولا عِيــــــان

لها عضوان من عصـــب وعظم

وسائر جسمها من خــــــيزران

يخاطب في الهواء الطير منها

بلفظ ليس يصدر عن لســـــان

فإن لم تضع اردتهـــــا بطعــن

ينوب الطين فيه عن سنـــــان

مقرطقة ممنطقة خلـــــــــوب

مُهفهفة مخففة الجــــــــران

مذكرة مؤنثة تهـــــــــــادى

من الاصباغ في حلل القـــيان

معمرة تزايد كل يـــــــــوم

شبيبتها على مر الزمـان/١٢٥و

كأن الله ضمنها فبـــــــاتت

لنا في الرزق عن اوفى ضمـان

اعز علي العيـــــون من المآقي

واحلى في النفوس من الامـاني

اذا ما استوطنت يوما مكـــانا

تولى الجدب عن ذاك المكـــان(١)

وقال أبو الفتح كشـــاجم *يصفهـــا*:-

وثيقةٌ مدمَجةُ الاوصـــــــالِ

مَحْنية عَوجـاء كالهـــــــلالِ

تعود إنْ شئت الى اعتـــدال

باطنها لعـاقل الاوعـــــــال

والظهر منها لقنا الابطــــال

يجمعهـا اسمـر ذو اعتـدال (٢)

في وسطه من صنعــة المحتال

مثـــال عين غيـــر ذي احولال

١- الابيات في نهاية الارب ٣٤٨/١٠ .

٢- في ب والديوان انتقال.

تغذى بصدفات من الصلصال

امضى من السهام والنبـــال

قذى في اعيـــــن الامـــال

فاقعة الصفرة كالجِريـــال [١]

رخيصة تغنم كل غــــــال

يؤمن منها وثبة الكـــــلال

تعول في الجدب وفي الاحمال

وقد يكون الصقر كالعيـــال

مطيها عواتق الرجــــــال

في غلف ممدودة طــــــوال

كم افضلت على ذوي الافــال

وكم انالت من اخي نــــوال

وقربت للطير من آجــــال [٢]

وقال ايضاً [٣] *فيها (من ابيات طردية)* [٤] :

وفي يساري من الخطّي محكمــــة

متى طلبت بها ادركـــت مطلوبـــي

للوعل باطن شطريهـــا ومعظهما

من عود شَجْراء صَمــــاء الانبيبِ

١- الجريال : الخمرة.

٢- الديوان ص ٤٠٥.

٣- الزيادة من ب .

٤- ساقطة من ب .

تَأنق القَيْنِ في تزينهـــــــا فغدت

تُومي[1] بأحسن تفضيض[2] وتذهيب

في وسطها مقلة منهـــــا تبين مـا

ترمي فما مقتل عنها بمحجـــوب

فقمت والطير قد هَمّ الحِمام لـــــه

على سبيلـــي فـي عادي وتجويبي

حتى اذا اكحلت بالطين مقلتهـــــا

صبت عليهن حتفـا بعد مصبـوب

فرحت جذلان لم تكدر مشـارب لذتي

ولم تلـــق امالــي بتخييـــب [3]

وقال أبو الفرج البيغـــــاء يصف الفخ :-

ذو قصر أحدب من غير كبر/١٢٥ظ

محتقر المنظـــــر جــار الخبر

مُستنصر لكــن اذا ضيم انتصـــر

مَستأنـــس ان صله لمس نفـــر

وان جنى جنايـــــة لــــم يعتذر

مفوف سهما اذا شك استمـــــر

١- في الديوان تزهى .

٢- في الديوان تلميع .

٣- الديوان ص ٥٦.

قضى له الحب ومـأواه الخفـــــر

لمـــا رأى العصفــور حيا قد بدر

ارباب بالحنطة ما بين المـــــدر

ولم يزل بين الرجاء والحـــــذر

تتبعه الحـــرص ويعنيه الخطـر

ثـم هــــوى مستبينا [1] لما افتكر

ان بنى الدنيا جميعا فــــي غــرر

وامل النفـع ولم يخــش الضرر [2]

فشده الفــــخ باشــــراك العيـر

ولم يطق دفع القضاء والقـــــدر

وكثرة الاطماع افـــــــات البشر

وفي تصاريف الليـــالي معتــبر [3]

والحزم ان يجزع من حـــــيث يسر

وآخر الصفو وان لذّ الكــــــدر

قال ابن المعتز يصف الدَبق على طريق الالغاز :-

ومـــا رمـــاح غير جارحــــــات

وليس [4] في الدمـــاءوالغــــات

١- في ب مستضعف.
٢- في ب مستيقنا.
٣- في ب النظر.
٤- في ب والعبر.

وليس [1] للطراد والغـــارات

يخضبن لا من علق الكمـــــاة

بدبق [2] حتف منجـز العدات

مُستمكن ليس بذي إفــــلات

ينشب في الصدور واللّبـــات

فِعل اسار علق الشبـــــاة

على عَواليها .... مركبـــات

أسنة ليس [3] موقعـــــات

من قصب الريش مجـــردات

يحسبن في الهـــواء شائلات

أذناب جردان منكسات [4]

وقال (*ابو الفتح كشاجم*) [5] *يصفها ايضاً* :-

واسرات مثل مأســـورات

مُمكنـات غير ممكنـــات

١- في الديوان غير .

٢- في الديوان بريق.

٣- في الديوان غير.

٤- الابيات في الديوان ٢/٤٢٣ وفيها اختلاف في ترتيب الاشط.

٥- ساقطة من ب.

مـــؤملات غير... مكذبـــــات

صـــوادق التعجيل للعـــــدات

نواظر الاشكال ذاهبـــــات

كواسر وليــــس ضاريــــات

ولا بما يصدن عالمـــــــــات

بمثل ريق الفحــــل مطليات

اقتل من سمائـــــم الحيـــات

لو صلحت شيئاً مــــن الالات

ووصلت بالزج والشبـــــــاة

كانت مكان النبـــل للرمــــاة

حوامل للطير مُمسكـــــــات

تعلق الأحباب بالحبـــــــات

كأنها في النعت والصفـــــات

اذناب ما دقّ من الحيـــــــات

اعذر بالـــــورق المفـــردات [1]

فيها من الفتيان بالقينـــــات

فهن [2] من قتلى ومــن عنـــاة

بلا فكاك وبلا ديات [3] /١٢٦و

١- في الاصل المجردات وما اثبتناه هو الصحيح عن ب.

٢- في ب فلن.

٣- الابيات في نهاية الارب ١٠/٣٥٢.

وقال أبو الفرج الببغاء يصف سبطانة :-

وجوفاء حاملـــــة تهتـــــدي
في [1] كل قلــــب بمقروحـــه

مقومة القـــــد ممشوقـــة
مهفهفة الجسم ممسوجـــــه

مشققة [2] فمهـــــا عينها
تبشر ظنـــــي بتصحيحـــــه

فان هي والجارح استنهضـا
الى الصيد عاقته عن ريحـــــه

اذا المرأ اودعهـــا ســـره
لتخفيه باحت بتصريحـــــه

موات يعيش اذا ما اعـــــاد
لها النافخ الروح مـــــن روحه

هي السبطانة في شكلهــــا
ففي القلــــب جــد تباريحه

تحطّ ابا الفـــرخ عـن ذكره
ويستنزل الطيـــر مـــن لوحـه

١- الابيات في نهاية الارب ٣٥٢/١٠ .
٢- في ب الى.

وقال السري الرفاء يصف شبكة :-

وجـــدول بيــن حديقتيــن

مطرد مثلَ حسام القيـــــن

كسوته (١) واسعــــة القطرين

تنظر في الماء بغير (٢) عيــن

راصدة كل قريب الحيــــن

تبرزه مجنح الجنبيـــــــن

كمدية مصقولة المتنيــــن (٣)

كأنما صيغ (٤) مـن اللجين (٥)

وقـــــال كشــــاجم يصفها :

يارب نهـــــر متــــأت ملان

جَم المدود معمـــر معـــان (٦)

باكرته مع باكر الغربـــــان

في فتية افاضـــل اقـــران

١- في الاصل كسوة.
٢- في الاصل بالفرعين.
٣- في الديوان الحدين.
٤- في الديوان ضيعت.
٥- الأبيات في الديوان ص ٢٦٧ .
٦- في الديوان المغاني.

بمثل احداق بلا اجفـــــان

مَحذوة كحنـــــــوطيلســـان

كأنهـــا جلـــــدة افعوان

مزعج بالاطمـــاع والحرمـــان

مواطن المـــاء عـــن الأوطان

احدى على صائدها الغرثـــان

من الضواري الغظف الاذان

وكـــاسر البزاة والعقبــــــان

وقال *أبو الفرج الببغاء يصف شبكة العصافير*:

رقراقة في السراب تحسبهـا

على الثرى حلـــــة مـــن الزرد

كالدرع لكنها معوضـــــــة

عن المسامير كثرة العـدد/١٢٦ظ

سايرهـــا اعيـــن مفتحة

لا ترتضي نسبــــــة احد (١)

كأنها في غرورها زخـــرف

الدنيـــا المشرب المسرور بالكد

١- الابيات في نهاية الارب ١٠/٣٥٢ .

كاتب اندلسي يصف الشص :

صنافير كأظفار السنانير ، قد عطفها القين كالراء ، وصيرها الصقل كالماء فجاءت احدّ مــن الابر ، وادقّ مــن الشـعر، كأنمــا مخلــب صرّد ، (او نصف حلقــة مـــن زرد) [1] .

وقال ابو بكر بن احمد بن محمد الصنوبري يذكر الشص ويـصفه :

اكرم [2] ما اعددته مــن العــدد

وما حوى صحبي به عناء الابـــد

بناء قين حاز في الخنــدق الامــد

على مقاديــر مخاليب الصُــرد

او مثل ما عاينت اصنــاف الـزرد

لها رؤوس فـــي اعاليهــا اود

كمثل ابيات الافــاعي اوا حـــد

ذوات طعــم نَكِد كل النَكَــد [3]

تشد في اذناب خيــل اذ تشـــد

ممرة الفيـــل كـامرار المســد

نيطت باطراف يــرا ع مستــرد [4]

صم الانابيـــب قريبات العقـــد

١- النص في نهاية الارب ٣٥٣/١٠.

٢- في ب اكر.

٣- في الاصل الكد.

٤- في الديوان مستعد.

عجبا بها من حيث ماعـــاج احـد

من ظل صفصاف علينا قـد يـــرد

شاطيء نهـــر لابس [1] درع زبـد

فأطلقت ايديهــــم اطـــلاق يـــد

فلم[2] [تزل][3] ترسل طورا وتزد[4]

حتى تنادوا قد من الحيتـــان قـد

ثم بعثنـــا الف عيـــن في جسد

فجئنـــا بمثلهـــن فـــي العـدد

الف من الحيتان بيــــض كالبَـرد

مكســـوة دراهـــم لا تنفـــد

كذلك الأرزاق مـــن جــزر ومـــد

والحمد للمهيمن الفرد الصـــمد [5]

وقال (ابو الفتح كشاجم) [6] *يصف الشص ايضاً* :

مـــن كـــان يحوي صيده الفضـــاء

وللبـــــزاة عنـــده ثـــواء

١- في الاصل لابسا.
٢- في الاصل كم.
٣- الزيادة من ب.
٤- في الديوان تمد.
٥- الديوان ص ٤٧٥.
٦- ساقطة من ب .

وطال بالكلب لـــــه العنـــاء

فان صيـــدي مــــا حواه الماء

بمخلب ساعـــــده رشـــــاء

يظل والمـــاء له غطـــــــاء

كما طوت هلالهـــا السمـــاء

كأنـــه من الحـــــروف راء

فهو ونصف خاتم ســـــواء

يحمل سما اسمـــــه غـــذاء

وعطبها فيه لنا اجتنــــــاء

تدمـــي القلـــوب والاحشـــاء

عاد اذا ساعده الفضـــــاء

امتعنا القَريس[1] والشُـــواء [2]

ولله الحمد تم الفن الثالث من مباهج الفكر ومناهج العبر في الطبائع الحيوانية يتلوه الفن الرابع في الفلاحات النباتية ان شاء اللّه تعالى بحمد اللّه تعالى وعونه ولطفه وبه المستعان/١٢٧و.

تمّ الفن الثالث من مباهج الفكر ومناهج العبر ويتلوه الفن الرابع من الكتاب في الصفحة التي هذه الورقة ، والحمد لله كثيرا [3] .

١- القريس : نوع من السمك يطبخ ويترك حتى يجمد.
٢- الابيات في المصايد ص ٢٣٤ ونهاية الارب ٣٥٣/١٠.
٣- خاتمة الجزء الثالث من نسخة ب.



فهرست المحتويات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com